إعراب القرآن الكريم وبيانه

تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

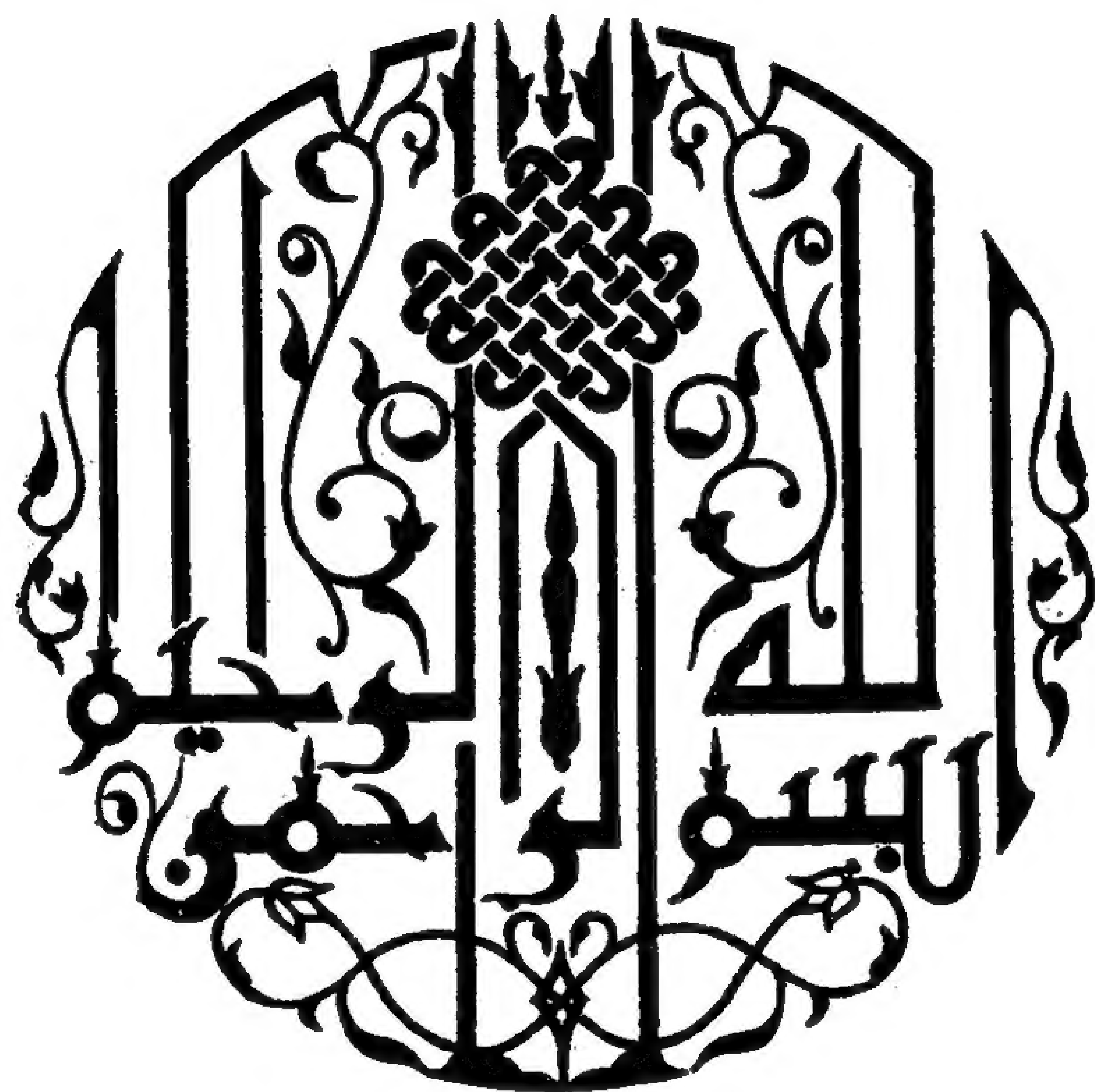
المجلد السادس

الجزء السادس عشر — الجزء السابع عشر — الجزء الثامن عشر

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية
حمص - سورية

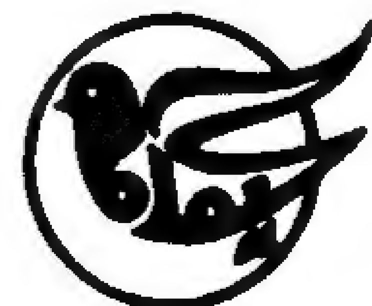

بسم الله الرحمن الرحيم

إعراب القرآن الكريم وبيانه

الطبعة الثالثة
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - ص.ب ٣١١ - هاتف ٢٢٥٨٧٧
بيروت - ص.ب ١١٣/٦٣١٨



اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - برامكة - جانب الهجرة والجوازات
ص.ب ٣٧٧ - هاتف ٢١٣٢٤٥ - بيروت - ص.ب ١١٣/٥٤٨٨

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ
صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا
﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ
لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ
صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ
مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا
فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ
شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ
بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ
يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا
وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ

لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

اللغـــة :

(إمراً) : الإمر العظيم المنكر ، قال أبو عبيـدة : الإمر الداهية العظيمة وأنشد :

قد لقي الأقران مني نكرا داهيـة دهيا وأمراً إمرا

ويقال : أمر الإمر أي عظم وتفاقم وهـذه المادة اللغوية غريبة تقول الأمر بالفتح : طلب إحداث الشيء وجمعه أوامر والأمر الشأن وجمعه أمور وأولو الأمر أهل الرياسة والعلمـاء ، والإمّر والإمّر الضعيف الرأي ، والأمير الآمر ، فتتغير معانيها بتغير شكلها .

(ترهقني) : تكلفني وفي المختار : رهقه غشيه وبابه طرب وأرهقا عسراً كلفه إياه .

(زكية) : طاهرة من الذنوب لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث ، وفي القاموس : زكا يزكو زكـاء وزكـوا ، وزكي يزكى زكيّ الزرع نما والرجل صلح وتنعم وزكاه الله بالتشديد أنماه وطهّره وأصلحه ، وأخا زكاته وزكّى ماله أدّى عنه الزكاة ، وزكّى نفسه مدحها .

(نكراً) : بضم فسكون وبضمتين : المنكر وهو أبلغ من الإمر لأن معه القتل بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه وتلافيه وقيل : الإمر أبلغ لأن قتل النفس بسبب الخرق أعظم من قتل نفس واحدة .

(يضيفوهما) : يقال ضافه إذا كان له ضيفاً وحقيقته من الميل ، يقال ضاف السهم عن الغرض وأضافه وضيفه جعله ضيفاً وهم ضيوف وأضياف وضيفان ، ومن المجاز : أضاف إليه أمراً إذا أسنده إليه واستكفأه وفلان أضيفت اليه الأمور وما هو إلا مضاف أي دعي ، ونزلت به مضوفة . قال :

وكنت إذا جاري دعا لمضوفة   أشمر حتى يبلغ الساق مئزري

الاعراب :

(فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في الأمور الثلاثة التي ألمعنا اليها والتي خفيت بواطنها عن موسى وبدت له ظواهرها مستنكرة ، ولا بد من تقدير محذوف أي فانطلقا يمشيان ومعهما تابعهما يوشع بن نون وقد اكتفى بذكر المتبوع عن التابع أي على ساحل البحر يطلبان سفينة تقلهما فوجدا سفينة فركباها فأخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي فجعل موسى يعارضه ويقول الخ . وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وجملة ركبا في السفينة في محل جر بإضافة الظرف إليها ، وجملة خرقها جواب اذا وهو فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به . (قال : أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً) قال ـ أي موسى ـ أخرقتها والهمزة للاستفهام الإنكاري ،

لتغرق اللام للتعليل وتغرق فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وأهلها مفعول به ، وسيأتي سر نسيان نفسه في باب البلاغة ، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجئت فعل وفاعل وشيئاً مفعول به وإمراً صفة. (قال:ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً) الهمزة للاستفهـام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وإن واسمها وجملة لن تستطيع معي صبراً خبرها . (قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً) لا ناهية وتؤاخذني فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والفاعل مستتر تقديره أنت والياء مفعول به ، ومن أمري حال لأنه كان في الأصل صفة لعســراً وعبـراً مفعول به ثان لترهقني . (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً) فانطلقا الفاء للعطف وانطلقا فعـل وفاعل وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وجملة لقيا مضافة للظرف وهي شرط إذا وغلاماً مفعول به ، والفاء حرف عطف وقتله عطف على لقيا فهو داخل في حيز فعل الشرط بخلاف قوله « حتى إذا ركبا في السفينة خرقها » بغير فاء فقد جعله هنا جواباً والعلة في هذه المخالفة ، ان خرق السفينة لم يأت عقب الركوب مباشرة أما القتل فقد أتى عقب لقاء الغلام مباشرة ، وقال هو جواب إذا ، أقتلت : الهمزة للاستفهام الانكاري ونفساً مفعول به وزكية صفة ، وبغير نفس : الجار والمجرور في موضع نصب عـلى الحال من الفاعـل أو المفعول أي قتلته ظالماً أو مظلوماً أو متعلق بقتلت ، واللام جواب للقسم المحـذوف وقد حرف تحقيق وجئت فعل وفاعل وشيئاً مفعول به ونكراً صفة . (قال ألم أقل لك انك لن نستطيع معي صبرا) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وان واسمها وجملة لن تستطيع معي صبراً خبرها،وقد زاد هنا لفظ لك لأن سبب العتاب أكثر وموجبه أقوى وقيل زاد لفظ لك

لقصد التأكيد كما تقول لمن توبخه : لك أقول وإياك أعني • (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) إن شرطية وسألتك فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وعن شيء جار ومجرور متعلقان بسألتك وبعدها ظرف متعلق بمحذوف صفة لشيء ، والفاء رابطة لجواب الشرط ولا ناهية وتصاحبني مجزوم بلا والياء مفعول به • (قد بلغت من لدني عذراً) قد حرف تحقيق وبلغت فعل وفاعل ومن حرف جر ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر والجار والمجرور متعلقان ببلغت أو بمحذوف حال وعذراً مفعول به • (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) الفاء عاطفة وانطلقا فعل وفاعل وحتى حرف غاية وجر واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وأتيا فعل وفاعل وأهل مفعول به وقرية مضاف إليه ، قيل القرية هي انطاكية ومعنى استطعما أهلها طلبا منهم الطعام على سبيل الضيافة ، وجملة استطعما أهلها لا محل لها لأنها جواب إذا ، واختار ابن هشام أن تكون صفة لقرية ، وكرر الأهل للتأكيد من باب إقامة الظاهر مقام المضمر وقد تقدمت شواهده أو للتقصي ليشمل الاستطعام والامتناع من الإكرام جميع أهلها • (فأبوا أن يضيفوهما) الفاء عاطفة وأبوا فعل وفاعل وأن وما في حيزها مفعول أبوا • (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) الفاء عاطفة ووجدا فعل وفاعل وفيها جار ومجرور متعلقان بوجدا وجداراً مفعول به وجملة يريد صفة لجداراً وفي معنى إسناد الإرادة للجدار بحث ممتع يطالعه القارىء في باب البلاغة وأن وما في حيزها مفعول يريد فأقامه الفاء عاطفة وأقامه فعل وفاعل مستتر ومفعول به أي رفعه ورممه وأصلحه • (قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً) لو حرف شرط غير جازم وشئت فعل وفاعل واللام واقعة في جواب لو واتخذت فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب لو

وعليه متعلقان بمحذوف حال وأجراً مفعول به • (قال هذا فراق بيني وبينك) هذا مبتدأ والاشارة الى الفراق المترتب على تكرار السؤال وفراق خبر وبيني مضاف إليه وساغت اضافة بين الى غير متعدد لتكرير بين بالعطف بالواو وبينك عطف على بيني • (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) السين حرف استقبال وأنبئك فعل وفاعل مستتر ومفعول به وبتأويل الباء حرف جر دخل على مضمون المفعولين الثاني والثالث وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد وما اسم موصول مضاف الى تأويل ولم حرف نفي وقلب وجزم وتستطـع مضارع مجزوم بلم وصبراً مفعول به وعليـه متعلقان بصبراً أي سأنبئك سر ما فعلت في الامور الثلاثة • (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) أما حرف شرط وتفصيل والسفينة مبتدأ والفاء رابطة وكانت كان واسمها المستتر والتاء تاء التأنيث الساكنة ولمساكين خبر كانت والجملة خبر السفينة وجملة يعملون في البحر صفـة لمساكين وفي البحر متعلقـان بيعلمون•(فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) الفاء عاطفة وأردت فعل وفاعل وأن أعيبها المصدر المؤول مفعول أردت والواو للحال وكان فعل ماض ناقص ووراءهم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وهو بمعنى أمام ويجوز أن يكون بمعنى خلف وملك اسم كان المؤخر وجملة يأخذ صفة وكـل سفينة مفعول به وغصباً مفعول مطلق مبين لنوع الأخذ ويجوز أن يكون المصدر في موضع نصب على الحال وفي الكلام تقديم وتأخير سيأتي سره العجيب في باب البلاغة • (وأما الغـلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً) الواو عاطفة وأما حرف شرط وتفصيل والغلام مبتدأ فكان الفاء رابطة وكان واسمها وخبرها فخشينا الفاء عاطفة وخشينا فعـل وفاعل وأن وما في حيزها مفعول خشينا وطغياناً مفعول به ثان وكفراً عطف عـلى

طغياناً وجملة الجواب خبر الغلام وأسند الخشية الى نفسه لأن الله أطلعه على مآل الغلام لو تناهت به المدة وانفسح الأجل ، أو لأنه حكى قول الله . (فأردنا أن يبدلهما ربهما خـيراً منه زكاة وأقرب رحماً) فأردنا عطف على خشينا وأردنا فعل وفاعل وأن يبدلهما أن ومافي حيزها مفعول يبدلهما وخيراً منه مفعول ثان وزكـاة تمييز أي صلاحاً وتقى وأقرب رحماً عطف على خيراً منه زكاة ورحماً تمييز أيضاً أي رحمة بوالديه .

قال أبو حيان : وانتصب رحماً على المفعول له وأجاز الزمخشري أن ينصب على المصدر بأراد قال لأنه في معنى رحمهما وأجاز أبو البقاء أن ينتصب على الحال وكلاهما متكلف . فتأمل .

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) الجملة معطوفة على ما تقدم والاعراب مماثل وفي المدينة صفة ثانية أو حال . (وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً) الواو عاطفـة وكان فعل ماض ناقص وتحته ظرف متعلق بمحذوف خبر مقـدم وكنز اسمها المؤخر ولهما صفة وكان أبوهما صالحاً كان واسمها وخبرها . (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) فأراد عطف على ما تقدم وربك فاعل وأن يبلغا مفعول أراد وأشدهما مفعول به وقد تقدم تفسير الأشد ويستخرجا عطف على يبلغا والألف فاعل وكنزهما مفعول به ورحمة من ربك مفعول لأجله أي لولا أني أقمته لانقض وهوى وخرج الكنز من تحته قبل أن يصبحا قادرين على حفظ المال وتنميته واستثماره ولضاع بدداً . (وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) الواو عاطفة وما نافية وفعلته فعـل وفاعل ومفعول به والضمير يعود على مجموع ما ذكر وعن أمري جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي صادراً عن أمري وإنما هو بأمر الله وإلهامه

إياي وذلك مبتدأ وتأويل خبر وما مضاف اليه ولم حرف نفي وقلب وجزم وتسطع أي تستطع فحذفت منه تاء الافتعال مجزوم بلم وعليه متعلقان بصبراً وصبراً مفعول به .

البلاغـة :

الفنون التي انطوت عليها الآيات الآنفة لا يتسع لها صدر هـذا الكتاب إذا نحن حاولنا استجلاء غوامضها واكتناه خوافيها فلنمض في استقصائها جانحين إلى لغة النظر فأولها :

١ ــ نسيان نفسه عندما قال : « أخرقتها لتغرق أهلها » وهو بين الراكبين وهو جدير بأن ينهمك بأمر نفسه وما هو مقدم عليه من سوء المصير وإنما حمله على المبادرة بالانكار الالتهاب والحمية للحق فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي يقول فيها كل واحد : نفسي نفسي ، ولا يلوي على مال ولا ولد وتلك حالة الغرق تذهل فيها العقول وتعزب الأحلام ويضيع الرشد من الألباب .

٢ ــ التورية في قولـه « قال لا تؤاخـذني بما نسيت » أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان لإيهامـه بأنه قد نسي ليبسط عـذره في الإنكار وبعضهم يسمي هـذا النوع من معاريض الكلام ، والمعاريض جمع معراض وهو هنا إيهام خلاف المراد لئلا يلزم الكذب وهو فن طريف من فنونهم ولعله أجمـل أنواع التورية التي سبق ذكرهـا وقد كان المتنـبي يجنـح إليه في قصائده وخاصـة الكافوريات قال :

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا عـلى العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه ... رفيقك قيسي وأنت يمـان

فشبيب هذا خارجي خرج على كافور الإخشيدي وقصد دمشق وحاصرها فيقال أن امرأة ألقت عليه رحىً فصرعته فانهزم الذين كانوا معه لما مات ، ويقال إنه أكثر من شرب الخمر فحدث به صرع ففي ساعة القتال أتته نوبة الصرع فتركه أصحابه ومضوا فأخذه أهل دمشق وقتلوه وقد كان شبيب هذا من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب وأخبار ذلك مشهورة والسيف يقال له « يماني » في نسبته الى اليمن ومراد المتنبي من هذا البيت أن شبيباً لما قتل وفارق السيف كمه فكأن الناس قالوا لسيفه أنت يماني وصاحبك قيسي ولهذا جانبه السيف وفارقه وهذه مغالطة حسنة .

ومن معاريض الكلام الحسنة قول أبي العلاء المعري في وصف الإبل :

صلب العصا بضرب قد دمّاها تود أن الله قد أفناها
إذا أرادت رشداً أغواها محا له من رقه إياها

فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا وعلى الضرب في الأرض وهو المسير فيها وكذلك دماها يطلق على شيئين أحدهما يقال : دمّاه إذا أسال دمه ودماه إذا جعله كالدمية وهي الصورة وكذلك لفظ الفناء فإنه يطلق على عنب الثعلب وعلى إذهاب الشيء إذا لم يبق منه بقية يقال أفناه إذا أذهبه وأفناه إذا أطعمه حب الفناء وهو عنب الثعلب ، والرشد والغوى نبتان يقال أغواه إذا أضله وأغواه إذا أطعمه النوى ويقال طلب رشداً إذا طلب ذلك النبت وطلب رشداً إذا طلب الهداية .

ويروى في الأخبار الواردة في غزاة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سائراً بأصحابه يقصد بدراً فلقيهم رجل من العرب فقال :

ممن القوم ؟ فقال النبي : من ماء ، فأخذ ذاك الرجل يفكر ويقول : من مـاء من ماء لينظر من أي بطون العرب يقـال لها ماء فسار النبي لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وهذا من المغالطة المثلية لأنه يجوز أن يكون بعض بطون العرب يسمى ماء ويجوز أن يكون المراد أن خلقتهم من ماء وحاشى النبي أن يكذب •

٣ ـ توكيد الضميرين :

وذلك في قوله تعالى« قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً» في قصة قتل الغلام وهذا بخلاف قصة السفينة فإنه قال فيها « ألم أقل انك لن تستطيع معي صبراً » والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير في الثانية دون الأولى « ألم أقل انك » وقال في الثانية « ألم أقل لك إنك » وإنما جيء بذلك للزيادة في مكافحة العتاب على رفض الوصية مرة بعد مرة والوسم بعدم الصبر وهذا كما لو أتى الانسان ما نهيته عنه فلمته وعنفته ثم أتى ذلك مرة ثانية أليس أنك تزيد في لومه وتعنيفه ؟ وكذلك فعل هاهنا فإنه قيل في الملامة أولاً « ألم أقل إنك » ثم قيل ثانياً : « ألم أقل لك انك » وهذا موضع يدق عن العثور عليه بالنظرة العجيلة ولا يمكن اكتناه حسنه إلا بعد التأمل العميق وهذا فن جليل القدر ، بعيد الغور ، فللضمائر أسرار لا يدركها إلا الملهمون والمبدعون وهي ليست مجرد ضمائر تذكر كما ترد في كتب النحو وستأتي في كتابنا هذا صور رائعة عنه تبين مدى قدر المبين وتساميه عن الانداد •

التوكيد بالضمائر في الشعر :

وسنورد لك هنا الآن نمـاذج من التوكيـد بالضمائر الوارد في الشعر تذهل العقول فمن بديع ما استظرفناه قول أبي تمام :

لا أنتَ أنتَ ولا الـديار ديار   خف الهوى وتولت الأوطـار

فقولـه « لا أنتَ أنتَ ولا الديار ديار » من المليـح النادر لأنه هو هو والديار الديار وإنما مراده أن البواعث التي كانت تبعث على قبيل أنت منهم وأنت أنت ولو تأتّى له ذلك الرأب صدع البيت ، ومع ولا الديار في عينه من الحسن تلك الديار . وقد حاول أبو الطيب أن ينسج على منوال أبي تمام فأسف ولم يلحق به إذ قال :

قبيلٌ أنت أنت وأنت منهـم   وجـدك بشر الملك الهمـــام

فقوله « أنتَ أنتَ » من توكيد الضميرين المشار اليهما وفائدته المبالغة في مدحه ولكنه أفسد على نفسه ما أراده لأن سبك البيت عارٍ من الحسن وفيه تقديم وتأخير أفسداه أيضاً لأنه كان من حقه أن يقول: قبيل أنت منهم وأنت أنت ولو تأتّى له ذلك الرأب صدع البيت ، ومع ذلك يبقى دون بيت أبي تمام العذب الرشيق وهـذا مرده الى الذوق وهو الحكم في هذا الباب .

وروى صاحب الأغاني : أن عمرو بن ربيعة قال لزياد بن الهبولة : يا خير الفتيان أردد علي ما أخذته من إبلي فردها عليــه وفيها فحلها فنازعه الفحل إلى الإبل فصرعه عمرو فقال له زياد : لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم فقال عمرو له : لقد أعطيت قليلاً وسمت جليلاً ، وجررت عـلى نفسك ويلاً طويلاً » فقوله : لكنتم أنتم أنتم ، أي أنتم الأشداء أو الشجعان أو ذوو النجدة والبأس إلا أن « أنتم » الثانية تخصيصاً لهم بهذه الصفة دون غيرهم كأنه قال لكنتم أنتم الشجعان دون غيرهم ولو مدحهم بأي شيء مدحهم به من وصف البأس والشدة والشجاعة لما بلغ هـذه الكلمـة أعني « أنتم » الثانية .

٤ ـ الاستعارة المكنية :

في قوله تعالى : « فوجدا جداراً يريد أن ينقض » فقد استعيرت الارادة للمشارفة والمداناة ويجوز أن يكون مجازاً عقلياً وهذا الخلاف مطرد في كل نسبة الى مالا يعقل كقول عمرو بن أبي ربيعة :

أبت الروادف والثديّ لقمصها   مس البطون وأن تمس ظهورا

وسنبسط لك القول في هذا البيت بسطاً شافياً لتتأكد من حقيقة هذا الكلام فالإباء المنع الاختياري وقد شبه الروادف والثديّ لكبرها بمن يصح منه ذلك والكلام يحتمل إرادة التشبيه فهو مجاز علاقته المشابهة فيكون استعارة مكنية تبعية وقد لا يحتمل إرادة التشبيه ويكون عبارة عن مجرد إسناد الإباء اليها للدلالة على كبرها فيكون مجازاً عقلياً وفي الكلام أيضاً لف ونشر مشوش لأن مس البطون يرجع للثدي ومس الظهور يرجع للروادف ولا بد لإظهار معنى البيت تماماً من إيراد البيت الثاني وهو :

وإذا الرياح مع العشي تناوحت   نبّهن حاسدة وهجن غيورا

يقال تناوح الجبلان أي تقابلا فالمراد بالتناوح التقابل بحيث يجيء بعض الرياح من أمامها وبعضها من خلفها فتظهر روادفها ونهودها وتلتصق الثياب بخصرها فيظهر ضموره فتنبه الحاسدة لها وتهيج الغيور لكراهية ذلك من الرياح . ومن هذا الضرب قول الحسن بن هانيء أبي نواس :

فاستنطق العود قد طال السكوت به

لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

شبه العود بانسان على طريق الاستعارة المكنية ويصح أن يكون مجازاً عقلياً على نحو ما قدمنا لك •

وقول حسان بن ثابت :

ان دهراً يلف شملي بجمل لزمان يهمّ بالاحسان

وجمل اسم محبوبته ويروى بعدى يقول : إن الدهر الذي يجمع شملي بمحبوبتي لدهر يهمّ بالاحسان على طريق المكنية ولفظ الهم تخييل ويحتمل أن إسناد الهم له مجاز عقلي كإسناد اللف •

٥ ـ التقديم والتأخير :

ظاهر الكلام يقتضي تأخير قوله « فأردت أن أعيبها » عن قوله : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً » لأن إرادة العيب مسببة عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب والجواب على ذلك أنه سبحانه قدم المسبب على السبب للعناية به ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن معْ كونها للمساكين •

وفي الآية والتي بعدها أيضاً أسرار عجيبة أخرى وذلك بمخالفة الضمائر فيهما فقد أسند في الأولى الفعل الى ضميره خاصة بقوله « فأردت أن أعيبها » وأسنده في الثانية الى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله « فأردنا أن يبدلهما ربهما » و « فخشينا أن يرهقهما » ولعل إسناد الأول الى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى لأن المراد أن ثمة عيباً فتأدب بأن نسب الإعابة الى نفسه وأما إسناد الثاني الى الضمير المذكور فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا

أو دبرنا كذا وإنما يعنون بأمر الملك أو دبر ويؤيد ذلك قوله في الثالثة « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما » فلم تأت الضمائر على نمط واحد وهذا من أرقى الأساليب وأحفلها بالمعاني الخصبة التي لا يمجها السمع وتحتويها الآذان .

الفوائد :

١ ـ الأفعال التي تنصب مفاعيل ثلاثة هي أعلم وأرى وأنبأ ونبأ وأخبر وخبر وحدث والأصل في هذه الأفعال أعلم وأرى اللذان كان أصلهما قبل دخول همزة النقل عليهما علم ورأى المتعديان لاثنين وأما الخمسة الباقية فليس لها ثلاثي يستعمل في العلم إلا خبر ولكنها ألحقت في بعض استعمالاتها بأعلم المتعدي الى ثلاثة لأن الإنباء والتنبيء والإخبار والتخبير والتحديث بمعنى الإعلام ، هذا وتستعمل الخمسة متعدية الى واحد بأنفسها والى مضمون الثاني والثالث أو مضمون الثالث وحده بالباء نحو حدثتك بخروج زيد وعليه يحمل قوله تعالى « سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً » وسيأتي مزيد بحث عن هذه الأفعال في موضعه إن شاء الله .

٢ ـ وراء :

هو لفظ يطلق على الخلف وعلى الأمام ومعناها هنا أمامهم وكون وراءهم بمعنى أمامهم قول قتادة وأبي عبيدة وابن السكيت والزجاج ولا خلاف عند أهل اللغة أن وراء يجوز بمعنى قدام وجاء في التنزيل والشعر ، قال الله تعالى : « من ورائه جهنم » وقال « ومن ورائه عذاب غليظ » وقال « ومن ورائهم برزخ » وقال لبيد :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا يحنى عليها الأصابع

وقال سوار بن المضرب السعدي :

أيرجـو بنو مروان سمعي وطـاعتي

وقومي تميـم والفـلاة ورائيا

وقال آخر :

أليس ورائي أن أدب عـلى العصـا

فتـأمن أعـداء وتسأمـني أهـلي

وقال الفراء : « لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك هو وراءك وإنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والأيام والدهر تقول وراءك برد شديد وبين يديك برد شديد جاز الوجهـان لأن البرد إذا لحقك صار من ورائك وكأنك إذا بلغته صار بين يديك » قال : « إنما جاز هذا في اللغة لأن ما بين يديك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك » وأكثر أهل اللغة على أن وراء من الأضداد .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا
مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ
عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ

حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ
عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ
وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

اللغــــة :

(ذي القرنين) : اضطربت الأقوال فيه كثيراً فبينما يزعم مفسرو القرآن أنه غير الاسكندر المقدوني الكبير يقولون انه هو الذي بنى الاسكندرية مع أن الاسكندر الكبير هو بانيها ، ومعنى ذي القرنين انه لقب" لقب به لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقيها وغربيها أو لأنه كان له قرنان أي ضفيرتان ، والعرب تسمي الذؤابة قرناً وجمعها قرون . قال مجنون ليلى لزوجها صبيحة عرسه :

بعيشك هل ضممت إليك ليلى   قبيــــل الفجر أو قبلت فاها
وهل رفّت عليك قرون ليلى   رفيف الأقحوانة في شـــذاها

وقيل كان عــلى رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشاً لأنه ينطح أقرانه واختلف في زمنه ومكانه اختلافاً يمكن الرجوع اليه في المطولات لأن هذا البحث غير داخل في نطاق كتابنا .

(حمئة) : أي كثيرة السواد من الحمأة أي الطين وفي المصباح والحمأة بسكون الميم طين أسود وقد حمئت البئر حمأ من باب تعب صار فيها الحمأة والعين الحمئة ماء يجري على الطـين الأسود ، وقد

فرىء عين حامية أي حارة ويروى أن ابن عباس قرأ حمئة وكان عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله ابن عمر كيف تقرأ ؟ قال : كما يقرأ أمـير المؤمنين ثم وجـه الى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب فقـال : في ماء وطـين فوافق قول ابن عباس ، وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع :

قـد كـان ذو القرنين جـدي مسلماً
ملكـاً تدين لـه الملـوك وتسجد
بلـغ المغـارب والمشـارق يبتغي
أسبـاب أمر من حكيـم مرشـد
فرأى مغـار الشمس عنـد مآبهـا
في عـين ذي خلـب وثأط حرمـد

والخلب بضمتين الحمأة وهي الطين والثأط الحمأة المختلطة بالماء فتزيد رطوبة وتفسد والحرمد الطين الأسود . مدح تبع ذا القرنين ثم قال انه بلغ مواضـع غروب الشمس ومواضع شروقهـا يبتغي من الله أسباباً توصله لمقصده فرأى محل غبار الشمس عند مآبها أي رجوعها وفي عين متعلق بمغار وحال منه وقد أوّل أبو علي الجبائي ذلك تأويلاً طريفاً بأن ذلك عـلى سبيل التخييل كما أن من ير الشاطىء الغربي من البحر المتسع ير الشمس تغرب فيه وفي الحقيقة تغرب في ظلمـة وراء الارض لدورانها كما يقرر ذلك بدائه العلم .

الاعراب :

(ويسألونك عن ذي القرنين) الواو استئنافية ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به وعن ذي القرنين متعلقان بيسألونك • (قل سأتلو عليكم منه ذكراً) جملة سأتلو مقول القول وعليكم متعلقان بأتلو ومنه متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لذكر أو تقدم عليه وذكراً مفعول به • (إنا مكّنّا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً) إن واسمها وجملة مكنا خبرها وله متعلقان بمكنا وفي الارض متعلقان بمكنا أيضاً وآتيناه عطف على مكنا وهو فعل وفاعل ومفعول به ومن كل شيء متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لسبباً وسبباً مفعول به ثان لآتيناه • (فأتبع سبباً) الفاء عاطفة وأتبع فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وسبباً مفعول به وقيل هو يتعدى لاثنين حذف أحدهما وتقديره فأتبع سبباً سبباً آخر أو فأتبع أمره سبباً قال يونس وأبو زيد : أتبع بالقطع عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب وبالوصل إنما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات • (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) حتى حرف غاية وجر وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة بلغ مضافة الى الظرف ومغرب الشمس مفعول به وجملة وجدها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وفي عين متعلقان بتغرب وحمئة صفة لعين • (ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) ووجد عطف على وجدها وعندها ظرف متعلق بوجد وقوماً مفعول به وقلنا فعل وفاعل وذا القرنين منادى مضاف وإما حرف شرط وتفصيل وأن تعذب مصدر مؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي هو تعذيبك أو الرفع على انه مبتدأ والخبر محذوف أي إما تعذيبك واقع ، ومن شواهد الرفع

عول الشاعر :

فسيروا فإما حاجة تقضيانها منها
وإما مقيل صالح وصديق

أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف أي إما أن تفعل التعذيب وإما أن تتخذ عطف على إما أن تعذب وفيهم متعلقان بتتخذ أو مفعول به ثان لتتخذ وحسناً مفعول به أول أي أمراً ذا حسن • (قال : أما من ظلم فسوف نعذبه) أما حرف شرط وتفصيل ومن ظلم مبتدأ وجملة ظلم صلة فسوف الفاء رابطة وسوف حرف استقبال ونعذبه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول والجملة خبر من • (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً) ثم حرف عطف وتراخ ويرد فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو والى ربه متعلقان بيرد فيعذبه الفاء عاطفة ويعذبه فعل وفاعل ومفعول به وعذاباً مفعول مطلق ونكراً صفة • (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى) وأما عطف على أما السابقة ومن مبتدأ وآمن صلة وعمل صالحاً فعل وفاعل مستتر ومفعول به أو صالحاً صفة لمفعول مطلق محذوف أي عملاً صالحاً فله الفاء رابطة وله خبر مقدم وجزاء تمييز وأعربها أبو حيان مصدراً في موضع الحال أي مجازى كقولك في الدار قائماً زيد وقيل انتصب على المصدر أي يجزى جزاء ، والحسنى مبتدأ مؤخر أي فله الفعلة الحسنى جزاء • قال الفراء ونصب جزاء على التفسير أي لجهة النسبة أي نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور إلى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالفعلة الحسنى كائنة له من جزاء الجزاء (وسنقول له من أمرنا يسراً) وسنقول فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن وله متعلقان بنقول ومن أمرنا متعلقان

بمحذوف حال لأنه كان صفة ليسراً وتقدم عليه ويسراً مفعول به أو مفعول مطلق أي لا تأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر •

الفوائد :

بحث طريف يتعلق بـ « في » :

ذهب ابن قتيبة إلى أن « في » بمعنى « عند » لأنها قد ترد بمعنى « في » وبمعنى « مع » قال الشاعر :

حتى إذا ألقت يداً في كافر

معناه عند كافر ، وقال الشاعر :

وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

معناه ومع الشر ، وتكون في الآية بمعنى على كقوله تعالى : « ولأصلبنكم في جذوع النخل » أي على جذوع النخل وقال عنترة :

بطل كأن ثيابه في سرحة

أي على سرحة ، وكما أن في تقع موقع على كذلك تعكس القضية كقول الشاعر :

ولقد سريت على الزمان بمعشر

أي في الظلام •

هذا ونقول إن الخطاب على حكم الحس في رأي العين لأن من وقف على شاطىء البحر المحيط أو قريباً من جبل عال رأى الشمس عند الغروب كأنها تدلت في نفس البحر أو خلف الجبل ، قال الله تعالى :

« حتى توارت بالحجاب » أي وراء الجبل ولولا أن اللفظ جاء على حكم الحسّ في الظاهر لما قال الله تعالى : « وجد عندها قوماً » ومن المعلوم عقلاً أن القوم لا يجلسون في قرن الشمس ولا هم عندها ولكن لما كان ذو القرنين قد توغل في جوب الارض حتى انتهى الى البحر المحيط من جهة الغرب كان الناظر يخيل اليه أن الشمس تغرب هناك وإذن فالخطاب ورد على حكم الحسّ في الظاهر وما أكثر ما تكذب الحواس وله مباحث تؤخذ من مظانها وليس من شرطنا البحث في هذه الموضوعات على جلالتها ويروي التاريخ أن لابن الهيثم كتاباً جليل القدر يقع في سبعة مجلدات في هذا العلم ولكنه فقد مع ما فقد من تراثنا العربي •

هذا وقد تظرف الشعراء فأشاروا الى خداع الحس ، قال أبو العلاء المعري :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته

والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

وقال الخفاجي :

ولا ينال كسوف الشمس طلعتها

وإنما هو فيما يزعم البصر

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ
عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا

بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ
وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا
ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى
خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ
ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ
نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا
ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ
دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾

اللغـــة :

(بين السدين) : بين الجبلين يروى أن ذا القرنين سدّ ما بينهما ، وإطلاق السد على الجبل لأنه سد في الجملة ، وفي القاموس : السدّ الجبل والحاجز ، أو لكونه ملاصقاً للسد فهو مجـاز بعلاقة المجاورة والقول الثاني هو المناسب لما قبله والتفاصيل في المطولات •

(يأجوج ومأجوج) : اسمان أعجميان بدليل منع الصرف فيهما للعلمية والعجمة وقيل بل هما عربيان واختلف في اشتقاقهما فقيل من

أجيج النار وهو التهابها وشدة توقدها وقيل من الأوجة وهي الاختلاط أو شدة الحر وقيل من الأوج وهو سرعة العدو ، وإنما منعا من الصرف للعلمية والتأنيث وكلاهما من أج الظليم إذا أسرع أو من أجت النار إذا التهبت والأقوال في حقيقتهما كثيرة يمكن الرجوع إليهما في المطولات •

(خرجاً) : جعلاً من المال أو الخراج بتثليث الخاء وقد قرىء بها ومنه « الخراج بالضمان » ثم سمي ما يأخذه السلطان خراجاً ويقال للجزية الخراج فيقال أدى خراج أرضه ، ومن المجاز خرج فلان في العلم والصناعة خروجاً إذا نبغ وخرّجه فلان فتخرج وهو خريج المدرسة ، قال زهير يصف الخيل :

وخرّجها صوارخ كل يوم ... فقد جعلت عرائكها تلين

أي وأدبها كما يخرّج المتعلم •

(ردماً) : حاجزاً حصيناً موثقاً ، والردم أكبر من السدّ من قولهم ثوب مردم ، ومنه قول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

المتردم الموضع الذي يسترقع ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي والتردم أيضاً مثل الترنم وهو ترجيع الصوت مع تحزين ومعنى قول عنترة : لم يترك الأول للآخر شيئاً أي سبقني من الشعراء قوم لم يتركوا لي مسترقعاً أرقعه ومستصلحاً أستصلحه •

(زبر الحديد) : جمع زبرة كغرفة أي قطعة •

(الصدفين) بفتحتين ، وضمتين أيضاً ، وضم الأول وسكون الثاني ، وقد قرىء بالثلاث جميعاً مثنى صدف بفتحتين وصدف بضمتين

وصُدُف بضم الأول وفتح الثاني وبالعكس : منقطع الجبل أو ناصيته وقد سميا بذلك لأنهما يتقابلان .

(قطراً) بكسر فسكون النحاس المذاب على الحديد المحمى .

(يظهروه) يعلوا ظهره لارتفاعه وانملاسه .

(نقباً) خرقاً لصلابته وثخانته .

(دكاء) بالمد أرض مستوية من قولهم ناقة دكاء أي لا سنام لها ، ذللت بالدك وقرىء دكاً مصدر دك .

الاعراب :

(ثم اتبع سبباً) عطف على نظائرها وقد تقدم إعرابها . (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) حتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وجملة بلغ مضافة الى الظرف ومطلع بكسر اللام مكان الطلوع وسيأتي القول فيه في باب الفوائد وجملة وجدها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة تطلع مفعول ثان لوجدها وعلى قوم متعلقان بتطلع وجملة لم نجعل صفة لقوم ولهم في موضع نصب مفعول ثان لنجعل ومن دونها حال وستراً مفعول نجعل الأول لأن أرضهم لا أبنية فيها بل فيها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها وإذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وقيل المراد بالستر اللباس فهم عراة أبداً . (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً) كذلك خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك وقد الواو عاطفة أو حالية وقد حرف تحقيق وأحطنا فعل وفاعل وبما متعلقان بأحطنا ولديه صلة الموصول وخبراً تمييز أو مفعول به وقد تقدم . (ثم اتبع سبباً) تقدم إعرابه . (حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) بين السدين : انتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ

كما انجر على الاضافة في قوله تعالى « هــذا فراق بيني وبينك » وكما ارتفع في قوله « لقد تقطــع بينكم » لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد وجملة وجد لا محل لها لأنها جواب إذا ومن دونهما مفعول وجد الثاني وقوماً مفعول وجد الأول وجملة لا يكادون صفة لقوماً والواو اسم يكاد وجملة يفقهون خبرها وقولاً مفعول به • (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) يا أداة نــداء وذا القرنين منــادى مضاف وإن واسمها ومأجوج عطف عــلى يأجوج ومفسدون خبر إن وفي الأرض متعلقان بمفسدون • (فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً) الفاء عاطفة وهل حرف استفهام ونجعل فعل مضارع وفاعــل مستتر ولك مفعول نجعــل الثاني وخرجاً مفعول نجعــل الأول وعلى ومدخولهــا متعلقان بمحذوف صفــة لخرجاً أي قائماً عــلى هــذا الشرط فعلى هنا على بابها أي للاستعلاء وبيننا الظرف متعلق بمحذوف مفعول تجعل الثاني وبينهم عطف على بيننا وسداً مفعول تجعل الأول • (قال ما مكنّي فيه ربي خــير) ما اسم موصول في محل رفع مبتدأ وجملة مكني صلة وفيه متعلقان بمكني وربي فاعل مكني وخــير خبر المبتدأ • (فأعينوني بقوة أجعــل بينكم وبينهم ردماً) الفاء الفصيحة وأعينوني فعل أمر وفاعل ومفعول به وبقوة متعلقان بأعينوني واجعل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وبينكم الظرف مفعول اجعل الثاني وبينهم عطف عليه وردماً مفعول أجعــل الاول ومعنى أعينوني بقوة أي بفعــلة وصنّاع يحسنون البنــاء وبآلة وسيأتي تفسيرها • (آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين) آتوني فعل أمر وفاعل ومفعول به أول وزبر الحديد مفعول به ثان وحتى حرف غاية وجر واذا ظرف مستقبل وساوى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو

ولا بد من تقدير محذوف للغاية أي فجاءوه بما طلب فبنى، وجعل بين الصدفين الفحم والحطب حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما والظرف متعلق بساوى (قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً) جملة انفخوا مقول القول وجملة قال لا محل لها لأنها جواب إذا وحتى غاية للنفخ وجملة جعله ناراً مضافة الى الظرف وناراً مفعول جعل الثاني وجملة آتوني مقول القول وأفرغ مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعله أنا وعليه متعلقان بأفرغ وقطراً مفعول به لأفرغ والتقدير وآتوني قطراً أفرغ عليه قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه والمسألة من باب التنازع ، فقد أعمل الثاني ولو أعمل الأول لقالوا آتوني أفرغه عليه قطراً إذ التقدير آتوني قطراً أفرغه عليه ومثله قوله تعالى : « هاؤم اقرءوا كتابيه » أعمل الثاني ولو أعمل الأول لقال « هاؤم اقرءوه كتابيه » وسيأتي القول فيه في حينه •

(فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً) الفاء عاطفة على محذوف أي فجاء قوم يأجوج بعد أن أنهى بناءه وتسويته يحاولون أن يعلوه أو يثقبوه فما اسطاعوا ، واسطاعوا فعل وفاعل وأن وما بعدها مصدر مؤول في محل نصب مفعول اسطاعوا ، وما استطاعوا عطف على فما اسطاعوا وله متعلقان بنقباً ونقباً مفعول به • (قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً) جملة هذا مقول القول وهذا مبتدأ ورحمة خبر والاشارة الى السد لأنه مانع من خروجهم ومن ربي صفة لرحمة ، فاذا الفاء استئافية واذا ظرف مستقبل وجملة جاء وعد ربي مضافة للظرف وجملة جعله لا محل لها ودكاء مفعول به ثان لجعل وكان الواو عاطفة أو حالية وكان وعد ربي كان واسمها وحقاً خبرها •

الفوائد :

١ - أسماء الزمان والمكان تفيد زمان الفعل ومكانه وتصاغ من الثلاثي المجرد على وزن مَفعَل بفتح العين وعلى وزن مفعِل بكسرها فوزن مفعل بفتح العين للثلاثي المجرد المأخوذ من يفعُل المضموم العين أو يفعَل المفتوح العين في المضارع أو من الفعل المعتل الآخر مطلقاً فالأول مثل مكتب ومحضر ومحل من حل بالمكان والثاني مثل ملعب ومزرع والثالث مثل ملهى ومثوى وموقى وشذت ألفاظ جاءت بالكسر مع أنها مبنية من مضموم العين في المضارع وهي أحد عشر وهي المطلع والمنسك لمكان النسك أي العبادة والمجزر لمكان جزر الابل وهو نحرها يقال جزرت الجزور أجزرها بالضم إذا نحرتها وجلدتها والمنبت لموضع النبات والمشرق والمغرب لمكان الشروق والغروب والمفرق لوسط الرأس لأنه موضع فرق الشعر وكذلك مفرق الطريق للموضع الذي يتشعب منه طريق آخر والمسكن موضع السكنى والمسقط موضع السقوط يقال هذا مسقط رأسي أي حيث ولدت وسقط رأسي والمرفق موضع الرفق والمسجد وهو اسم للبيت وليس المراد موضع السجود فقد كسروا هذه الألفاظ والقياس فيها الفتح .

ووزن مفعل بكسر العين للثلاثي المجرد المأخوذ من يفعل الصحيح المكسور العين أو من المثال الواوي فالأول مثل مجلس ومحبس ومضرب ومبيت ومضيف والثاني مثل مورد وموعد .

وقد تدخل تاء التأنيث على أسماء المكان كالمزلة بفتح الزاي وكسرها فالمفتوح من باب فرح والمكسور من باب ضرب وهي اسم مكان من زل إذا سقط والمظنة لموضع الظن ومألفه وهو بفتح الظاء لأنه من ظن يظن بالضم والمقبرة لموضع القبر والمعبرة لموضع الشط

المهيأ للعبور والمشرقة مثلثة الراء والمدرجة الطريق من درج يدرج دروجاً إذا مشى والموقعة بفتح القاف وكسرها الموضع الذي يقع عليه والمشربة بفتح الراء وضمها أي موضع الشرب وتطلق أيضاً على الغرفة لأنهم كانوا يشربون فيها وهي أيضاً الأرض اللينة الدائمة النبات وإذا كثر الشيء بالمكان قيل فيه مفعلة بالفتح فيبنى اسم المكان من الاسماء مثل أرض مسبعة أي كثيرة السباع ومذأبة أي كثيرة الذئاب ومأسدة أي كثيرة الأسود ومبطخة أي كثيرة البطيخ ومقثأة أي كثيرة القثاء ومحياة أي كثيرة الحيات ومفعاة أي كثيرة الأفاعي ومدرجة أي كثيرة الدراج بضم الدال وتشديد الراء وهو طائر جميل ملون الريش ويطلق على الذكر والأنثى .

أما وزنهما مما فوق الثلاثي فيكون على وزن المضارع بضم الميم المبدلة من حرف المضارعة وفتح ما قبل الآخر نحو مجتمع ومنتدى ومنتظر ومستشفى فهما يشبهان اسم المفعول والمصدر الميمي والتفرقة بينها بالذوق والقرينة .

٢ ـ الظرف :

الظرف قسمان : متصرف وغير متصرف :

فالمتصرف ما يستعمل ظرفاً وغير ظرف فهو يفارق الظرفية الى حال لا تشبهها كأن يستعمل مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً به أو نحو ذلك مثل شهر ويوم وسنة وليل . والظرف غير المتصرف ما يلازم النصب على الظرفية فلا يستعمل إلا ظرفاً منصوباً مثل قط وعوض وبينا وبينما وإذا وأيان وأنى وذا صباح وذات ليلة ومنه ما ركب من الظروف مثل صباح مساء وليل ليل ومنه ما يلزم النصب على الظرفية أو الجر

بمن نحو قبل وبعد والجهات الست ولـدى ولدن وعند ومتى وآين وهنا وثم وحيث والآن وتفصيل ذلك في المطولات •

٣ ـ استطاع واسطاع :

قالوا : الأصل في اسطاع استطاع وان التاء حذفت تخفيفاً وفتحت همزة الوصـل وقطعت وهو قول الفراء وفي استطاع لغات : اسطاع يسطيع بفتح الهمزة في الماضي وضم حرف المضارعة فهو من أطاع يطيع وأصله يطوع بقلب الفتحـة من الواو الى الطاء في أطـوع إعلالاً له حملاً على الماضي فصار أطاع ثم دخلت السين كالعوض من عين الفعل هذا مذهب سيبويه واللغـة الثانية استطاع يستطيع بكسر الهمزة في الماضي ووصلهـا وفتح حرف المضارعـة وهو استفعـل نحو استقام واستعان •

* وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ
أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ
بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

اللغــــة :

(يموج) : يختلط .

(الصور) : القرن ينفخ فيه والبوق .

الاعراب :

(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) وتركنا فعل وفاعل وبعضهم مفعول به ويومئذ ظرف مضاف الى مثله متعلق بيموج وجملة يموج في بعض مفعول به ثان والتنوين في إذ عوض عن جملة كما تقدم، وقد جعل بعضهم ترك متعدياً الى واحد فتكون جملة يموج في محل نصب على الحال . (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) ونفخ فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر وفي الصور متعلقان بنفخ فجمعناهم الفاء عاطفة وجمعناهم فعل وفاعل ومفعول به وجمعاً مفعول مطلق . (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) وعرضنا عطف على ما تقدم وجهنم مفعول به ويومئذ ظرف مضاف الى مثله متعلق بعرضنا وللكافرين متعلقان بعرضنا أيضاً وعرضاً مفعول مطلق . (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً) الذين صفة للكافرين أو

بدل منهم وجملة كانت صلة وأعينهم اسم كانت وفي غطاء خبر كانت وعن ذكري صفة لغطاء وكانوا كان واسمها وجملة لا يستطيعون سمعاً خبرها . (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والذين فاعل وجملة كفروا صلة وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسب ومن دوني مفعول ثان ليتخذوا وأولياء مفعول به أول . (إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً) إنا إن واسمها وجملة أعتدنا خبر وجهنم مفعول به وللكافرين حال لأنه كان صفة لنزلاً ونزلاً حال أي معـدة لهـم كالنزل يعد للضيف . (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً) جملة هـل ننبئكم مقول القول وبالأخسرين دخلت الباء على مضمون المفعولين الثاني والثالث وأعمالاً تمييز وجمع التمييز وهو أصيل في الافراد لمشاكلة المميز وللايذان بأن خسرانهم إنما كان من جهات شتى لا من جهة واحدة . (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) الذين صفة للأخسرين أو بدل ويرجح أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف كأنه جواب لسؤال سائل ومن هم الأخسرون أعمالاً وجملة ضـل صلة وسعيهم فاعل وفي الحياة متعلقان بضل والواو حالية وهم مبتدأ وجملة يحسبون خبر وان ومافي حيزها سدت مسد مفعولي يحسبون وجملة يحسنون خبر أنهم وصنعاً مفعول ويجوز أن يعرب تمييزاً وجملة وهم يحسبون حال من فاعل ضل . (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم) أولئك اسم اشارة مبتدأ والـذين خبره وجملة كفروا صلة وبآيات ربهم جار ومجرور متعلقـان بكفروا ولقائه عطف على آيات فحبطت عطف على كفروا وأعمالهم فاعل حبطت . (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) فلا نقيم عطف على ما تقدم والفاعل مستتر تقديره نحن ولهم متعلقان بنقيم ويوم القيامة متعلق بنقيم أيضاً ووزناً مفعول به أي

فلا يكون لهم عندنا وزن أو مقدار . (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) ذلك مبتدأ وجزاؤهم خبر وجهنم بدل أو عطف بيان لقوله جزاؤهم ويجوز أن يعرب ذلك خبراً لمبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وجزاؤهم جهنم مبتدأ وخبر فتكون كل من الجملتين جملة برأسها ويجوز أن يعرب ذلك مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبر جزاؤهم والجملة خبر المبتدأ الأول وهو ذلك وهذه الاوجه متساوية الرجحان ، وبما كفروا يجوز أن يتعلق بمحذوف خبر ذلك في أحد وجوهه أو بمحذوف حال أي بسبب كفرهم وما مصدرية واتخذوا عطف على كفروا وآياتي مفعول به أول ورسلي عطف على آياتي وهزواً مفعول به ثان .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة المكنية :

في قوله تعالى « وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض » استعارة محسوس لمحسوس كما قسمنا أنواع الاستعارة فإن أصل الموج تحريك المياه فاستعير لحركة يأجوج ومأجوج لاشتراك المستعار والمستعار له في الحركة وهي استعارة مكنية تبعية أوهم الخلق يموجون .

٢ ـ جناس التصحيف :

وفي قوله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » جناس التصحيف وهو أن يكون النقط فيه فارقاً بين الكلمتين على حد قول البحتري :

ولم يكن المغتر بالله إذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه

الجناس وأقسامه :

الجناس ويقال له التجنيس والمجانسة والتجانس وكلها ألفاظ مشتقة من الجنس،وحدّه في الاصطلاح تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى وفائدته أن يميل بالسامع الى الإصغاء فإن مناسبة الالفاظ تحدث ميلاً وإصغاء اليها ولأن اللفظ المذكور إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه .

وفيما يلي أقسام الجناس باختصار :

١ ــ الجناس المركب : وهو أن يتألف من ركنين وهو قسمان :

آ ــ أن يتشابه ركناه لفظاً لا خطاً كقول العماد الاصفهاني وكان يسير مع القاضي الفاضل في موكب السلطان وقد ثار الغبار :

أما الغبار فإنه ... مما أثارته السنابك
والجوّ منه مظلم ... لكن أنار به السنابك
يا دهر لي عبد الرحيـم ... فلست أخشى مسّ نابك

ويحكى أنه لما كان المعتمد بن عباد في سجن أغمات وطال عليه الحال قالت له جاريته لقد هنّا هنا فأنشد على قولها :

قالت لقد هنّا هنا ... مولاي أين جاهنا
قلت لها : إلهنا ... صيرنا إلى هنا

ب ــ أن يتشابه ركناه لفظاً وخطاً ومن أمثلته :

عضنا الدهر بنابه ... ليت ما حل بنا به

ولأبي الفتح البستي :

إذا لم يكن ملك ذا هبه فدعه فدولته ذاهبه

٢ ــ الجناس الملفق :

وحدّه أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين كقول بعضهم:

رعى الله دهراً بكم قد مضى بلغت الأماني به في أمان
وأيام أنس تولت لنا بأحلام عان بأحلى معان

٣ ــ الجناس المعنوي :

وهو مجرد صناعة مضنية وقد يأتي حسناً ، وهو أن يضمر المتكلم ركني التجنيس ويذكر ألفاظاً مرادفة لأحدهما فيدل المظهر على المضمر وأحسن ما سمعناه منه قول أبي بكر بن عبدون وقد اصطبح بخمرة وترك بعضها الى الليل فصارت خلاً :

ألا في سبيل الله كأس مدامة أتتنا بطعم عهده غير ثابت
حكت بنت بسطام بن قيس ضبيحة
وأضحت كجسم الشنفرى بعد ثابت

فصح معه جناسان مضمران في صدر البيت وعجزه لأن بنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء والشنفرى اسمه ثابت وجعل جسمه خلاً في مرثية خاله تأبط شراً حيث قال :

فاسقنيها يا سواد بن عمرو إن جسمي بعد خالي لخل

والخل المهزول ، وأما الجناس المضمر فهو بنت بسطام التي هي الصهباء وأما الذي في العجز فهو جسم ثابت الشنفرى الذي هو الخل والمعنى أن الخمر التي حكت سميتها بنت بسطام صباحاً وحكت جسم الشنفرى مساء أي كانت صهباء فصارت خلاً فظهر من كناية اللفظ جناسان مضمران الصهباء وهي الخمرة والصهباء وهي بنت بسطام وخل وهو المهزول وخل وهو ما يؤتدم به .

٤ ـ الجناس المطرف :

وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في طرفه الأول كقول عبد الله بن المعتز :

زارني والدجى أحمّ الحواشي والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول طول الله فيك غيظ الحسود

فإن قوله الحسود زاد حرفاً على سود .

٥ ـ الجناس المحرف :

وهو ما اتفق ركناه في أعداد الحروف وترتيبها واختلفا في هيئة الحروف فقط،سمي بذلك لانحراف هيئة عن هيئة الآخر قال أبو العلاء:

والحسن يظهر في شيئين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر

٦ ـ الجناس اللفظي :

وهو ما تماثل ركناه لفظاً واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطاً ،

قال أبو تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم
تصول بأسياف قواضٍ قواضب

وقال البحتري :

من كل ساجي الطرف أغيد أجيد
ومهفهف الكشحين أحوى أحور

٧ ــ الجناس المطلق :

وهو ما اختلف ركناه في الحركات والحروف فاشتبه بالمشتق الراجع معناه الى أصل واحد وليس كذلك وهو جميل غير متكلف ، ومنه قول أبي فراس :

سكرت من لحظه لا من مدامته
ومال بالنوم عن عيني تمايله

فما السلاف دهتني بل سوالفه
ولا الشمول ازدهتني بل شمايله

ألوى بعزمي أصداغاً لوين له
وغال صبري بما تحوي غلايله

وقد ولع أبو فراس بهذا اللون من الجناس فقال :

عذيري من طوالع في عذاري
ومن برد الشباب المستعار

وثـوب كنـت ألبسـه أنيـق
أجـرّر ذيله بـين الجـواري

وما زادت عـلى العشـرين سـني
فما عـذر المشـيب إلى عـذاري

ومنه الحديث النبوي وهو « الظلم ظلمات يوم القيامة » .

٨ ـ الجناس المذيل :

وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر بحرف أو أكثر في طرفه الأخير فكان له بمثابة الذيل اللاحق بالثوب ، ومنه قول أبي تمام :

يمـدون من أيـد عواص عواصـم
تصـول بأسياف قواض قواضـب

ولحسان بن ثابت منه :

وكنـا متى يغـز النـبي قبيـلة
نصـل جانبيهـا بالقنـا والقنابـل

٩ ـ الجناس اللاحق :

وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف واحـد بغيره من غير مخرجه سواء كان الابدال في الأول أو الوسط أو الآخر ، قال البحتري :

عجـب الناس لاغترابي وفي الأطـ...
...ـراف تلقى منـازل الأشـراف

وقعـــودي عـن التقلـــب والأر
ض لمثــــلي رحيبـة الأكنــــاف
ليس عــــن ثروة بلغــــت مــــداها
غــــير أني امـرؤ كفـــاني كفـــافي

ولأبي فراس الحمداني :

تعس الحريص وقــــلّ ما يأتي بــه
عوضاً عن الإلحــــاح والإلحــــاف
إن الغــــني هــو الغــــني بنفســه
ولــــو انه عــــاري المناكب حــافي
ما كــلّ ما فوق البسيطـة كافيـــاً
فإذا قنــعت فكـــــل شيء كـــافي

١٠ ــ الجناس المصحف :

وقد تقدم عند الكلام على الآية ، ولأبي فراس فيه روائع ، استمع الى هذه المقطوعة :

ما كنت مــذ كنت إلا طوع خــلاني
ليست مؤاخــــذة الاخوان من شاني
يجني الخليــــل فأستحــــلي جنايتــه
حــتى أدل عـــلى عفوي واحســـاني

إذا خليلي لم تكثر اساءته
فأين موقع إحساني وغفراني
يجني عليّ وأحنو صافحاً أبداً
لا شيء أحسن من حانٍ على جاني

١١ ــ الجناس التام :

وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها وهو قسمان :

آ ــ الجناس التام المتماثل : وهو أن يكون اللفظان من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين كقوله تعالى « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » .

وقول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حدّه الحد بين الجد واللعب

فجانس بين حد السيف والحد الفاصل بين الشيئين وهما اسمان ، وقد تفنن الشعراء فيه ولا سيما في عصور الانحطاط كقول الملك الصالح داود :

عيون من السحر المبين تبين
لها عند تحريك الجفون سكون

تصـــول ببيض وهي سود فرندهـــا
ذبول فتـــور والجفـــون جفـــون
إذا أبصـــرت قلباً خلياً من الهـــوى
تقـــول نه : كـــن مغرماً فيكـــون

ب ـ وان كانا من نوعين كاسم وفعـل أو اسم وحرف أو فعل وحرف سمي الجناس المستوفى كقول أبي الفضل الميكالي :

يا من يضيع عمره في اللهـــو أمسك
واعلـــم بأنك ذاهب كـذهاب أمسك

فجانس بين أمسك وهو فعـل أمر وأمسك وهو اليوم الـذي قبل يومك .

أبو تمام والتجنيس :

وقد بالغ أبو تمام في استعمال التجنيس وفيما يلي طائفة منها :

قـــال :

فأصبحت غـــرر الأيـــام مشرقـــة
بالنصـــر تضحك عن أيامك الغـــرر

فالغرر الأولى استعارة من غرر الوجه والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشيء أكرمه . وقال في قصيدته فتح عمورية :

عـــداك حر الثغور المستضامـــة عن
برد الثغـــور وعن سلسالهـــا الخصـــب

فالثغور جمع ثغر وهو واحد الأسنان ، وهو أيضاً البلد الذي على تخوم العدو ، ثم قال فيها :

كـم أحرزت قضب الهنـــدي مصلتة
تهتـــز من قضـــب تهتـــز في كثب

بيض إذا انتضيت مـــن حجبهـــا رجعت
أحـــق بالبيض أبـــداناً من الحجـــب

فالقضب السيوف ، والقضب القدود على حكم الاستعارة وكذلك البيض السيوف والبيض النساء وهذا من نادر أبي تمام الذي لا يتعلق به أحـــد .

وقـــد أكثر أبو تمـــام من التجنيس في شعره فمنه ما أغرب فيه وأحسن ومنه ما أتى مستثقلاً نابياً كقوله :

قرّت بقرّان عـــين الـــدين واشترت
بالأشترين عيون الشـــرك فاصطلمـــا

فجانس بين قرت من قرت العين أي بردت ســروراً وقران اسم مكان واشترت : انشقت والأشترين اسم مكان أيضاً واصطلـم : قطـع من أصله .

وأقبح من ذلك قوله :

فاسلم سلمت من الآفات ما سلمت
ســـلام سلمى ومهمـــا أورق السلم

جناس البحتري : أما البحتري فلم يسف الى الحضيض الذي أسف إليه أبو تمام ولم يأت بالتجنيس إلا جميلاً مطبوعاً غير متكلف كقوله :

إذا العين راحت وهي عين على الهوى
فليس بسرٍّ ما تسر الأضالع

فالعين الجاسوس والعين معروفة .

وما أجمل قول أبي العلاء المعري :

لم يبق غيرك إنساناً يلاذ به
فلا برحت لعين الدهر انسانا

ولأبي تمام تجنيس متكرر في البيت الواحد قال :

ليالينا بالرقمتين وأهلنا
سقى العهد منك العهد والعهد والعهد

فالعهد الأول المسقى هو الوقت والعهد الثاني هو الحفاظ من قولهم فلان ما له عهد ،والعهد الثالث الوصية من قولهم عهد فلان الى فلان وعهدت اليه أي وصاني وصيته ، والعهد الرابع : المطر وجمعه عهاد ، قال ابن رشيق : « استثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم » .

الفوائد :

١ ـ أفعال التصيير هي التي تدل على التحويل والانتقال من حالة الى أخرى وهي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر هكذا قال النحاة واعترض بعضهم ذلك بقوله ان معمولي هذه الأفعال متغايران

مفهوماً وخارجاً فلا يصح أن يدعى كونهما مبتدأ وخبراً لوجود اتحادهما خارجاً يبين لك ذلك انك تقول صيرت الفقير غنياً والمعـدوم موجوداً ولا يخفى أن صدق أحدهما على الآخر ممتنع ويجاب بأن نحو الفقير غني صحيح أي الفقير فيما مضى تجدد له الغنى وكذا المعدوم موجود إذ الوصف العنواني لا يشترط وجـوده دائماً بل يكفي وجوده في بعض الأوقات. وقال الشهابي القاسمي: ويمكن أن يجاب عن البحث بأن أريد أن أفعال التصيير لا يكون معمولاها متغايرين مفهوماً وخارجاً فهو ممنوع نحو قوله تعالى «وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض» فإن ترك هنا من أفعال التصيير مع صدق أحد مفعوليها على الآخر وإيجاده معه خارجاً فإن المائج يصدق على بعضهم ويتحد معه خارجاً وان أريد انه قد يكون معمولاها كذلك فسلم ولا يضير لأن أفعال الباب لا يجب أن تدخل على المبتدأ والخبر بل قد تدخل على غيرهما .

٢ ــ اعلم أن المميز يكون واحداً ويكون جمعاً فإذا وقع بعد عدد نحو عشرين وثلاثين ونحوهما لم يكن المميز إلا واحـداً نحو قولك : عندي عشرون ثوباً وثلاثون عمامة لأن العدد قد دل عـلى الكمية ولم يبق بنا حاجـة إلا الى بيان نوع ذلك المبلـغ وكان ذلك مما يحصـل بالواحد وهو أخف وأما إذا وقع مفسراً لغيرعدد نحو : هذا أفره منك عبداً وخير منك عملاً جاز الافراد والجمع لاحتمال أن يكون له عبد واحد وعبيد فاذا قلت : هو أفره منك عبيداً أو خير منك أعمالاً دللت بلفظ الجمـع عـلى معنيين : النوع وانهـم جماعة . قال الله تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً » ، فهم من ذلك النوع وانه كان من جهات شتى لا من جهة واحدة واذا أفردت فهم منه النوع لا غير .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ
ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ
كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ
رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

اللغــــة :

(الفردوس) : الجنة من الكرم خاصة ، وقيل : بل ما كان غالبها كرماً ، وقيل : كل ما حوط فهو فردوس والجمع فراديس ، وقال المبرد : والفردوس فيمـا سمعت من العرب الشجر الملتف والأغلب عليه من العنب ، وحكى الزجـاج انها الأودية التي تنبت ضـروباً من النبت ، واختلف فيه فقيل هو عربي وقيل أعجمي ، وقيـل هو رومي ، وقيل فارسي ، وقيل سرياني ، وفي القاموس والتاج : الفردوس : بالكسر الأودية التي تنبت ضروباً من النبت والبستان يجمع كل ما يكون في ابساتين تكون فيه الكـروم وقـد يؤنث ، عربية أو رومية نقلت أو سريانية ، وروضة دون اليمامة لبني يربوع ، وماء لبني تميـم قرب الكوفة ، وقلعة فردوس بقزوين • الى أن يقول والفردسة السعة وصدر مفردس واسع أو ومنه الفردوس قال شارحه قوله:أو ومنه الفردوس أي

اشتقاقه كما نقله ابن القطاع وهــذا يؤيد كونــه عربياً ويدل له أيضاً قول حسان :

وان ثواب الله كل موحـــد جنان من الفردوس فيها يخلد

(حولا) : الحول التحول يقال حــال من مكانه حولاً كقولك عادني حبها عوداً يعني لامزيد عليه والحول بكسر الحاء وفتح الواو مصدر بمعنى التحول يقـــال حال عن مكانــه حولاً فهــو مصدر كالعوج والصغر .

(المداد) : اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ، ويقال السماد مداد الأرض .

الاعراب :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) ان واسمها وجملة آمنوا صلة وجملة وعملوا الصالحات عطف على الصلة وجملة كانت خبر إن ولهــم حال من نزلاً لأنه كان صفــة وتقدم عليه وجنات الفردوس اسم كانت ونزلاً خبرها ويجوز أن يكون لهم الخبر ونزلاً حال . (خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً) خالدين حال من الضمير في لهم وفيها متعلقان بخالدين وجملة لا يبغون حالية وعنها متعلقــان بحولاً وحولاً مفعول يبغون . (قــل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) لو شرطية وكان البحر كان واسمها ومــداداً خبرها ولكلمات صفة لمداد واللام واقعة في جواب لو وجملة نفد البحر جواب شرط غير جازم لا محل لها وقيل ظرف متعلق بنفد وأن تنفد المصدر مضاف لقبل

وكلمات ربي فاعل والواو لعطف ما بعده على جملة مقدرة مدلول عليها بما قبلها أي لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته لو لم يجيء بمثله مدداً ، ولو شرطية وجئنا فعل الشرط وجواب لو محذوف تقديره لنفد ولم تنفد ، وبمثله متعلقان بجئنا ومدداً تمييز كقولك لي مثله رجلاً وسيأتي مزيد بحث في الفوائد عن جواب لو • (قل إنما أنا بشر مثلكم) إنما كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ وبشر خبر ومثلكم صفة • (يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) جملة يوحى صفة لبشر وإليّ متعلقان بيوحى وانما كافة ومكفوفة ولكنها لم تخرج عن المصدرية فهي وما بعدها في محل رفع نائب فاعل وإلهكم مبتدأ وإله خبر وواحد صفة • (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وكان فعل ماض ناقص واسمها يعود على من وجملة يرجو خبرها ولقاء ربه مفعول به ، فليعمل الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويعمل فعل مضارع مجزوم بلام الامر وعملاً مفعول مطلق أو مفعول به وصالحاً صفة ولا يشرك لا ناهية ويشرك فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وبعبادة ربه متعلقان بيشرك وأحداً مفعول يشرك •

الفوائد :

جواب لو :

سيأتي المزيد من أبحاث لو في هذا الكتاب فهي من الادوات التي يكثر فيها القول ولذلك جعلناه موزعاً على الآيات وتتكلم الآن عن جواب لو فنقول : إن جوابها إما ماض معنى نحو نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أو ماض وضعاً وهذا إما مثبت فاقترانه باللام نحو « لو نشاء لجعلناه حطاماً » أكثر من تركها نحو « لو نشاء جعلناه

أجاجاً » وهذه اللام تسمى لام التسويف لأنها تدل على تأخير الجواب عن الشرط وتراخيه عنه كما أن اسقاطها يدل على التعجيل أي أن الجواب يقع عقيب الشرط من غير مهلة ولهذا دخلت في « لو نشاء لجعلناه حطاماً » وحذفت في نحو « لو نشاء جعلناه أجاجاً » أي لوقته في المزن من غير تأخير والفائدة في تأخير جعله حطاماً وتقديم جعله أجاجاً تشديد العقوبه أي اذا استوى الزرع على سوقه وقويت به الاطماع جعلناه حطاماً ، أو لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يعود حطاماً مما يحتمل انه من فعل الزراع ولهذا قال تعالى : « أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » أو أنه من سقي الماء وجفافه من عدم السقي وحرارة الشمس أو مرور الأعصار فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك على الحقيقة وانه قادر على جعله حطاماً في حال نموه لو شاء وإنزال الماء من السماء مما لا يتوهم أن لأحد قدرة عليه غير الله تعالى وهذا من عيون النكت فاعرفه وتدبره •

وإما أن يكون جواب لو منفياً بما فالأكثر تجرده من اللام ويقل اقترانه بها فالاول نحو « ولو شاء ربك ما فعلوه » والثاني نحو قوله :

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي

فأدخل اللام على ما النافية ولا تدخل اللام على ناف غيرها وقيل قد تجاب لو بجملة اسمية مقترنة باللام نحو « ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير » فاللام في لمثوبة جواب لو وان بين الماضي والاسم تشابهاً من هذه الجهة وقال الزمخشري وانما جعل جوابها جملة اسمية دلالة على استمرار مضمون الجزاء ورد أبو حيان هذا في البحر فقال اللام في لمثوبة لام الابتداء لا الواقعة في جواب لو وهو

أحد احتمالي الزمخشري وقد تقدم ذلك في البقرة أي فتكون الجملة مستأنفة أو جواب لقسم مقدم وقال ابن هشام في المغني : « والأولى أن تكون لام لمثوبة لام جواب قسم مقدر بدليل كون الجملة اسمية وأما القول بأنهــا لام جواب لو وأن الاسمية استعيرت مكان الفعلية تعسف » وأقول التعسف في تقديرها للقسم أكثر من جعل الجواب جملة اسمية .

سُورَةُ مَرْيَمَ

مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ
شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى
وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ
يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾

اللغـــة :

(وهن) : في المصباح : « وهن يهن من باب وعـــد ضعف فهو واهن في الأمر والعمل والبدن ، ووهنته أضعفته يتعدى ولا يتعدّى في لغة فهو موهون البدن والعظم والأجود أن يتعدى بالهمزة فيقال : أوهنته والوَهَن بفتحتين لغة في المصدر ووهن يهن بكسرتين لغة قال أبو زيد : سمعت من الأعراب من يقرأ فمـا وهنوا » وفي القاموس وغيره : وهنه يهنه وهْناً وأوهنه أضعفه ووهن وأوهن الرجل دخل في الوهن من الليل ووهَن ووهِن يهن ووهُن يوهُن وهناً ووَهَناً ووهِن يوهَن وَهَناً ضعف في الأمر أو العمل أو البدن وتوهّن البعير

اضطجع والطائر أثقل من أكل الجيف فلم يقدر على النهوض والوهْن مصدر ومن الرجال أو الإبل : الغليظ القصير والوهْن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه والموهن من الليل كالوهن ، والوهنانة من النساء الكسلى عن العمل تنعماً .

(الموالي) : الذين يلونني في النسب كبني العم والموالي جمع مولى وهو العاصب .

(عاقراً) : لا تلد ، قال في القاموس : عقرت تعقِر عَقْراً وعُقْراً وعُقاراً وعقُرت تعقُر عُقْراً وعَقارة وعِقارة وعُقرت المرأة أو الناقة صارت عاقراً أي حبس رحمها فلم تلد وعُقر عْقراً الأمر لم ينتج عاقبة وعقِر عَقَراً الرجل دهش » .

(ولياً) : ابناً وهو أحد معانيه الكثيرة .

الاعراب :

(كهيعص ، ذكر رحمة ربك عبده زكريا) كهيعص تقدم القول في فواتح السور واعرابها ومعانيها فارجع اليه وذكر خبر لمبتدأ محذوف أي هذا المتلو عليك من القرآن أو مبتدأ محذوف الخبر أي فيما يتلى عليك ذكر ، ورحمة ربك مضافة لذكر من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل مستتر أي ذكر الله رحمة عبده زكريا وعبده مفعول به لرحمة وزكريا بدل من عبده أو عطف بيان له . (إذ نادى ربه نداء خفياً) إذ ظرف لما مضى من الزمن وهو متعلق برحمة ربك أي رحمة الله إياه وقت أن ناداه وقيل العامل فيه ذكر وقيل هو بدل اشتمال من زكريا ، وجملة نادى مضاف اليها الظرف والفاعل مستتر تقديره هو ونداء

مفعول مطلق وخفياً صفة • (قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً) ربي منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وان واسمها وجملة وهن العظم خبرها ومني حال واشتعل عطف على وهن والرأس فاعل وشيباً تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في رأسي وسيأتي سر هذه الاستعارة في باب البلاغة • (ولم أكن بدعائك رب شقياً) الواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم وأكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم واسمها مستتر تقديره أنا وشقياً خبرها وبدعائك متعلقان بشقياً ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة • (وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً) وإني عطف على إني وهن والياء اسم ان وجملة خفت خبرها والموالي مفعول به ومن ورائي متعلقان بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي ولا يجوز أن يتعلق بخفت لفساد المعنى ووجه فساده أن الخوف واقع في الحال لا فيما يستقبل فلو جعل من ورائي متعلقاً بخفت لزم أن يكون الخوف واقعاً في المستقبل أي بعد موته وهو كما ترى ، ظاهر الفساد وعبارة الزمخشري : « من ورائي بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي ، وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي أي قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين • فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه ، والثاني أن يكون بمعنى قدّامي فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفّوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد • وقال ابن هشام في المغني « الثاني قوله تعالى : وإني خفت الموالي من ورائي،

فإن المتبادر تعلق من بخفت وهــو فاسد في المعنى والصواب تعلقــه بالموالي لما فيه من معنى الولاية أي وخفت ولايتهـم من بعدي وسوء خلافتهم أو بمحذوف هو حال من الموالي أو مضاف إليهم أي كائنين من ورائي أو فعــل الموالي من ورائي وأما من قرأ خفت بفتح الخــاء وتشديد الفاء وكسر التاء فمن متعلقة بالفعل المذكور • وكانت امرأتي عاقراً الواو عاطفة وكان واسمها وخبرها • (فهب لي من لدنك ولياً) الفاء الفصيحة أي وإلا فهب لي ، وهب فعل أمر ولي متعلقان بهب ومن لدنك حــال ووليا مفعول به لهب • (يرثني ويرث من آل يعقــوب واجعله ربي رضياً) جملة يرثني صفــة لولياً ولــذلك رفعت وقرىء بالجزم على أنه جواب الطلب ويرث عطف على يرثني ومن آل يعقوب متعلقان بيرث ومفعول يرث محذوف تقديره الشرع والحكمة والعلم لأن الأنبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبراً ويرث من آل يعقوب الملك فعلى هذا تكون الياء في يرثني منصوبة بنزع الخافض أي يرث مني الحبورة ، واجعله فعــل دعاء وفاعل مستتر ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ورضياً مفعول به ثان لاجعله •

وقد استشكل بعضهم جملة يرثني صفة بناء على أن نبي الله يحيى مات قبل والده بأن دعاء النبي قــد يتخلف وذلك لأنه بموته قبله لم يرثه ومعلوم ما يورث من الأنبياء ورأى هــذا المستشكل أن الجملة مستأنفة لا صفة وأجيب بأن دعاء الأنبياء قد يتخلف وقد وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه سأل في ثلاثة أمور فاستجيب له في اثنين وتأخرت الاجابة في الثالث وقــد اعترض القول بالاستئناف بأن مفــاد الجملة حينئذ الإخبار واخبار الانبياء لا يتخلف قطعاً وأجيب بأن هذا الاخبار باعتبار غلبة الظن لأن نبي الله زكريا لما كان مسناً غلب عــلى

ظنه أنه متى وهب له ولد يرثه . هذا وقد ذكر الجلال السيوطي الإشكال في كتاب شرح عقود الجمان وذكر مثل الجواب الذي أوردناه آنفاً ثم قال : « وأجاب الشيخ بهاء الدين بأن المراد إرث النبوة والعلم وقد حصل في حياته » . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا معاشر الأنبياء لا نورث » ورواه البزاز بلفظ نحن معاشر الخ وتمام الحديث : « ما تركناه صدقة » ونصب معاشر على الاختصاص بفعل محذوف وجوباً تقديره أخص وما تركناه ما موصولة في محل رفع بالابتداء وتركنا صلته والعائد محذوف أي تركناه وصدقة خبر ما ، والحكمة في أن الانبياء لا يورثون انه وقد وقع في قلب الانسان شهوة موت مورثه ليأخذ ماله فنزّه الله أنبياءه وأهاليهم عن ذلك ولئلا يظن بهم مبطل انهم يجمعون المال لورثتهم ولأنهم كالآباء لأمتهم فيكون مالهم لجميع الأمة وهو معنى الصدقة العامة وأما قوله تعالى « فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب » وقوله « وورث سليمان » فالمراد الوراثة في العلم والنبوة وبهذا يندفع أن عدم الإرث مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم ، فإن قيل إن الله أخبر عن بعضهم بقوله : « واني خفت الموالي » إذ لا تخاف الموالي على النبوة أجيب بأنه خاف من الموالي الاختلاف من بعده الرجوع عن الحق فتمنى ولداً نبياً يقوم فيهم . بقي هنا شيء لا بد من التنويه به وهو أن الانبياء هل يرثون ؟ قال صاحب التتمة : إن النبوة مانعة من الارث وذكر البزاز الواعظ انه روي : نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث ويعارضه ما ذكر الماوردي في الاحكام السلطانية أنه صلى الله عليه وسلم ورث من أبيه أم أيمن الحبشية واسمها بركة وخمسة جمال وقطعة من غنم ومولاه شقران واسمه صالح وقد شهد بدراً وورث من أمه دارها ومن خديجة دارها .

البلاغـة :

في هذه الآيات فنون عديدة نوجز القول فيها :

١ ــ الاحتراس في قوله « نداء خفياً » وقد تقدم القول فيه وانه عبارة عن أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل أو لبس أو إيهام فيفطن لذلك حال العمل فيأتي في صلب الكلام بما يخلصه من ذلك كله وقد تقدمت أمثلة عديدة منه كما ستأتي له نظائر مشبهة وهو هنا في كلمة خفياً فقد أتى بها مراعاة لسنة الله في إخفاء دعوته لأن الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الأولى به أن يحترس مما يوهم الرياء أمام الناس الذين يحكمون على الظاهر ويجهلون حقيقـة الدخائل أو لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرة والشيخوخة ودفعاً للفضول الذي يطلق الألسنة بمختلف أنواع المـلام وقيل احترس من مواليه الذين خافهمْ وقيل ليس في الأمر احتراس وانما الكلام جار على حقيقته لأن خفوت صوته ناتـج عن ضعفه وهرمـه حيث يخفت الصوت ويكل اللســان وتعشى العينــان وتثقـل الآذان على حـــدّ قول عوف بن محلم الخزاعي :

إن الثمانـــين وبلغتهـــا قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وقد قيل في صفات الشيخ « صوته خفات ، وسمعه تارات » .

٢ ــ الاستعارة المكنية :

في قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً » شبّه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشـاره في الشعر وفشوه فيـه وأخـذه منـه كل مأخذ ثم أخرجـه مخرج الاستعارة المكنية وأسند الاشتعال الى

مكـان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزاً ولـم يضف الرأس أي لم يقل رأسي اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة ونزيد عـلى ذلك وجوه الشبه الأربعة الكامنة في هذا الخيال البعيد ، وهي :

آ ـ السرعة : وذلك أن النار حين تشتعل وتندلع ألسنتها فإنها تسرع في التهام ما تمتد اليه وهكذا الشيب لا يكاد يخط الرأس حتى يمتد بسرعة عجيبة .

ب ـ تعذر التلافي : وذلك أن النار إذا شبت وتدافع شؤبوبها وتطاير لهيبها اجتاحت كل ما تصادفه وذل لها الصخر والخشب على حد قول أبي تمام :

لقـد تركت أمير المؤمنين بها   للنار يوماً ذليل الصخر والخشب

فيعنو لها الصخر ويذل الخشب ويستلسم لشؤبوبها كل ما يناله دون أن تجدي في ذلك حيلة وقد يتعذر على رجل الاطفاء إخماد لهيبها وكثيراً ما يصبح الماء بمثابة الحطب الذي يذكيها وكذلك الشيب ينتشر بسرعـة غريبة في أجزاء الرأس ويتمادى في سرعته بحيث يتعـذر بل يستحيل تلافيه ، وكثيراً ما يجنح الذين أصيبوا بالشيب الى تغطية شيبهم بالأصابيغ الكاذبة ليخفوا حقيقتهـم وليستهووا قلوب الغانيات فلن يبدل ذلك شيئاً من الواقع الراهن .

جـ ـ الألم : وكما أن النار لـذاعة كواءة تؤلـم من تلامسه فكذلك الشيب يؤلم الأشيب وقد صدت عنه الغواني واقتحمته العيون على حد قول ابن الرومي :

وكنت جـــلاء للعيون من القـــذى
فقـد أصبحت تقـذي بشيبي وترمـد

هي الأعين النجـــل التي كنت تشتكي
مواقعهـــا في القلـــب والرأس أسود

وقول أبي تمام :

يا نسيـب الثغـــام ذنبـــك أبقى
حسنـاتي عنـــد الحسـان ذنوبـــا

لو رأى اللـــه أن في الشيب خـــيراً
جاورتـه الأبرار في الخلـــد شـــيبا

وجميع ذلك منقول عن عمر بن أبي ربيعة :

رأين الغواني الشيـــب لاح بعوارضي
فأعرضن عـــني بالخـــدود النواضـر

ويرحم الله شوقياً عنـدما جلس عـلى ضفاف البردوني في زحلة واستمع الى وشوشات الحلي ووسوسات الأساور وألفى نفسه يرتقي الى السبعين فصرخ :

شيعت أحـلامي بقلـب باكِ ولمست من طرق الملاح شباكي
ورجعت أدراج الشباب وورده أمشي مكانهما على الاشواك

وبجانبي واه كأن خفوقـــه لمّـــا تلفت جهشـــة المتباكي

د ــ المصير : وكما أن مصير النار بعد أن تفعل أفاعيلها وتبلغ غايتها الخمود والانطفاء فالرماد كذلك مصير الانسان وناهيك بهــذا المصير إيلاماً للنفس وارتماضاً للقلب فهــذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به فتأمل هذا الفصل ، فله على سائر الفصول الفضل •

هــذا وقد أوجزنا القول في عــدم إضافة الرأس بالاكتفاء بعلم المخاطب ولا بد من ايضاحه الآن فنقول أن للاستعارة مطلوبات ثلاثة : المبالغة في التشبيه والظهور والايجاز وكل استعارة تتناول واحداً من هذه المطلوبات أما هذه الاستعارة فقد تناولت المطلوبات الثلاثة بكاملها فإن الكلام أن يقال : شيب الرأس ولو جاء الكلام كذلك لأفاد الظهور فقط دون المبالغــة واللفظ الأول يعطى عموم الشيب جميــع نواحي الرأس كما انك إذا قلت : اشتعلت نار البيت صدق ذلك على اشتعال النار في بعض نواحيه دون بقيته بخلاف ما إذا قلت اشتعل البيت ناراً فإن مفهوم ذلك اشتمال النار على كل البيت بجميع أجزائه فتنبه لهــذا الفصل وإن طال بعض الطول فإنه كالحسن غير مملول •

هذا وقد اقتبس ابن دريد اشتعال الرأس شيباً فقال في مقصورته:

واشتعـــــل المبيض في مســــــودّه

مثــل اشتعــال النــار في جزل الغضــا

هذا ولما كان الشيب عندهم عيباً قالوا : هو أشيب أي وصفاً عــلى غير قياس لأن الوصف على أفعل انما يكون من فعــل كفرح وشرطه

الدلالة على العيوب أو الألوان وقال الشهاب الخفاجي انه على وزن الوصف من المصائب الخلقية فعدوه من العيوب،ولأبي الحسن الزوزني:

كفى الشيب عيباً ان صاحبه إذا
أردت به وصفاً له قلت أشيب
وكان قياس الأصل لو قلت شائبا
ولكنه في جملة العيب يحسب

فشائب خطأ لم يستعمل .

هذا وفي قوله واشتعل الرأس شيباً فن الإطناب فقد انتقل أولا من شعت الدال على ضعف البدن وشيب الرأس إجمالا الى هذا التفصيل لمزيد التقرير ، وثانياً من هذه المرتبة إلى ثالثة أبلغ منها وهي الكناية التي هي أبلغ من التصريح ، وثالثاً من هذه المرتبة الى رابعة أبلغ في التقرير وهي بناء الكناية على المبتدأ أي قولك : أنا وهنت عظام بدني ، ورابعاً من هذه المرتبة الى خامسة أبلغ وهي إدخال إن على المبتدأ أعني قولك إني وهنت عظام بدني ، وخامساً الى مرتبة سادسة وهي سلوك طريق الاجمال ثم التفصيل أعني إني وهنت العظام من بدني ، وسادساً الى مرتبة سابعة وهي ترك توسيط البدن لادعاء اختصاصها بالبدن بحيث لا يحتاج الى التصريح بالبدن ، وسابعاً الى مرتبة ثامنة وهي ترك جمع العظم إلى الإفراد لشمول الوهن العظام فرداً فرداً .

٣ ـ التجريد :

وذلك في قوله تعالى « فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من

آل يعقوب » وقد قدمنا القول فيه مختصراً وسنورده الآن مستوفى : فنقول ان التجريد هو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر بمثاله له فيها مبالغة لكمالها فيه كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو أقسام :

أ ــ أن يكون بمن التجريدية كقولهم لي من فلان صديق حميم ومنه الآية الكريمة ومثله للقاضي الفاضل في وصف السيوف :

تمدا إلى الأعداء منها معاصماً فترجع من ماء الكلي بأساور

ب ــ أن يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو قول ابن هانىء :

وضربتمُ هام الكماة ورعتم بيض الخدور بكل ليث مخدر

وقال أبو تمام :

هتك الظلام أبو الوليد بغرة فتحت لنا باب الرجاء المقفل

بأتم من قمر السماء وإن بدا بدراً وأحسن في العيون وأجمل

وأجل من قس إذا استنطقته رأياً وألطف في الأمور وأجزل

والمراد بأتم من قمر السماء نفس أبي الوليد .

حـ ــ أن يكون بدخول في على المنتزع منه أو مدخول ضميره كقوله تعالى « لهم فيها دار الخلد » أي في جهنم وهي دار الخلد ولكنه انتزع منها داراً آخرى للمبالغة وقال المتنبي :

تمضي المواكب والأبصار شاخصة
منها الى الملك الميمون طائر

قد حرن في بشر في تاجه قمر   في درعه أسد تدمى أظافره

فإن الأسد هو نفس الممدوح ولكنه انتزع منه أسداً آخر تهويلاً لأمره ومبالغة في اتصافه بالشجاعة والصولة .

د ـ أن يكون بدخول بين كقول ابن النبيه :

يهتز بين وشاحيها قضيب نقا   حمائم الحلي في أفنانه صدحت

هـ ـ ومنها أن يكون بدون توسط شيء كقول قتادة بن سلمة الحنفي :

فلئن بقيت لأرحلن بعزة   تحوي الغنائم أو يموت كريم

عني بالكريم نفسه فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه ولذا لم يقل أو أموت ، ولأبي تمام :

ولو تراهم وإيانا وموقفنا
في موقف البين لاستهلالنا زجل

من حرقة أطلقتها فرقة أسرت
قلباً ومن غزل في نحره عذل

وقــــد طوى الشوق في أحشائنا بقــراً
عينـــاً طوتهن في أحشائهـا الكلـــل

ومراده بالبقر العين الذين أخبر عنهم أولاً بقوله ولو تراهم فكأنه انتزع منهم موصوفين بهذه الصفة مبالغة فيها .

ز ـ ومنهـا أن ينتزع الانسان من نفسه شخصاً آخـر مثله في الصفة التي سيق الكلام لها ثم يخاطبه كقول أبي الطيب :

لا خيـــل عندك تهـديها ولا مـــال
فليسعـد النطق إن لم يسعد الحـــال

فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقـد الخيل والمال ومنه قول الأعشى :

ودّع هريرة إن الركـــب مرتحـــل
وهـــل تطيق وداعاً أيهـــا الرجـــل

وقال أبو نواس وأبدع متغزلاً :

يا كثـــير النوح في الدمن لا عليهـا بل عـــلى السكن
ســـنة العشّاق واحـــدة فـإذا أحببـــت فاســـتنن

ومراده الخطاب مع نفسه ولذلك قال بعده :

ظن بي من قد كلفت به فهو يجفوني على الظنن
بات لا يعنيه ما لقيت عين ممنوع من الوسن
رشأ لولا ملاحته خلت الدنيا من الفتن

هذا والتجريد كثير في الشعر وستأتي أمثلة منه في مواضع أخرى من هذا الكتاب .

يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ
مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ
مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ
فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ
وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾
وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

اللغـــة :

(سمياً) : السمي : المسمّى وهو فعيـل بمعنى مفعول وأصله سميو اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء أي مسمى بيحيى قال الزمخشري : « وهذا شاهد على أن الاسامي السنع جـديرة بالاثرة وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونهـا أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قـال القائـل في مدح قوم :

سنـع الأسامي مسبـلي أزر حمر تمس الأرض بالهـدب

انتهى كلام الزمخشري وسنع الاسامي أي أسماؤهم حسنة يقال سنع الرجل كظرف فهو سنيع أي جميل وأسنع والمرأة سنعاء وسنع جمع أسنع كحمر في جمـع أحمر من السناعة وهي الجمال كما أفاده في الصحاح أي أسماؤهم حسنة فهي أنبه وأنوه وأنزه عن النبز والحمر صفة الأزر وتمس صفة أخرى لها وهدب الشيء طرفه والمناسب للمعنى أن المراد به الجمع ويمكن أن تكون ضمته مفرداً كقفل وجمعاً كفلك ويجوز أنه اسم جمع ولذلك جاء في واحـده هدبه ، ومس الأرض بالأطراف كناية عن طولها بل عن غناهم وقيل معنى السمي المثل والشبيه والشكل والنظير كما في القاموس وغيره فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في أسمائهم يعمر ويعيش إن كانت التسمية عربية وقد سموا بيمـوت أيضاً وهو يموت بن المزرع وقيـل هو ممنوع من الصرف للعلمية و العجمة .

(عتياً) : في المختار : « عتا من باب سما وعتياً أيضاً بضم العين وكسرها وهو عات فالعاتي المجاوز للحد في الاستكبار وعتا الشيخ

يعتو عتواً بضم العين وكسرها كبر وولى » وقال الزمخشري : « أي بلغت عتياً وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتياً »

(آية) : علامة على حمل امرأتي .

(المحراب) : في القاموس : « المحراب : الغرفة ، وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس » وأما المحراب المعروف الآن وهو طاق مجوف في حائط المسجد يصلي فيه الامام فهو محدث لا تعرفه العرب فتسميته محراباً اصطلاح للفقهاء ، هذا ما قاله الشهاب في حاشيته على البيضاوي ولكن المغنى اللغوي الذي ذكره الفيروزبادي ينطبق عليه وهو « مقام الإمام في المسجد » .

(الحكم) : الحكمة ومنه قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت
الى حمام شراع وارد الثمد

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا أو نصفه فقد

فحسّبوه فألفوه كما ذكرت
ستاً وستين لم تنقص ولم تزد

والفتاة التي حكمت هي زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر نظرت الى حمام مسرع الى الماء فقالت :

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه

ونصفه قديه تم الحمام ميه

فوقع في شبكة صياد فحسبوه فوجدوه ستاً وستين حمامة ونصفه ثلاث وثلاثون فإذا ضم الجميع إلى حمامتها صار مائة وشراع بكسر الشين ما يرفع وبه سمي الشراع وهو مثل الملاءة الواسعة يشرع وينصب على السفينة فتهب فيه الرياح فتمضي بالسفينة ، ويروى سراع جمع سريع وصفه به لأنه جمع في المعنى كما وصفه بوارد وهو مفرد لأنه مفرد في اللفظ وروى الحمام أو نصفه بالرفع على اهمال ليتما وبالنصب على اعمالها لأن ما الزائدة تكف ان وأخواتها ما عدا ليت فيجوز اعمالها وإلغاؤها وأو بمعنى الواو وقد بمعنى حسب فهي اسم أضيفت الى ياء المتكلم بغير نون الوقاية كما يقال حسبي والفاء زائدة لتحسين اللفظ كفاء فقط وكلاهما بمعنى انته ، وحسبوه بتشديد السين ليسلم البيت من الخبن وهو نوع من الزحاف معيب وقيل الحكم العقل وقيل النبوة لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى اليه .

(وحناناً) : أي رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفاً وشفقة وأنشد :

وقالت حنان ما أتى بك ها هنا

أذو نسب أم أنت بالحي عارف

وهذا البيت لمنذر الكلبي وقبله ليتسق معناه :

وأحدث عهد من أمينة نظرة

على جانب العلياء إذ أنا واقف

يقول : وأقرب عهد أي لقاء ورؤية لأمينة محبوبتي تصغير آمنة هو نظرة مني لها بجانب تلك البقعة إذ أنا واقف هناك أي حين وقوفي بها وفيه إشعار بأنه كان واقفاً يترقب رؤيتها فلما رأته قالت له : حنان أي أمري حنان ورحمة لك وهو من المواضع التي يجب فيها حذف المبتدأ لأنه مصدر محول عن النصب وقولها : ما أتى بك هاهنا ؟ استفهام تعجبي أذو نسب أي أأنت ذو نسب أم أنت عارف بهذا الحي ويجوز أن يكون أذو نسب بدلاً من ما الاستفهامية أي ما الذي حملك على المجيء هنا أو الذي دلك عليه صاحب قرابة من الحي أي معرفتك به ويجوز أن الاستفهام حقيقي حكته على لسان غيرها لتلقنه الجواب بقولها : أذو نسب مع معرفتها سبب مجيئه وهو حبها فربما سأله أحد من أهلها فيجيبه بأحد هذين الجوابين وقيل حناناً من الله عليه ، وحن بمعنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في الرأفة والعطف وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة •

(عصياً) : صيغة مبالغة وأصل عصياً عصيياً بوزن فعيل ادغمت الياء فيه وأتى بصيغة المبالغة لمراعاة الفواصل لأن المنفي أصل العصيان لا المبالغة فيه •

الاعراب :

(يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) يا حرف نداء وزكريا منادى مفرد علم مبني على الضم وقرىء زكرياء بالهمز على الأصل وإنا ان واسمها وجملة نبشرك خبرها والكاف مفعول به وبغلام جار ومجرور متعلقان بنبشرك واسمه مبتدأ ويحيى خبره والجملة الاسمية صفة لغلام • (لم نجعل له من قبل سمياً) الجملة صفة ثانية لغلام وله مفعول

نجعل الثاني ومن قبل حال وسمياً مفعول نجعل الأول • (قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وأنى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بالاستقرار في خبر يكون ولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون المقدم وغلام اسمها المؤخر وكانت الواو للحال وكانت امرأتي عاقراً كان واسمها وخبرها والجملة حالية وقد بلغت من الكبر جملة حالية أيضاً ومن الكبر متعلقان ببلغت أو بمحذوف حال من عتياً لأنه كان صفة له وتقدم عليه وعتياً مفعول بلغت ولا تلتفت الى الأعاريب التي تكلفها المعربون كاعرابها حالاً وتمييزاً ومن زائدة وهذا لا يليق بكتاب الله • (قال : كذلك قال ربك هو علي هين ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) قال فعل ماض وفاعله مستتر قيل يعود على الله تعالى وقيل على جبريل وكذلك خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك أو نصب بقال أو بفعل محذوف تقديره أفعل كذلك والاشارة الى مبهم يفسره هو على هين ، وقال ربك فعل وفاعل وهو مبتدأ وعلي متعلقان بهين وهين خبر هو ولقد الواو حالية وقد حرف تحقيق وخلقتك فعل وفاعل ومفعول به ومن قبل متعلقان بخلقتك والواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتك فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسم تك مستتر وشيئاً خبر تك وجملة ولم تك شيئاً حال متداخلة وسوف يأتي بحث الشيء بين أهل السنة والمعتزلة وبراعة المتنبي في هذا الباب • (قال ربي اجعل لي آية) رب منادى وقد تقدم اعرابه واجعل فعل أمر ولي مفعول به ثان وآية مفعول به أول • (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) آيتك مبتدأ وأن ومافي حيزها خبر

والناس مفعول به وثلاث ليال نصب على الظرف والظرف متعلق بتكلم وسوياً حال من فاعل تكلم أي حالة كونك بلا علة وسليم الأعضاء وقيل سوياً نسب على الصفة لثلاث بمعنى أنها كاملات • (فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشياً) الفاء استئنافية وخرج فعل وفاعل مستتر وعلى قومه متعلقان بمحذوف حال ومن المحراب متعلقان بخرج فأوحى عطف على خرج وأن تفسيرية لأنهما وقعت بعد جملة فيها معنى القول وسبحوه فعل أمر وفاعل ومفعول به وبكرة ظرف زمان متعلق بسبحوه وعشياً عطف على بكرة ويجوز أن تكون أن مصدرية مفعولة بالإيحاء • (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً) يا يحيى منادى مفرد علم وخذ الكتاب فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وبقوة حال من فاعل خذ والباء للملابسة أي حال كونك ملتبساً بقوة واجتهاد وآتيناه الواو استئنافية وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به أول والحكم مفعول به ثان وصبياً حال من الهاء • (وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً) وحناناً عطف على الحكم أي وآتيناه حناناً أي رحمة ورقة في قلبه وعطفاً على الآخرين وقيل مفعول مطلق لفعل محذوف وهو بعيد ومن لدنا متعلقان بمحذوف صفة لحنان وزكاة عطف على حناناً وكان تقياً عطف على آتيناه وكان واسمها المستتر وتقياً خبرها • (وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً) وبراً عطف على تقياً وبوالديه متعلقان ببراً ولم يكن عطف على وكان تقياً واسم يكن مستتر تقديره هو وجباراً خبرها وعصياً نعت • (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) الواو استئنافية وسلام مبتدأ وساغ الابتداء به مع أنه نكرة لتضمنه معنى الدعاء وعليه خبر ويوم ظرف متعلق بسلام وجملة ولد مضافة للظرف وما بعده عطف عليه وحياً حال •

البلاغـة :

الايجاز في قولـه تعالى « أنى يكون لي غـلام » فظاهر الكلام يوهم أنه استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه ولا يجوز لأجد بله النبي النطق بما لا يسوغ أو بما في ظاهره الإيهام فجاء الكلام موجزاً وتقديره هل تعاد لنا قوتنا وشبابنا فنرزق بغلام ؟ أو هل يكون الولد لغير الزوجة العاقر ؟ وإذن فالمستبعد هو مجيء الولد منهما بحالهما ولكن الجواب أزال الاشكال إذ قيـل له سيكون لكما الولـد وأنتما بحالكما .

الفوائـد :

اختلف أهـل السنة والمعتزلة في الشيء فالمعتزلة يعتقـدون أن الشيء يتناول الموجود والمعـدوم الذي يصـح وجوده فلا يتناول المستحيل إذن أما أهل السنة فلا يتناول الشيء عندهم إلا الموجود ، والآية تشهد لأهل السنة لأن قوله « ولم تك شيئاً » صريحة في ذلك ، وقد رمق المتنبي من طرف خفي بعيد هذا الخلاف ، فاستعمله في وصف الجبان وذلك في قصيدة مستجادة له في مديح سعيد بن عبد الله بن سعيد الكلابي المنبجي وهي مما قاله في صباه قال :

وضاقت الأرض حتى كـاد هاربهـم
إذا رأى غـير شيء ظنـه رجـلاً

وقد غفـل شراحه عن حقيقـة الخلاف المشتجر بين أهل السنة والاعتزال فذهبوا في تفسير هذا البيت كل مذهب قال ابن القطاع : « قد أوخذ في هـذا البيت فقيـل : كيف يرى غير شيء ، وغير شيء

معدوم والمعدوم لا يرى ؟ وفيه تناقض . وليس الأمر كما قالوا بل أراد غير شيء يعبأ به » وقال أبو بكر الخوارزمي : « رأى في هذا البيت ليست من رؤية العين وإنما هو من رؤية القلب يريد به التوهم وغير الشيء يجوز أن يتوهم ومثله كثير » وقال الواحدي : « إذا رأى غير شيء يعبأ به أو يفكر في مثله ظنه إنساناً يطلبه وكذلك عادة الخائف الهارب كقول جرير :

ما زال يحسب كل شيء بعدهم
خيلاً تكر عليهم ورجالا

قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقه والله من كتابهم « يحسبون كل صيحة عليهم » ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالاً عليها كقوله عليه الصلاة والسلام : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة ، ويقولون : هذا ليس بشيء يريدون شيئاً جيداً . وقال بعض المتكلمين: إن الله خلق الاشياء من لاشيء فقيل هذا خطأ لأن لا شيء لا يخلق منه شيء ومن قال إن الله يخلق من لاشيء جعل لاشيء يخلق منه والصحيح أن يقال يخلق لامن شيء لأنه إذا قال لامن شيء نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء » والصحيح ماقاله : أي إذا رأى غير شيء يخاف منه ؛ ومن هذا الوادي « حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » معناه يريده أو يطلبه أو يغنيه عن الماء أي شيئاً نافعاً مغنياً .

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا
﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ
هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

اللغــة :

(انتبذت) :الانتباذ الاعتزال والانفراد فقد تخلت مريم للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقـدس أو من دارها معتزلة عن الناس الناس وقيل غير ذلك والتفاصيل في المطولات وفي المصباح : « وانتبذت مكاناً اتخذته بمعزل يكون بعيداً عن القوم » .

(بغياً) : البغي : الفاجرة التي تبغي الرجـال وهي فعول عنـد المبرد أي بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام « هي فعيل ولو كانت فعولاً لقيل بغوٌ كما قيل فلان نهوٌ عن المنكر » وبغت فلانة بغاء بكسر الباء ومنه قيل للإماء البغايا لأنهن كنّ يباغين في الجاهلية يقال : قامت البغايا على رؤوسهم قال الأعشى :

والبغايا يركضن أكسية الاضر ... يج والشرعبيّ ذا الأذيـــال

وفي القاموس وشرحه : « بغى يبغي من باب ضرب الشيء بُغاء بضم الباء وبغياً بفتحها وبُغىً وبُغية طلبه وبغى الرجل عدل عن الحق وعصى وبغى عليه استطال عليه وظلمه فهو باغ » فلعل اطلاقهم كلمة البغاء على العهر والزنا مأخوذ من هذا المعنى لأنه من دواعي ما يطلبه أهل الخنا والفجور .

الاعراب :

(واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) واذكر الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت وفي الكتاب جار ومجرور متعلقان باذكر ومريم مفعول به وإذ: قال أبو البقاء ما نصه : في إذ أربعة أوجه أحدها أنها ظرف والعامل فيه محذوف تقديره واذكر خبر مريم إذ انتبذت والثاني أن تكون حالاً من المضاف المحذوف والثالث أن يكون منصوباً بفعل محذوف أي وبيّن إذ انتبذت فهو على كلام آخر كما قال سيبويه في قوله تعالى « انتهوا خيراً لكم » وهو في الظرف أقوى وان كان مفعولا به والرابع أن يكون بدلاً من مريم بدل اشتمال لأن الاحيان تشتمل على الجثث ذكره الزمخشري وهو بعيد لأن الزمان إذا لم يكن حالاً من الجثة ولا خبراً عنها ولا وصفاً لها لم يكن بدلاً منها وقيل إذ بمعنى أن المصدرية كقولك لا أكرمك إذ لم تكرمني أي لأنك لم تكرمني فعلى هذا يصح بدل الاشتمال أي واذكر مريم انتباذها •

واضطرب قول ابن هشام فيها فبينما يقول في صدد بحثه عن إذ « الوجه الثالث أن تكون بدلاً من المفعول نحو « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت » فإذ بدل اشتمال من مريم على حد البدل في : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه » يعود فيقول : « وزعم الجمهور أن إذ لا تقع إلا ظرفاً أو مضافاً اليها وأنها في نحو « واذكروا إذ كنتم قليلا » ظرف لمفعول محذوف أي واذكروا نعمة الله إذ كنتم قليلاً ، وفي نحو إذ انتبذت ظرف لمضاف الى مفعول محذوف أي واذكر قصة مريم •

وقال شهاب الدين الحلبي المعروف بالسمين : « في إذ أوجه أحدها أنها منصوبة باذكر على أنها خرجت عن الظرفية إذ يستحيل أن تكون باقية على مضيها والعامل فيها ما هو نص في الاستقبال والثاني أنها منصوبة بمحذوف مضاف لمريم تقديره واذكر خبر مريم أو نبأها إذ انتبذت فإذ منصوبة بذلك الخبر أو النبأ ، الثالث أنها بدل من مريم بدل اشتمال قال الزمخشري : لأن الأحيان مشتملة على ما فيها لأن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها لوقوع هذه القصة العجيبة فيه »

وجملة انتبذت مضافة إلى إذ ومن أهلها حال ومكاناً ظرف متعلق بانتبذت أي في مكان وشرقياً نعت ويجوز أن يعرب مكاناً مفعولاً به على أن معنى انتبذت أتت ، ونص المصباح يؤيد كونه مفعولاً به فتأمله في باب اللغة . (فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) الفاء عاطفة واتخذت فعل ماض وفاعل مستتر ومن دونهم مفعول به ثان وحجاباً مفعول به أول فأرسلنا عطف على فاتخذت واليها متعلقان بأرسلنا وروحنا مفعول به ، فتمثل عطف أيضاً ولها متعلقان بتمثل وبشراً حال وسوياً نعت وسوغ وقوع الحال جامدة وصفها وسيأتي مزيد بحث عنها في باب الفوائد . (قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) ان واسمها وجملة أعوذ خبرها والجملة مقول القول وبالرحمن متعلقان بأعوذ ومنك متعلقان بأعوذ أيضاً وإن حرف شرط جازم وكنت فعل ماض ناقص والتاء اسمها وتقياً خبرها وجواب الشرط محذوف والمعنى إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك . (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) إنما كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ ورسول ربك خبر واللام للتعليل وأهب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ولك متعلقان بأهب وغلاماً مفعول به وزكياً صفة . (قالت : أنى يكون

لي غلام ولم يمسسني بشر ولم آك بغياً) أنى اسم استفهام بمعنى كيف وقد تقدم اعرابه في قصة زكريا ولم يمسسني الواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويمسسني مضارع مجزوم بلم والياء مفعول به وبشر فاعـل ، ولم أك بغياً : لـم حرف نفي وقلب وجزم وأك مضـارع مجزوم وعلامـة جزمه السكون عـلى النون المحـذوفة للتخفيف واسم أك مستتر وبغياً خبرها • (قال كذلك قال ربك هو علي هين) كذلك خبر لمبتدأ محذوف وقد تقدم إعراب نظيرها • (ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً) لنجعله تعليل معلله محذوف أي فعلنا ذلك أو هو معطوف على مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وآية مفعول به ثان لنجعله وللناس صفة لآية ورحمة منا عطف على آية وكان أمراً مقضياً كان واسمها المستتر وخبرها ومقضياً صفة •

الفوائـد :

معنى بشراً سوياً :

تقدم بحث الحال الموطئة وانها ان تكون جامدة موصوفة وهذا أحد شروطها التي تبرر كونها جامدة وهو في الآية بشراً فهو حال من فاعل تمثل وهو الملك والاعتماد فيها على الصفة وهي سوياً وهو اسم مشتق لأنه صفة مشبهة ، وعبارة ابن هشام : « الثاني انقسامها بحسب قصدها لذاتها وللتوطئة بها الى قسمين مقصودة وهو الغالب وموطئة وهي الجامدة الموصوفة نحو فتمثل لها بشراً سوياً » واعترض بعضهم على هذا الاعراب فقال : ان دعوى الحال تقتضي أن المعنى متمثل لها في حال كونها بشراً ولايخفى انه وقت التمثيل ملك لا بشر فالأقرب انه منصوب بنزع الخافض أي فتمثـل لها ببشـر أي تشبـه به وتصور بصورته •

واعلم أنه وقع هنا للبيضاوي مالا يليق حيث قال : « أتاها جبريل عليه السلام بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها » فقوله ليهيج الخ عبارة غير لائقة بمريم مع التحقيق أن عيسى عليه السلام كان من عالم الأمر أي أمر التكوين الممثل بقوله تعالى : « إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » إذ ليس ثم قول ولا كان ولا يكون وهذا وجه المماثلة بين عيسى وآدم في قوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم » أي في التكوين بالأمر من غير واسطة ولا نطفة والنفخ المدلول عليه بقوله تعالى « فنفخنا فيه من روحنا » من قبيل التمثيل استعير لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها . لا حقيقة النفخ التي هي إجراء الريح الى جوف صالح لإمساكها والامتلاء بها .

ولا يصح الاعتذار للقاضي البيضاوي بأنه نظر الى العادة الإلهية الجارية بخلق المسببات عقب الأسباب لأن السبب لا بدأن يكون تاماً ونطفة المرأة وحدها ليست بسبب تام لحصول الولد وإنما تمثل لها بصورة حسنة لتأنس به ولا تنفر منه وتصغي اليه وترهف السمع لسماع البشرى وكان بصورة أمرد لإلف النساء الى الأطفال ومن قرب منهن وعدم الاحتشام منهن . أما رواية الزمخشري فهي : « وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فإذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب وضيء الوجه ، جعد الشعر ، سوي الخلق ، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً أو حسن الصورة مستوي الخلق وإنما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر منه ولو بدا لها في

الصورة الملكيـــة لنفرت ولم تقدر عــلى استماع كلامــه » واستأنف الزمخشري كلامه فقال : « ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة ، الفائقة الحسن ، وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها ، وسبراً لعفتها ، وقيل : كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسهـا فانفجر السقف لهـا فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك » .

ونختم هذا الفصل الذي خالفنا فيه شرط كتابنا لأهميته بتذييل للشيخ عبد الرزاق الكاشي وهذا هو نصه : « إنما تمثل لها بشراً سوي الخلق حسن الصورة ، لتتأثر نفسها به فتتحرك على مقتضى الجبلة أو يسري الأثر من الخيال في الطبيعة فتتحرك شهوتها فتنزل كما يقع في المنام من الاحتلام ، وانما أمكن تولد الولد من نطفة واحدة لأنه ثبت في العلوم الطبيعية : أن مني الذكر في تولد الجنين بمنزلة الإنفحة من الجبن ، ومني الأنثى بمنزلة اللبن : أي العقد من مني الذكر والانعقاد من مني الأنثى ، لا على معنى أن مني الذكر ينفرد بالقوة العاقدة ومني الأنثى ينفرد بالقوة المنعقدة بل عــلى معنى أن القوة العاقــدة في مني الذكر أقوى ، وإلا لم يمكن أن يتحدا شيئاً واحداً ولـم ينعقد مني الذكر حتى يصير جزءاً من الولد فعلى هذا إذا كان مزاج الأنثى قوياً ذكورياً كما تكون أمزجة النساء الشريفة النفس القوية القوى وكان مزاج كبدها حاراً كان المني الذي ينفصل عن كليتها اليمنى أحر كثيراً من المني الذي ينفصل عن كليتها اليسرى فإذا اجتمعا في الرحم كان مزاج الرحم قوياً في الامساك والجذب قام المنفصل من الكلية اليمنى مقام مني الرجل في شدة قوة العقد والمنفصل من الكلية اليسرى مقام مني الأنثى في قوة الانعقاد فيخلق الولد .

هذا وخصوصاً إذا كانت النفس متأيدة بروح القدس متقوية به يسري أثر اتصالها به الى الطبيعة والبدن ويغير المزاج ويمد جميع القوى في أفعالها بالمدد الروحاني فتصير أقدر على أفعالها بما لا يضبط في القياس » .

* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ
إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ
إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى
وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا
فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ
جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ
صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى
مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا
بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

اللغـــة :

(قصياً) : بعيداً من أهلها .

(فأجاءها) : يقال : جاء وأجاء لغتان بمعنى واحد والاصل في جاء أن يتعدى لواحد بنفسه فإذا دخلت عليه الهمزة كان القياس يقتضي تعديته لاثنين إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل فصار بمعنى ألجأه الى كــذا ألا تراك لا تقول : جئت المكـــان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الاعطاء ولم تقل أتيت المكان وآتانيه فلان .

(المخـــاض) : وجــع الولادة ، وفي القاموس : مخض يمخض بتثليث الخاء في المضارع مخضاً اللبن استخرج زبده فهو لبن مخيض وممخوض ومخض الشيء حركــه شديداً ومخض الرأي قلبه وتدبر عواقبه حتى ظهر له الصواب ومخضتَ بكســر الخاء تمخض بفتحها الحامل مخاضاً بكسر الميم ومخاضاً بفتحها ومخضت بالبناء للمجهول ، ومخضت بتشديد الخاء وتمخضت الحامل دنا ولادها وأخذ الطلق فهي ماخض والجمــع مخض بضم الميم وتشديد الخاء ومواخض . وللميم والخاء مجتمعتين معنى يكاد يكون متقارباً فهي تشير الى الانزلاق ومنه مخر البحر والماء أي شقه مع صوت ومخط وامتخط معروفة .

(مت) : بكسر الميم وضمها يقال مات يمات ومات يموت .

(نسياً) : النسي بفتح النون وكسرها بمعنى المنسي كالذبح بمعنى المذبوح وكل ما من حقه أن يطرح ويرمى وينسى .

(سرياً) : السري فيه قولان : أحدهما أنه الرجل المرتفع القدر من سرو يسرو كشرف يشرف فهو سري فأعل إعلال سيد فلامه واو يقال هو سري من السراة والسروات ، قال بشامة بن حزن النهشلي :

وإن دعوت إلى جلّى ومكرمة يوماً سراة كرام الناس فادعينا

والثاني أنه النهر الصغير ويناسبه فكلي واشربي ، واشتقاقه من سرى يسري لأن الماء يسري فيه فلامه على هذا ياء ، قال لبيد يصف حماراً وحشياً :

فمضى وقدّمها وكانت عادة منه إذا هي عردت أقدامها
فتوسّطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاوراً أقلامها

يقول إنه مضى خلف أتانه نحو الماء وقدمها أمامه واقدامها اسم كان وألحقها التاء لأنها بمعنى التقدمة وعادة خبر كانت والتعريد التأخر والجبن فتوسطا أي الحمار والأتان عرض السري أي ناحية النهر الصغير فصدعا أي شقا عيناً مسجورة أي مملوءة .

(رطباً جنياً) : الرطب بضم ففتح ما نضج من البسر قبل أن يصير تمراً والجني فعيل بمعنى فاعل أي صار طرياً صالحاً للاجتناء .

(وقري عيناً) : أي طيبي نفساً ولا تغتمي وارفضي ما أحزنك يقال قرت عينه تقر بفتح العين وكسرها في المضارع وفي وصف العين بذلك تأويلان أولهما أنه مأخوذ من القر وهو البرد وذلك أن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها بارداً واذا حزن كان دمعها حاراً ولذلك قالوا في الدعاء عليه أسخن الله عينك والثاني انه من الاستقرار والمعنى أعطاه

الله ما يسكن عينه فلا تطمح الى غيره وفي المصباح : وقرت العين من باب ضرب قرة بالضم وقروراً بردت سروراً وفي لغة أخرى من باب تعب •

(صوماً) : صمتاً وخيل صائمة وصيام قال :

خيل صيام وخيل غير صامتة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وقيل المراد بصائمة وغير صائمة واقفة وغير واقفة •

وصامت الريح ركدت وصام النهار وصامت الشمس كبّدت وجئته والشمس في مصامها وشاخ فصامت عنه النساء •

(فرياً) : الفري البديع من فرى الجلد ، والفري العظيم من الأمر يقال في الخير والشر وقيل الفري العجيب وقيل المفتعل ومن الأول الحديث في وصف عمر بن الخطاب : فلم أرى عبقرياً يفرى فريه ، والفرى قطع الجلد للخرز والاصلاح ، وفي المختار : « فرى الشيء قطعه لاصلاحه وبابه رمى وفرى كذباً خلقه وافتراه واختلقه والاسم الفرية وقوله تعالى : « شيئاً فرياً » أي مصنوعاً مختلقاً وقيل عظيماً وأفرى الأوداج قطعها وأفرى الشيء شقه فانفرى وتفرى أي انشق ، وقال الكسائي : أفرى الأديم قطعه على جهة الإفساد وفراه قطعه على جهة الاصلاح » •

الاعراب :

(فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً) الفاء عاطفة على محذوف ، تقديره فنفخ جبريل في جيب درعها فحملته وسيأتي سر هذا التعقيب

في باب الفوائد فانتبذت عطف على فحملته وبه جار ومجرور في موضع نصب على الحال وقد رمق سماءه أبو الطيب المتنبي في قصيدة يمدح بها علي بن مكرم بن سيار التميمي ويصف الخيل :

كأن خيولنا كانت قديماً ... تُسقّى في قحوفهم الحليبا

فمرّت غير نافرة عليهم ... تدوس بنا الجماجم والتريبا

يريد أن خيولهم لم تنفر منهم كأنها كانت في صغرها تسقى في قحوف رءوسهم اللبن يعنى قحوف رءوس الأعداء والعرب كان من عادتها أن تسقي كرام خيولها اللبن وقحف الرأس ما انضم على أم الدماغ ، والجمجمة العظم الذي فيه الدماغ فوطئت رءوسهم وصدورهم ولم تنفر عنهم فكأنها ألفتهم والتريب والتريبة واحدة الترائب وهو موضع القلادة ومن طريف الأخطاء أن بعضهم تصدى لشرح هذا البيت ولما لم يعرف معنى التريب قال بالحرف : والتريب والتراب لغة في التراب • زاده الله فهماً !! •

ومكاناً مفعول فيه أو مفعول به وقد تقدم وقصياً صفة • (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة) الفاء عاطفة للتعقيب وأجاءها فعل ماض ومفعول به مقدم والمخاض فاعل مؤخر والى جذع النخلة متعلقان بمحذوف حال وسيأتي السر في تعريف النخلة في باب البلاغة • (قالت : يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) يا حرف نداء والمنادى محذوف أو يا لمجرد التنبيه وليت واسمها وجملة مت خبرها وهي فعل وفاعل والظرف منصوب لأنه أضيف وهو متعلق بمت وهذا مضاف اليه وكنت الواو عاطفة وكان واسمها ونسياً خبرها ومنسياً تأكيد لنسياً لأنه بمعناه ولك أن تعربه نعتاً • (فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً) الفاء عاطفة وناداها فعل ومفعول

به وفاعل مستتر يعود على الملك أو عيسى ومن تحتها متعلقان بناداها أي في مكان أسفل من مكانها أو بمحذوف حال من فاعل أي ناداها وهو تحتها وأن مفسرة لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه ولا ناهية وتحزني مجزوم بلا ويجوز أن تكــون مصدرية ، ولا نافية وتحزني منصوب بها وأن وما بعدها نصب بنزع الخافض المتعلق بالنداء والأول أسهل وقد حرف تحقيق وجعل ربك فعل وفاعل وتحتك ظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لجعــل وسرياً هو المفعول الأول وسيأتي السر في علة انتزاع الحزن عنهــا بسبب وجود الطعــام والشراب • (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) : الواو عاطفــة وهزي فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والياء هي الفاعل وإليك متعلقان بهزي وبجذع النخلة أورده بن هشام في مغني اللبيب شاهداً على زيادة الباء في المفعول به وأكثر المعربين على ذلك ولكن الزمخشري قال بعد ذكر وجه الزيادة ما معناه : يحتمل انه نزل هزي منزلة اللازم وإن كان متعدياً ثم عداه بالباء كما يعدى اللازم والمعنى افعلي به الهز وتساقط مجزوم لأنــه جواب الطلب وعليك متعلقــان بتساقط ورطباً مفعول به وجنياً صفــة ، وتساقط يتعــدى بنفسه ومن أمثلته لا من شواهده لأن البحتري غير محتج بكلامه •

فمن لؤلؤ تجلــوه عنــد ابتسامهــا
ومن لــؤلــؤ عنــد الحــديث تساقطه

وعن المبرد أن رطباً مفعول هزي وباء بجــذع النخلة للاستعانة ولا يخفى ما فيه من التكلف بتأخير مافي حيز الأمر عن جوابه وستأتي أوجه زيادة الباء في باب الفوائد • (فكلي واشربي وقري عيناً) الفاء الفصيحة أي إذا تم لك هذا كله فكلي ، وكلي فعل أمر والياء فاعــل

وما بعده عطف عليه وعيناً تمييز من الفاعل لأنه منقول عنه إذ الأصل لتقر عينك. (فإما ترين من البشر أحداً) الفاء عاطفة وإن شرطية أدغمت نونها بما الزائدة وترين فعل الشرط وأصله ترأيين بهمزة هي عين الفعل وياء مكسورة هي لامه وأخرى ساكنة هي ياء الضمير والنون علامة الرفع وقد حذفت لام الفعل لتحركها وانفتاح ما قبلها فقلبت ألفاً فالتقت ساكنة مع ياء الضمير فحذفت لالتقاء الساكنين ، ومن البشر حال لأنه كان في الأصل صفة لأحداً وأحداً مفعول به . (فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم أنسياً) الفاء رابطة لجواب الشرط وقولي فعل أمر مبني على حذف النون والياء فاعل وإن واسمها وجملة نذرت خبرها والجملة مقول القول وسيرد إشكال أجبنا عنه في باب الفوائد ، وللرحمن متعلقان بنذرت وصوماً مفعول به ، فلن الفاء استئنافية ولن حرف نفي ونصب واستقبال وأكلم منصوب بلن واليوم ظرف متعلق بأكلم وإنسياً مفعول به . (فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) الفاء استئنافية وأتت فعل وفاعل مستتر والتاء للتأنيث وبه علقه أبو البقاء بمحذوف حال أي مصحوبة به وهو جميل ولا نرى مانعاً بتعلقه بأتت وقومها مفعول به وجملة تحمله حال ثانية إما من ضمير مريم وإما من ضمير عيسى في به ، قالوا فعل وفاعل ويا حرف نداء ومريم منادى واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجئت فعل وفاعل وشيئاً مفعول به أي فعلت شيئاً وفرياً نعت ويجوز إعراب شيئاً على المصدرية أي نوعاً من المجيء غريباً . (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً) يا حرف نداء وأخت هارون منادى مضاف أي يا شبيهته ، وهارون رجل صالح شبهوها به في عفتها وصلاحها وليس المراد منه أخوة النسب وقيل إنما عنوا هارون أخا موسى لأنها كانت من نسله والعرب تقول للتميمي

يا أخا تميم وقيل غير ذلك مما تراه في المطولات وما نافية وكان أبوك امرأ سوء كان واسمها وخبرها وما كانت أمك بغياً عطف على الجملة التي سبقتها أي ما دمت بهذه المثابة من مظنة العفة والصلاح فمن أين لك هذا الولد ؟ (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً) الفاء عاطفة وأشارت فعل وفاعل مستتر وإليه متعلقان بأشارت ، قالوا فعل وفاعل وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ونكلم فعل مضارع وفاعل مستتر تقــديره نحن ومن أسم موصول مفعول به وجملة كان صلة واسم كان مستتر تقــديره هو وفي المهــد جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وصبياً خبر كان وقد اعتبرنا كان على بابها من النقصان ودلالتها على اقتران مضمون الجملة في الزمن الماضي من غير تعرض للانقطاع كقوله تعالى : « وكان الله غفوراً رحيماً » وقد نشب بين علماء العربية خلاف حول « كـــان » هنا نذكره مبسوطاً في باب الفوائد لما تضمنه من فوائد • (قال : إني عبــد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) جملة إني عبد الله مقول القول ولذلك كسرت همزة إن لوقوعها بعد القول وان واسمهـــا وعبد الله خبرها وقد وصف نفسه بثماني صفات أولها العبودية وجملة آتاني الكتاب حالية وهـــذه هي الصفة الثانية والكتاب مفعول به ثان وجعلني نبياً فعل ماض وفاعل مستتر ومفعولاه وهذه هي الصفة الثالثة • (وجعلني مباركاً أينما كنت) وجعلني مباركاً عطف على وجعلني نبياً وهذه هي الصفة الرابعة وأينما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية والجواب محذوف مدلول عليه بما تقدم أي أينما كنت جعلني مباركاً وهو متعلق بالجواب المحذوف وكان تامة والتاء فاعلها ويجوز أن تكون الناقصة وأينما متعلق بمحـــذوف خبرها المقدم • (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) ما دمت ما مصدرية ظرفية ودمت فعـــل ماض ناقص والتاء اسمها وحياً خبرهـــا

والمصدر المؤول نصب على الظرفية والظرف متعلق بأوصاني وهذه هي الصفة الخامسة . (وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً) وبراً بفتح الباء معطوف نسقاً على مباركاً أي وجعلني براً جعل ذاته براً لفرط بره ولك أن تنصبه بفعل مقدر بمعنى أوصاني تفادياً للفصل الطويل وهذه هي الصفة السادسة وبوالدتي متعلقان ببراً ولم يجعلني عطف على وجعلني وجباراً مفعول به ثان وشقياً صفة وهذه هي الصفة السابعة . (والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) السلام مبتدأ وعلي خبره واختلف في معنى آل الداخلة على السلام فقيل هي للعهد لأنه تقدم ذكر السلام الموجه الى يحيى فهو موجه إليه أيضاً ، وقال الزمخشري : « والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه أن اللام للجنس وإذا قال وجنس السلام عليّ خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى : والسلام على من اتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنته لنحو هذا من التعريض » ويوم متعلق بمعنى الاستقرار المتعلق به عليّ ولا يجوز نصبه للسلام للفصل بين المصدر ومعموله وجملة ولدت مضافاً اليها الظرف ويوم أبعث عطف على يوم ولدت وكذلك يوم أبعث وحياً حال وهذه هي الصفة الثامنة والأخيرة .

البلاغة :

التعريف :

وذلك في تعريف النخلة التي جاءها المخاض عندها وهذا التعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل

جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخيل وإما أن يكون من تعريف الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى إنما أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد وثمارها إنما هي من جمارها فلموافقتها لها مع جميع الآيات فيها اختارها لها وألجأها اليها .

الفوائد :

١ ـ خلاصة قصة ميلاد عيسى في القرآن الكريم :

هذا ولم يعن كتاب من الكتب الدينية بميلاد المسيح والدفاع عن طهارة والدته العذراء والإشادة بفضلها وتفضيلها على سائر النساء كما عني القرآن الكريم فقد وردت فيه عن ميلاد المسيح عليه السلام ، وحياته وجهاده في سبيل الدعوة الى الله واصلاح البشر عدة آيات في عدد من السور وقد أتى في براءة العذراء وقنوتها بما لم تأت به كتب أخرى بل كانت السورة الثانية الكبرى من القرآن الكريم وهي سورة آل عمران ، وعمران هو والد العذراء وكان عالماً من علماء الدين ولم تأت سورة من السور باسم سيدة من سيدات التاريخ غير اسم مريم وهي تحتوي على عدة آيات في ميلاد المسيح كما وردت آيات أخرى في هذا الحادث الجليل .

ولقد اصطفى الله آل عمران كما اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم على العالمين ، وكان عمران أبو مريم رجلاً تقياً ورعاً ، كما كانت زوجته صالحة تقية فلما حملت نذرت الى الله أن يكون حملها خادماً للهيكل فلما وضعت وتبين لها أنها أنثى ، وليس الذكر كالأنثى ، سمتها أمها مريم ولكن الله تقبلها في الهيكل بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً .

ولـم يعش عمران حتى تشب مريم وتكبر فتوفي وهي صغيرة فكفلها زوج خالتها النبي زكريا وكانت مريم صادقة مباركة يفيض الله عليها من رزقه من حيث تعلـم ولا تعلـم فكان زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً كثيراً فيسألها قائلاً : يا مريم أنّى لك هذا فتجيبه : هو من عند الله .

وكانت مريم تتعبد في الهيكل بعيداً عن أهلها وعن الناس ، قد اتبذت مكاناً شرقياً في الناصـرة من مدينة الجليل ، وكانت مخطوبة لرجل من أبناء عمومتها اسمه يوسف النجار ولكن لم يتـم زواجهما لأنها وهبت نفسها الى الله ولكن الله تعالى شاء أن يهب الى البشر من هذه الفتاة الطاهرة الكريمة التقية نبياً كريماً ، ورسولاً عظيماً ، ويجعل منها ومن ابنها آية للناس كما قال تعالى « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » لم يتـم زواج يوسف بمريم وبعث الله جبريل فبشرها بحملها بالسيد المسيح وهي في عزلتها تعبد الله وتخلص له العبادة والتقوى فعجبت لـذلك وأجفلت وقالت : كيف يكون لي ولد ولم يمسسني بشـر ، فكان الجواب عليها كما جاء في القرآن ، كما صور القرآن فزع مريم في سورة « مريم » حين جاءها الملك بهذه البشارة متمثلاً لها في صورة إنسان ظهر لها في عزلتها ، على حين غرة من أمرها فاستعاذت بالله منه فهدأ من روعها وأنبأها أنه مرسل من السماء ليهب لها غلاماً زكياً فجاء في هذه السورة « واذكر في الكتاب مريم الخ الآيات » وقـد اتفق انجيل لوقا وانجيل برنابا والقرآن الكريم في حادث ولادة المسيح على أنه آية للناس ولم يكن نتيجة اتصال مريم بخطيبها يوسف النجار ، كما جاء في بعض الأناجيل الاخرى كإنجيل متى الذي نصّ على أن « يسوع بن يوسف النجار

ابن يعقوب بن متان بن اليعاذر ، ابن اليهود بن أخيم » الى آخر هذا النسب الذي يصل الى يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام •

فالقرآن الكريم نزل بأن مريم عذراء وانه بعد بشارة الملك لها بهذا الغلام الزكي حملت به وانتبذت مكاناً بعيداً عن الناس ، وعانت وحدها آلام وضعه حتى تمنت الموت قبل هـذا كما جاء في القرآن الكريـم « فحملته فانتبذت به » الخ الآيات • خاطبهـا هذا الوليد الكريم في مهده وهدأ من روعها ، وطلب اليها أن تستعين على ضعفها بالرطب الجني ، والماء الهني أو خاطبها الملك •

وكان أن وقع ما خشيته مريم من اتهامها بالسوء ، فلما جاءت به الى قومها أنكروا عليها ، واتهمـوها بما هي براء منـه ، فصامت عن الكلام وتولى الطفل الصغير في مهده الدفاع عن أمه الطاهرة النقية كما جاء في القرآن الكريم •

٢ ـ أسرار الفاءات :

وعدناك أن تتحدث عن أسرار الفاءات في قوله تعالى « فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض » في هذه الفاءات دليل على أن حملها به ووضعها إياه لأنه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذي مضت اليـه والمخاض الذي هو الطلق بالفـاء وهي للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التي هي للتراخي والمهلة ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى : « قتل الانسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره » فلما كان بين تقديره في البطن وإخراجه مدة متراخية عطف ذلك بثم وهذا بخلاف قصة مريم عليها

السلام ، فانها عطفت بالفاء وقد اختلف الناس في مدة حملها فقيل : انه كحمل غيرها من النساء وقيل : لا بل كان مدة ثلاثة أيام ، وقيل : أقل ، وقيل : أكثر ، وهذه الآية مزيلة للخلاف لأنها دلت صريحاً على أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غـير مهلة وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل أخذاً بما دلت عليه الآية . هذا ما ورد في المثل السائر لابن الأثير ، وقد رد ابن أبي الحديد في الفلك الدائر على ذلك بما أوردناه في سورة النحل من أن التعقيب على حسب ما يصح إما عقلاً وإما عادة الى أن يقول : وليست الفاء للفور الحقيقي الذي معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان كما توهمه هذا الرجل ألا ترى الى قوله تعالى : « لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب » فإن العذاب متراخ عن الافتراء فلا يدل قوله تعالى في قصة مريم على أن الحمل والمخاض كانا في يوم واحد .

قلت :

قلت : بحث ابن أبي الحديد متجه والذي قاله ابن الأثير لا يخلو من ضعف وقد اختلف المفسرون في مدة حملها فقال ابن عباس تسعة أشهر كما في سائر النساء وقال عطاء وأبو العالية والضحاك سبعة أشهر وقال ابن عباس أيضاً في ساعة واحدة وقال آخر لثمانية أشهر وقال آخرون ستة أشهر وقال آخرون ثلاث ساعات ورجح الامام الرازي انه في ساعة وقال : « ويمكن الاستدلال له بوجهين » وذكر في الوجه الاول ما قاله ابن الأثير وذكر في الوجه الثاني : « ان الله تعالى قال في وصفه : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت أن عيسى عليه السلام لما قال الله له كن فكان وهذا مما

لا يتصور فيه مدة الحمل انما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفـة » •

ومذهب الشافعية أن أكثر مـدة الحمـل أربع سنين وأقله ستة أشهر وقد ولد الضحاك بن مزاحم لستة عشر شهراً وشعبة ولد لسنتين وهرم بن سنان ولد لأربع سنين ولـذلك سمي هرماً ومالك بن أنس حمل به أكثر من ثلاث سنين ، والحجاج بن يوسف ولد لثلاثين شهراً ، ويقال انه كان يقول : اذكروا ليلة ميلادي ، ويقال : إن عبد الملك بن مروان حمل به ستة أشهر والشافعي حمـل به أربع سنين أو أقـل ، والحنفية يقولون للشافعية : ما جسر إمامكم أن يظهر الى الوجود حتى توفي إمامنـا ، ويجيبهـم الشافعية بقولهـم : بل إمامكـم ما ثبت لظهور إمامنا •

القول الفصل في الفاء العاطفة :

والفاء في أصل وضعها للترتيب المتصل ، والترتيب على ضربين :

١ ــ الترتيب في المعنى : هو أن يكون المعطوف بها لاحقاً متصلاً بلا مهلة كقوله تعالى « خلقك فسواك فعدلك » والأكثر كون المعطوف بها متسبباً عما قبله كقولك : أملته فمال وأقمته فقام •

٢ ــ الترتيب في الذكر : وهو نوعان : أحدهما عطف مفصل على مجمـل هو هو في المعنى كقولك توضأ فغسل وجهـه ويديه ومسح رأسه ورجليه ومنه قوله تعالى : « ونادى نوح ربه فقال : رب إن ابني من أهلي ••• » الآية •

وتكون عطفاً لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن بالواو كقول امرىء القيس : « بين الدخول فحومل » •

وتختص الفـاء بعطف مالا يصلح كونه صلة عـلى ما هو صلة كقولك الذي يطير فيغضب زيد الذباب فلو جعلت موضع الفاء واواً أو غيرها فقلت الذي يطير ويغضب زيد ، أو ثم يغضب زيد الذباب لم تجز المسألة لأن يغضب زيد جملة لا عائد فيها على الذي فلا يصلح أن يعطف على الصلة لأن شرط ما يعطف على الصلة أن يصلح وقوعه صلة فإن كان العطف بالفاء لم يشترط ذلك لأنها تجعل ما بعدها مع ما قبلها في حكم جملة واحدة لإشعارها بالسببية كأنك قلت : الذي ان يطر يغضب زيد الذباب وقد يعطف بالفاء متراخياً كقوله تعالى : « والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » إما لتقدير متصل قبله وإما لحمل الفاء على ثم .

الفاء الفصيحة :

وقد تحذف الفاء مع المعطوف بها إذا أمن اللبس وكذلك الواو فمن حذف الفاء قوله تعالى : « فتوبوا الى بارئكـم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم » التقدير فامتثلتم فتاب عليكم وقوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » معناه فأفطر فعليه عدة وهذه العاطفة عـلى الجواب المحذوف يسميها أرباب المعاني « الفاء الفصيحة » قال صاحب الكشاف في قوله تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمـد لله » تقديره فعملا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله .

وقال صاحب المفتاح : « هو إخبار عما صنع بهمـا وعما قالاه كأنه قيل : نحن فعلنا الايتاء وهما فعلا الحمد وهـذا الباب كثير في القـرآن وهو من جملة فصاحتـه ولهـذا أسماها أرباب المعـاني الفاء الفصيحة .

أما ابن الحاجب فقد قال : ان المعتبر ما يعد في العادة مرتباً من غير مهلة فقد يطول الزمان والعادة تقضي في مثله بانتفاء المهلة وقد تقصر والعادة تقضي بالعكس فإن الزمن الطويل قد يستغرب بالنسبة الى عظم الأمر فتستعمل الفاء وقد يستبعد الزمن القريب بالنسبة الى طول أمر يقضي العرف بحصوله في زمان أقل منه ، والذي يظهر من كلام الجماعة أن استعمال الفاء فيما تراخى زمانه ووقوعه من الأول سواء قصر في أولا وإنما هو بطريق المجاز » .

وقال الجرمي : لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الامطار بدليل « بين الدخول فحومل » مطرنا مكان كذا فمكان كذا إذا كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد واعترض على معنى التعقيب بقوله تعالى : « الذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » فإن إخراج المرعى لا يعقبه جعله غثاء أحوى أي يابساً أسود والجواب من وجهين :

آ ــ ان جملة فجعله غثاء أحوى معطوفة على جملة محذوفة وان التقدير فمضت مدة فجعله غثاء .

ب ــ ان الفاء نابت عن ثم والمعنى جعله غثاء وسيأتي تفصيل ذلك في حينه .

٣ ــ لماذا انقشع الحزن عنها بسبب وجود الطعام والشراب؟

ولا بد هنا من الاجابة على سؤال قد يرد فإن ظاهر الكلام يدل على أن حزنها سينقشع بسبب وجود الطعام والشراب وذلك في قوله تعالى : « فكلي واشربي وقري عيناً » ومعلوم بأن حزنها لم يكن بسبب ذلك ، ولا هو ناجم عن فقدان الطعام والشراب ولكن السر في

ذلك أن التسلية ونسيان الحزن لم يقفا بها من حيث أنهما طعام وشراب ولكن من حيث أنهما معجزة باهرة ترهص لها ، وتدحض باطل القوم وتثبت كذبهم وإرجافهم ، كما تثبت أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة وأنها بمعزل عما قرفوها به ثـم ان الامور الخارجـة عن العادات لا يمكن إلا أن تكون إلهية ولحكمة نجهلها ومن ذلك ولادتها عيسى من غير فحل وهذا من عجائب الاساليب .

لماذا منعت من الكلام ؟

وهناك سؤال آخر قد يثب الى الذهن بعد هذا كله وهو : ان الله أمرها بأن تمتنع من الكلام لأمرين :

آ ــ أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها وأرهص للمعجزة وبالتالي لإزالة عوامل الريبة المؤدية الى اتهامها بما يشين .

ب ــ تشريع الكراهية لأية مجادلة مع السفهاء وقد رمق الشاعر سماء هذا المعنى فقال :

يخاطبني السفيه بكل قبح   وأكره أن أكون له مجيبا

٤ ــ مواضع زيادة الباء :

آ ــ في الفاعل وزيادتها تكون واجبة في فعل التعجب الوارد على صيغة الأمر نحو أحسن بزيد وعلة الزيادة إصلاح اللفظ وإعرابه أحسن فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض لأجل الصيغة وبزيد الباء حرف جر زائد وزيد فاعل

مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد وتكون غالبة وذلك في فاعل كفى التي بمعنى حسب والتي هي فعل لازم نحو كفى بالله شهيداً ولا تزاد الباء في فاعل كفى التي بمعنى أجزأ أو أغنى ولا التي بمعنى وقى والأولى متعدية لواحد نحو :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

والثانية متعدية لاثنين كقوله تعالى « وكفى الله المؤمنين القتال » .

قال ابن هشام : « ووقع في شعر المتنبي زيادة الباء في فاعل كفى المتعدية لواحد قال :

كفى ثعلاً فخراً بأنك منهم
ودهر" لأن أمسيت من أهله أهل

ولم أر من انتقد عليه » وقد استعجل ابن هشام بهذا الحكم فقد انتقد عليه ذلك أبو البقاء في شرحه الممتع للديوان وأفاض في إعراب البيت كما انتقد المعري أيضاً ولسنا بصدد التحقيق في ذلك فلعلك ترجع الى شرح أبي البقاء والى مغني اللبيب .

ب ـ في المفعول به نحو قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » « وهزي إليك بجذع النخلة » وقول أبي الطيب :

كفى بجسمي نحولاً انني رجل
لولا مخاطبتي إياك لم ترني

جـ ـ في المبتدأ نحو بحسبك درهم وخرجت فإذا بزيد وكيف بك فكيف اسم استفهام خبر مقدم وبك الباء حرف جر زائد والكاف في محل جر بالباء وفي محل رفع بالابتداء وقد نابت الكاف عن أنت لدخول حرف الجر والمعنى كيف أنت إذا كان الأمر حاصلاً .

د ـ في الخبر وهو ينقاس في غير الموجب نحو ليس زيد بقائم وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون وفي غير الموجب متوقف على السماع.

هـ ـ في الحال المنفي عاملها كقوله :

فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسيّب منتهاها

و ـ في التوكيد بالنفس والعين نحو جاء زيد بنفسه وبعينه .

٥ ـ مبحث هام حول كان :

قوله تعالى « كيف نكلم من كان في المهد صبياً » جرينا في اعرابها على أنها ناقصة واسمها مستتر تقديره هو وصبياً خبرها ومن اعربها كذلك الزمخشري ووعدنا أن ننقل الخلاف الذي ثار حولها لطرافته ولما فيه من رياضة ذهنية :

أما أبو البقاء فقد أعربها زائدة أي من هو في المهد وصبياً حال من الضمير في الجار والضمير المنفصل المقدر كان متصلاً بكان وقيل كان الزائدة لا يستتر فيها ضمير فعلى هذا لا تحتاج الى تقدير هو بل يكون الظرف صلة من وقيل ليست زائدة بل هي كقوله « وكان الله عليماً حكيماً » وقيل هي بمعنى صار وقيل هي التامة ومن بمعنى الذي وقيل شرطية وجوابها كيف .

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : في كان هذه أقوال :

آ ــ انها زائدة وهو قول أبي عبيد أي كيف نكلم من في المهد ، وصبياً على هذا نصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور والواقع صلة .

ب ــ انها تامة بمعنى حدث ووجد والتقدير كيف نكلم من وجد صبياً وصبياً حال من الضمير في كان .

حـ ــ انها بمعنى صار أي كيف نكلم من صار في المهد صبياً ، وصبياً على هذا خبرها .

د ــ انها الناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع كقوله تعالى « وكان الله غفوراً رحيماً » ولذلك يعبر عنها بأنها ترادف لم يزل .

وقال ابن الأنباري في « أسرار العربية » كان هنا تامة وصبياً منصوب على الحال ولا يجوز أن تكون ناقصة لأنه لا اختصاص لعيسى عليه السلام في ذلك لأن كلاً كان في المهد صبياً ولا عجب في تكليم من كان فيما مضى في حال الصبا .

وبعد كتابة ما تقدم وقعت على ما قاله أبو طاهر حمزة في رسالة له سماها «المنيرة المعربة عن شرف الاعراب » وأنقل لك خلاصته ففيه وجاهة وطرافة وهي تؤيد ما ذهبنا اليه من بقاء كان على وجهها قال : « لكن الوجه ان كان من قصد الخبر الآن عن حالهم لأنهم أكبروا ذلك

في وقت كونه في المهد فكأنه قال : أكبروا تكليم صبي كائن في المهد طفلاً فيكون الكون من لفظ المخبر لا من لفظهم كقول الحطيئة يصف الرياض :

يظل بها الشيخ الذي كان فانيا
يدب على عوج له نخرات

فلم يك فانياً قبل دبيبه بل وقت دبيبه فذكر الكون من لفظ المخبر » •

قلت :

قلت : وهذا كله دندنة في غير طائل والأجود ما اخترناه واختاره الزمخشري ويأتي في المرتبة بعده أن تكون زائدة أما تقديرها تامة فبعيد جداً لأن عيسى لم يخلق ابتداء في المهد •

٦ ـ **بغياً** : أصله بغوياً اجتمعت فيه الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء ثم أدغم الياء في الياء وإلا لو كان فعيلاً بمعنى فاعل لحقته التاء وقال البيضاوي : « وهو فعول من البغي قلبت واوه وأدغمت ثم كسرت العين اتباعاً ولذلك لم تلحقه التاء أو فعيل بمعنى فاعل لم تلحقه التاء لأنه للمبالغة أو للنسب كطالق » وقال بعضهم : البغي خاص بالمؤنث فلا يقال رجل بغي انما يقال امرأة بغي لكن نقل بعضهم عن المصباح انه يقال رجل بغي كما يقال امرأة بغي •

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ
لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ
ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾
أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

الاعراب :

(ذلك عيسى بن مريم قول الحقّ الذي فيه يمترون) ذلك اسم اشارة مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم بدل وقول الحق مفعول مطلق لفعل محذوف أي قلت ، أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقاً واختار الزمخشري أن يكون منصوباً على المدح بفعل محذوف تقديره امدح ، هذا وقد فرق أبو حيان بين الاعرابين فقال : « وانتصاب قول على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي هذه الأخبار عن عيسى بن مريم ثابت صدق ليس منسوباً لغيرها أي انها ولدته من غير مس بشر كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل أي أقول الحق وأقول قول الحق فيكون الحق هو الصدق وهو من إضافة

الموصوف الى الصفة » ، والذي نعت للقول إن أريد به عيسى وسمي قولاً كما سمي كلمة لأنه عنها نشأ أو صفة للحق نفسه وفيه متعلقان بيمترون وجملة يمترون صلة الموصول . (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) ما نافية وكان فعل ماض ناقص ولله خبرها المقدم وأن يتخذ مصدر مؤول اسم كان ومن زائدة وولد مجرور بمن لفظاً مفعول به منصوب محلاً وسبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف . (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) تقدم اعراب أمثالها كثيراً ونعيد اعراب فيكون الفاء استئنافية ويكون مرفوع أي فهو يكون وكان هنا تامة وقرىء بنصب فيكون بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد الطلب. (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة ولذلك كسرت همزة إن وقرىء بفتحها بحذف حرف الجر وان واسمها وربي خبرها وربكم عطف على ربي فاعبدوه الفاء الفصيحة وقد تقدم بحثها واعبدوه فعل أمر وفاعل ومفعول به وهذا مبتدأ وصراط خبر ومستقيم صفة لصراط والجملة حالية وسمي القول صراطاً مستقيماً تشبيهاً له بالطريق الآيل للنجاة . (فاختلف الأحزاب من بينهم) الفاء استئنافية واختلف الأحزاب فعل وفاعل ومن بينهم حال من الأحزاب والمعنى حال كون الأحزاب بعضهم وتفصيل اختلافهم وأنواع فرقهم يرجع اليها في الملل والنحل للشهرستاني وفي الفصل بين الملل والنحل لابن حزم الاندلسي وفي المطولات. (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) الفاء عاطفة وويل مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لتضمنها معنى الدعاء وللذين خبر ويل وجملة كفروا صلة ومن مشهد متعلقان بويل ومشهد مصدر ميمي أي من شهودهم بمعنى حضورهم ويجوز أن يكون اسم زمان أو مكان . (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أسمع فعل ماض أتى على صيغة الأمر أو مبني على

الفتح المقدر على الآخر الساكن والباء حرف جر زيدت في الفاعل الذي أتى ضمير نصب أو جر لمناسبة الباء وقد تقدم بحث التعجب مفصلاً والتعجب هنا مصروف الى المخاطبين ، لكن مخففة مهملة والظالمون مبتدأ وفي ضلال خبر ومبين صفة وأوقع الظاهر موقع المضمر اشعاراً بأن ظلمهم بلغ الغاية وأربى على النهاية ويوم يأتوننا متعلق بأسمع وأبصر . (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) أنذرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول ويوم الحسرة ظرف متعلق بأنذرهم والأحسن أن يكون مفعولاً به أي خوّفهم نفس اليوم وإذ متعلق بالحسرة والمصدر المعرف بأل يعمل في المفعول الصريح فكيف بالظرف ويجوّز أن يكون بدلاً من يوم الحسرة فيكون معمولاً لأنذر وبذلك يتأكد أن يوم الحسرة مفعول به لا ظرف ، وهم الواو حالية وهم مبتدأ وفي غفلة خبر وهم لا يؤمنون جملة حالية منتظمة مع سابقتها والحالان إما من الضمير المستتر في قوله في ضلال مبين أي استقروا في ضلال مبين على هاتين الحالين السيئتين فتكون جملة وأنذرهم اعتراضاً واما من المفعول في أنذرهم على هاتين الحالين السيئتين ، (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يُرجعون) إن واسمها ونحن تأكيد لاسم نا الذي هو بمعنى نحن لأنه بمعناه وجملة نرث الأرض خبر إنا ومن عطف على الأرض وعليها متعلقان بمحذوف صلة من والينا متعلقان بيرجعون ويرجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ولك في الواو بقوله والينا أن تجعلها حالية أو عاطفة .

البلاغة :

المجاز المرسل في قوله « لكن الظالمون في ضلال مبين » والعلاقة الحالية والمراد جهنم فأطلق الحال وأريد المحل لأن الضلال لا يحل فيه

وإنما يحل في مكانه وكذلك قوله : وهم في غفلة والغفلة لا يحل فيها أيضاً وإنما يحل بالمتالف التي توقع الغفلة أصحابها فيها •

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾
يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا
﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾
يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا
﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي
مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ
رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ
لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

اللغـــة :

(الصّدّيق) : من أبنيـــة المبالغة ونظيره الضحّيك والنّطّيق والمراد أنه بليغ الصدق في أقواله وأفعاله وفي تصديق غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله •

(مليا) : دهراً طويلاً •

(حفياً) : في المختار : « وحفي به بالكسر حفاوة بفتح الحاء فهو حفي أي بالغ في إكرامه وإلطافه والعناية بأمره ، والحفي أيضاً المستقصي في السؤال ومن الأول قوله تعالى : « انه كان بي حفياً » ومن الثاني قوله تعالى : « كأنك حفي عنها » • » •

الاعراب :

(واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً) الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وفي الكتاب متعلقان باذكر وابراهيم مفعول به وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وصديقاً خبر كان الأول ونبياً خبرها الثاني • (إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) إذ اختلف المعربون فيها فعلقها الزمخشري وأبو البقاء وغيرهما بكان أو بصديقاً نبياً أي كان جامعاً لخصائص النبيين والصديقين حين خاطب أباه تلك المخاطبات وهذا مبني على عمـــل كان الناقصة وأخواتها في الظرف غير خبرها واسمها وفيه خلاف وأعربها الزمخشري وأبو البقـــاء وغيرهما أيضاً بدلاً من ابراهيم بناء عـــلى حذف مضاف أي نبأ ابراهيم فتكون جملة إنه كان صديقاً نبياً معترضة وفيه أيضاً انه مبني على تصرف إذ

وقد تقدم بحثها والقول بأنها لا تتصرف وجملة قال مضافة اليها الظرف ولأبيه متعلقان بقال ويا حرف نداء وأبت منادى مضاف لياء المتكلم المعوض عنها بالتاء وقد تقدمت الاشارة الى ذلك ولا يجوز الجمع بين المعوض والمعوض عنه فلا يقال يا أبتي ويقال يا أبتا لكون الألف بدلاً من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة وسيرد المزيد من هذا البحث في باب الفوائد مع ترجمة مستفيضة لسيبويه • ولم أصلها اللام الجارة وما الاستفهامية وقد تقدم أن ألفها تحذف إذا سبقها حرف جر وتنزل اللام معها منزلة الكلمة الواحدة فتكتب الألف ياء فتقول إلام وعلام وحتام وهي متعلقة مع مجرورها بتعبد وفاعل تعبد ضمير مستتر تقديره أنت وما اسم موصول مفعول به وجملة لا يسمع صلة وما بعدها معطوفة عليها وشيئاً مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدم تقريره • (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) يا أبت تقدم اعرابها وان واسمها وجملة قد جاءني خبرها ومن العلم متعلقان بجاءني ومن للتبعيض وما اسم موصول فاعل وجملة لم يأتك صلة فاتبعني الفاء الفصيحة أي ان شئت الهداية والنجاة واتبعني فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به واهدك جواب الطلب ولذلك جزم والكاف مفعول به وصراطاً مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض وسوياً صفة لصراطاً • (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً) لا ناهية وتعبد فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت والشيطان مفعول به وإن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر وللرحمن متعلقان بعصياً وعصياً خبر كان • (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) إن واسمها وجملة أخاف خبرها وأن يمسك ظرف مؤول مفعول به لأخاف وعذاب فاعل يمسك ومن

الرحمن صفة لعذاب فتكون عطف على أن يمسك واسم تكون مستتر تقديره أنت وللشيطان متعلقان بولياً ، وولياً خبر تكون ومعنى الولي هنا القرين • (قـال : أراغب أنت عن آلهـتي يا ابراهيم) الهمـزة للاستفهام الانكاري وراغب مبتدأ وسوغ الابتداء اعتماده على أداة الاستفهام وأنت فاعل سد مسدّ الخبر وأعربه الزمخشري خبراً مقدماً وأنت مبتدأ مؤخراً ولا موجب لـذلك بعد وجود القاعـدة وسيأتي تقريرها في باب الفوائد وما تخللها من أبحاث تذهل الألباب ، ويا حرف نداء وابراهيم منـادى مفرد علم مبني عـلى الضم • (لئن لـم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً) اللام موطئة للقسم وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتنته فعل مضارع مجزوم بلم ولأرجمنك اللام واقعة في جواب القسم كما هي القاعدة في اجتماع القسم والشرط وأرجمنك فعل مضارع مبني على الفتح والفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به واهجرني الواو عاطفة واهجرني معطوف على محذوف عند من يمنع عطف الانشائية على الخبرية والتقـدير فاحذرني واهجرني ، على أن سيبويه يجيز عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فليس هـذا التقدير بلازم وملياً ظرف زمان متعلق باهجرني وقيل هو حال من فاعل اهجرني ومعناه سالماً سوياً لا يصيبك من معرة • (قـال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً) سلام مبتـدأ وسوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء والمراد بالدعاء هنا التوديع والازماع على الفراق وعليك خبر وسأستغفر السين للاستقبال وأستغفر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا وإنما جاز له الاستغفار للكافر الرجاء بأن يوفق الى الايمان الموجب لغفران الذنوب ولك متعلقان بأستغفر وربي مفعول به وجملة إنه تعليلية لا محل لها وإن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وحفياً خبرها وبي متعلقان بحفياً • (وأعتزلكم

وما تدعون من دون الله) الواو عاطفة وأعتزلكم أي أتركـكم مرتحلاً من بلادكم والفاعل مستتر والكاف مفعول به وما الواو حرف عطف وما يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية • وعلى كل حال موضعها نصب عطف على الكاف أو مفعول معه وجملة تدعون صلة ومن دون الله حال • (وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً) وأدعو عطف على أعتزلكم وفاعله مستتر تقديره أنا وربي مفعول به وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء واسمها مستتر وأن وما في حيزها هي الخبر واسم أكون مستتر تقديره أنا وبدعاء متعلقان بشقياً وربي مضاف لدعاء وشقياً خبر أكون • (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً) لما ظرفية حينية أو رابطة واعتزلهم فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به وما يعبدون من دون الله تقدم اعرابها أي تركهم فعلاً من بابل الى الأرض المقدسة وجملة وهبنا لا محل لها لأنها جواب لما وله متعلقان بوهبنا واسحق مفعول وهبنا ويعقوب عطف على اسحق وكلاً مفعول به أول لجعلنا ونبياً هو المفعول الثاني • (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً) ووهبنا عطف على وهبنا الأولى ولهم متعلقان بوهبنا أي لابراهيم وولديه ومن رحمتنا متعلقان بوهبنا أيضاً وجعلنا عطف على وهبنا ولهم في موضع المفعول الثاني لجعلنا ولسان صدق هو المفعول الاول وعلياً صفة للسان وهو الثناء الحسن كما سيأتي في باب البلاغة •

البلاغة :

١ ـ فن الاستدراج :

بلغت هذه الآيات ذروة البلاغة ، وانطوت على معاجز تذهل العقول فأول ما يطالعنا منها فن يعرف بالاستدراج وهو يقوم على

مخادعة المخاطب تقوم فيه الاقوال مقام الأفعال فلا يزال يترفق بالمخاطب ويداوره ويلاينه حتى يسقط في يده ويستلين ويعلن استسلامه وهو يشبه أصحاب الجدل في الكلام والمنطق والفلسفة ولكن أولئك يتصرفون في المغالطات القياسية أما الشاعر أو الكاتب فهو في استدراجه يتصرف في المغالطات الخطابية . وقد أحسن الامام الزمخشري في تحليل هذا الفن وان لم يسمه فحلل هذا الفصل تحليلاً عجيباً وقد شاء ضياء الدين بن الأثير الذي استخرج هذا الفن أن يغير على فصل الزمخشري فنسفه برمته ونسبه اليه وسننصف الزمخشري من سالبيه فننقل فصله برمته وعلى طوله فهو كالحسن غير مملول .

« انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق ، وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا ... وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطئه طلب منبه على تماديه ، موقظ لإفراطه وتناهيه لأن المعبود لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على الثواب والعقاب ، نافعاً ضاراً ، إلا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهّله للعبادة ووصفه بالربوبية ، ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة ... فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له ، وثناءك عليه ، ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلاً أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها ، ثم ثنّى بدعوته الى الحق مترفقاً به متلطفاً فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال :

إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف ، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضلّ وتتيه ، ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن ، الذي جميع ما عندك من النعم من عنده ، وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال ، وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان إلا أن ابراهيم عليه السلام لإمعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته ، كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه ، ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له ، وأن العذاب لاصق به ولكنه قال : أخاف أن يمسك عذاب ، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم ... فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم ؛ وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله « يا أبت » توسلاً إليه واستعطافاً ... أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بني وقدم الخبر على المبتدأ في قوله « أراغب أنت » لأنه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته » .

٢ ـ المجاز المرسل :

وفي قوله تعالى « وجعلنا لهم لسان صدق علياً » مجاز مرسل من إطلاق اسم الآلة وهي اللسان لأنها آلة الكلام وإرادة ما ينشأ عنها فعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهو العطاء فهو مجاز علاقته السببية .

الفوائد :

١ ـ المبتدأ الصفة :

قد يرفع الوصف بالابتداء إن لم يطابق موصوفه تثنية أو جمعاً فلا يحتاج الى خبر بل يكتفي بالفاعل أو نائبه فيكون مرفوعاً به ساداً مسدّ الخبر بشرط أن يتقدم الوصف نفي أو استفهام وتكون الصفة حينئذ بمنزلة الفعل فلا تثنى ولا تجمع ولا توصف ولا تصغر ولا تعرف ويتناول الوصف اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والمنسوب ولا فرق بين أن يكون الوصف مشتقاً نحو : ما ناجح الكسولان وهل محبوب المجتهدون أو اسماً جامداً فيه معنى الصفة نحو هل صخر هذان المعاندان فصخر مبتدأ وهو اسم جامد بمعنى الوصف لأنه بمعنى صلب قاس وهذان فاعل لصخر أغنى عن الخبر ، وما وحشي أخلاقك فوحشي مبتدأ وهو اسم جامد فيه معنى الصفة لأنه اسم منسوب فهو بمعنى اسم المفعول وأخلاقك نائب فاعل له أغنى عن الخبر ولا فرق بين أن يكون النفي والاستفهام بالحرف أو بغيره نحو : ليس كسول ولداك وغير كسول أبناؤك وكيف سائر أخواك غير انه مع ليس يكون الوصف اسماً لها والمرفوع بعده مرفوعاً

به ساداً مسد الخبر ومـع غير ينتقـل الابتداء اليهـا ويجر الوصف بالاضافة اليها ويكون ما بعـد الوصف مرفوعاً به ساداً مسد الخبر وبذلك ينحل الإشكال الوارد في بيت أبي نواس :

غـير مأسوف على زمن ينقضي بالهـم والحزن

فغير مبتدأ لاخبر له بل لما أضيف اليه مرفوع يغنيعن الخبر وذلك لأنه في معنى النفي والوصف بعده مجرور لفظاً وهو في قوة المرفوع بالابتداء أي فحركة الرفع التي على غير هي التي يستحقها هذا الاسم بالاصالة لكنه لمـا كان مشغولاً بحركة الجر لأجـل الاضافة جعلت حركته التي كانت له بطريق الأصالة من حيث هو مبتـدأ على بطريق العارية وعلى زمن في محل رفع نائب فاعـل لمأسوف سد مسد الخبر وجملة ينقضي بالهم والحزن صفة لزمن وقد أورد بن هشام هذا البيت في مغني اللبيب وأورد وجهين آخرين تراهما بعيدين كل البعد وخاصة الثالث الذي اعترف ابن هشام بتعسفه فليرجع اليهما •

فإن لم يقع الوصف بعد نفي أو استفهام فلا يجوز هذا الاستعمال فلا يقال مجتهد غلاماك بل تجب المطابقة نحو مجتهدان غلاماك وحينئذ يكون خبراً مقدماً وما بعده مبتدأ مؤخراً وأجازه الكوفيون لأنهم لم يشترطوا اعتماد الصفة على النفي والاستفهام واستشهدوا بقوله :

خبـير بنو لهب فـلا تك ملغياً مقالة لهبي إذا الطـير مرت

فأعربوا قوله بنو لهب فاعلاً لخبير دون أن يعتمد عـلى نفي أو استفهام واعتذر البصريون عن البيت بأن خبيراً على وزن فعيل وفعيل على وزن المصدر كصهيل وزئير والمصدر يخبر به عن المفرد أو المثنى

والجمع فأعطي حكم ما هو على زنته فهو على حد قوله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهـير » ، وقد شايع أبو الطيب الكوفيين لأنه من الكوفة ولأن له كلفاً بمراغمة النحاة كما أشرنا الى ذلك غير مرة فقال بيته الممتع:

دع النفس تأخـذ وسعها قبل بينها
فمفتـرق جاران دارهمـا العمـر

فمفترق مبتدأ وجاران فاعل سد مسد الخبر ولا يجوز أن تقول إن مفترقاً خبر مقـدم لأنه كان يجب أن يطابق قوله جاران والحاصل :

انه إذا رفع الوصف ما بعده فله ثلاثة أحوال :

١ ـ وجوب الابتداء إذا لم يطابق ما بعده في التثنية والجمع نحو أقائم أخواك .

٢ ـ وجوب الخبرية إذا طابق ما بعده في التثنية والجمـع نحو أقائمان أخواك .

٣ ـ جواز الوجهين إذا طابق ما بعده في التذكير والتأنيث نحو : أقائم أخوك وأقائمة أختك .

ومحل جواز الوجهين ما لم يوجد مانع وجعل بعض العلماء من الموانع في قوله تعالى « أراغب أنت عن آلهتي » فتتعين الابتدائية للزوم الفصل اذا جعلته خبراً بينه وبين معمولـه وهو الجار والمجرور وردّ ذلك آخرون مدافعين عن الزمخشري بأن قوله عن آلهتي متعلق آخر أما الزمخشري وابن الحاجب فقد اشترطا في الأصل أن يكون المرفوع اسماً ظاهراً ولكن الزمخشري نفسه أجاز إعراب أنت فاعلاً لراغب .

٢ ـ عود إلى « يا أبت » :

تحدثنا عن اللغات في المنادى المضاف الى ياء المتكلم فأما التاء في يا أبت ويا أمت فتاء التأنيث بمنزلة التاء في قائمة وامرأة، قال سيبويه: سألت الخليل عن التاء في يا أبت لا تفعل ويا أمت فقال هذه التاء بمنزلة الهاء في خالة وعمة يعني أنها للتأنيث والذي يدل على أنها للتأنيث أنك تقول في الوقف يا أبه ويا أمه فتبدلها هاء في الوقف كقاعد وقاعده على حد خال وخاله وعم وعمه ودخلت هذه التاء كالعوض من ياء الاضافة والأصل يا أبي ويا أمي فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة قبلها ثم دخلت التاء عوضاً عنها ولذلك لا تجتمعان فلا تقول يا أبتي ولا يا أمتي لئلا يجمع بين المعوض والمعوض عنه ولا تدخل هذه التاء فيما له مؤنث من لفظه فلو قلت في يا خالي ويا عمي يا خالت ويا عمت لم يجز لأنه كان يلتبس بالمؤنث فأما دخول التاء على الأم فلا اشكال فيها لأنها مؤنثة • وأما دخولها على الأب فلمعنى المبالغة كما في راوية وعلامة •

٣ ـ من هو سيبويه :

وقد تردد اسم سيبويه كثيراً ولا بد لنا من القاء نظرة عاجلة على قصة حياته لأن فيها فائدة ولأنه ترك لنا في نحو البصريين الكتاب الذي خلد الى يومنا هذا ، وكان كتاب النحو الجامع حتى قيل فيه قرآن النحو •

فهو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي وهي نسبة الى الحارث بن كعب قبيلة يمنية وهذه النسبة بالولاء فقد كان سيبويه فارسياً فأما لقبه فسيبويه وقد غلب عليه وهو فارسي مركب مزجي من سيب أي التفاح وبوي أي الرائحة فمعناه رائحة التفاح على قاعدة

الأوصاف باللغة الفارسية سمي بذلك لطيب رائحته أو لجماله وحسن خلقه وقيـل مركب من سيب وويه اسم صوت ويذكر بعض العارفين باللسان الفارسي ان ويه في هذا اللسان معناها مثل وشبه ، فمعنى التركيب مثل التفاح وهكذا نفطويه : مثل النفط وعمرويه : مثل عمرو .

حكم سيبويه :

والجاري على الألسنة سيبويه بفتح الباء والواو والهاء مكسورة وهذا حكم شائع في الاعلام المختومة بويه جاء في الكتاب قول سيبويه :

« وعمرويه عندهم بمنزلة حضرموت في انه ضم الآخر الى الأول وعمرويه في المعرفة مكسور في حال الجر والرفع والنصب غير منون وفي النكرة تقول هذا عمرويهٍ آخر ورأيت عمرويهٍ آخر » وتراه في الكتاب اقتصر على المشهور عند الناس وقد ينطق سيبويه بضم الباء وفتح الياء وسكون الهاء ويعزى هذا الى العجم تجنبوا الصورة الأولى لأن ويه صوت ندبة .

مولده ونشأته :

ولـد سيبويه في البيضاء من كورة اصطخر بفارس من أبوين فارسيين ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ ولادته وقد انتقل الى البصرة فتلقى العلم فيها وكانت هي والكوفة المصرين المبرزين في علوم العربية والدين ولا يعرف شيئاً عن أسرته إلا ما ذكر أنه مات بين يدي أخيه ولا ندري هل انتقلت معه الى البصرة أسرته ونحن لا نرى لأبيه ذكراً ونرى بشاراً يهجوه حين اشتهر أمره فيقول :

ظللت تغني سادراً في مساءتي وأمك بالمصرين تعطي وتأخـذ

ويظهر من هذا أن أمه كانت معه في العراق ولا ندري هل تزوج وفي حديث للفراء أن سيبويه كانت له جارية تخدمه وفي طبقات النحاة أن جاريته مزقت جزازات كتابه فطلقها فهل يريد بجاريته زوجته أو يريد بتطليقها إخراجها من بيته ؟ والظاهر انه لم يكن له زوج ولا ولد وآية ذلك انه بعد أن أخفق في بغـداد في قصته مع الكسائي ــ على ما يأتي ــ لم يعد الى منزله بالبصرة •

كيف طلب النحو ؟

اختلف سيبويه الى حماد بن سلمـة شيخ الحديث والرواية في البصرة في عصره فألقى عليه حماد الحديث : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد من أصحابي إلا أخذت عليه ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه ، وكان قد شدا شيئاً من النحو : ليس أبو الدرداء فقال حماد لحنت يا سيبويه ، فقال سيبويه : لا جرم لأطلبن علماً لا تلحنني فيه أبداً ، واتجه لدرس النحو فلزم الخليل وقد ظن سيبويه أن الواجب رفع ما بعد ليس ليكون اسماً لهـا ولـم يكن عرف أسلوب ليس في الاستثناء وقد عرض سيبويه لذلك في الكتاب وأشبعه بياناً وتعليلاً •

بوادر نبوغه وحرية فكره :

وكان أكثر تلقيه عن الخليل حتى انه إذا قال : قال أوسألته فإنه يعني الخليل ، وكان الخليل قد عرف له قدره وثقابة ذهنه وقوة فطنته فأبثه علمه ونصح له في التعليم ، وأخذ عن غير الخليل : أخذ عن عيسى ابن عمر ويونس بن حبيب والأخفش الكبير أبي الخطاب عبد الحميد بن عبدالمجيد ويذكر أبو زيد الأنصاري انه اذا قال سيبويه: أخبرني الثقة فإنما يعنيه وأول ماظهر من بوادر نبوغه ماحدث به الأخفش قال: كنت عند يونس

فقيل له: قد جاء سيبويه فقال أعوذ بالله منه فجاء فسأله فقال: كيف تقول: مررت به المسكين ؟ فقال جائز أن أجره على البدل من الهاء فقال له : فمررت به المسكين بالرفع على معنى المسكين مررت به فقال هذا خطأ لأن المضمر قبل الظاهر فقال له : إن الخليل أجاز ذلك وأنشد فيه أبياتاً فقال : هو خطأ ، قال فمررت به المسكين بالنصب ؟ فقال جائز ، فقال على أي شيء ؟ فقال على الحال ، فقال أليس أنت أخبرتني أن الحال لا تكون بالألف واللام ، فقال : صدقت ثم قال لسيبويه : فما قال صاحبك فيه ؟ يعني الخليل ، فقال سيبويه : قال انه ينصب على الترحم، فقال : ما أحسن هذا ، ورأيته مغموماً بقوله نصبته على الحال . وكان سيبويه مع إجلاله للخليل يزيف قوله ففي الكتاب : « وزعم الخليل انه يجوز أن يقول الرجل : هذا رجل أخو زيد إذا أردت أن تشبهه بأخي زيد وهذا قبيح لا يجوز إلا في موضع الاضطرار ولو جاز هذا لقلت هذا قصير الطويل تريد مثل الطويل فلم يجز هذا كما قبح أن تكون المعرفة حالاً كالنكرة إلا في الشعر » .

بين سيبويه والكسائي :

وأتى الحظ والسعادة الكسائي وأصحابه فحلوا في بغداد محلاً رفيعاً وكان منهم مؤدبو أولاد الخلفاء وكانوا عند البصريين في النحو والادب أقل منهم معرفة وأضعف أسباباً وقد رأى سيبويه ــ وهو إمام البصريين ــ أن يزاحمهم في مركزهم فقصد بغداد وعرض على البرامكة أن يجمعوا بينه وبين الكسائي ويناظره وكان واثقاً انه سيكون له الفلج والظفر وبلغ الكسائي مقدم سيبويه وخشي مغبة المناظرة أن يزول سلطانه في بغداد فأتى جعفر بن يحيى بن برمك والفضل أخاه وقال : أنا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل إنما قدم ليذهب محلي قالا

فاحتل لنفسك فإنا سنجمع بينكما ويبدو أن فارسية سيبويه يقابلها فارسية الكسائي فهو أيضاً فارسي من ولد بهمن بن فيروز وكان أسدياً بالولاء فلم يكن لسيبويه ما يجعله أقرب الى قلوب البرامكة من الكسائي فدبر هو وأصحابه خطة كان لها ما توقعوه وهي : أن يتقدمه في مجلس المناظرة أصحابه فيسألوا سيبويه أسئلة ويتألبوا عليه حتى اذا فترت همته وبان كلاله جاء الكسائي فوجد قرناً ذهب حده وعزب نشاطه فكان له ما أراد من صرعه وقد تقدمت قصة المسألة الزنبورية في موضع آخر من هذا الكتاب .

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾
وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ
أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ
وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ
رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا
﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ
وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ
سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩

الاعراب :

(واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً) اذكر فعل أمر وفي الكتاب جار ومجرور متعلقان باذكر وموسى مفعول به وان واسمها وجملة كان خبرها ومخلصاً خبر كان وكان رسولاً نبياً عطف على كان الأولى . (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً) وناديناه عطف على ما سبق وهو فعل وفاعل ومفعول به ومن جانب متعلقان بناديناه والطور مضاف اليه والأيمن صفة لجانب قالوا لأنه كان يلي يمين موسى حين أقبل من مدين وقربناه عطف على ناديناه ونجياً حال من أحد الضميرين في ناديناه أو قربناه وهو فعيل بمعنى فاعل أي مناجياً . (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) ووهبنا عطف أيضاً وله متعلقان بوهبنا ومن رحمتنا متعلقان بوهبنا أيضاً ومعنى من هنا التبعيض أي بعض رحمتنا أو للتعليل أي من أجل رحمتنا وأخاه مفعول به لوهبنا وهارون بدل ونبياً حال . (واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً) اعرابها ظاهر وقد تقدم وجملة انه كان تعليلية . (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً) جملة يأمر خبر كان وأهله مفعول به وبالصلاة متعلقان بيأمر وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو وعند ربه متعلقان بمرضياً ومرضياً خبر كان اجتمعت الياء والواو فقلبت الواو ياء وأدغمت في الأخرى . (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً) تقدم اعراب مثيلاتها ولا بأس بذكر ما قاله الزمخشري بصدد ادريس وهذا نصه :

« قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لأنه لو كان إفعيلاً من الدرس لم يكن فيه

إلا سبب واحد وهو العلمية فكان منصرفاً فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريباً من ذلك فحسبه الراوي مشتقاً من الدرس » وما أجمل حرية الرأي • (ورفعناه مكاناً علياً) رفعناه فعل وفاعل ومفعول به ومكاناً ظرف متعلق برفعناه وعلياً صفة وقد رويت أساطير كثيرة حول هذا الرفع ومرجعها المطولات •

(أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) أولئك مبتدأ أي الانبياء العشرة المذكورون في السورة والذين خبر أو بدل من اسم الاشارة وجملة أنعم الله عليهم صلة ومن النبيين حال ومن ذرية آدم بدل بإعادة الجار • (وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا) عطف على ما تقدم • (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) جملة اذا تتلى عليهم وجوابها استئنافية لا محل لها إذا أعربنا الذين خبراً وإذا أعربنا الذين بدلاً فتكون هي الخبر وجملة خرّوا لا محل لها لأنها جواب إذا والواو في خروا فاعل وسجداً حال من الفاعل وبكياً عطف على سجداً جمع ساجد وباك والثاني شاذ لأن قياس فاعل من المنقوص أن يجمع على فعله كقاض وجمعه قضاة وباك وجمعه بكاة •

* فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ

عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ
وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾

اللغـــة :

(خلف) : أي عقب وبعض اللغويين يستعلون الخلف بسكون اللام كما هنا في الشر فيقال خلف سوء وبفتحها في الخير فيقال خلف صالح ، قال في الكشاف : « خلفه إذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشـر » وقال اللحياني : الخَلَف بفتحتين الولـد الصالح والخَلْف بفتح فسكون الرديء .

(غياً) : كـل شر عنـد العرب غي وكل خـير رشاد ، قـال المرقش الاصغر :

أمن حلـــم أصبحت تنكت واجمـــاً
وقد تعتري الأحـــلام من كان نائمـــا

فمن يلق خـــيراً يحمـــد الناس أمره
ومن يغو لا يعـــدم على الغيّ لائمـــا

يقال غوي يغوى من باب ضرب انهمك في الجهل .

الاعراب :

(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) الفاء عاطفة وخلف فعل ماض ومن بعدهم حال وخلف فاعل وجملة أضاعوا الصلاة صفة لخلف واتبعوا الشهوات عطف على أضاعوا الصلاة والفاء الفصيحة أي إن شئت أن تعلم عاقبتهم، وسوف حرف استقبال ويلقون فعل مضارع وفاعل وغياً مفعول به • (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) إلا أداة استثناء و « من » إن جعلنا الاستثناء منقطعاً كانت إلا بمعنى لكن ومن مستثنى واجب النصب ووجه الانقطاع أن المستثنى منه كفار والمستثنى مؤمنون وهذا اختيار الزجاج واختار أبو حيان الاتصال وربما كان أظهر لأنه خطاب صالح لكل أمة وفيها من آمن ومن كفر وعلى كل حال هو واجب النصب لأن الكلام تام موجب ، وجملة تاب صلة وآمن عطف على تاب وعمل عطف أيضاً وصالحاً يجوز أن يكون مفعولاً به وأن يكون مفعولاً مطلقاً أي عملاً صالحاً ، فأولئك الفاء الفصيحة وأولئك مبتدأ وجملة يدخلون خبر والجنة مفعول به على السعة ولا يظلمون عطف على يدخلون وشيئاً مفعول مطلق ولك أن تجعله مفعولاً ثانياً بتضمين يظلمون معنى ينقصون • (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) جنات بدل من الجنة وعدن مضاف إليه من عدن بالمكان أي أقام وقد جرى مجرى العلم ولذلك ساغ وصفها بالتي والتي صفة لجنات عدن وجملة وعد صلة والرحمن فاعل وعد وعباده مفعول وبالغيب حال من عباده أي من المفعول والمعنى غائبة عنهم لا يشاهدونها ويحتمل أن يكون حالا من ضمير الجنة وهو الضمير العائد على الموصول أي وعدها وهم غائبون عنها لا يرونها •

(إنه كان وعــده مأتياً) إن واسمها والضمير يعود عــلى الله تعالى أي الرحمن والمعنى أن الرحمن كان وعده مأتياً أو انه ضمير الشأن لأنه مقام تعظيم وتفخيم والجملة تعليلية مستأنفة وجملة كان خبر إن واسم كان يعود على الله تعالى أيضاً ووعده بدلاً من ذلك الضمير بدل اشتمال ومأتياً خبرها ويجوز أن لا يكون فيها ضمير ، ووعــده اسمها ومأتياً خبرها واختار الجلال وشراحه أن يكون مآتياً مفعول بمعنى فاعل أي آتياً ولم يرتضه الزمخشري فإنه قــال : « قيل في مأتياً مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها » والحقّ مع الزمخشري لأن ما تأتيه فهو يأتيك فــلا موجب للتأويل • (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً) الجملة حال من جنات عدن ولا نافية ويسمعون فعل مضارع والواو فاعل وفيها متعلقان بمحذوف حال أي حالة كونهم في الجنة ولغواً مفعول به أي مالا طائل تحته من الكلام وهو ما يشقشق به أكثر الناس في مجالسهــم من ثلب للآخرين وتدخل في شؤون الناس أو من حديث تافه أشبه بالفضول ، وإلا أداة حصر وسلاماً بدل من لغواً أو يحمل عــلى الاستثناء المنقطــع وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة ولهم خبر مقدم ورزقهم مبتدأ مؤخر وفيها حال وبكرة ظرف متعلق بمعنى الاستقرار المستكن في الخبر المقدم وعشياً عطف عــلى بكرة • (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) اسم الاشارة مبتدأ والجنة خبر والتي صفة للجنة وجملة نورث صلة ومن اسم موصول مفعول نورث وجملة كان صلة واسم كان مستتر تقديره هو وجملة تقياً خبر كان •

البلاغــة :

١ ــ توكيد المديح بما يشبه الذم وعكسه :

في قوله تعالى « لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً » فن رفيع من

فنون البلاغة وهو توكيد المدح بما يشبه الذم وقد سبقت الاشارة اليه في المائدة ولم نقسمه آنذاك فنقول انه ينقسم الى نوعين :

آ ــ أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية ومنه قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم　　بهن فلول من قراع الكتائب

فقد جعل الفلول عيباً على سبيل التجوز بتاً لنفي العيب بالكلية كأنه يقول : إن كان فلول السيف من القراع عيباً فانهم ذوو عيب معناه إن لم يكن عيباً فليس فيهم عيب البتة لأنه لا شيء سوى هذا فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل •

ب ــ ان تثبت لشيء صفة مدح وتعقب ذلك بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء نحو : أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وقال النابغة أيضاً :

فتى كملت أوصافه غير أنه　　جواد فما يبقي على المال باقيا

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعاً لكنه لم يقدّر متصلاً بل بقي على حاله من الانقطاع لأنه ليس في هذا الضرب صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها فحينئذ لا يستفاد التوكيد فيه إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين في الضرب الاول ولهذا كان الضرب الاول أبلغ لإفادته التأكيد من الوجهين •

إذا عرفت هذا فاعلم أن في الآية الكريمة : « لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً » ثلاثة أوجه :

آ ــ أن يكون معناه إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكــة لغــواً فلا يسمعون لغــواً إلا ذلك وهو بهــذا من وادي قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ب ــ انهم لا يسمعون فيهــا إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة وهذا يتعين فيه الاستثناء المنقطع .

جـ ــ ان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة وهي دار السلامة وأهلها أغنياء عن الدعاء بالسلامة فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام ، ففي الوجــه الاول والثالث يتعــين الاتصال في الاستثناء أما الأول فلجعل ذلك لغواً عــلى سبيل التجوز والفرض وأما الثاني فواضح لأنه فيه اطلاق اللغو عــلى السلام وأما الثالث فلحمل الكلام على ظاهره من دون تجوز أو فرض .

٢ ـ التشبيه التمثيلي البليغ :

وذلك في قوله تعالى « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً » فقد شبه عطاء الجنة لهم بالعطاء الذي لا يرد وهو الميراث الذي يرثه الوارث فلا يرجع فيه المورث أي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى عــلى الوارث مال مورثه والوراثــة أقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث أنهــا لا تعقب بفسخ ولا استرجــاع ولا تبطل برد ولا اسقاط والإرث في اللغة البقاء ، قال عليه الصــلاة والسلام : « إنكم على إرث من إرث أبيكم ابراهيم » أي على بقية من

بقايا شريعته والوارث الباقي من أسماء الله تعالى أي الباقي بعد فناء خلقه وهو في الشرع انتقال مال الغير الى الغير على سبيل الخلافة .

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

الاعراب :

(وما تتنزل إلا بأمر ربك) الجملة مستأنفة مسوقة لحكاية قول جبريل حيث استبطأه الرسول عليه السلام لما سئل عن قصة أهل الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ، كما تقدم ، فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً وقيل أربعين حتى قال المشركون : ودعه ربه وقلاه ، فالواو استئنافية وما نافية وتتنزل فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وإلا بأمر ربك استثناء من أعم الاحوال فإلا أداة حصر وبأمر متعلقان بمحذوف حال فالتنزل نزول فيه ابطاء أو بمعنى النزول على الاطلاق ، قال الشاعر :

فلست لإنسيّ ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب

وهذا البيت لرجل من عبد القيس يمدح الملك النعمان بن المنذر وقيل لأبي وجرة يمدح عبد الله بن الزبير وقبله :

تعاليت ان تعزى الى الانس جلة
ولـلإنس من يعزوك فهو كذوب

أي لست منسوباً لإنسي ولكن لملك وبالغ في ذلك حتى جعله نازلاً من جهة السماء يصوب أي يقصد الى جهة معينة والملأك معفل بتقديم العين من الألوكة بالفتح وهي الرسالة وقال أبو عبيدة هو مفعل على اسم المكان من لأك إذا أرسل ولعله جاء على مفعل لتصوير أن الرسول مكان الرسالة وقال ابن كيسان : هو فعأل من الملك فالهمزة زائدة وعلى كل يخفف بالنقل فيقال ملك •

(لـه ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) له خبر مقدم وما موصول مبتدأ مؤخر والجملة حال من ربك والظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول وأيدينا مضافة للظرف وما خلفنا عطف على ما بين أيدينا وما بين ذلك عطف أيضاً • (وما كان ربك نسياً) الواو حرف عطف وما نافية وكان واسمها وخبرها • (رب السموات والأرض وما بينهما) رب السموات والأرض خبر لمبتدأ محذوف أي هو رب السموات والأرض ويجوز أن يعرب بدلاً من ربك • (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً) الفاء هي الفصيحة ولا حاجة لتأويل الكلام بجعلها عاطفة من باب عطف الانشاء على الخبر أي إذا عرفت ربوبيته الكاملة فاعبده واصطبر عطف على اعبده ولعبادته متعلقان باصطبر وقد أحسن الزمخشري في الفهم حيث جعل العبادة بمنزلة القرن تقول للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته وصولاته والمراد لا تضق ذرعاً ولا تهن قوة إذا تأخر عنك الوحي ولا تبتئس لشماتة الكافرين فما هي إلا غمرة ثم تنجلي ، وظلمة ثم تنحسر وهل حرف

استفهام معنـاه النفي وتعلم فعل مضارع وفاعله مستتر تقـديره أنت وسمياً مفعول به والسمي هو الشريك في الاسم •

الفوائـد :

عطف الانشاء على الخبر وبالعكس :

منعه البيانيون وبعض النحاة وأجازه بعض النحاة قال أبو حيان : وأجاز سيبويه ذلك واستدل بقول امرىء القيس :

وإن شفـائيَ عبرة مهراقـــة وهل عند رسم دارس من معول

فجملة إن شفائي الخ خبرية وجملة وهل عنـد رسم الخ جملة انشائية عطفاً على الخبرية وقول الآخر :

تنـاغي غزالاً عنـد باب ابن عامـر
وكحّـل مآقيك الحسـان بإثمـد

وقول الآخر :

وقائلة خولان فانكـح فتاتهم وأكرومة الحيين خلوكما هيا

ورد ابن هشام هـذه الاقوال فقال رداً عـلى أبي حيان : « وأما ما نقله أبو حيـان عن سيبويه فغلط عليـه وأما بيت امرىء القيس فالاستفهام خرج معناه الى النفي كما ذكرنا ، وأما قوله فانكح فتاتهم فهو معطوف على فعـل أمر محذوف مفهوم من المبتدأ أي تنبه لخولان وأما وكحل مآقيك الخ فيتوقف على النظر فيما قبله من الأبيات وقد

يكون معطوفاً على أمر مقدر يدل على المعنى أي فافعل كذا وكحل كما قيل في لأرجمنك واهجرني ان التقدير فاحذرني واهجرني ملياً لدلالة لأرجمنك .

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ
وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ
بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾
ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

اللغـــة :

(جثياً) : بضم الجيم وكسرها وبهما قرىء جمع جاث من جثا يجثو أجثى ويجثي لغتان : أي جلس على ركبتيه أو قام علـى أطراف أصابعه فهو جاث .

(صلياً) : بكسر الصاد وضمها وبهما قرىء مصدر صلي بكسر اللام وفتحها النار أي دخلها .

الاعراب :

(ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً) الواو استئنافية ويقول الانسان فعل مضارع وفاعل وأل فيه للجنس والهمزة للاستفهام بمعنى النفي وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بفعل محذوف دل عليه قوله لسوف أخرج لأن اللام تمنع من تعليقه بأخرج المذكورة لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وما زائدة وجملة مت صلة واللام لام الابتداء وسوف حرف استقبال واخرج فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره أنا وحياً حال وساغ اجتماع اللام وهي تمحض الفعل للحال وسوف وهي تمحضه للاستقبال ان اللام هنا لمجرد التوكيد وإنما جردت اللام من معناها لتلائم سوف دون أن تجرد سوف من معناها لتلائم اللام لأنه لو عكس هذا للغت سوف إذ لا معنى لها سوى الاستقبال وأما اللام فانها إذا جردت من الحال بقي لها التوكيد فلم تلغ . (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) أولا: الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة ولا نافية ويذكر فعل مضارع معطوف على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف والانسان فاعل وأنا : ان واسمها وجملة خلقناه خبر أنا وان وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يذكر ومن قبل الجار والمجرور متعلقان بيذكر ولم الواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويك فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسمها ضمير مستتر تقديره هو ، وشيئاً خبر يك والمضاف الى قبل محذوف تقديره قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه وقدره بعضهم قبل بعثه . (فوربك لنحشرنهم والشياطين) الفاء عاطفة والواو للقسم وربك مجرور بواو القسم وهما متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم وفائدة هذا القسم سترد في باب البلاغة

واللام واقعة في جواب القسم ونحشرنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به والشياطين عطف على الهاء أو الواو بمعنى مع والشياطين مفعول معه • (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) ثم حرف عطف للتراخي ولنحضرنهم عطف على لنحشرنهم وحول ظرف مكان متعلق بنحضرنهم وجهنم مضاف اليه وجثياً حال • (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً) ثم لننزعن عطف على لنحضرنهم ومن كل شيعة متعلقان بننزعن وأيهم اسم موصول بمعنى الذي وحركتها عند سيبويه حركة بناء لخروجها عن النظائر أي لأنها أضيفت وحذف صدر صلتها وهي في محل نصب مفعول به لننزعن وأشد خبر لمبتدأ محذوف والجملة صلة أي وعتياً تمييز وعلى الرحمن متعلقان بأشد أو بمحذف حال وسيأتي مزيد بحث في هذه الآية في باب الفوائد • (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي واللام للابتداء ونحن مبتدأ وأعلم خبر وبالذين متعلقان بأعلم وهم مبتدأ وأولى خبر والجملة صلة وبها متعلقان بأولى وصلياً تمييز وقيل صلياً جمع صال فانتصب على الحال وفي التمييز فائدة وهي التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب لاشتراكهم فيه • (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً) الواو عاطفة وإن نافية ومنكم صفة لمبتدأ محذوف تقديره أحد أي ما منكم أحد وإلا أداة حصر وواردها خبر وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو أي الورود وحتماً خبرها ومقضياً صفة لحتماً • (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) ثم ننجي عطف على ما تقدم وفاعل ننجي مستتر تقديره نحن والذين موصول مفعول واتقوا صلة ونذر عطف على ننجي والفاعل مستتر تقديره نحن والظالمين مفعول به وفيها متعلقان بنذر أو

بجثياً ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من جثياً لأنه في الأصل صفة لنكرة قدم عليها فنصب على الحال ، وجثياً حال أو تجعلها مفعولاً ثانياً لنذر أي تتركهم فيها جثياً •

البلاغـة :

١ ـ فن القسم :

في قوله تعالى « فوربك لنحشرنهـم » فن القسم وهو أن يريـد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له وتعظيم لشأنه أو تنويه لقدره أو ما يكون ذماً لغيره أو جارياً مجرى الغزل والترقق أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد فقد أفاد القسم هنا أمران أحدهما أن العادة جرت بتأكيد الخبر باليمـين والثاني أن في إقسام الله تعالى باسمه مضافاً الى رسوله صلى الله عليه وسلم رفعاً منه لقـدره وتنويهاً بشأنه كما رفـع من شأن السماء والارض في قولـه « فورب السماء والارض إنه لحق » وسيأتي تحقيق ذلك في مواضعه •

وقد توسّع الشعراء في القسم لأن فيه حلاوة ورفعاً لشأن المتغزل به ، وما ألطف قول عبد المحسن الصوري وهو من أبرع ما سمعنا :

يا غزالاً قد رمى باللحظ قلـبي فأصابـا
بالـذي ألهـم تعـذيبي ثنايـاك العـذابا
والذي ألبس خـديك من الـورد نقـابا
والـذي أودع في فيـك من الشهـد شرابا
والـذي صـيّر حظي منك هجـراً واجتنـابا

ما الذي قالته عينـــا ك لقلـــبي فأجـــابا

ولابن خفاجة الاندلسي :

لا وسحر بـــين أجفانكم فتن الحب به من فتنـــا
وحـــديث من مواعيـــدكم تحسد العـــين عليه الأذنا
مارحلت العيس عن أرضكم فرأت عينـــاي شيئاً حسنا

وبلغ العباس بن الأحنف الغاية بقوله :

واني ليرضيني قليل نوالكم وإن كان لا أرضى لكم بقليل
بحرمة ما قد كان بيني وبينكم من الود إلا عـــدتم بجميـــل

وأبدع أبو الطيب بقوله :

أحيـــا وأيســـر ما قاسيتُ ما قتـــلا
والبـــين جار على ضعفي وما عـــدلا
والوجـــد يقوى كما تقوى النوى أبـــداً
والصبر ينحـــل في جسمي كمـــا نحلا
لولا مفارقـــة الأحباب ما وجـــدت
لهـــا المنـــايا إلى أرواحنـــا سبـــلا
بمـــا بجفنيك من سحر صِلي دنفـــاً
يهوى الحيـــاة وأما إن صـــددت فـــلا

٢ ـ الافتنان :

وذلك في قولـه تعالى « ثم ننجي الذين اتقوا وتذر الظالمين فيها جثياً » والافتنان هو أن يفتن المتكلم فيأتي في كلامه بفنين إما متضادين أو مختلفين أو متفقين والآية التي نحن بصددها جمعت بين المتضادين : جمعت بين الوعد والوعيد ، بين التبشير والتحذير وما يلزم من هذين الفنين من المدح للمختصين بالبشارة والذم لأهل النذارة وستأتي منه أمثلة عديدة في القرآن الكريم .

ومن الجمع بين المتضادين في الشعر قول عبـد الله بن طاهر بن الحسين ونسبهما في الكامل لأبي دلف :

أحبك يا ظلـوم وأنت مني ... مكان الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول مكان روحي ... خشيت عليك بادرة الطعـان

فانظر كيف جمع في هذا الشعر بين الغزل والحماسة والغزل لين والحماسة شدة وقال عنترة وأبدع :

إن تغد في دوني القناع فانني ... طب بأخـذ الفارس المستلئـم

وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب فإنه جمـع فيه بين الغزل والحماسة والجد والهزل فأتى فيه بنادرة طريفة وطرفة غريبة حيث قال بعد وصفها بستر وجهها دونه بالقناع حتى صار ما بين بصره وبين وجهها كالليل المغدف الذي يحول بين الأبصار والمبصرات : انني طب بأخذ الفارس المستلئم يقول : إن تتبرقعي دوني فانني خبير لدربتي بالحرب بأخذ الفارس الذي سترته لأمته ، وحالت دوني ودون مقاتلته فأبرز

الجد في صورة الهزل فجاء في بيته مع الافتنان التندير الطريف وعبر عن معناه اللطيف بهذا اللفظ الشريف •

وجمع الحطيئة بين المدح والهجاء في بيت واحد من قصيدة يمدح بها بغيضاً ويهجو الزبرقان وقد شكاه الزبرقان بسببها الى عمر بن الخطاب :

قد ناضلونا وسلوا من كنانتهم
مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاس

ومعنى هذا البيت لا يعرفه إلا من عرف أن عادة العرب إذا منوا على أسير أعطوه نبلاً من نبلهم عليها اشارة تدلّ على أنها لأولئك القوم لا تزال في كنانته ، فقال الحطيئة لهذا الممدوح الذي عناه بهذا المدح : إن عداك لما فاخروك سلوا من كنانتهم تلك التي أعطيتها لهم حتى مننت عليهم تشهد لك بأنهم عتقاؤك فكان هذا مجداً تليداً لك لا يقدرون على جحده تثبته لك هذه النبل التي ليست بأنكاس يعني الصائبات التي لا تنكب إذا ناضلت بها عن الغرض وهذا غاية المدح للممدوح ونهاية الهجاء لعداه إذ أخبر بأنهم مع معرفتهم بفضله عليهم يفاخرونه بما إذا أظهروه أثبت له الفضل عليهم وهذا غاية الجهل منهم والغباوة •

ومن الجمع بين الهجاء والمدح أو الفخر قول أبي العلاء المعري :

بأي لسان ذامني متجاهل   عليّ وخفق الريح فيّ ثناء
تكلم بالقول المضلّل حاسد   وكل كلام الحاسدين هراء
أتمشي القوافي تحت غير لوائنا   ونحن على قوالها أمراء

ولاسار فيعرض السماوةبارق وليس له من قومنـــا خفراء

فهو إذ يفخر بنفسه يهجو أبناء جنسه الذين يتطاولون وهم قصار ويدعون المعرفة والجهل يكتنفهم أولم يقل لهم مخاطباً :

غدوتمريض العقلوالدين فالقني لتخبر أبناء العقول الصحائح

والروح العلائية معروفة فلا لزوم للشرح والتبسط .

أما الجمع بين التهنئة والتعزية فهــو غريب حقاً وهو يحتاج الى الكثير من شفوف الطبع ورهافة الحس للاجادة فيه ومن أجمل ما سمعنا منه مثل قول المعزّي ليزيد بن معاوية عندما جلس في دست الخلافة وأتت الوفود مهنئة معزية بأبيه فلما اجتمعوا لم يفتح على أحد بما فتح به لهم باب القول حتى تقدم هذا المتقدم ذكره فاستأذن في الكلام فلما أذن له قال : آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية وبارك الله لك في العطية فلقد رزئت عظيماً وأعطيت جسيماً ، رزئت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ، فاصبر على ما رزئت ، واشكر على ما أعطيت وأنشد :

اصبر يزيـــد فقـــد فارقت ذا ثقـة
واشكر حبـاء الـذي بالملك أصفاكـا

لا رزء أصبـــح في الأقوام تعلمـــه
كمـا رزئت ولا عقـــبى كعقباكـــا

أصبحـت راعي أمـور الناس كلهـــم
فأنت ترعاهـــم واللــــه يرعاكـــا

وفي معـــاوية البــاقي لنـا خلف
إذا نعيــت ولا نسمــع بمنعــاكا

ففتح للناس باب القول : فقالوا وكان له فضل السبق .

وقال أبو نواس للعباس بن الفضــل يعزيه بالرشيــد ويهنئه بخلافة الأمين :

تعزَّ أبا العبــاس عن خـــير هالك
بأكـــرم حي كـــان أو هـــو كـائن
حـــوادث أيـــام تدور صـــروفها
لهـــنّ مســـاوٍ مرةً ومحاســـن
وفي الحيّ بالميت الـــذي غيّب الثرى
فـــلا أنت مغبونٌ ولا المـــوت غابن

٣ ـ فن الالتفات :

في قوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها ... الخ » التفات على أحد القولين وهو مفرع على إرادة العموم من الأول فيكون المخاطبون أولاً هم المخاطبين ثانياً إلا أن الخطاب الاول بلفظ الغيبة والثاني بلفظ الحضور واما إذا بنينا عـلى أن الأول إنما أريد منـه خصوص عـلى التقديرين جميعاً فالثاني ليس التفاتاً وإنما هو عدول عن خطاب خاص لقوم معينين الى خطاب العامة والقول في الورود على جهنم طويل يرجع فيه الى المطولات .

الفوائـد :

نقاش طويل حول أيهم :

وعدناك بمزيد من البحث حول أيهم في قوله تعالى « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً » قال أبو حيان في شرح التسهيل : « وسأل الكسائي في حلقة يونس لم لا يجوز أعجبني أيهم قام فقال : أي كذا خلقت » أي كذا وضعت وقال ابن السراج موجهاً قول الكسائي بالمنع ما معناه إن أياً وضعت على العموم والإبهام فإذا قلت يعجبني أيهم يقوم فكأنك قلت يعجبني الشخص الذي يقع منه القيام كائناً من كان ولو قلت أعجبني أيهم قام لم يقع إلا على الشخص الذي قام فأخرجها ذلك عما وضعت له من العموم ولذلك يشترط في عاملها أن يكون مستقبلاً متقدماً عليها نحو « لننزعن من كل شيعة أيهم أشد » وذلك لأجل الفرق بين الشرطية والاستفهامية وبين الموصولة لأن الشرطية والاستفهامية لا يعمل فيهما إلا متأخر والمشهور عند الجمهور افرادها وتذكيرها وقد تؤنث وتثنى وتجمع عند بعضهم فتقول أية وأيان وأيتان وأيون وأيات وهي معربة فقيل مطلقاً وهو قول الخليل ويونس والأخفش والزجاج والكوفيين وقال سيبويه تبنى على الضم إذا أضيفت لفظاً وكان صدر صلتها ضميراً محذوفاً وقال الزجاج مستنكراً : ما تبين لي أن سيبويه غلط إلا في موضعين هذا أحدهما فإنه يسلم انها تعرب إذا أفردت فكيف يقول ببنائها إذا أضيفت •

وزعم المانعون أن أياً في الآية استفهامية وانها مبتدأ وأشد خبره ثم اختلفوا في مفعول تنزع فقال الخليل محذوف والتقدير لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وقال يونس المفعول الجملة وعلقت تنزع عن العمل فيها وقال الكسائي والأخفش المفعول كل شيعة ومن زائدة وقد رد

ابن هشام هذه الاقوال كلها حيث قال ويرد أقوالهم أن التعليق مختص بأفعال القلوب وانه لا يجوز أن يقال لأضربن الفاسق بالرفع بتقدير الذي يقال فيه هو الفاسق وانه لم يثبت زيادة من في الايجاب .

ونورد هنا ما قاله أبو البقاء لوجازته وشموله قال « قوله أيهم أشد يقرأ بالنصب شاذاً والعامل فيه لننزعن وهي بمعنى الذي ويقرأ بالضم وفيه قولان : أحدهما انها ضمة بناء وهو مذهب سيبويه وهي بمعنى الذي وانما بنيت هاهنا لأن أصلها البناء لأنها بمعنى الذي ومن الموصولات إلا أنها أعربت حملاً على كل أو بعض فإذا وصلت بجملة تامة بقيت على الاعراب واذا حذف العائد عليها بنيت لمخالفتها بقية الموصولات فرجعت الى حقها من البناء بخروجها عن نظائرها وموضعها نصب بنزع الخافض ، والقول الثاني هي ضمة الاعراب وفيه خمسة أقوال أحدها انها مبتدأ وأشد خبره وهو على الحكاية والتقدير لننزعن من كل شيعة الفريق الذي يقال أيهم فهو على هذا استفهام وهو قول الخليل والثاني كذلك في كونه مبتدأ وخبراً واستفهاماً إلا أن موضع الجملة نصب بننزعن وهو فعل معلق عن العمل ومعناه التمييز وهو قريب من معنى العلم الذي يجوز تعليقه كقولك علمت أيهم في الدار وهو قول يونس والثالث أن الجملة مستأنفة وأي استفهام ومن زائدة أي لننزعن كل شيعة وهو قول الأخفش والكسائي وهما يجيزان زيادة من في الواجب ، والرابع أن أيهم مرفوع بشيعة لأن معناه تشيع والتقدير : لننزعن من كل فريق يشيع أيهم وهو على هذا بمعنى الذي وهو قول المبرد والخامس أن ننزع علقت عن العمل لأن معنى الكلام معنى الشرط والشرط لا يعمل فيما قبله والتقدير لننزعنهم تشيعوا أم لم يتشيعوا أو ان تشيعوا ومثله لأضربن أيهم غضب أي ان غضبوا أو لم يغضبوا وهو قول يحيى عن الفراء وهو أبعدها عن الصواب » .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن
قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ
ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

اللغـــة :

(مقاماً) : بفتح الميم اسم مكان من قام أو مصدر ميمي وقرىء مقاماً بالضم فيكون أيضاً اسم مكان أو مصدراً ميمياً من أقام الرباعي المزيد والمراد ها موضع القوم .

(ندياً) : النـدي المجلس ومجتمـــع القوم وحيث ينتـدون ويقال النادي .

(أثاثاً) : الأثاث : متاع البيت والمال ويقـال أثّ يئث ويأث ويؤث أثاثاً وأثوثاً وأثاثة النبـات أو الشعر : التفّ وكثر فهـــو أثٌ وأثيث .

(رئياً) : فعل بمعنى مفعول ومعناه لمنظر فهو كالطحن والذبح بمعنى المطحون والمذبوح من رأيت على القلب كقولهم راء في رأى أو من الري الذي هو النعمة والترف من قولهم ريان النعيم •

الاعراب :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا) الواو استئنافية واذا شرط مستقبل وجملة تتلى مضافة للظرف وعليهم متعلقان بتتلى وآياتنا نائب فاعل وبينات حال من آياتنا أي واضحات مبينات المقاصد والمعاني وجملة قال الذين كفروا لا محل لها لأنها جواب • (للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً) للذين آمنوا متعلقان بقال وجملة آمنوا صلة وأي استفهامية مبتدأ وخير خبر ومقاماً تمييز وأحسن عطف على خير وندياً تمييز • (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً) كم خبرية في محل نصب مفعول أهلكنا وأهلكنا فعل وفاعل ومن قرن تمييز غير صريح لكم لأن تمييز كم الخبرية كثير ما يكون مجروراً بمن وسيأتي تفصيل لذلك وهم مبتدأ وأحسن خبر والجملة في محل نصب صفة لكم الخبرية ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية هذا ما ذكره الزمخشري وتابعه أبو البقاء على أن هم أحسن صفة لكم ونص أصحابنا على أن كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف بها ، وأثاثاً تمييز ورئياً عطف عليه ويجوز أن يكون صفة لقرن • (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً) من اسم شرط جازم مبتدأ وكان فعل الشرط وهو فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على من وفي الضلالة خبر كان والفاء رابطة للجواب واللام لام الأمر ويمدد

فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وله متعلقان بيمدد والرحمن فاعل ومداً مفعول مطلق • (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة) حتى حرف غاية وجر متعلق بالجواب وهو فسيعلمون وقيل مستأنفة أي تبدأ بعدها الجمل قال الشهاب في حاشية البيضاوي : وحتى هنا حرف ابتداء أي تبدأ بعدها الجمل أي تستأنف فليستجارة ولا عاطفة، وهكذا حيث دخلت على إذ الشرطية ، وجملة رأوا مضافة للظرف وما مفعول به وجملة يوعدون صلة وإما حرف شرط وتفصيل والعذاب والساعة بدل من ما والمعنى : يستمرون في الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هو شر مكاناً وأضعف جنداً • (فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً) الفاء واقعة في جواب إذا وهذا ما يرجح جعل إذا للغاية وسيعلمون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ومن موصولة مفعول به وهو مبتدأ وشر خبر والجملة صلة ويجوز أن تكون من استفهامية في محل رفع بالابتداء وهو مبتدأ ثان وشر خبر المبتدأ الثاني وهو وخبره خبر من وعندئذ تكون الجملة معلقة لفعل الرؤية فالجملة في محل نصب مفعول يعلمون • (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) لك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة ولك أن تجعلها عاطفة فتعطف الجملة على جملة الشرط المحكية بالقول أي وقل يزيد الله ويزيد الله الذين اهتدوا فعل مضارع وفاعل ومفعول به وجملة اهتدوا صلة وهدى تمييز أو مفعول به ثان ليزيد • (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً) والباقيات مبتدأ والصالحات صفة وخير خبر الباقيات وعند ربك الظرف متعلق بخير وثواباً تمييز وخير مرداً عطف على خير ثواباً أي مرجعاً وعاقبة ومغبة •

الفوائـد :

١ ـ من الداخلة على التمييز :

اختلف في معنى من التي يصرح بها مع التمييز فقيـل للتبعيض ولذلك لم تدخل في نحو طـاب نفساً لأن نفساً ليست أعم من المبهم الذي انطوت عليه الجملة وقـال الشلوبين : زائدة عند سيبويه لمعنى التبعيض ويدل على صحته انه عطف على موضعها نصباً قال الحطيئة :

طافت أمامـة بالركبان آونةً يا حسنه من قوام ما ومنتقبا

وأمامة بضم الهمزة اسم امرأة وآونة بالمد نصب عـلى الظرفية والشاهد في قوله من قوام فإنه تمييز جر بمن الزائدة في الكلام الموجب ولهذا عطف منتقباً على محلها بالنصب وما زائدة لتوكيد الكلام وقال ابن هشام : انهـا لبيان الجنس وقـد سبقه الزمخشري الى ذلك لأن المشهور من مذاهب النحويين ما عدا الأخفش أن من لا تزاد إلا في غير الايجاب .

٢ ـ معنى التفضيل :

قيل : ما معنى التفضيل في قوله « والباقيات الصالحات خير ثواباً وخير مرداً » وهل ثمة من شك وهل للمفاخر شرك في الثواب والمرد وأجيب بجوابين أولهما انه من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره من الشتاء في برده وثانيهما أن اسم التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة لكلامهم السابق وقال الشهاب في حاشيته على البيضاوي : « وهذا جواب عما تخيل كيف فضلوا عليهـم في خيرية الثواب والعاقبة والتفضيل يقتضي المشاركة وهم لا ثواب لهم وعاقبتهم لا خير فيها » .

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ
ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ
وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾
وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ
بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى
ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

اللغـــة :

(أطّلع) أصله أإطلــع حــذفت همزة الوصــل وبقيت همزة الاستفهام المفتوحة واطلع يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال اطلع الأمر وعليه : علمه ويقال أيضاً : إطّلع طِلْعَ العدو بكسر الطاء وسكون اللام عرف باطن أمرهم وقد توهم بعضهــم انه لا يتعــدى إلا بعلى فأعرب الغيب بنزع الخافض وإنما هو من قولهــم اطلع الجبل إذا ارتقى الى أعلاه وطلع الثنية قال جرير :

إني إذا مضــر عليّ تحدثت   لاقيت مطلـــع الجبال وعورا

فمطلع اسم مكان من اطّلع المشدّد أصله اطتلع على بناء الافتعال فقلبت التاء طاء وأدغمت فيما قبلها وهو في البيت نصب عــلى الظرفية والوعور جمع وعر أي صعب مفعول لاقيت أو مطلع هو المفعول به

ووعوراً حال يقول : إذا تقولت علي مضر مالا أرتضيه أو حدثتها نفسها بقتلي تمرست بالصعاب ولا أبالي بها وسيأتي مزيد بحث عن استعمالها في الآية في باب البلاغة •

(ونمد) : مضارع مد الشيء يمدّه من باب نصر أطاله وبسطه وجذبه ومدّ الحبل فامتدّ وهذا ممدّ الحبل قال ابن مقبل :

وللشمس أسباب كأن شعاعها مَمَدّ حبال في خباء مطنّب

وتمدّد الأديم وطراف ممدّد وأمد الجيش وضم إليه ألف رجل مدداً وللميم مع الدال خاصة التمدد كأن أصل المادة يشمل غيرها من الفروع وهذه من ميزات لغتنا العربية الخالدة ويقال مدحه وامتدحه أطال الثناء عليه ، ومدخ فلاناً بالخاء المعجمة أمده بالعون خيراً كان أم شراً عمله ، وتمدخ تكبر وتطاول ولا يخفى مافي الكبرياء والتطاول من تمدد وانتفاخ ، ومدر المكان طاله وامتد اليه ومدر الحوض شد خصاص حجارته بالمدر وهو الطين العلك الذي لا يخالطه رمل وهو سريع الامتداد إذا طينت به الحائط أو سيعته ، ومدس الجلد ونحوه دلكه ليمتد ، ومدشت عينه : امتد عليها الظلام وارتخى عصبها ومدشت يده نحلت وضؤلت فظهرت للرائي ممتدة لقلة اللحم عليها ، والمدش بفتحتين ظلمة تمتد على العين من جوع ورخاوة عصب اليد وتمدل بالمنديل شده على رأسه أو اعتم به وهو قريب من معنى الامتداد ، ومدّن المدائن بناها ومصرها وجدد بناءها فامتدت عرضاً وطولاً والمدينة مجتمع بيوت زادت وامتدت فسميت مدينة ومنها سميت مدينة يثرب ومدينة السلام أي بغداد والمدائن مدينة قرب بغداد كان فيها إيوان كسرى وسميت بالجمع لكبرها وامتدادها وفيها يقول البحتري سينيته ويشير اليها بقوله :

حضرت رحلي الهموم فوجهـــــت الى أبيض المدائن عنسي

أتســلى عن الهمــوم وآسى لمحــلّ من آل ساسان درس

ومدهه أي مدحه وقد تقدم والمدى الغاية الطويلة الممتدة وأمدى فلاناً وماداه أمهله وأمدى الرجل تقدمت به السن وامتدت وتمادى في غيه دام على فعله وامتد في فجوره والمدية بضم الميم الشفرة الكبيرة الممتدة وهذا من غريب أمر لغتنا الشريفة .

(ونرثه) : أي نسلبه منه ونأخذه بأن نخرجه من الدنيا خالياً من ذلك والمراد نزوي عنه ما يقوله من أنه سيناله في الآخرة .

(تؤزهم) : الأز : الاستفزاز والتهيج وشدة الازعاج وهذه من أغراب مواد اللغة العربية كلها تدل عــلى هذا المعنى والأز أيضاً شدة الصوت ومنه أز المرجل أزاً وأزيزاً أي غــلا واشتد غليانه حتى سمع له صوت وفي الحديث « فكان له أزيز » وفي القاموس : وأزّت القدر تؤز بالضــم وتئز بالكسر أزاً وأزيزاً وأزازاً بالفتح اشتد غليانها وأز النار أوقدها وأز الشيء حركه شديداً » وفي اللسان والأساس وغيرهما: هالني أزيز الرعد وصدّعني أزيز الرحى وهزيزها وأزه على كــذا : أغراه به وحمله عليه بازعاج وهو يأتز من كذا : يمتعض منه وينزعج وتأزر المجلس هاج بمن فيه جميع ذلك يدل على الحركة والانزعاج ، وأزب الماء يأزب بالضم والكسر جرى مســرعاً والمئزاب مجرى الماء والجمع مآزيب ، وأزج البيت بناه طولاً وعرضاً ، وأزحت قدمه زلت ، وأزر يأزر بالكســر بالشيء أحــاط به والنبات التف وآزره مؤازرة عاونه وبادر الى إغاثته والأزر القوة والظهر يقال شد به أزره أي ظهره والمئزر معروف ويقال شد للأمر مئزره إذا تشمر له وسارع اليه ، وأزف

يأزف بالفتـــح أزَفاً وأزوفاً اقترب وأزف الرجـــل عجل وآزفه إنزافاً أعجله وأزفت الآزفة اقتربت القيامة وفلان يمشي الأزفى بثلاث حركات أي يمشي سريعاً ، والمأزق المضيق وموضع الحرب ، وأزَل يأزِل وقع في ضيق وشدة ، وأزمه أزْماً وأزوماً عضه والحبل أحكم فتله وتأزم القوم أصابتهـــم أزمة والأزمة بفتح الهمـــزة وسكون الزاي والآزمة الشدة والضيقة وأزى الرجل حاذاه وداناه وجلس ازاءه أي أمامه وفي كل ذلك ما يدل على الحركة وحرف الزاي اجمالاً يدل على ذلك وما هو قريب منه وسيأتيك ما هو معجب من غريب أمره •

(وولدا) : الولد اسم مفرد قائم مقام الجمع والولد بضم الواو وسكون وقد قرىء بها بمعنى الولد فهما لغتان وقيل بل هي جمـــع لولد نحو أُسْد وأَسد وعُرْب وعَرب •

الاعراب :

(أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً) الهمزة للاستفهام التعجبي والفاء على حالها من التعقيب كأنه قال أخبرك أيضاً بقصة هذا الكافر عقب حديث أولئك ورأيت هنا بمعنى أخبرني وقد تقدم بحثها مفصلاً والذي هو مفعولها الأول وجملة كفر بآياتنا صلة وقال عطف على كفر ، لأوتين اللام جواب لقسم مقدر ونائب الفاعل مضمر تقديره أنا ومالاً مفعول به ثان لأوتين وولداً عطف على مالاً • (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) الهمزة للاستفهام واطلع فعل ماض وفاعله هو يعود على الكافر قيل هو العاصي بن وائل وستأتي قصته في باب الفوائد وأم حرف عطف معادل للهمزة واتخذ فعل ماض وفاعله مستتر يعود عليه وعند الرحمن مفعول به ثان لاتخذ وعهداً مفعول به أول •

(كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً) كلا حرف ردع وزجر وفيها أقوال كثيرة سنوردها في باب الفوائد وسنكتب فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وصدره بالسين من باب ما يقوله المتوعد لخصمه سوف أنتقم منك يعني لا تغتر بطول الزمان فإن الانتقام آتيك أو سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا ، وما مفعول به وجملة يقول صلة ونمد عطف على نكتب وله متعلقان بنمد ومن العذاب حال لأنه كان صفة لمداً ومداً مفعول مطلق أو مفعول به ان كان بمعنى المدد . (ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً) ونرثه عطف على نمد والفاعل نحن والهاء منصوب بنزع الخافض وما مفعول به والتقدير ونرث منه ما يقوله ويجوز أن تكون الهاء هي المفعول به وما بدل اشتمال من الهاء والمعنى نرث ما عنده من المال والأهل والولد وجملة يقول صلة ويأتينا عطف على ما تقدم والفاعل مستتر تقديره هو ونا ضمير فصل فاعل وفرداً حال (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً) واتخذوا فعل وفاعل وحذف المفعول الأول وهي الأوثان المفهومة من سياق الحديث ومن دون الله حال وآلهة هي المفعول الثاني ، ليكونوا اللام لام التعليل ويكونوا فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو اسمها ولهم حال وعزاً خبر يكونوا . (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) كلا تقدم أنها حرف ردع وزجر لتعززهم بها سيكفرون فعل مضارع مرفوع وبعبادتهم متعلقان بيكفرون أي سيجحدون عبادتها وينكرونها ، فالمصدر أضيف الى مفعوله ويكونون عطف على يكفرون والواو اسمها وعليهم حال وضداً خبر يكونون ووحّده وهم جمع لمحاً لأصله لأنه في الأصل مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع أو لأنه مفرد في معنى الجمع وللزمخشري في توحيد الضد كلام حسن سننقله في باب البلاغة . (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على

الكافرين تؤزهم أزاً) ألم الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله أنت وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر وأن واسمها وجملة أرسلنا خبرها والشياطين مفعول به وجملة تؤزهم حالية وأزاً مفعول مطلق . (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً) الفاء الفصيحة أي إن عرفت هذا كله فلا تعجل وعليهم متعلقان بتعجل وإنما كافة ومكفوفة وجملة نعد لهم حالية وعداً مفعول مطلق .

البلاغـة :

١ ــ الاستعارة المكنية :

١ ــ الاستعارة المكنية في قوله « اطلع الغيب » فقد شبه الغيب المجهول الملثم بالاسرار بجبل شامخ الذرا لا يرقى الطير الى مداه فهو مجهول تتحطم عليه آمال الذين يريدون استشفاف آفاقه وادراك تهاويله ثم حذف الجبل أي المشبه به وأخذ شيئاً من خصائصه ولوازمه وهو الاطلاع والارتقاء واستشراف مغيباته والغرض من هذه الاستعارة السخرية البالغة كأنه يقول أوبلغ هذا مع حقارته وتفاهة أمره وصغار شأنه أن ارتقى الى الغيب المحجب بالاسرار المطلسم بالخفاء ؟

٢ ــ توحيد الضد :

قال الزمخشري : « فإن قلت : لم وحّد ؟ قلت وحّد توحيد قوله عليه الصلاة والسلام « وهم يد على من سواهم » لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم » والواو في يكفرون يجوز أن تعود على الآلهة أي يجحدون عبادتهم لها أو للمشركين أي ينكرونها لسوء المغبة والمصير .

الفوائـد :

أوجـه كلاّ :

للنحاة في هذه اللفظة مذاهب ستة :

١ً ـ مذهب جمهور البصريين كالخليـل وسيبويه وأبي الحسن الأخفش وأبي العباس المبرد أنها حرف ردع وزجر وهذا معنى لائق بها حيث وقعت في القرآن الكريم وقد زجر بها العشاق لائميهم فقال أحدهم وهو عروة بن أذينة على الأرجح :

يقلن لقد بكيت فقلت : كلاّ وهل يبكي من الطرب الجليد؟
ولكن أصـاب سواد عيـني عويد قذى له طرف حـديد
فقلن فمـا لدمعهمـا سواء أكلتا مقلتيك اصاب عـود ؟

٢ً ـ مذهب النضر بن شميل أنهـا حرف تصديق بمعنى نعـم فتكون جواباً ولابد حينئذ من شيء يتقدمها لفظاً أو تقديراً.

٣ً ـ مذهب الكسائي وأبي بكر بن الأنباري ونصر بن يوسف وابن واصل انها بمعنى حقاً .

٤ً ـ مذهب أبي عبد الله الباهلي أنها رد لما قبلها وهذا قريب من الأول .

٥ً ـ انها صلة في الكلام بمعنى إي كذا قيل وفيه نظر فإن إي حرف جواب مختص بالقسم .

٦ً ـ انها حرف استفتاح وهو قول أبي حاتم .

هذا وقد ذكرت كلا في خمس عشرة سورة مكية وجملة ما ذكرت ثلاث وثلاثون مرة .

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا
﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن
دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ
لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ
هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

اللغـــة :

(وفداً) : الوفد مصدر وفد يفد وفداً ووفوداً ووفادة وإفادة .

إلى أو على الأمير قدم وورد رسولاً فهو وافد ، وجمع وافد وهم القوم يجتمعون فيردون البلاد ويفدون على الأمير ونحوه •

(ورداً) : القوم الواردون الى المـاء عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش •

(إداً) : بالكسر والفتح العجب وقيل العظيم المنكر والإدة الشدة وآدني الأمر أثقلني وعظم علي إداً وفي القاموس « الإد والإدة بكسرهما العجب والأمر الفظيع والداهية والمنكر كالأد بالفتح وأدته الداهية تؤده بالضم وتئده بالكسر وتأده بالفتح دهته » •

(وداً) : مودة ومحبة وفي المصباح « وودته أوده من باب تعب وداً بفتح الواو وضمها أحببته والاسم المودة وودت لو كان كذا أيضاً وداً وودادة تمنيته » وفي المختار : « الود بضم الواو وفتحها وكسرها المحبة فهي مثلثة الواو والأرجح الضم وبها قرأ السبعة وقرىء في غير السبعة بفتحها وكسرها ويحتمل أن يكون المفتوح مصدراً والمضموم والمكسور اسمين » •

(لدا) : جمع ألد أي شديد الخصومة وجميل قول الزمخشري : « اللد الشداد والخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد أي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم » وفي الأساس : « رجل ألد وألندد ويَلَنْدد وفيه لدد وقوم لُدّ ولادّه ملادة ولداداً وهو شديد اللداد وتركت فلاناً يتردد ويتلدد يتلفت وضربه على لديديْ عنقه وهما صفحتاها وضربه على متلدّده على عنقه قال :

ولو شئت نجتني من القـــوم جسرة
بعيـــدة بـــين العجب والمتلـــدّد

(ركزاً) : الركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون .

(وتحس) : بضم التاء مضارع أحسّ وفي المصباح : « الحس والحسيس الصوت الخفي وحسه حساً فهو حسيس مثله قتله قتلاً فهو قتيل وأحس الرجل الشيء احساساً علم به يتعدى بنفسه مع الألف قال تعالى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر » ، وربما زيدت فيه الباء فقيل أحس به على معنى شعر به وحسست به من باب قتل لغة فيه والمصدر الحس بالكسر يتعدى بالباء على معنى شعرت أيضاً » .

الاعراب :

(يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً) الظرف منتصب بفعل محذوف قدره بعضهم باذكر وقدره الزمخشري بقوله « نصب يوم بمضمر أي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين مالا يحيط به الوصف » وقال غيره العامل فيه قوله فيما بعد « لا يملكون » وجملة نحشر مضافة الى الظرف وفاعل نحشر ضمير مستتر تقديره نحن والمتقين مفعول به والى الرحمن متعلقان بنحشر ووفداً حال وقد تكرر ذكر الرحمن في هذه السورة ست عشرة مرة . (ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً) عطف على الجملة السابقة ووردا حال أيضاً أي واردين كما يرد العطاش اليهم مشاة عطاشاً يكاد يقتلهم الظمأ . (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم ولا علاقة لها بالفريقين المتقدمين فلا نافية ويملكون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل تعود على الناس كلهم والشفاعة مفعول به وإلا أداة حصر ومن اسم موصول محله الرفع على البدل من

الواو أو النصب على الاستثناء المتصل وجملة اتخذ صلة وعند الرحمن ظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لاتخذ وعهداً هو المفعول الأول واختار أبو البقاء والزمخشري أن يكون الاستثناء منقطعاً هذا وقد اضطربت الاقوال في هذه الآية ولهـذا سنفرد بها بحثاً خاصاً في باب الفوائد • (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) جملة اتخذ الرحمن ولداً مقول القول واتخذ الرحمن ولداً فعل وفاعل ومفعول به • (لقد جئتم شيئاً إداً) اللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وجئتم فعل وفاعل وشيئاً مفعول به وإداً صفة • (تكـاد السموات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هداً) تكاد من أفعال المقاربة العاملة عمل كان والسموات اسمها وجملة يتفطرن خبرها والنون فاعل ومنه جار ومجرور متعلقان بيتفطرن وتنشق الارض فعل مضارع وفاعل وتخر الجبال فعل مضارع وفاعل وهداً مصدر في موضع الحال أي مهدودة أو مفعول مطلق لأنه مصدر على غير لفظ الفعل وانما هو مرادفه لأن الخرور هو السقوط والهدم واختار الزمخشري أيضاً أن يكون مفعولا لأجله أي لأن تهد وهـدّ يستعمل متعدياً ولازماً فعلى الوجه الاول هو متعد لأنه صيغ منه معنى اسم المفعول وعلى الثاني هو لازم لأن خر لازم ومرادفه يجب أن يكون مثله فتأمل هذا فانه دقيق • (أن دعوا للرحمن ولداً) أن وما في حيزها مصدر فيه ثلاثة أوجه البدلية من الهاء في منه فهو كقوله :

على حالة لو أن في القوم حاتماً   عـلى جوده لضنّ بالماء حاتم

فقد روي حاتم مجروراً لأنه بدل من ضمير جوده وسنتحدث في باب الفوائد عن هذا البيت والنصب بنزع الخافض والجار والمجرور في محـل نصب مفعول لأجله علل الهدّ بدعـاء الولـد للرحمن والرفـع بأنه فاعـل هداً أي هدها دعـاء الولـد للرحمن •

ودعوا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين وللرحمن متعلقان بدعوا وولداً مفعول دعوا الثاني والأول محذوف تقديره معبودهم لأن معنى دعوا سموا وهي تتعدى لاثنين ويجوز دخول الباء على الثاني تقول دعوت ولدي بزيد ودعوت ولدي زيداً ، وقال الشاعر :

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أرضع لها بلبان

وقال آخر :

ألا رب من يدعى نصيحاً وإن يغب
تجده بغيب منك غير نصيح

وقال الزمخشري : « اقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلباً للعموم والإحاطة بكل ما دعا له ولداً ، أو من دعا بمعنى الذي مطاوعه مافي قوله عليه السلام : من ادعى إلى غير مواليه وقول الشاعر :

إنا بني نهشل لا ندعي لأب عنه ولا هو لا بالأبناء يشرينا

أي لا تنسب إليه » . (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً) الواو حالية أو عاطفة وما نافية وينبغي فعل مضارع وللرحمن متعلقان به وأن يتخذ مصدر مؤول في محل رفع فاعل وولداً مفعول به . (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) إن نافية وكل مبتدأ ومن مضاف اليه وفي السموات والارض متعلقان بمحذوف صلة من ويجوز أن تكون من نكرة موصوفة بالجار والمجرور لأنها وقعت بعد كل نكرة ولعله أولى وإلا أداة حصر وآتي الرحمن خبر وعبداً حال

من الضمير المستتر في آتي . (لقد أحصاهم وعدهم عداً) اللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وأحصاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وعدهم عطف على أحصاهم وعداً مفعول مطلق . (وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) الواو عاطفة وكلهم مبتدأ وآتيه خبر ، وكل إذا أضيف الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس فالمنقول أنه يجوز أن يعود الضمير مفرداً على لفظ كل فتقول كلكم ذاهب ويجوز أن يعود جمعاً مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون أما إن حذف المضاف المعرفة فالمسموع من العرب الوجهان لأن الأول أنكره بعضهم ، ويوم القيامة ظرف متعلق بآتيه وفرداً حال . (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) ان واسمها وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا الصالحات عطف على آمنوا وجملة سيجعل خبر ان ولهم مفعول يجعل الثاني والرحمن فاعل ووداً مفعول يجعل الاول وهذا الجعل بالنسبة للدنيا طبعاً أي يزرع في قلوبهم مودة من غير تودد منهم . (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً) الفاء الفصيحة لأنها عطفت على مقدر كأنه قيل بلغ هذا المنزل عليك وبشر به وأنذر فإنما يسرناه وانما كافة ومكفوفة وقد أفادت التعليل لهذا المقدر ويسرناه فعل ماض وفاعل ومفعول به وبلسانك متعلقان بمحذوف حال أي جارياً ، لتبشر اللام للتعليل وتبشر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وبه متعلقان بتبشر والمتقين مفعول به وتنذر معطوف وبه متعلقان بتنذر وقوماً مفعول به ولداً صفة . (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) كم خبرية مفعول مقدم لأهلكنا وقبلهم ظرف متعلق بأهلكنا ومن قرن تمييز وقد تقدم تقريره والمراد أمة . (هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً) هل حرف للاستفهام الانكاري وتحس فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت ومنهم حال لأنه كان صفة لأحد ومن حرف جر زائد وأحد

مجرور بمن لفظاً مفعول به منصوب محلاً أو حرف عطف وتسمع عطف على تحس ولهم حال وركزاً مفعول به •

البلاغـة :

انطوت خواتيم سورة مريم على فنون عديدة :

أولها : التكرار فقد تكرر ذكر الرحمن كما قلنا ست عشرة مرة في السورة معظمها في خواتيمها والفائدة فيه انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره وخلق لهم جميع متطلباتهم التي بها قوام معايشهم فهل اعتبر الانسان ؟ أم لا يزال الغطاء مسدولاً على عينيه والوقر يغشى أذنيه ؟ فمن أضاف اليه ولداً جعله كالاناسي المخلوقة وأخرجه بذلك عن استحقاق هذا الاسم الجدير به وحده •

وثانيها : الالتفات في قوله « لقد جئتم » التفت من الغيبة الى الخطاب لمشافهتهم بالأمر المنكر الذي اجترحوه ، والبدع العجيب الذي ارتكبوه •

الفوائـد :

١ ــ قلنا ان أقوال المعربين اضطربت في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الى آخر الآية وقد اخترنا ما رأيناه ــ في نظرنا ــ أمثل الأوجه وننقل فيما يلي لمعاً من أقوالهم مع التعليق عليها بما يناسب المقام فقد تورط الزمخشري ، وجلّ المعصوم ، بقوله « ويجوز أن تكون ــ أي الواو في يملكون ــ علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث » من جهتين الأولى إنه نسب الى القرآن وهو أبلغ الكلام أردأ اللغات

وأشدها نكراً حتى لقد ضرب المثل بقبحها والثانية انه إذا جعله علامة لمن فقد كشف معنـاه وأفصح بأنها متناولة جمعاً ثم أعاد عـلى لفظها بالإفراد ضمير اتخذ ففيه الاعادة على لفظها بعد الاعادة على معناها بما يخالف ذلك وهو مستنكر عندهم لأنه اجمال بعد ايضاح وذلك تعكيس على طريق البلاغة وانما محجتها الواضحة الايضاح بعد الاجمال .

وقال البيضاوي : « إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً » إلا من تحلى بما يستعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى أو إلا من اتخـذ من الله إذناً فيها كقوله تعالى : « لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن » من قولهم عهد الأمير الى فلان بكذا إذا أمره به ومحل الرفع على البدل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أي إلا شفاعة من اتخذ » وهو شبيه بالرأي الذي جنحنا اليـه إلا أنه جنح الى القول بأن الاستثناء منقطـع . وعبارة أبي حيان : « والضمير في لا يملكون عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين إذ هم قسماه والاستثناء متصل ومن بدل من ذلك الضمير أو نصب على الاستثناء ولا يملكون استئناف اخبار » ثم أورد أقوالاً عديدة نضرب عنها صفحاً .

وقال أبو البقاء « لا يملكون حال إلا من اتخذ في موضع نصب على الاستثناء المنقطع وقيل هو متصل على أن يكون الضمير في يملكون للمتقين والمجرمين وقيل هو في موضع رفع بدلاً من الضمير في يملكون ».

وفي الكرخي شارح الجلالين « قوله أي الناس قدره تمهيداً لجعل الاستثناء في قوله إلا من اتخـذ منصلاً لدلالـة ذكر الفريقين المتقين والمجرمين إذ هما قسماه وقيل ضمير يملكون عائد على المجرمين المراد بهم الكفار ، قال بعضهـم لا يملكون أن يشفعوا لغيرهـم كما يملك المؤمنون » وحسبنا ما تقدم فقد طال مجال القول .

٢ ـ عودة الى بيت الفرزدق :

ونعود الى بيت الفرزدق وهو من أبيات له يعتذر عما وقع منه في السفر مع دليله عاصم العنبري حين ضل عن الطريق والابيات هي :

فلما تصافنا الأداوة أجهشت — الى غضون العنبري الجراضم
فجاء بجلسود له مثل رأسه — ليشرب ماء القوم بين الصرائم
على حالة لو أن في القوم حاتماً — على جوده لضنّ بالماء حاتم

والتصافن اقتسام الماء القليل بالصفن وهو وعاء صغير لنحو الوضوء والأداوة ظرف الماء وجمعها أداوى وايقاع التصافن عليها مجاز لأنها محل الماء والمراد تقاسمنا الماء فهو مجاز مرسل علاقته المحلية والجهش والاجهاش تضرع الانسان الى غيره وتهيئته للبكاء اليه كالصبي الى أمه ، وغضون الجلد مكاسره ، وإسناد الاجهاش اليها مجاز عقلي أو مجاز مرسل علاقته المحلية أيضاً لأنها محل ظهور أثره والجراضم واسع البطن كثير الأكل والمراد بالجلمود إناء صلب كبير مثل رأسه أي رأس العنبري وفيه إشارة بارعة إلى حمقه لأن افراط الرأس في العظم أمارة البلادة وفي الصلابة أيضاً اشارة الى ذلك وقوله بين الصرائم جمع صريمة وهي منقطع الرمل إشارة الى أنهم كانوا في مفازة عمياء لا ماء بها على حالة ضنكة بحيث لو ثبت في تلك الحالة أن حاتماً في القوم مع جوده المشهور لبخل بالماء وعلى بمعنى في ورواية المبرد في كامله على ساعة .

سُورَةُ طه

مكية وآياتها خمس وثلاثون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

اللغـــة :

(العلا) : ويجوز كتابتها بالياء والألف لأن الفعل علا يعلو وعلي يعـلى وهي المرتبة والرفعة وقال السيوطي وأبو البقاء : هي جمع عليا ككبرى وكبر فكتبت بالياء .

(استوى) : لها في اللغة معان كثيرة قال في القاموس : « استوى الشيء اعتدل واستقام يقال : سويت الشيء فاستوى واستوى الرجل :

استقام أمره وانتهى شبابه وبلغ أشده ، واستوى عليه : ظهر واستولى واستوى على ظهر الدابة استقر ، يقال : استوى على سرير الملك كناية عن التملك واستوى الى الشيء قصده واستوت به الأرض هلك ودفن فيها واستوى الطعام نضج . وأصل الفعل الثلاثي سوِي يَسْوَى سوىً الرجل : استقام أمره .

وقال في الأساس : « استوى الشيئان وتساويا وساوى أحدهما صاحبه وفلان يساويك في العلم وساوى بين الشيئين وسوّى بينهما وساويت هذا بهذا وسويته قال الراعي :

بجُردٍ عليهنّ الأجلّة سُوّيت
بضيف الشتاء والبنين الأصاغر

أي يصونها صيانة الضيوف والأطفال وسويت المعوج فاستوى ورزقك الله تعالى ولداً سوياً لا داء به ولا عيب وهما على سوية من الأمر وسواء وفيه النصفة والسوية وهما سَواء وهم سواسية في الشر وأنتما سيان وما هو بسيّ لك وفعل القوم كذا ولا سيما زيد ومكان سِوىً : وسط بين الحدين وجاءوا سوى فلان وسَواءَه « فرآه في سَواء الجحيم » في وسطها وضرب سواءَه وسطه وضربه على مستوى مَفْرِقه قال بعض بني أزنم :

نحن من خير مَعَدٍّ نسبا ولنا قِدْماً على الناس المَهَل
إذ ضربنا الصمّة الخير على مستوى مفرقه حتى انجدل

ورجل سَواء القدم : مستويها ليس لها أخمص ، ومن المجاز : إذا صليت الفجر استويت اليك قصدتك قصداً لا ألوي على شيء

« ثم استوى الى السماء » واستوى عـلى الـدابة والفراش والسرير وانتهى شبابه واستوى واستوى على البلد » وسيأتي المراد به في الآية في باب البلاغة .

(الثرى) : في المصبـاح : « الثرى وزان الحصى ندى الأرض ، وأثرت الأرض بالألف كثر ثراها والثرى أيضاً : التراب الندي فإن لم يكن ندياً فهو تراب ولا يقال لـه حينئذ ثرى » وفيه أيضاً : « نديت الأرض ندى من باب تعب فهي ندية مثل تعبة ويعدّى بالهمز والتضغيف وأصابهـا نداوة وثدوة بالضـم والتثقيـل » وفي الأساس واللسان وغيرهمـا : « شهر ثَرَى ، وشهر تَرَى ، وشهر مَرْعى أي تكون الأرض ندية أولاً ثم ترى الخضرة ثم يطول النبات حتى يصلح للراعية وثَرَى المطر التراب يثريه وهو مَثْري وثرِي التراب فهو ثَرٍ وثرَّيت التراب نديته وثرّيت السويق » .

(وأخفى) سيأتي الكلام فيها في باب الاعراب .

الاعراب :

(طـه) تقدم القول في فواتح السور واعرابها . (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ما نافية وأنزلنا فعـل وفاعـل وعليك متعلقان بأنزلنا والقرآن مفعول به ولتشقى اللام للتعليل وتشقى فعل مضارع منصوب بأن مضمـرة بعـد اللام وسيأتي المراد بالشقاء في باب الفوائـد . (إلا تذكرة لمن يخشى) إلا أداة حصر وتذكرة مفعول لأجله والاستثناء منقطع ، قال أبو البقـاء ولا يجوز أن يكون مفعولاً من أجله لأنزلنا المذكورة لأنها قد تعدت الى مفعول له وهو لتشقى فلا تتعدى الى آخر من جنسه ولا يصح أن يعمل فيها لتشقى لفساد المعنى ، وقيل تذكرة

مصدر في موضع الحال واختار الزمخشري أن تكون تذكرة مفعولاً لأجله قال : « وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماع الشرائط » وعلى هذا جرى معظم المعربين والمفسرين ، قال الكرخي في تعليقه على عبارة الجلال السيوطي : « أشار الى أن الاستثناء منقطع وأن تذكرة مفعول من أجله والعامل أنزلناه المقدر لا المذكور وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة لقوله ما أنزلنا وتعدى في لتشقى باللام لاختلاف العامل لأن ضمير أنزلنا لله وضمير لتشقى للنبي فلم يتحد الفاعل واتحد في تذكرة لأن المذكر هو الله تعالى وهو المنزل فنصب بغير لام » وأنكر أبو علي الفارسي أن يكون مفعولاً لأجله أو بدلاً من لتشقى قال وانما هو منصوب على المصدرية أي أنزلناه لتذكر به تذكرة ، وإنما أوردنا هذه الأقوال على تباينها وتدافعها لأننا لم نستطع الترجيح بينها . (تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى) مفعول مطلق لفعل محذوف وتقديره نزلناه تنزيلاً فحذف وجوباً على حد قول ابن مالك :

والحذف حتم مع آت بدلا من فعله كندلاً اللذ كاندلا

وأجاز الزمخشري فيه وجوهاً كلها واردة فقال « في نصب تنزيلاً وجوه : أن يكون بدلاً من تذكرة إذا جعل حالاً لا إذا كان مفعولاً له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمراً وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة ، وأن ينصب على المدح والاختصاص ، وأن ينصب بيخشى مفعولاً به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين » وممن متعلقان بتنزيلاً وجملة خلق الأرض والسموات صلة والعلى صفة . (الرحمن

على العرش استوى) الرحمن خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو أو مبتدأ وعلى العرش متعلقان باستوى وجملة استوى خبر ثان لـ « هو » المقدرة أو خبر الرحمن وسيأتي معنى الاستواء على العرش في باب الفوائد .
(له مافي السموات ومافي الأرض ومابينهما وماتحت الثرى) له خبر مقدم وما مبتـدأ مؤخر وفي السموات صلة ومافي الارض عطف عـلى مافي السموات وما بينهما كذلك وما عطف على ما وتحت الثرى ظرف متعلق بمحذوف صلة ما . (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) الواو استئنافية مسوقة لبيان شرع الله تعالى في دعائه وان شرطية وتجهر فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره أنت وبالقول جار ومجرور متعلقان بتجهر فإنه الفاء رابطة لأن الجواب جملة اسمية وان واسمها وجملة يعلم السر خبرها وأخفى عطف على السر أي أخفى منه فهو اسم تفضيل من خفي بمعنى استتر وغاب وأجاز بعضهم أن يكون فعلاً ماضياً أي وأخفى الله عن عباده غيبه وعندنا أن ذلك غير جائز لأنه من جهة اللفظ يلزم منه عطف الفعلية على الاسمية إن كان المعطوف عليه هو الجملة الكبرى أو عطف الماضي على المضارع إن كان المعطوف عليه الجملة الصغرى وكلاهما دون الأحسن ومن جهة المعنى واضح أن المقصود الحض على ترك الجهر باسقاط فائدته من حيث إن الله يعلم السر وما هو أخفى منه فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر وأما إذا جعل فعلاً فيخرج عن مقصود السياق ، واعلم أنهم قد يحذفون من من افعل إذا أريد به التفضيل ومعنى الفعل وهم يريدونها فتكون كالمنطوق بها نحو زيد أكرم وأفضل فلم تأت بألف ولام كما لم تأت بها مع من لأن الموجود حكماً كالموجود لفظاً أي : يعلم السرّ وأخفى منه والذي يدل على ارادة من أن أخفى لا ينصرف كما لا ينصرف آخر من قولك مررت برجل آخر إذا أردت من معـه وإن لم تذكره وانما

نكره للمبالغة في الخفاء • (الله لا إلــه إلا هو له الاسماء الحسنى) الله مبتدأ وجملة لا إله إلا هو الاسمية خبر وقد تقدم اعراب لا إله إلا هو مفصــلاً وله خبر مقــدم والأسماء مبتدأ مؤخر والحسنى صفة للأسماء والجملة خبر ثان • ومعلوم أن جمع التكسير في غير العقلاء يعامل معاملة المؤنثة الواحدة •

الفوائــد :

١ ـــ روى التاريخ : ان أبا جهــل والنضر بن الحارث قالا له : إنك شقي لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الاسلام وهذا القرآن هو السلّم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدّت قدماه أي تورمت كما في الصحاح فقال له جبريل عليه السلام أبق عــلى نفسك فإن لها عليك حقاً ويحتمــل أن يراد لا تتعب نفسك بفرط أسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا البلاغ ، ولم يكتب عليك أن يؤمنوا بعــد ان لم تفرط في أداء الرسالة واسداء الموعظــة الحسنة • والشقاء يجيء في معنى التعب قال ابن كيسان : « وأصل الشقاء في اللغة العناء والتعب ومنه قول المتنبي :

ذو العقـــل يشقى في النعيـــم بعقله
وأخو الجهالـــة في الشقــاوة ينعـــم

٢ ـــ الاستثناء المنقطع :

استثناء الشيء من غير جنسه لامعنى له ولا مورد من ذلك فليست فيه « إلا » للاستثناء على سبيل الأصل وانما هي بمعنى « لكن » وهو

ما يسمونه « الاستثناء المنقطع » ومع ذلك فلا بد من الارتباط بين المستثنى منه والمستثنى ومن ذلك قوله تعالى « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى » أي لكن أنزلناه تذكرة فتذكرة مستثنى من المصدر المؤول من تشقى بأن المضمرة بعد لام التعليل لأن المعنى ما أنزلنا القرآن لشقائك .

وَهَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ
ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾
فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ
بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾
إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾
فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

اللغــة :

(آنست) : أبصرت والايناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يبصر به الاشياء وقال جرير :

إن العيــــون الــتي في طرفهـــا حور
قتلننا ثــم لــم يحيـــين قتـــــلانا

يصـــرعن ذا اللب حتى لا حراك بـــه
وهــن أضعف خلق اللـــــــه انسانا

وفي قوله إنسانا تورية بديعة .

(بقبس) : القبس : الجذوة من النار .

(طوى) : اسم علم للوادي ويقرأ بغير تنوين على أنه معرفة مؤنث علم للبقعة وقيــل هو معدول وإن لم يعرف لفظ المعــدول عنه فكأن أصله طاوي فهو في ذلك كجمع وكتع وقال في القاموس : « وطوى بالضم والكسر وينون وادٍ بالشام » وقال علماء النحو : وأما طوى فمن منع صرفه فالمعتبر فيه التأنيث باعتبار البقعة لا العدل عن طاو ولأنه أي العدل قد أمكن غيره وهو التأنيث فلا وجه لتكلف العدل .

(أخفيها) : سيأتي الكلام عنها في الاعراب .

(فتردى) : في المختار : ردى من باب صدى أي هلك وأرداه غيره وردى في البئر تردى يردي إذا سقط فيها أو تهور من جبل .

الاعراب :

(وهل أتاك حديث موسى) الواو للاستئناف والجملة استئنافية مسوقة لسرد قصة موسى ليتأسى به النبي صلى الله عليه وسلم في تحمل

آعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر عـلى مقاساة الشدائد ومعاناة الأهوال ، وأتاك فعل ومفعول به وحديث موسى فاعـل والاستفهام للتقرير ومعناه أليس قد أتاك حديث موسى ؟ وقيـل معناه : قد أتاك حديث موسى • (إذ رأى ناراً فقال لأهله : امكثوا إني آنست ناراً) الظرف متعلق بالحديث لأنه حدث أو بمضمر تقديره اذكر وجملة رأى مضاف اليها الظرف وناراً مفعول به فقال عطف على رأى ولأهله متعلقان بقال وجملة امكثوا مقول القول وجملة إني تعليل للأمر بالمكوث وان واسمهـا وجملة آنست خبرها وناراً مفعول به • (لعلي آتيكم منهـا بقبس أو أجد على النار هدى) لعل واسمها وجملة آتيكم خبرها ومنها متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لقبس أو حرف عطف وأجد معطوف على آتيكم وفاعل أجد مستتر تقديره أنا وعلى النار جار ومجرور متعلقان بأجد وهي على مكانها للاستعلاء على حد قول الأعشى:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة … إلى ضوء نار في يفـاع تحرق

تشـــب لمقرورين يصطليانها … وبات على النار الندى والمحلق

أي أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد • وهدى مفعول به أي يهديني الطريق ويدلني عليهـا قـال الفراء : أراد هادياً فذكره بلفظ المصدر أو عبر بالمصدر لقصد المبالغة على حذف المضاف أي ذا هدى • (فلما أتاها نودي يا موسى) الفاء عاطفة على محذوف والتقدير فيمم شطر النار ولما ظرفية حينية أو رابطة وأتاها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة نودي لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ويا موسى حرف نداء ومنادى • (إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى) إن واسمها وأنا تأكيـد للضمير أو مبتـدأ وربك خبر إني أو خبر أنا

والجملة خبر إن والأول أولى ، فاخلع الفاء الفصيحة واخلع فعل أمر وفاعل مستتر وتعليك مفعول به وجملة إنك تعليل للخلع وان واسمها وبالوادي خبرها والمقدس صفة وطوى بدل أو عطف بيان وقد تقدم القول في منعه من الصرف أو عدم منعه في باب اللغة . (وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) الواو عاطفة وأنا مبتدأ وجملة اخترتك من الفعل والفاعل والمفعول به خبر ، فاستمع الفاء عاطفة واستمع فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت ولما متعلقان باستمع وجملة يوحى صلة ويوحى بالبناء للمجهول . (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) الجملة بدل من « ما » في لما يوحى وان واسمها وأنا تأكيد للضمير أو مبتدأ والله خبر إنني أو خبر أنا والجملة خبر إن وجملة لا إله إلا أنا خبر ثان فاعبدني الفاء الفصيحة واعبدني فعل أمر وفاعل مستتر والنون للوقاية والياء مفعول وأقم الصلاة عطف على اعبدني ولذكري متعلقان بأقم وهو مصدر مضاف لمفعول أي لتذكرني فيها وقيل المصدر مضاف للفاعل أي لذكري إياك . (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) إن واسمها وخبرها وأكاد فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة واسمها مستتر تقديره أنا وجملة أخفيها خبر أي أريد إخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ويجوز أن يراد أكاد أظهرها وفعل أخفى من الأضداد وسيرد له مزيد بحث في باب البلاغة ، ولتجزى اللام للتعليل وتجزى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وهو متعلق بأخفيها أو بآتية وجملة أكاد أخفيها اعتراضية بينهما وكل نفس نائب فاعل وبما متعلقان بتجزى وجملة تسعى صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بجزاء سعيها على حذف مضاف . (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) الفاء الفصيحة ولا ناهية ويصدنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد

وهو في محل جزم بلا الناهية والكاف مفعول به وعنها متعلقان بيصدنك ومن فاعل وجملة لا يؤمن صلة وبها متعلقان بيؤمن واتبع هواه فعـل وفاعل مستتر ومفعول به فتردى الفاء فاء السببية وتردى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء بفتحة مقدرة على الألف •

البلاغـة :

فن الابهام :

في قوله تعالى « لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » وهو فن رفيع ينطوي على الكثير من جلائل المعاني ودقائقها وهو ضد الايجاز وضد الاطناب وحدّه أن يأتي المتكلم الى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير لا لقصد افهام البليد وسماع البعيد ولا للتقرير والتوكيد ، بل للاتيان بمعنى يتشعب إلى عدة أمور كل واحد منها مستقل المفهومية فقـد قال لعلي آتيكم منها بقبس ولم يبت في الأمر لئلا يعـد ما ليس بمستيقن من الوفاء به وما أجملها حكمة تكون درساً للذين يكيلون الوعود جزافاً ولا يفكرون في الوفاء بها ثم قال لعلي أجد على النار هدى وهذا يحتوي على معنى آخر ثم يتشعب فالهداية هي المعنى الرئيسي ثم ان الهداية قد تكون بالنار نفسها بخاصة الاضاءة الكامنة فيها وإما بواسطة القوم الذين يقومون بإيقادها ويفهم من هذا ضمنا أنه ضل مع أهله الذين يرافقونه وهم امرأته بنت شعيب وقد ولـدت في الطريق ابناً في ليلة شاتية مظلمة باردة وقيل مثلجة فلما أسقط في يده آنس النار فقال ما قال ثم قد يقصد بالهداية معناها المجازي الآخر أي لعلي أهتدي بنور العلم لأن أفكار الأبرار مغمورة بالهمم فتبارك قائل هذا الكلام •

وفي قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » ابهام وهو فن عجيب يقول فيه المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متغايرين لا يتميز أحدهما عن الآخر فكلمة أخفيها أولاً تعني أموراً منها :

آ ـ أي أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي اخفاءها ولولا مافي الإخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به .

ب ـ أكاد أخفيها عن نفسي .

ثم انه جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه فهي من الأضداد أي أكاد أظهرها لقرب وقتها وبه فسر قول امرىء القيس :

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

أي إن تكتموا الضغائن التي بيننا نكتمها نحن أيضاً ولا نظهرها .

على أن أحسن محامل الآية الكريمة هو أن يكون المراد أكاد أزيل خفاءها أي أظهرها إذ الخفاء الغطاء وهو أيضاً ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها ثم تقول العرب أخفيته إذا أزلت خفاءه كما تقول أشكيته وأعتبته إذا أزلت شكايته وعتبه .

قال أبو علي القالي : « وقال اللحياني : خَفَيتُ الشيء أخفيه خَفْياً وخُفياً إذا استخرجته وأظهرته وأنشد لامرىء القيس :

خفاهنّ من أنفاقهنّ كأنما خفاهن ورق من سحاب مركب

قال أبو علي : وغيره يروي : من عشي مُجَلَّب أي مصوت ويقال : اختفيت الشيء أي أظهرته وأهل الحجاز يسمون النباش

المختفي لأنه يستخرج أكفان الموتى وأخفيت الشيء أخفيه إخفاء إذا سترته قال الله عز وجل : « أكاد أخفيها » وهي قراءة العامة أي أظهرها وقال أبو عبيدة : أخفيت الشيء كتمته وأظهرته ويقال دعوت الله خُفية وخِفية أي في خفض •

مجموعة من الاضداد في اللغة :

هذا ومن الاضداد الجلل للعظيم وللهين فمن الأول قول الشاعر :

ولئن عفوت لاعفون جلــــلا ولئن سطوت لأوهنن عظمي

ومن الثاني قول امرىء القيس لما قتل أبوه :

بقتـــل بني أسد ربهـــم ألا كل شيء سواه جلل

ومنها : غابر للذاهب والآتي ، والجون للأبيض والأسود والبين للبعد والقرب ، والصريم : الليل والنهار ، والناصع الابيض والاسود ، والامم للعظيم واليسير ، والناهل للريان والظمآن ، ووراء بمعنى قدام وخلف، وبعت الشيء اذا بعته من غيرك وبعته اشتريته، وشعبت الشيء: أصلحته وشققته ، والصارخ للمستغيث والمغيث ، والهاجد للمصلي بالليل والنائم ، والوهدة : الارتفاع والانحــدار ، والتعزير للاكرام والاهانة ، والتقريظ للمدح والذم ، وترب للغني والفقير ، والاهماد للسرعة في السير والاقامة ، وعسعس : إذا أقبــل وإذا أدبر ، والقرء للحيض والطهر •

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (١٩) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ (٢١) وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ
سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى (٢٣)﴾

اللغـــة :

(أهش) : في المصباح : هشّ الرجل هشّاً من باب رد : صال بعصاه وفي التنزيل « وأهش بها على غنمي » وهش الشجرة هشاً ضربها ليتساقط ورقها وهش الشيء يهش من باب تعب هشاشة لان واسترخى فهو هش وهش العـود يهشّ أيضاً هشوشاً صار هشاً سريع الكسر وهش الرجل هشاشة إذا ابتسم من بابي تعب وضرب .

(جناحك) : سيأتي تفسيرها في باب البلاغة .

الاعراب :

(وما تلك بيمينك ياموسى) الواو عاطفـة وما اسم استفهـام للتقرير مبتدأ وتلك خبره وبيمينك متعلق بمحذوف حال وهي تشبه قوله تعالى « وهذا بعلي شيخاً » والعامل في الحال المقدرة اسم الاشارة ويا موسى نداء فما اسم نكرة في موضع رفـع بالابتداء والتقدير أي شيء تلك بيمينك وهي مبنية لتضمنها همزة الاستفهام وإنما جيء بها لضرب من الاختصار وذلك أنك إذا قلت ما بيدك فكأنك قلت : أعصا بيدك أم سيف أم خنجر ونحو ذلك مما يكون بيده وليس عليه إجابتك

عما بيده إذا لم تأت على المقصود فجاءوا بما وهو اسم واقع على جميع مالا يعقل مبهم فيه وضمنوه همزة الاستفهام فاقتضى الجواب من أول وهلة فكان فيه من الإيجاز ما ترى • (قال : هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي) هي مبتدأ وعصاي خبره وجملة أتوكأ عليها حالية وقيل مستأنفة وأهش بها على غنمي عطف على أتوكأ عليها وبها متعلقان بأهش وكذلك على غنمي وتعدية أهش بعلى يفيد معنى التهويل والتخويف للغنم • (ولي فيها مآرب أخرى) هذا هو الجواب الرابع الذي أجاب به موسى عن سؤال واحد وسيأتي سر ذلك في باب البلاغة ولي خبر مقدم وفيها حال ومآرب جمع مأربة بتثليث الراء مبتدأ مؤخر وأخرى صفة لمآرب ، وهذه المآرب الأخرى سيرد قسم كبير منها في باب البلاغة كما يرد تلخيص مفيد لكتاب العصا للجاحظ • (قال : ألقها يا موسى) جملة ألقها مقول القول ويا موسى نداء • (فألقاها فإذا هي حية تسعى) ألقاها فعل وفاعل ومفعول به والفاء عاطفة وإذا للمفاجأة وهل هي ظرف أم حرف ؟ تقدم بحث ذلك مفصلاً ، وهي مبتدأ وحية خبر وجملة تسعى حال أو خبر ثان وقد تقدم ذكر المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي • (قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) جملة خذها مقول القول والواو حرف عطف ولا ناهية وتخف فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والسين حرف استقبال ونعيدها فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره نحن وسيرتها منصوب بنزع الخافض أي الى سيرتها وهذا أسهل الاعاريب وقيل هي ظرف قالوا « السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين فنصبت على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى » وأجاز آخرون كأبي البقاء وبه بدأ أن تكون بدل اشتمال من ضمير المفعول لأن معنى سيرتها صفتها وطريقتها

وأتى الزمخشري بإعراب آخر مهد له وحسنه قال « ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلاً بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حيـة فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولاً ونصب سيرتها بفعـل مضمر أي تسير سيرتها الأولى » والأولى صفة لسيرتها على كل حال • (واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) واضمم عطف على ألقها ويدك مفعول به والفاعل مستتر تقديره أنت والى جناحك جار ومجرور متعلقان باضمم وتخرج جزم لأنه جواب الطلب وبيضاء حال ومن غير سوء متعلقان ببيضاء لما فيها من معنى الفعل نحو ابيضت من غير سوء وليكون الاحتراس كاملاً كما سيأتي في باب البلاغة أو متعلقان بتخرج وآيـة حال ثانية من فاعـل تخرج أيضاً وأخرى صفة لآيـة واختار الزمخشري وجهاً آخر لنصب آيـة وهو « باضمار نحو خذ أو دونك وما أشبه ذلك » ولا نرى داعياً لذلك • (لنريك من آياتنا الكبرى) اللام للتعليل ونريك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وهو تعليل لمحذوف متعلق به أي أمرناك بما ذكرنا لنريك بها أي بيدك ومن اياتنا متعلقان بمحذوف على أنه حال من الكبرى وتكون الكبرى على هذا مفعولاً ثانياً لنريك أو صفة للمفعول الثاني على الأصح والتقدير لنريك الآية الكبرى من آياتنا أي حال كونها من آياتنا وقيل غير ذلك وما ذكرناه أولى فلا داعي لذكره •

البلاغـة :

قد تستوعب هذه الآية أجلاداً ضخمة لما انطوت عليه من ضروب البلاغـة وذلك ما نهـدف اليه من كتابنا ، ولكننا سنجتزىء بقـدر الامكان فنقول :

١ ـ فن التلفيف :

في قوله تعالى « وما تلك بيمينك يا موسى » الى آخر ما أجاب به موسى صلوات الله عليه من الاجوبة الاربعة فن طريف لم يرد ذكره حتى الآن وهو فن التلفيف ، وحدّه اخراج الكلم مخرج التعليم بحكم أو أدب لم يرد المتكلم ذكره وانما قصد ذكر حكم خاص داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرح بتعليمه ، وهذا التعريف المطول نعتقد أنه يحتاج الى بيان وهو أن يسأل السائل عن حكم هو نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة الى بيانها كلها أو أكثرها فيعدل المسئول عن الجواب الخاص عما سئل عنه من تبيين ذلك النوع ويجيب بجواب عام يتضمن الابانة على الحكم المسئول عنه وعن غيره بدعاء الحاجة الى بيانه نقول موسى جواباً عن سؤال الله تعالى له « هي عصاي » هو الجواب الحقيقي للسؤال ثم قال : « أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى » فأجاب عن سؤال مقدر كأنه توهم أن يقال له : وما تفعل بها ؟ فقال معدداً منافعها ولم يقع ذلك من موسى عليه السلام إلا لأمور ثلاثة :

آ ـ بغية الشكر لله تعالى الذي رزقه تلك العصا التي وجد فيها من المآرب مالا يوجد في مثلها .

ب ـ ان المقام مقام خطاب الحبيب وهو يقتضي البسط والاسهاب.

خ ـ تعظيم مساءلة ربه له عن منافعها فابتدأه بالجواب عن السؤال المقدر قبل وقوعه أدباً مع ربه .

والواقع أن السؤال إذا كان وارداً على شيء ظاهر فذلك السؤال إنما يتوجه الى أمر يتعلق به بحسب مقتضى الحال وإلا كان عبثاً لظهوره

كما إذا سألت شخصاً عن لبس ثياب السفر بقولك : ما هذا الثوب ؟ فإنك لا تسأل عن نفس الثوب وما هيته بل إنما سألت عن سبب لبسه فكأنك قلت : ما سبب عزيستك ؟ فجواب اللابس حينئذ أن يقول : أريد سفر كذا ولو أجاب بأنه كتان مثلاً عدّ لاغياً فكذلك هاهنا لما كان السؤال عن أمر ظاهر فيكون متوجهاً الى ما يتعلق بالعصا من منافعها فكأنه قال : ما تفعل بما في يمينك يا موسى ؟ فلذلك قال : هي عصاي أتوكأ عليها ... الآية فإن قلت : لو كان قوله تعالى : وما تلك بيمينك سؤالاً عما لا يتعلق بالعصا فكان حقّ الجواب أن يقول : أريد أن أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولكان قوله : هي عصاي ضائعاً غير مطابق للسؤال كما في السؤال عن لبس السفر .

قلت : هذا السؤال وإن كان عما يتعلق بالعصا لكنه تعالى لما علم أنه سيرد عليها الصورة الثعبانية عند سحر السحرة وكان ذلك مقام أن يخاف موسى بمشاهدة الصورة المنكرة التي ليس يعهدها فأراد تثبيت ماهيتها وعوارضها في نفسه لئلا يدهش عند ورودها عليه فلذلك قال : ما تلك ليجيب عن ماهيتها أيضاً كما يجيب عن منافعها لزيادة التثبيت فحاصل معنى الجواب حينئذ هي عصاي أعرفها بالذات والعوارض وإن صورتها مقررة في نفسي لا تنفع إلا منافع أمثالها فإني قديماً أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى .

واختار « تلك » مع قرب المشار اليه إما لتحقيره بالنسبة الى جناب كبريائه أو للتعظيم لاشتمالها على الأمور العجيبة والمنافع الكثيرة .

٢ ـ التقرير :

وفيها أيضاً التقرير وهو بالاستفهام فإنه سبحانه عالم بيمينه وإنما أراد أن يقر موسى ويعترف بكونها عصا ويزداد علمه بما يمنحه الله

في عصاه فــلا يعتريه شك إذا قلبها الله ثعباناً بل يعرف أن ذلك كائن بقدرة الله وانه هين عليه يسير .

عصا موسى وما فيها من أقوال :

هذا وقــد صنف الجاحظ كتاباً سماه كتاب العصا وهو جزيل الفائدة ونورد فيما يلي أضاميم منه ، فقد جمع الله لموسى بن عمران في عصاه من البرهانات العظام والعلامات الجسام ما عسى أن يفي ذلك بعلامات عدة من المرسلين قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر في عصاه : « إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكـم بسحرهما » الى قوله « و لايفلح الساحر حيث أتى » فلذلك قال الحسن بن هانىء ــ أبو نواس ــ في شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه :

منحتكـم يا أهــل مصــر نصيحتي
ألا فخــذوا من ناصــح بنصيـب

ولا تثبــوا وثب السفاه فتركبــوا
على حــد حامي الظهر غــير ركوب

فإن يك بــاق إفك فرعون فيكــم
فإن عصــا موســى بكف خصيـب

رماكـم أمــير المؤمنــين بحيــة
أكــول لحيات البــلاد شروب

ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصا ولا عارضهم موسى إلا بعصاه ، ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعصي والحبال لم يجعل الله للحبال من الفضيلة في إعطاء البرهان ما جعل للعصا ؟ وقدرة الله على تصريف الحبال في الوجوه كقدرته على تصريف العصا .

ثم تحدث الجاحظ بأسلوبه العذب السمح عن الشجر ومنافعها مما تأتي الاشارة إليه في حينه ،وأورد قصصاً مأثورة عن الانتفاع بالعصا ، وما كان لها عند العرب من شأن فأورد قصة عامر بن الظرب العدواني ـ حكم العرب في الجاهلية ـ لما أسنّ واعتراه النسيان أمر بنته « عمرة » أن تقرع بالعصا إذا هو فهّ عن الحكم وجار عن القصد وكانت من حكيمات بنات العرب ، حتى جاوزت في ذلك مقدار صُحْر بنت لقمان ، وهند بنت الخس وخمعة بنت حابس وكان يقال لعامر ذو الحلم ولذلك قال الحارث بن وعلة :

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لذي الحلم

وقال الفرزدق :

فإن كنتُ أنساني حلومُ مجاشع
فإن العصا كانت لذي الحلم تقرع

قلت :

قلت : هذا ما رواه الجاحظ بصدد قرع العصا ، وليس هذا القول حاسماً ففي أول من قرعت له العصا خلاف طويل فقيل هو عامر

ابن الظرب كما ذكر الجاحظ وقيل هو قيس بن خالد ذو الجدين وقيل هو عمرو بن حممة الدوسي ولكن الاشهر ما رواه الجاحظ •

وذكر العصا عندهم يجري في معان كثيرة تقول العرب : « العصا من العصية ، والأفعى بنت حية » تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير ، ويقال : طارت عصا فلان شققاً ويقال : فلان شق عصا المسلمين ولا يقـال شق ثوباً ولا غـير ذلك مما يقـع عليه اسم الشق وقال المضرّس الأسدي :

وألقت عصـاها واستقر بهـا النـوى
كمـا قر عيناً بالإيـاب المسـافر

ويقـال لبني أسد « عبيد العصا » يعنى أنهـم ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء وتسمي العرب كل صغير الرأس « العصا » وكان عمرو بن هبيرة صغير الرأس قال سويد بن كراع العكلي :

فمن مبلـغٌ رأس العصا أن بيننـا
ضغائن لا تنسـى وإن قـدم الـدهر

وكان والبة بن الحباب الأسدي أحد من أخـذ عنهم أبو نواس وكان شاعراً ماجناً صغـير الرأس فقـال أبو العتاهية في رأس والبة ورؤوس قومه :

رؤوس عصـي كـنّ من عـود أثلة
لهـا قادح يفـري وآخر مخـرب

قلت :

قلت : هذا وكان والبة قد هاجى بشاراً وأبا العتاهية فغلباه وفر الى الكوفة منهما ومما قاله في أبي العتاهية :

كان فينـا يكـنى أبا اسحق وبها الركب سار في الآفـاق
فتكـنى معتـهاً بعتـاه يا لها كنيـة أتت باتفـاق
حلق اللـه لحية لك لا تنـفك معقودة بداء الحـلاق

ودخل عمرو بن سعد بن أبي وقاص على عمر بن الخطاب حين رجع اليه من عمل حمص وليس معه إلا جراب وإداوة وقصعة وعصا فقال له عمر : ما الذي أرى بك من سوء الحال ، أم ما تصنع ؟ فقال : وما الذي تراني ؟ ألست تراني صحيح البدن ، معي الدنيا بحذافيرها ؟ قال : وما معك من الدنيا ؟ قال معي جرابي أحمل فيه زادي ، ومعي قصعتي أغسل فيها ثوبي ، ومعي إداوتي أحمل فيها مائي لشرابي ، ومعي عصاي إن لقيت عدواً قاتلته ، وإن لقيت حية قتلتها ، وما بقي من الدنيا تبع لما معي .

ومن جميل القول في العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق تفسير شعر غنيه الاعرابية في شأن ابنها وذلك انها كان لها ابن" شديد العرامة كثير التلفت الى الناس مع ضعف أسر ، ودقة عظم ، فواثب مرة فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفه وأخذت غنية دية أنفه فحسنت حالها بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت الدية فزادت دية أذنه في المال وحسن الحال ثم واثب بعد ذلك آخر فقطع شفته فلمّا رأت

ما قد صار عندها من الابـل والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها حسن رأيها فيه فذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

أحلف بالمـرو ة حقاً والصفا أنك خـير من تفاريق العصا

فقيـل لابن الأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ قـال : العصا تُقطـع ساجوراً وتقطع عصا الساجور فتصير أوتاداً ويفرق الوتد فتصير كل قطعة شِظاظاً فإن كان رأس الشظاظ كالعلكة صار للنجتي مهاراً وهو العود الذي يدخل في أنف النجتي (والنجتي الجمل الخراساني) وإذا فرق المهـار جاءت منه تواد والسواجـير تكون للكـلاب والأسرى من الناس .

وسئل عن قوله « ولي فيها مآرب أخرى » قال : لست أحيط بجسيع مآرب موسى عليه السلام ولكني سأنبئكم جملاً تدخل في باب الحاجة الى العصا من ذلك : انها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ولعير العانة في زمن هيج الفحول وكـذلك فحول الجحور في المروج ويتوكأ عليها الكبير الدانف والسقيم المدنف والأقطع الرجل والأعرج فإنها تقوم مقام رجل أخرى ، وقال أعرابي مقطوع الرجل :

ألـلـه يعلم أني من رجالهم وإن تخـدّد عن متنيَّ أطماري
وإن رزئت يداً كانت تجمّلني وإن مشيت على زج ومسمار

والعصا تنوب للأعمى عن قائده وهي للقصار والفاشكار والدباغ ومنها المفأد للمَلّة (أي الخشبة يحرك بها الرماد الحـار) والمحراك للتنور وهي لدق الجص والجبسين والسمسم ولخبط الشجر وللفيج (ساعي البريد والدولة) وللمكاري فانهما يتخذان المخاصر فاذا طال

الشوط وبعدت الغاية استعانا في حضرهما وهرولتهما في أضعاف ذلك بالاعتماد على وجه الارض وهي تعـدل من ميل المفلوج وتقيـم من ارتعاش المبرسم (المصاب بمرض البرسام) ويتخذها الراعي لغنمـه ، وكل راكب لمركبه ، ويدخل عصاه في عروة المزود ويمسك بيده الطرف الآخر وربما كان أحد طرفيها بيد رجل والطرف الآخر بيد صاحبه وعليها حمل ثقيل ، وتكون ـ إن شئت ـ وتداً في حائط وإن شئت ركزتها في الفضاء وجعلتها قبلة وإن شئت جعلتها مظلة وإن جعلت فيها زُجاً كانت عنزة وإن زدت فيها شيئاً كانت عكازاً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت مِطرداً وإن زدت فيها شيئاً كانت رمحاً ، والعصا تكون سوطاً وسلاحاً.

ونجتزىء بما تقدم من كتاب الجاحظ ونعود الى مآرب موسى فقد ذكر في الكشاف « وقيل في المآرب كانت ذا شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين عـلى شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل ، وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه » .

٣ ـ الاستعارة المكنية :

في قوله « واضمم يدك الى جناحك » الجناح معروف وقيل لكل ناحيتـين جناحان كجناحي العسكر وجناحا الإنسان جنباه والأصـل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران أي يميلهما والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج .

٤ ـ الاحتراس والكناية :

وفي قوله « تخرج بيضاء من غير سوء » فن الاحتراس وقد تقدم ذكره والسوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة وكان جـذيمة بن الوضاح أبرص فكنوا عنـه بالأبرش لأن البرص أبغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة فكان جديراً أن يكنى عنه ولا أحسن ولا ألطف من كنايات القرآن كما يأتي ولو أنه لم يذكر من غير سوء لتوهم أن البياض قد ازداد حتى صار برصاً فأتى بقوله من غير سوء دفعاً لذلك التوهم •

اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى
﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟
قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ
أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

اللغـــة :

(وزيراً) : مشتق من الوزر لأنه يتحمـل عن الملك أوزاره أي أثقالـه فهو معين على أمر الملك وقائم بأمره وقيـل بل هو مشتق من الوزر بفتحتين وهو الملجأ ومنه قوله تعالى : « كلا لا وزر » وقيل بل

هو مشتق من المؤازرة وهي المعاونة وفي القاموس الأزر الاحاطة والقوة والضعف فهو من الأضداد ، والتقوية والظهر .

الاعراب :

(إذهب الى فرعون انه طغى) إذهب فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والى فرعون متعلقان باذهب وان واسمها وجملة طغى خبرها وجملة إنه طغى تعليلية لا محل لها . (قال رب اشرح لي صدري) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة واشرح فعل دعاء ولي متعلقان باشرح وصدري مفعول به وذكر كلمة لي لفائدة سترد في باب البلاغة . (ويسر لي أمري) عطف على اشرح لي صدري . (واحلل عقدة من لساني) عطف على اشرح وعقدة مفعول به ومن لساني متعلقان بمحذوف صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني وسيأتي ما قيل في العقدة في باب البلاغة . (يفقهوا قولي) يفقهوا فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والواو فاعل وقولي مفعول به . (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي) الواو عاطفة واجعل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولي في محل نصب مفعول ثان ووزيراً مفعول به أول ومن أهلي صفة لوزيراً وهارون بدل من وزيراً وأخي بدل من هارون ويجوز أن يكون وزيراً مفعولاً ثانياً وهارون مفعولاً أول وقدم الثاني عليه اعتناء بأمر الوزارة ولي متعلقان بمحذوف حال أو بنفس الجعل ومن أهلي صفة ويجوز أن يكون وزيراً هو المفعول الاول ومن أهلي هو الثاني وجميع هذه الأوجه متساوية الرجحان . (اشدد به أزري وأشركه في أمري) اشدد فعل دعاء وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وبه متعلقان باشدد وأزري مفعول به وأشركه عطف على اشدد والهاء مفعول به وفي أمري

متعلقان باشركه وقرىء اشدد وأشركه مضارعين مجزومين بالطلب • (كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً) كي حرف مصدرية ونصب واستقبال وسيأتي بحثها في باب الفوائد ونسبحك فعل مضارع منصوب بكي وفاعل نسبحك ضمير مستتر تقديره نحن وكثيراً صفة لمصدر محذوف أو صفة لظرف محذوف فهي مفعول مطلق أو مفعول فيه ونذكرك كثيراً عطف على نسبحك كثيراً • (إنك كنت بنا بصيراً) إن واسمها وجملة كنت خبر والتاء اسم كنت وبنا متعلقان ببصيراً وبصيراً خبر كنت •

البلاغة :

١ ـ الزيادة :

زيادة « لي » في قوله تعالى « واشرح لي صدري ويسر لي أمري » والكلام تام بدونها وقد ذكر الزمخشري سراً ونذكر الثاني فيما بعد قال : « فإن قلت « لي » من قوله اشرح لي صدري ويسر لي أمري ما جدواه والكلام مستتب بدونه ، قلت : قد أبهم الكلام أولاً فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم مشروحاً وميسراً ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره » أما السر الثاني فهو أن تكون فائدتها الاعتراف بأن منفعة شرح الصدر وتيسير الأمر راجعة إليه وعائدة عليه فإن الله عز وجل لاينتفع بارساله ولا يستعين بشرح صدره تعالى وتقدس •

٢ ـ التنكير :

وفي تنكير العقدة من قوله تعالى « واحلل عقدة من لساني » دلالة

على أنه لم يسأله حل جميع عقد لسانه بل حل بعضها الذي يمنع الافهام بدليل قوله « يفقهوا قولي » كأنه قال واحلل عقدة من عقد لساني وهذه العقدة ناشئة كما يروى عن جمرة وضعها في فمه وهو صغير وقصتها في المطولات .

الفوائد :

بحث كي :

(كي) أحد أحرف النصب وهي قسمان :

١ ــ المصدرية وهي الداخل عليها اللام لفظاً نحو لكي لا تأسوا أو تقديراً نحو جئتك كي تكرمني اذا قدرت الاصل لكي وانك خذفت اللام استغناء عنها بنيتها فإن لم تقدر اللام فهي :

٢ ــ التعليلية ، فأما المصدرية فناصبة بنفسها وأما التعليلية فجارة والناصب بعدها أن مضمرة لزوماً في النثر وقد تظهر في الشعر :

فقالت أكل الناس أصبحت مانحاً

لسانك كيما ان تغرّ وتخدعا

وهذا مذهب سيبويه والخليل وجمهور البصريين أما الكوفيون فيرون أن كي ناصبة دائماً تقدمتها اللام أو لم تتقدمها .

قال أبو حيان : وأجمعوا على أنها يجوز الفصل بينها وبين معمولها بلا النافية وما الزائدة وأما الفصل بغير ما ذكر فلا يجوز عند البصريين .

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ
﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ
فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ
وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

اللغــــة :

(السؤل): الطلبة وهو فُعْل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز والأكل بمعنى المأكول .

(التابوت) : الصندوق من خشب .

(اليم) : البحر وأراد به نهر النيل .

الاعراب :

(قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) جملة قد أوتيت مقول القول وأوتيت فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وسؤلك مفعول

به ثان لأوتيت • (ولقد مننا عليك مرة أخرى) الواو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ومننا فعل وفاعل وعليك متعلقان بمننا ومرة ظرف أو مفعول مطلق وأخرى صفة لمرة • (إذ أوحينا الى أمك ما يوحى) إذ ظرف يفيد هنا التعليل وهو متعلق بمننا وجملة أوحينا مضافة إليها الظرف والى أمك متعلقان بأوحينا وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر هو مفعول مطلق أو موصولة فهي نائب فاعل وجملة يوحى صلة وهي تفيد الابهام وسترد في باب البلاغة • (أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم) أن مفسرة لأن الوحي بمعنى القول واقذفيه فعل أمر وفاعل ومفعول به وفي التابوت متعلقان باقذفيه ، فاقذفيه في اليم عطف على فاقذفيه في التابوت ولم تختلف الضمائر لأن المقذوف هو موسى عليه السلام • (فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له) الفاء عاطفة واللام لام الأمر ويلقه فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول به واليم فاعل وهذا أمر معناه الخبر ولكونه أمراً لفظاً جزم جوابه في قوله يأخذه وسيأتي مزيد بيان له في باب البلاغة وبالساحل متعلقان بيلقه أو بمحذوف حال أي ملتبساً به ويأخذه جواب الطلب والهاء مفعول وعدو فاعل ولي صفة وعدو له عطف على عدو لي • (وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني) الواو حرف عطف وألقيت فعل وفاعل وعليك متعلقان بألقيت ومحبة مفعول به ومني صفة لمحبة أي محبة عظيمة كائنة مني فلا جرم أحبك كل من رآك ويجوز تعليق مني بألقيت ولتصنع عطف على علة مضمرة مفهومة من سياق الكلام أي لتحب من الناس ، ولتصنع : اللام للتعليل وتصنع فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد اللام وعلى عيني حال أي لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك وكالئك وسيأتي بحث المجاز المرسل هنا في

باب البلاغة . (إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله ؟) إذ ظرف للتعليل متعلق بألقيت أو بتصنع أو بمحذوف تقديره اذكر وجملة تمشي مضاف اليها الظرف وأختك فاعل فتقول عطف على تمشي وهل حرف استفهام وأدلكم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وعلى من متعلقان بأدلكم وجملة يكفله صلة . (فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن) الفاء عاطفة على محذوف للايجاز تقديره فأجيبت الى طلبها فجاءت أمه فقبل موسى ثديها . ورجعناك فعل وفاعل ومفعول به والى أمك متعلقان برجعناك وكي حرف ناصب وتقر منصوب بكي وعينها فاعل ولا تحزن عطف على كي تقر . (وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً) وقتلت فعل وفاعل ونفساً مفعول قتل وقد قتل موسى القبطي بمصر واسمه قاب قان وكان طباخاً لفرعون وكانت سن موسى إذ ذاك ثلاثين سنة ؛ فنجيناك الفاء عاطفة ونجيناك فعل وفاعل ومفعول به ومن الغم متعلقان بنجيناك وفتناك فعل وفاعل ومفعول به وفتوناً مفعول مطلق إذا كان مصدراً وهو الأرجح كالقعود والجلوس والشكور والثبور واللزوم أو منصوب بنزع الخافض إذا كان جمع فتنة أي بضروب من الفتن والمعنى ابتليناك وامتحناك بأنواع من الشدائد . (فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى) الفاء عاطفة ولبثت فعل وفاعل وسنين ظرف زمان متعلق بلبثت قيل مكث عند النبي شعيب في مدين عشر سنوات وتزوج خلالها ابنته وقيل ثمانياً وعشرين سنة منها مهر ابنته وهو عشر حجج حيث قضى أوفى الأجلين ، وفي أهل مدين متعلقان بلبثت ومدين مضاف لأهل ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ثم حرف عطف وجئت فعل وفاعل وعلى قدر حال أي موافقاً لما قدر لك أو مستقراً على قدر معين

ويا موسى نداء ، وقـد اقتبس هذا التركيب جرير بقولـه مادحاً عمر ابن عبد العزيز :

أتى الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى عـلى قدر

البلاغـة :

فنون هذه الآيات البيانية كثيرة جداً نورد أهمها فيما يلي :

١ ـ التفسير بعد الابهام :

فأولها التفسير بعد الابهام وهذا النوع يؤتى به لتفخيم أمر المبهم وإعظامـه لأنه يطرق السمع بعـد أن كان متعلقاً بشيء مبهـم فتترنح الجوارح ، ويذهب بلب السامع كل مذهب وعلى هذا النحو جاء قوله تعالى « قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ، ولقد مننا عليك مرة أخرى » فابهم الكلام وأتى به مجملاً ليتعلق الذهن ، ويتطلع ما عسى أن يكون السؤل ؟ وما هي المنة الأخرى ؟ وما عسى أن يردفها من منن وآلاء ؟ انه يتشوف للمعرفة ، ويحاول اكتناه الحقيقة فيأتي قوله بعد ذلك مفسراً ما أبهم ، فيقول « إذ أوحينـا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم » فإن قلت ما هي المنة الأولى ؟ وما هي المنة الثانية ؟ وهل بعد ذلك من منن ؟ قلت ان مجموع المنن التي امتن الله بها عـلى نبيه موسى ثماني منن :

آ ـ قوله إذ أوحينا إلى قوله « وعدو له » .

ب ـ قوله : « وألقيت عليك محبة مني » الخ ..

جـ ـ قوله : « ولتصنع على عيني » الى قوله « من يكفله » .

د ــ قوله : « فرجعناك الى أمك » الى قوله « ولا تحزن » .

هـ ــ قوله : « وقتلت نفساً فنجيناك من الغم » .

و ــ قوله : « وفتناك فتوناً » .

ز ــ قوله : « فلبثت في أهل مدين » الى قوله « يا موسى » .

ح ــ قوله : « واصنعتك لنفسي » .

٢ ــ الابهـام :

أما الابهام المجرد فقوله « ما يوحى » وهو كثير شائع في القرآن الكريم ومثله في الشعر قول دريد بن الصمة في رثاء أخيه :

صَبا ما صَبا حتى عـلا الشيب رأسه

فلما عــلاه قال للباطـــل : ابعـــد

وسيرد منه المزيد المطرب .

٣ ــ المجاز العقلي :

المجاز العقلي : في قوله تعـالى « فليلقه اليم بالساحل » أسند الإلقـاء الى اليم وهو لا يعقل ولكنه يمثـل مشيئة الله وإرادته التي لا تخطىء ولا يعزب عنهـا شيء ، أسند اليـه الإفضاء المقرر في عالم الغيب ودنيا المشيئة كأنه ذو تمييز يطيع الأمر ويمتثل رسمه .

٤ ــ التنكير :

نكر المحبة وأسندها اليه سبحانه ، لأمرين هامين :

١ ـ مافي التنكير من الفخامة الذاتية كأنها محبة تعلو على الحب المتعارف المتبادل بين المخلوقات •

٢ ـ مافي اسنادها اليه من الفخامة الاضافية أي محبة عظيمة مني وقد زرعتها في القلوب وركزتها في السرائر ومنطويات الضمائر فسبحان المتكلم بهذا الكلام •

٥ ـ المجاز المرسل :

في قوله على عيني مجاز مرسل فقد أراد بالعين المحبة أي على المحبة مني لأن العين رائدها وسببها فالعلاقة السببية قال أبو عبيدة وابن الأنباري : إن المعنى لتغذى على محبتي وإرادتي تقول أتخذ الأشياء على عيني أي على محبتي ، قال ابن الأنباري : العين في هذه الآية يقصد بها قصد الارادة والاختيار ، من قول العرب : فلان على عيني أي على المحبة مني قيل واللام متعلقة بمحذوف أي فعلت ذلك لتصنع وقيل متعلقة بألقيت •

وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾

اللغـــة :

(واصطنعتك) : اخترتك لي من بـين الناس جميعـاً ، وسيأتي المزيد من بحث المجاز في هذا التعبير الرشيق .

(تنيا) : تفترا والونى الفتور والتقصير يقال ونى يني ونياً كوعد يعد وعداً إذا فتر والاسم الونى وهو الفتور وونى فعل لازم لا يتعدى وزعم بعض النحـاة انه يكون من أخوات زال وانفك فيعمل عملهما بشرط النفي يقال : ما وني زيد قائماً أي ما زال زيد قائماً وفي المصباح : وني في الأمر ونياً من باب تعب ووعد ضعف وفتر فهو وان وفي التنزيل « ولا تنيا في ذكري » وتوانى في الأمر توانياً : لم يبادر الى ضبطه ولم يهتم به فهو متوان أي غير مهتم ولا محتفل » وهوَ في الآية من باب وعد لأجل كسر النون إذ لو كان من باب تعب لكان بفتحها وقد أشار في الأساس إلى امكان عمل هذا الفعل عمل لا يزال قال : « ولا يني يفعل : لا يزال يفعـل وامرأة وَناة : فيهـا فتور » وفي القاموس : « الونى كفتى التعب والفترة ضد ويمد ونَى يني ونياً ووُنيا ووِناء ووِنية وِنيَة ووَنىً وأوناه وتوانى هو وناقـة وانية : فاترة طليح وامرأة وَناة وأناة وأنية : حليمة بطيئة القيام والقعود والمشي والمينا مرفـأ السفينة ويمد وجوهر الزجاج والونيـة كاللؤلؤة كالوَناة أو العقد من الدر » .

(يفرط) : يقال فرط يفرط من باب قعد علينا فلان إذا عجـل بمكروه .

الاعراب :

(واصطنعتك لنفسي) فعـل ماض وفاعل ومفعول به ولنفسي متعلقان به • (إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري) إذهب فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأنت ضمير منفصل تأكيد للضمير المستتر والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير المراد بالاصطناع وأخوك عطف على الضمير المرفوع وعلامة رفعـه الواو والكاف مضاف اليه وبآياتي حال لأن الباء للمصاحبة أي مصحوبين بآياتي ومعتصمين بها وليست للتعدية لأن المراد إظهار الآيات للناس لا مجرد الـذهاب الى فرعون والواو حرف عطف ولا ناهية وتنيا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والألف فاعل وفي ذكري متعلقان بتنيا ، قيل « في » هنا بمعنى عن أي عن عبادتي ولم أره لأحد فالأولى أن تبقى على حقيقتها من الظرفية كأنه اشتمل على التقصير ، لكن قال في المغني « والظاهر أن معنى وني عن كذا جاوزه ولم يدخل فيه ووني فيه دخل فيه وفتر » وهذا يرجح انها للظرفية لا للمجاوزة • (إذهبا الى فرعون إنه طغى) إذهبا فعل وفاعل والى فرعون متعلقان بإذهبا وان واسمها وجملة طغى خبرها • (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) الفاء عاطفة وقولا فعل أمر وفاعل وله متعلقان بقولا وقولاً مفعول مطلق وليناً صفة ولعل واسمها وجملة يتذكر خبرها أو حرف عطف ويخشى عطف على يتذكر وسيأتي معنى الترجي هنا وبصورة عامة في باب الفوائد • (قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) قالا فعل ماض وفاعل وربنا منادى مضاف وإن واسمهـا وجملة نخاف خبرها وأن وما في حيزها مفعول نخاف وعلينا متعلقان بيفرط أو حرف عطف أن يطغى عطف على أن يفرط • (قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى) لا ناهية وتخافا فعل مضارع

مجزوم بلا والألف فاعل وجملة لا تخافا مقول القول وجملة إنني معكما تعليلية لعـدم الخوف وان واسمها والظرف متعلق بمحـذوف خبرها وجملة أسمع خبر ثان أو حالية وأرى عطف على أسمع • (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك) فأتياه الفاء هي الفصيحة وأتياه فعـل أمر وفاعل ومفعول به فقولا عطف على فأتياه وإن واسمها ورسولا خبرها وربك مضاف اليه • (فأرسـل معنا بني إسرائيل ولا تعـذبهم) الفاء هي الفصيحة أيضاً وأرسل فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت ومعنا ظرف مكان متعلق بأرسل وبني اسرائيـل مفعول به ولا تعذبهـم لا ناهية وتعـذبهم مجزوم بلا والهاء مفعول به • (قـد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) جملة قد جئناك حالية جرت من جملة إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسـير لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا مدعومة بالآيات والـدلائل الظاهرة الدالة عليها وقـد حرف تحقيق وجئناك فعل ماض وفاعل ومفعول به وبآية متعلقان بجئناك ومن ربك صفة لآية والواو استئنافية والسلام مبتدأ وعلى من اتبع الهدى خبر •

الفوائـد :

اهتم العلمـاء اللغويون والنحاة بمعنى الرجاء في قوله تعـالى « لعله يتذكر أو يخشى » وسنلخص الأوجـه التي ذكرها هؤلاء لأن إيرادها بنصوصها لا يتسع له المجال ، فالرجاء يحتمل الأمور التالية :

١ ــ أن يكون الترجي هنا على بابه وذلك بالنسبة الى المرسل وهو موسـى وهارون أي اذهبـا عـلى رجائكما في إيمانـه وباشـرا الأمر مباشـرة من يرجو ويطمـع أن يثمر عمله فهـو يفرغ جهده ويبذل مافي وسعه ويستحيل أن يرد ذلك في حق الله تعالى

إذ هو عالم بالعواقب والمغاب وعن سيبويه « كل ما وردَ في القرآن من لعل وعسى فهو من الله واجب » وهذا صريح في أن الترجي يستحيل بقاؤه على معناه في حق الله تعالى .

٢ ــ ان لعل تفيد التعليل فهي بمثابة كي وهذا قول الفراء قال : كما تقول : اعمل لعلك تأخذ أجرك أي كي تأخذ أجرك .

٣ ــ انها استفهامية أي هل يتذكر ويخشى وهذا قول مردود لأنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى .

ما يقوله النحاة :

ويقول النحاة إن لعل للتوقع وعبر عنه قوم بالترجي في الشيء المحبوب نحو لعل الحبيب قادم ومنه قوله تعالى : « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » والاشفاق في الشيء المكروه نحو « فلعلك باخع نفسك » أي قاتل نفسك والمعنى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك وقد تقدم بحثه والاشفاق لغة الخوف يقال أشفقت عليه بمعنى خفت عليه وأشفقت منه بمعنى خفت منه وحذرته .

وقال الأخفش والكسائي : وتأتي لعل للتعليل نحو : ما يقول الرجل لصاحبه : افرغ من عملك لعلنا نتغدى واعمل عملك لعلك تأخذ أجرك أي لنتغدى ولتأخذ ، ومنه « لعله يتذكر » أي ليتذكر وقال في المغني : ومن لم يثبت ذلك يحمله على الرجاء ويصرفه للمخاطبين أي اذهبا على رجائكما .

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾
قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ
ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى
كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا
وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن
نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى
ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾

الاعراب :

(إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) إن واسمها وجملة قد أوحي خبر والينا متعلقان بأوحي وأن وما في حيزها في تأويل مصدر نائب فاعل لأوحى وأن واسمها وعلى من خبرها وجملة كذب صلة وتولى عطف على كذب . (قال فمن ربكما يا موسى) أي فأتياه وقالا جميع ما ذكر ، فالفاء عاطفة على مقدر ومن اسم استفهام مبتدأ وربكما خبر والجملة مقول القول ولم يذكر هارون لأنه تبع ورده ووزير له وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته. (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه

ثم هدى) ربنا مبتدأ والذي خبره وجملة أعطى صلة وكل شيء مفعول به أول وخلقه مفعول به ثان وقيل خلقه أول مفعولي أعطى وكل شيء ثانيهما وقدم للاهتمام أي أعطى خليقته « وهي جمع الخلائق » كل شيء يحتاجون اليه وقرىء خلقه على أنه فعل والمفعول الثاني محذوف للعلم • ثم هدى عطف على أعطى أي أعطى كل شيء صورته وأفرغه في مسلاخه الخليق بما نيط به من خصائص ومنافع وهدى كل مخلوق إلى ما خلق له ، وفي هذا الايجاز كلام طويل يطالعه القارىء في باب البلاغة • (قال فما بال القرون الأولى) الفاء عاطفة وما استفهام مبتدأ وبال خبر والقرون مضاف اليه والأولى صفة • (قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) علمها مبتدأ وعند ربي الظرف متعلق بمحذوف خبر وفي كتاب حال أو في كتاب هو الخبر وعند ربي حال أو هما خبران أو هما خبر واحد على حد قولك الرمان حلو حامض أي مز وجملة لا يضل مستأنفة وقيل صفة لكتاب والعائد محذوف تقديره في كتاب لا يضله ربي أو لا يضل حفظه ربي ، وربي فاعل يضل ولا ينسى عطف على لا يضل وسيأتي في باب الفوائد ما قاله العلماء في معنى هذه الآية • (الذي جعل لكم الأرض مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً) الذي خبر لمبتدأ محذوف أي هو وجملة جعل صلة ولكم حال لأنه كان صفة لمهاداً والأرض مفعول به أول ومهاداً مفعول به ثان وسلك فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو ولكم متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لسبلاً وفيها متعلقان بسلك وسبلاً مفعول به • (وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى) وأنزل عطف على ما تقدم ومن السماء متعلقان بأنزل وماء مفعول به فأخرجنا الفاء عاطفة وأخرجنا فعل وفاعل وبه متعلقان بأخرجنا وأزواجاً مفعول به ومن نبات صفة لأزواجاً وشتى صفة لأزواجاً أو حال منه لأنه وصف وأجاز الزمخشري

أن يكون صفـة للنبات . (كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى) كلوا فعل أمر وفاعل والجملة معمولة لحال محذوفة أي قائلين أو آذنين في الانتفاع بها ، مبيحين أن تأكلوا بعضهـا وتعلفوا بعضها وارعوا عطف على كلوا وأنعامكم مفعول به لارعوا وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر إن المقدم ولآيات اللام المزحلقة وآيات اسم إن المؤخر ولأولي النهى صفة لآيات والنهى مضاف لأولي وهي جمع نهيه وقيل اسم مفرد . (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنهـا نخرجكم تارة أخرى) منها متعلقان بخلقناكم وفيها متعلقان بنعيدكم ومنها متعلقان بنخرجكم وتارة ظرف متعلق بنخرجكم وأخرى صفة لتارة .

البلاغـة :

١ ـ الايجاز :

في قوله تعالى « ثم هدى » إيجاز بليغ لأنه حذف جملاً لا يقع عليها الحصر لأنه ليس بالمتاح إحصاء المخلوقات الحية وغـير الحية ، العاقلة وغير العاقلة التي خلقها الله ولكل منها عمله الميسر له على حد قوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فمن العسير بل من المستحيل أن يتحدث أحد عن المرتفقات العامة واعطاء كل مرتفق الى صاحبـه المخلوق له الـذي عرف كيف يرتفق بمـا أعطي وكيف يتوصل اليه ولهذا أحسن الزمخشري بقوله : « ولله در هذا الجواب ما أحصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبـاً للحق » ثم إن للايجـاز فائدة أخرى وهي أن فرعون أراد أن يصرف موسى عليه السلام بعد أن أوشك أن يفضحه ويبطل خرافاته ، الى مالا يعنيـه من الامور التي لا تعلق لهـا بالرسالة من الحكايات

والأساطير فأجابه موسى بأن ذلك ليس من خصائص الرسالة وانما علمه عند ربي فلما سأله عن ربه أوجز الكلام على هذا الشكل البديع •

٢ ـ الالتفات :

من الغيبة الى لفظ التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل والفائدة منه التنبيه على ظهور مافي الارض من الدلالة على كمال القدرة الإلهية والحكمة التي لا تطيش وانقياد المخلوقات جميعاً لمشيئته وقيل لا التفات في الكلام لأنه يشترط في الالتفات أن يكون في كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى وما نحن فيه ليس من ذلك فإن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ثم قوله : الذي جعل لكم الأرض مهاداً الى قوله فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى فإما أن يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك : أمرنا وعمرنا وانما يريدون الملك وليس هذا بالتفات وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله : ولا ينسى ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات انعامه على خلقه فليس التفاتاً أيضاً وانما هو انتقال من حكاية الى انشاء خطاب •

وقد يبدو هذا الرد وجيهاً لأول وهلة ولكن نذكر أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال : الذي جعل لكم الأرض مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجاً من نبات شتى فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير الى ذاته لأن الحاكي هو المحكي في كلام موسى فمرجع الضميرين واحد وهذا الوجه دقيق وهو أقرب الوجوه الى الالتفات •

الفوائـــد :

حول « لايضل ربي ولا ينسى » :

أقرب ما يقال في نفي الضلال والنسيان عن الله تعالى وهو غني عن النفي لأنه علام الغيوب أن يقال هو من باب التعريض والمعنى : ان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل ، أي لا يضل كما تضل أنت يا مدعي الربوبية بالجهل والصلف والوقاحة .

وقـــال القفال : « هناك فرق بين يضـــل وينسى أي لا يضل عن الاشياء ومعرفتها وما علمه من ذلك لم ينسه فاللفظ الاول إشارة الى كونه عالماً بكل المعلومات واللفظ الثاني دليل على بقاء ذلك العلم أبد الآباد وهو اشارة الى نفي التغير » .

هذا،واختلف في معنى لا يضل ربي ولا ينسى على أقوال :

الاول : انه ابتداء كلام تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين وقد تم الكلام عند قوله في كتاب .

الثاني : ان معنى لا يضل لا يخطىء .

الثالث : ان معناه لا يغيب .

الرابع : ان معناه لا يحتاج الى كتاب ولا يضل عنه علم شيء من الاشياء ولا ينسى ما علمه منها .

الخامس : ان هاتين الجملتين صفة لكتاب والمعنى ان الكتاب غير ذاهب عن الله ولا هو ناس له .

وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ
مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ
كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم
بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ
أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾

اللغة :

(ضحى) : الضحى : شروق الشمس بعد طلوعها وقد ست العرب ساعات النهار بأسماء فالأولى الذرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم الدلوك ثم العصر ثم الأصيل ثم الصبوب ثم الحدور ثم الغروب .

ويقال فيها : البكور ثم الشروق ثم الإشراق ثم الرأد ثم الضحى ثم المتوع ثم الزوال ثم الهاجرة ثم الأصيل ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب .

(فيسحتكم) : يهلككم من أسحت الرباعي وهي لغة نجد وتميم أي أهلك ويقال سحت وهي لغة الحجاز وأصل هذه المادة تدل على الاستقصاء والنفاد ومنه سحت الحالق الشعر أي استقصاه فلم يترك منه شيئاً ويستعمل في الإهلاك والإذهاب وفي القاموس « سحت يسحت من باب فتح وسحّت بالتشديد اكتسب السحت أي المال الحرام وسحته أهلكه واستأصله وذبحه وسحت الشحم عن اللحم قشره وسحت وجه الأرض محاه وأسحت : أفسده وأهلكه واستأصله » .

الاعراب :

(ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) اللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وأريناه فعل ماض من رأى البصرية ولكنها تعدت الى اثنين لدخول همزة النقل عليها ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل والهاء مفعول به أول وآياتنا مفعول به ثان وكلها تأكيد لآياتنا فكذب وأبى عطف على أريناه وقد مرت آيات موسى التسع ثم الآيتان الأخيرتان وهما العصا ونزع اليد . (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو أي فرعون وجملة أجئتنا مقول القول والهمزة للاستفهام الانكاري وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به ولتخرجنا اللام للتعليل وتخرج فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ونا مفعول به ومن أرضنا متعلقان بتخرجنا وبسحرك متعلقان بتخرجنا . (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى) الفاء الفصيحة واللام جواب قسم محذوف تقديره والله لنأتينك وبسحر متعلقان بنأتينك ومثله صفة لسحر ويجوز أن يتعلق بسحر بمحذوف حال أي متلبسين بسحر مثله في الغرابة يعارضه ويدحضه ، فاجعل الفاء عاطفة واجعل فعل أمر

وفاعله أنت وبيننا ظرف متعلق بمحذوف ،معول به ثان وبينك عطف وموعداً مصدر ميمي مفعول به أول وجملة لا نخلفه صفة لموعداً ونحن تأكيد للضمير في نخلفه والواو عاطفة ولا نافية وأنت عطف على الضمير في نخلفه ومكاناً بدل من موعداً بتقدير مضاف أي مكان موعد أو تعرب مكاناً منصوباً بنزع الخافض أي في مكان أو تنصبه بالمصدر وهو موعد. وسوى صفة أي وسطاً وهو بضم الواو وكسرها وهذا وجه من أعاريب أخرى ستأتي في باب الفوائد • (قال: موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى) موعدكم مبتدأ ويوم الزينة خبر وان وما بعدها عطف على يوم الزينة إما على اليوم فيكون محل المصدر الرفع وإما على الزينة فيكون محله الجر والناس نائب فاعل وضحى ظرف متعلق بيحشر وسيأتي بحث يوم الزينة والعلة في اختياره • (فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى) الفاء عاطفة وتولى فعل ماض وفرعون فاعل فجمع عطف على فتولى وكيده مفعول به على حذف مضاف أي ذوي كيده وهم السحرة ثم حرف عطف وأتى عطف على جمع وعبر بثم للدلالة على انه استغرق وقتاً في جمع السحرة ورسم الخطط • (قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً) قال فعل ماض ولهم متعلقان به وموسى فاعل وويلكم مصدر للدعاء أمات العرب فعله فهو منصوب بفعل محذوف ولا ناهية وتفتروا فعل مضارع مجزوم بلا وعلى الله متعلقان بتفتروا وكذباً مفعول به • (فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى) الفاء فاء السببية ويسحتكم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالنهي وبعذاب متعلقان بيسحتكم وقد الواو حالية وقد حرف تحقيق وخاب فعل ماض ومن فاعل وجملة افترى صلة • (فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى) الفاء عاطفة وتنازعوا فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة والواو فاعل وأمرهم مفعول به أو منصوب بنزع الخافض وبينهم ظرف

متعلق بمحذوف حال وأسروا عطف على تنازعوا والنجوى مفعول به أي أخفوها أي انهم تشاوروا في السر • (قالوا : إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) إن مخففة من الثقيلة ومهملة وهذان اسم اشارة للمثنى في محـل رفع مبتدأ واللام الفارقة وساحران خبر هذان وجملة يريدان صفة لساحران وان ومافي حيزها مفعول يريدان ومن أرضكـم متعلقان بيخرجاكـم بسحرهما حـال أي متلبسين بسحرهما ويذهبا عطف عـلى يخرجاكم وبطريقتكم متعلقان بيذهبا والمثلى صفة لطريقتكم •

البلاغـة :

في قوله « لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى » فن رد العجز على الصدر وسماه المتأخرون التصدير وهو أخف على السمع وأليق بالمقام وقد تقدم البحث فيه ونضيف هنا أن ابن المعتز قسمه ثلاثة أقسام :

الأول ما وافق آخر كلمة في المصراع الأول آخر كلمة في المصراع الثاني أو كانت مجانسة لها كقول بعضهم :

يلقى اذا ما كـان يوم عرمرم ‏ ‏ ‏ في جيش رأي لا يفـل عرمرم

والقسم الثاني ما وافق آخر كلمـة في البيت أول كلمـة منه كقول الآخر :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه ‏ ‏ ‏ وليس الى داعي الندى بسريع

والقسم الثالث ما وافق آخر كلمة في البيت بعض كلمة في الصدر منه كقوله :

سقى الرمـــل صوب مستهل غمامــه
وما ذاك إلا حب من حــل بالرمــل

وقال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع : « والذي يحسن أن يسمى القسم الأول تصدير التقفية والثاني تصدير الطرفين والثالث تصدير الحشو » . والامثلة على ذلك كثيرة .

الفوائـد :

كثر اختلاف المعربين في قوله تعالى « فاجعل بيننا موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى » والحق انه من معضلات التراكيب وقد اخترنا في الاعراب أمثل الوجوه وأقربها الى المنطق وأدناها الى السهولة، بقيت هناك أمور لا بد من ايضاحها :

موعداً : اختلف فيه على الأوجه التالية :

آ ـ اسم زمان ويرجحه قوله « قال موعدكم يوم الزينة » والمعنى عـيّن لنا وقت اجتماع ولذلك أجابهم بقوله: « موعدكم يوم الزينة » .

ب ـ اسم مكان ويرجحه قوله « مكاناً سوى » والمعنى بـيّن لنا مكاناً معلوماً نعرفه نحن وأنت فتأتيه .

جـ ـ مصدر ميمي بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف أي مكان وعد ويؤيد هذا قوله « لا نخلفه نحن ولا أنت » لأن المواعدة توصف بالخلف وعدمه وهذا ما اخترناه .

فإن جعلتــه زماناً لزمك شيئان : أن تجعــل الزمان مخلفاً وأن يفضــل عليك ناصب مكاناً وان جعلتــه مكاناً لزمك أيضاً أن توقــع

الاخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة فبقى أن يجعل مصدراً بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف أي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكاناً بدل من المكان المحذوف •

وجوز أبو علي الفارسي وأبو البقاء أن ينتصب مكاناً على المفعول الثاني لاجعل قالا وموعداً على هذا مكان أيضاً ولا ينتصب بموعداً لأنه مصدر قد وصف يعني أنه يصح مفعولاً ثانياً ولكن بشرط أن يكون الموعد بمعنى المكان ليطابق الخبر •

وجعل الحوفي انتصاب مكاناً على الظرف وانتصابه باجعل فتحصل في نصب مكاناً خمسة أوجه :

١ ــ أنه بدل من مكاناً المحذوف •

٢ ــ انه مفعول ثان للجعل •

٣ ــ انه نصب باضمار فعل •

٤ ــ انه منصوب بنفس المصدر •

٥ ــ انه منصوب على الظرف بنفس اجعل •

وانما أوردنا هذه الاقوال لأنها قريبة ولأن استيعابها مفيد للغاية فتدبر •

فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾
قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ

أَلْقَوْاْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ
سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ
ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾

اللغـــة :

(فأجمعوا) : أي ازمعوا كيدكـم واجعلوه مجمعاً عليـه حتى لا تختلفوا كالمسألة المجمع عليها ويقال : اجمعوا الأمر واجمعوا عليه ، وفلانة بجُمع أي عـذراء وضربه بجمع كفـه واستجمع لفلان أمره واستجمع السيل واستجمع الفرس جرياً قال يصف السراب :

ومستجمع جرياً وليس ببارح تباريه في ضاحي المِتان سواعده

أي مجاريه واستجمع الوادي إذا لم يبق منه موضع إلا سال وعن بعض العرب : الرِّمة وفلـج" لا يستجمعان إنما يسيلان في نواحيهما وأضواجهما ؛ واستجمع القوم ذهبوا كلهـم وجمعوا لبني فـلان إذا حشدوا لقتالهم « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » وأجمعت القدر غلياً قال امرؤ القيس :

ونحشُ تحت القدر نوقدُها بغضا الغريف فأجمعت تغـلي

ومن الكناية: فلانة قد جمعت الثياب أي كبرت لأنها تلبس الدرع والخمار والملحفة .

(فأوجس) : الإيجاس : الاضمار وايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبـأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية .

(تلقف) : تبتلع وأصله التناول بسرعة قال في القاموس : لقِف يلقف من باب تعب لقْفاً والتقف الشيء تناوله بسرعة .

الاعراب :

(فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعـلى) الفاء الفصيحـة أي اذا كان الأمر كما ذكر من كونهمـا ساحرين الخ فأجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعاً بحيث لا يتخلف عنه واحد منكـم وأجمعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وكيدكم مفعول به إذا اعتبرت أجمعوا متعـدية وبعضهم لم يعتبرها متعـدية فيكون كيدكم منصوباً بنزع الخافض ثم ائتوا عطف على أجمعوا وصفاً حال وانما أمرهم بذلك لإدخال الرهبة في صدور الرائين ، وقال أبو عبيدة : الصف موضع المجمع ويسمى المصلى الصف قال الزجاج : وعلى هذا معناه ثم ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيـدكم وصلاتكم يقال أتيت الصف بمعنى أتيت المصلى فعلى هذا يكون انتصابه على المفعولية . وقد الواو اعتراضية وقد حرف تحقيق وأفلح فعل ماض واليوم ظرف متعلق بأفلح ومن فاعل أفلح وجملة استعلى صلة . (قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى) إما حرف شرط وتفصيل ومعناها هنا التخيـير ولا يكون إلا بعد الطلب ، وأن وما بعـدها في

تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره اختر أحد الأمرين أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر القاؤك أو مبتدأ والخبر محذوف والتقدير إلقاؤك أول وإما أن تكون عطف على ما تقدم واسم نكون مضمر تقديره نحن وأول خبرها ومن مضاف اليه وجملة ألقى صلة . ويجوز أن تكون ان ومافي حيزها في محل نصب بفعل مضمر أي اختر إلقاءك أولاً أو القاءنا • (قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) بل حرف اضراب وعطف وألقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل فإذا الفاء عاطفة على محذوف تقديره فألقوا فإذا وإذا هذه للمفاجأة وقد تقدم أنها حرف أو ظرف ثم اختلف أهو ظرف مكان أو زمان وسننقل قول الز مخشري فهو غاية الغايات قال :

« والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى « فإذا حبالهم وعصيهم » ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي » •

وحبالهم مبتدأ وعصيهم عطف عليه وجملة يخيل اليه خبر حبالهم وإذا جعلت إذا خبراً فتكون جملة يخيل إليه حال ومن سحرهم متعلقان بيخيل وأنها وأن واسمها وجملة تسعى خبر أن وأن وما بعدها في تأويل مصدر نائب فاعل ليخيل أي يخيل إليه سعيها وجعل الزمخشري المصدر بدل اشتمال من الضمير في حبالهم وعصيهم • (فأوجس في نفسه خيفة موسى) الفاء عاطفة وأوجس فعل ماض ، وفي نفسه متعلقان بأوجس

وخيفة مفعول به وموسى فاعل • (قلنا لا تخف إنك أنت الأعـلى) قلنا فعل وفاعل وجملة لا تخف مقول القول ولا ناهية وتخف فعـل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعـل مستتر تقديره أنت وجملة انك مستأنفة كتعليل للنهي عن الخوف الذي ساوره لطبع البشرية من ضعف القلب وان كان متيقناً من أن الله ناصره وأنهـم لن يصلوا اليه بسوء وإن واسمها وأنت تأكيد أو ضمير فصل أو مبتدأ والأعلى خبر إن أو خبر أنت والجملة خبر إن وسيأتي الكلام على المبالغة في هذا التعبير في باب البلاغـة • (وألق مافي يمينك تلقف ما صنعوا) وألق الواو عاطفة وألق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت وما مفعول به وفي يمينك متعلقان بمحذوف صلة ما وسيأتي سر هذا الابهام في باب البلاغة وتلقف جواب الطلب مجزوم وعلامة جزمه السكون وفاعل تلقف ضمير مستتر تقديره هي وما مفعول به وجملة صنعوا صلة أي ما زوّروه وكذبوا فيه • (إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) تعليل لقوله تلقف وإن واسمها وجملة صنعوا صلة وكيد ساحر خبر إن ، وقد درج المصحف على كتابة ما متصلة بان ، ويجوز أن تكون ما مصدرية والاعراب واحد ولا الواو حالية أو عاطفة ولا نافية ويفلح الساحر فعل مضارع وفاعـل وحيث ظرف مكان مبني على الضم متعلق بيفلـح وجملة أتى مضافة الى الظرف • (فألقي السحرة سجداً قالوا : آمنا برب هارون وموسى) الفاء عاطفة على جملة محذوفة تقديرها فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه فألقي السحرة فعل ماض مبني للمجهول والسحرة نائب فاعل وسجداً حال من السحرة قالوا فعل وفاعل وجملة آمنا مقول القول وهو فعل وفاعل وبرب هارون وموسى متعلقان بآمنا •

البلاغـة :

في هذه الآيات فنون من البيان تذهل العقول ، فأولها :

١ ـ فن الاستدراج وقد تقـدم القول فيه وهو بالاضافة الى ما فيه من البلاغـة ينطوي على نكت دقيقـة في استدراج الخصـم واضطراره الى الإذعان والتسليم فقـد شاء السحرة في بادىء الأمر استدراج موسى ثقة منهم بأنهم فائزون عليه وكأنما ألهمهم الله حسن الأدب مـع موسى في تخييره واعطائه النصفة من أنفسهم عندما قالوا « فاجعل بيننا وبينك موعـداً لانخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى » ففوضوا ضرب الموعد اليه ولكن موسى استدرجهم بإلهام من الله عز وجل أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ليكون الحق أبلج على رؤوس الأشهاد فيكون أفضح لكيدهم وأهتك لسترهم ولما استدرجوه الى التخيير في الإلقـاء أيكون هو البادىء أم يكونون هـم البادئين استدرجهم هو إلى أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون القاؤه العصا بعدُ قـذفاً بالحق عـلى الباطـل فيدمغه فإذا هو زاهق فمـا أروع هذا الكلام .

٢ ـ فن توكيد الضميرين ، وقد تتساءل وما علاقة البحث النحوي بالبلاغة ؟ والضمائر وتوكيـد بعضها لبعض مذكورة في كتب النحو ونقول ان المسألة أجلّ وأسمى من النحو ، والنحاة بمعزل عن هذا الفن الرفيع ونعني بتوكيد الضميرين أن يؤكد المتصـل بالمنفصل كقولك إنك أنت أو يؤكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك أنت أنت أو يؤكد المتصل بمتصل مثله كقولك إنك إنك لعالم وانما يؤتى بمثل ذلك في معرض المبالغة وهو من أسرار علم البيان ومن ذلك قوله تعالى « قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين » فإن إرادة السحرة

الإلقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لأنهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله الى توكيد ما هو نهم بالضميرين اللذين هما نكون ونحن دلّ ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه والإلقاء قبله لأن من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثله إن كان قالوا : إما أن تلقي وإما أن نلقي لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن أنفسهم « وإما أن نكون نحن الملقين » استدل بهذا القول على رغبتهم في الالقاء قبله ومنه أيضاً قوله تعالى « فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى » فتوكيد الضميرين ها هنا في قوله إنك أنت الأعلى أنفى للخوف من قلب موسى وأثبت للغلبة والقهر ولو قال : لا تخف إنك الأعلى أنت الأعلى لم يكن له من التقرير والاثبات لنفي الخوف ما لقوله « إنك أنت الأعلى »

وفي هذه الكلمات الثلاث ست فوائد :

١ً ــ « إن » المشددة التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها وتأكيده وقد نص علماء المعاني على أن الخبر يكون مع إن طلبياً أو إنكارياً لا ابتدائياً كقولك زيد قائم ثم تقول : إن زيداً قائم ففي قولك إن زيداً قائم من الاثبات لقيام زيد ما ليس في قولك زيد قائم .

٢ً ــ تكرير الضمير في قوله « إنك أنت » ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المثابة في التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره .

٣ً ــ لام التعريف في قوله « الأعلى » ولم يقل أعلى أو عال لأنه لو قال ذلك لكان قد نكره وكان صالحاً لكل واحد من جنسه كقولك رجل فإنه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال وإذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته علماً فيهم وكذلك جاء قوله « إنك أنت الأعلى » أي دون غيرك .

٤ً ــ لفظ أفعل الذي من شأنه التفضيل ولم يقــل العالي فهو أعلى من كل عال •

٥ً ــ لفظ العلو الــدال عــلى أن الغلبة ثابتة له من جهة العلو ومعلوم أن الغرض من قوله « الأعلى » الغلبة إلا أن في الأعلى زيادة وهي كونها صادرة عن مكان عال •

٦ً ــ الاستئناف وهو قوله تعالى : « لا تخف إنك أنت الأعلى » ولم يقل لأنك أنت الاعلى فكان ذلك أبلغ في إيقان موسى عليه السلام بالغلبة والاستعلاء وأثبت ذلك في قرارة نفسه بما لا يدع أي مجــال للشك •

هذا وقد تقدم نوع من هذا الفن وسيرد غيره في حينه ومواضعه ان شاء الله ، بقي أن نتحــدث عن اختيار موسى يوم الزينة فمــا هو هذا اليوم ؟

يوم الزينة :

قيل فيه يوم عاشوراء ، ويوم النيروز ، ويوم عيد كان لهــم في كل عام وكانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون ويظهرون فيه كل بهارجهم إذ يحشر فيه الناس منذ ضحوة النهار حتى المساء •

٣ ــ فن الابهام :

وذلك في قولــه « مافي يمينك » فقــد أبهمها لأمرين متضادين أولهما استصغار أمرها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي بيدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها على وحدته

وكثرتها وصغره وعظمها ، وثانيهما تعظيم أمرها أي لا تعبأ بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة فإن في يمينك شيئاً هو أعظم منها كلها فألقها تحققها وتطيح بها بإذن الله ، وقد يقول قائل كيف يحتقر العصا ؟ والجواب ان المقصود بتحقيرها في جنب القدرة الإلهية تحقير كيد السحرة بطريق الأولى لأنها إذا كانت وهي الحقيرة الضئيلة التي لا يؤبه بها بالنسبة للقدرة الإلهية قد طاحت بما أتوا به من أضاليل مموّهة وأكاذيب مخترعة فما ظنك بكيدهم وأقل شيء يذهب به وهذا معنى دقيق قل من يتفطن له ، وقد رمق سماءه شاعر الخلود أبو الطيب المتنبي فقال من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ويذكر الأسد وقد أعجله فضربه بسوطه :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادّخرت الصارم المصقولا ؟

والمعنى إذا كنت تلقى هذا الاسد وهو أقوى الحيوانات وأشجعها بسوطك فلمن خبأت صارمك المصقول ؟

ولأصحاب البلاغة أيضاً طريق في علو المدح بتعظيم جيش عدو الممدوح ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح وقد قهره واستولى عليه وقد رمق سماءه أبو الطيب إذ وصف جيش الروم الذي لاقاه سيف الدولة فبالغ في تعظيم أمره وتصوير عدده البالغة والغاية هي أن يتناهى في تعظيم أمر سيف الدولة وجيشه فقال في وصف جيش الروم :

أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد ما لهن قوائم

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم

جعل الروم يبرقون لكثرة ما عليهم من الحديد ولم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن على رءوسهم البيض والمغافر وثيابهم الدروع فهم كالسيوف وأشار بهذا الوصف الى كثرة سلاح هذا الجيش تمهيداً للاشارة الى قوته :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لسن وأمة
فما تفهم الحداث إلا التراجم

فلله وقت ذوب الغش ناره
فلم يبق إلا صارم أو ضبارم

وستأتي تتمة هذا الوصف البديع في موطن آخر من مواطن البلاغة التي رمق أبو الطيب سماء القرآن فيها .

نكتة أخرى في الابهام :

وهناك نكتة أخرى سوى قصد التعظيم والتحقير وهي أن موسى عليه السلام أول ما علم أن العصا آية من الله تعالى عندما سأله : وما تلك بيمينك يا موسى ثم أظهر له تعالى آيتها فلما دخل وقت الحاجة الى ظهور الآية منها قال تعالى : وألق مافي يمينك ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له « وما تلك بيمينك » وقد أظهر له آيتها فيكون ذلك تنبيهاً له وتأنيساً حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت

ظهور آيتهـا وذلك مقـام يناسب التأنيس والتثبيت في موقف يزايل الوقار أشد النفوس قوة ورباطة ٠

٤ ـ فن التكرير :

وقد تقـدم كثيراً بحثه والاشارة اليه وذكر نماذج رائعـة منه وسيأتي المزيد والأكثر وهنا في هذه الآيات تكرر لفظ الإلقاء ولكنه تكرر لم يطرد عـلى وتيرة واحدة وانما هو لفظ واحـد في معنيين متضادين متناقضين تقل بهما سبحانه عباده من غاية الكفر والعناد ، الى نهاية الايمان والسداد فما أعظم الفرق بين الإلقاءين : لقد ألقوا حبالهـم وعصيهم للكفـر والجحود ٠ ثم ألقوا رءوسهم بعـد ساعة للشكر والسجود ٠

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ
ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ
ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا
مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ

عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

الاعراب :

(قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) جملة آمنتم مقول القول والقائل هو فرعون وآمنتم الهمزة للاستفهام والتقريع والتوبيخ حذفت الهمزة الأولى وسهلت الثانية وهو فعل ماض وفاعل وله متعلقان بآمنتم وقبل ظرف متعلق بآمنتم أيضاً وأن آذن لكم المصدر المؤول مضاف لقبل • (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) ان واسمها واللام المزحلقة وكبيركم خبرها والذي صفة وجملة علمكم السحر صلة والسحر مفعول به ثان لعلمكم ، أي أن موسى لكبيركم أي معلمكم وأستاذكم وأعلاكم درجة في صناعة السحر ، قال الكسائي : الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال : جئت من عند كبيري ، وقال الواحدي : والكبير في اللغة الرئيس ولهذا يقال للمعلم الكبير ، وأراد فرعون من ذلك إلقاء الشبهة على الناس وإدخالها في صدورهم ليسترييبوا ولا يؤمنوا وإلا فقد علم أنهم لم يتعلموا من موسى ولا كان رئيساً لهم ولا صلة بينه وبينهم • (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) الفاء الفصيحة واللام موطئة للقسم وأقطعن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره أنا وأيديكم مفعول به وأرجلكم عطف على أيديكم ومن خلاف حال بمعنى مختلفة ومن ابتدائية كأن القطع ابتدىء من مخالفة العضو للعضو • (ولأصلبنكم في جذوع النخل) الواو حرف عطف ولأصلبنكم عطف على لأقطعن

وفي الظرفيـــــة شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف في الظرف وهو متعلق بأصلبنكم وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة .
(ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى) ولتعلمن عطف على لأصلبنكم وأينا استفهامية مبتدأ وأشد خبر والجملة في محل نصب سادة مسد مفعولي تعلمن لأن الفعل علق بأي الاستفهامية ويجوز أن تكون أي موصوليه وبنيت لأنها أضيفت وحذف صـدر صلتها وقد تقدمت نظائرها كثيراً وعنـدئذ تكون هي المفعول به لتعلمن وأشد خبراً لمبتـدأ محذوف تقديره هو وجملة أشـد صلة الموصول وأبقى عطف عـلى أشـد .
(قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا) لن حرف نفي ونصب واستقبال ونؤثرك مضارع منصوب بلن والكاف مفعول به والفاعل مستتر تقديره نحن والجملة مقول قولهم وعلى ما متعلقان بنؤثرك وجملة جاءنا صلة ومن البينات متعلقان بمحذوف حال والذي عطف عـلى ما وأخروا ذكر الباري من باب تقديم الأدنى عـلى الأعلى وسيرد بحث التقديم والتأخير في باب البلاغة وقيل الواو للقسم والذي مجرور بواو القسم أي مقسم به وهو الله تعالى وفطرنا صلة والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم وجواب القسم محذوف تقديره لا نؤثرك على الذي جاءنا من الحق . (فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) الفاء الفصيحة واقض فعـل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وما مفعول به وأنت مبتدأ وقاض خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين وجملة أنت قاض صلة والعائد محذوف أي قاضيه وانما كافة ومكفوفة على الأرجح وتقضي فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول تقضي محذوف تقديره لباناتك أو مأربك وهـذه ظرف والحياة بدل والدنيا صفة والظرف متعلق بتقضي ويجوز أن تكون ما

موصولة أو مصدرية وهي اسم إن والخبر هو الظرف ويجوز اعراب هـذه الحياة الدنيا مفعولاً به عـلى السعة • (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) ان واسمها وجملة آمنا خبرها وبربنا متعلقان بآمنا واللام للتعليل ويغفر فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ولنا متعلقان بيغفر وما عطف على خطايانا أي ليغفر لنا خطايانا ويغفر لنا أيضاً الذي أكرهتنا عليه ولك أن تجعل الواو ابتدائية وما مبتدأ وجملة أكرهتنا صلة والخبر محذوف أي مرفوع عنا وملقى عن كواهلنا وعليه متعلقان بأكرهتنا ومن السحر حال والله مبتدأ وخير خبر وأبقى عطف عـلى خير (إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنـم لا يمـوت فيها ولا يحيا) إن واسمها ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويأت فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة وفاعل يأت مستتر تقديره هو وربه مفعول به والهاء مضاف اليه ومجرماً حال من فاعل يأت فإن الفاء رابطة لجواب الشرط وان حرف مشبه بالفعل وله خبرها المقـدم وجهنم اسمهـا المتأخر وجملة لا يموت فيها حالية من الهاء في له أو من جهنم وفيها متعلقان بيموت ولا يحيا عطف عـلى يموت • (ومن يأته مؤمناً قد عمـل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العـلى) ومن يأته مؤمناً تقدم إعراب نظـيرها وجملة قد عمل الصالحات صفة لمؤمناً فأولئك الفاء رابطة وأولئك اسم اشارة مبتدأ ولهم خبر مقدم والدرجات مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر أولئك وجملة فأولئك في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من والعلى صفة للدرجات • (جنات عدن تجري من تحتها الأنهـار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) جنات عـــدن بدل من الدرجات العلى أو خبر لمبتدأ محذوف وجملة تجري من تحتها الأنهار

صفة لجنات وخالدين فيهـا حال من « من » وفيها متعلقان بخالدين وذلك مبتدأ وجزاء خبر ومن مضاف اليه وجملة تزكى صلة •

البلاغـة :

معنى لأصلبنكم في جذوع النخل :

قوله « ولأصلبنكم في جذوع النخل » في الكلام استعارة مكنية تبعية وتقريرها انه شبّه استعلاء المصلوب على الجذع بظرفية المقبور في قبره ثم استعمل في المشبه « في » الموضوعة للمشبه به أعني الظرفية فجرت الاستعارة في الاستعلاء والظرفية وبتبعيتها في على وفي واذن ، ففي على بابها من الظرفية وهذا أصح الاقوال فيها وقيل ان في بمعنى على فلا يكون في الكلام استعارة •

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى
ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ
فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا
تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾
وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

اللغــة :

(يبساً) : بفتحتين قـال في القاموس : يبس الشيء ييبس من بابي علـم وحسب يبْساً ويُبساً واتّبس كان رطباً فجف فهو يبْس ويَبْس ويابس ويبوس ويبيس وأيبس » وسمع بعض العرب : جمّرت الخبز كي يابَس ظهره : جعلت عليه الجمر وقـد يَبست : إذا ذهب نداها وعود يابس وعيدان يُبْس والسفينة لا تجري على يبس « طريقاً في البحـر يبساً »وهي ترعى اليبس واليبيس : ما يبس من النبـات فاستعمال العامة للنبات اليبيس ليطبخ في غير أوانه لا غبار عليه ومن المجاز قد يبس ما بينهما : إذا تقاطعـا ولا توبس الثرى بيني وبينك قال جرير :

أتغلب أولي حلفة ما ذكرتكم بسوء ولكني عتبت على بكر
فلا توبسوا بيني وبينكم الثرى فإن الذي بيني وبينكم مثري

(دركاً) : بفتحتـين أي أن يدركك فرعون وجنوده والـدرك والدرك بفتحتين وبفتح الدال وسكون الراء اللحاق وادراك الحاجـة وأقصى قعر الشيء يقال بلـغ الغواص درك البحر ويقـال فرس درك الطريدة أي يدركها ومنه قولهـم : ما لحقك من درك فعليّ خلاصه فاستعمال رجال الدرك صحيح لا غبار عليه .

الاعراب :

(ولقـد أوحينا الى موسى أن أسر بعبـادي) الواو عاطفـة أو استئنافية واللام جواب للقسم المحـذوف وأوحينا فعـل وفاعل والى موسى متعلقان بأوحينا وأن مفسرة وأسر بقطع الهمزة من أسرى فعل

أمر مبني على حذف حرف العلة وبعبادي متعلقان بأسر أي سر بهم ليلاً • (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى) فاضرب عطف على أسر أي اجعل ، من قولهم ضرب له في ماله سهماً وضرب اللبن عمله فقول العامة : ضرب لبناً لا غبار عليه • ولهم متعلقان باضرب أي قائم مقام المفعول الثاني وطريقاً مفعول به أول وفي البحر صفة ويبساً صفة ثانية وهو وصف لما يئول اليه كما سيأتي في باب البلاغة أو مصدر وصف به مبالغة كرجل عدل وصدق وجملة لا تخاف حالية من فاعل اضرب أي اضرب غير خائف أو صفة لطريقاً والعائد محذوف أي لا تخاف فيه أو هي جملة مستأنفة والأول أظهر ولا نافية وتخاف فعل مضارع مرفوع وفاعله أنت ودركاً مفعول به وجملة ولا تخشى عطف على لا تخاف • (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم) الفاء عاطفة واتبعهم فعل ماض متعد لاثنين حذف ثانيهما والتقدير فأتبعهم فرعون عقابه والهاء هو المفعول الأول وقيل الباء زائدة في المفعول الثاني والتقدير فأتبعهم فرعون جنوده فهو كقوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » واتبع قد جاء متعدياً الى اثنين مصرح بهما قال « وأتبعناهم ذرياتهم » وقيل هو بمعنى تبع يتعدى لواحد فتكون بجنوده في محل نصب على الحال فغشيهم الفاء عاطفة وغشيهم فعل ماض والهاء مفعوله أي غمرهم وما فاعل وجملة غشيهم صلة وهو من الابهام وسيأتي الكلام عنه مرة ثانية في باب البلاغة • (وأضل فرعون قومه وما هدى) الواو عاطفة مع تقديم وتأخير في الكلام لأن اضلاله قومه كان قبل الغرق طبعاً وأضل فعل ماض وفرعون فاعل وقومه مفعول به وجملة وما هدى عطف على أضل وسيأتي الكلام عن هذا العطف في باب البلاغة والتهكم فيه • (يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) يا حرف نداء وبني إسرائيل منادى مضاف وقد

حرف تحقيق وأنجيناكم فعـل ماض وفاعل ومفعول به ومن عدوكم متعلقان بأنجيناكم . (وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المنّ والسلوى) وواعدناكم عطف على أنجيناكم وواعدناكم فعل وفاعل ومفعول به أول وجانب الطور مفعول به ثان على حذف مضاف أي اتيان جانب ولا يكون ظرفاً لأنه محدود ، والأيمن صفة لجانب ونزلنا عطف على ما قبله لتتمة تعداد النعم الدنيوية والدينية المترادفة عليهم وعليكم متعلقان بنزلنا والمن مفعول به والسلوى عطف على المن وقد تقدم ذكرهما والنداء إما أن يكون لبني إسرائيل بعد انجائهم من البحر وإهلاك فرعون وجنوده وإما أن يكون موجهاً الى اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، خوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم ومع ذلك كفروا بالنعمة وغمطوها وجحدوها فهم علة العلل في مختلف ظروف الزمان والمكان ، وهم أداة تعطيل السلام في كل آن . (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي) كلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومن طيبات متعلقان بكلوا وما مفعول به وجملة رزقناكم صلة ولا تطغوا الواو عاطفة ولا ناهية وتطغوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وفيه متعلقان بتطغوا فيحل الفاء السببية ويحل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة لأنه وقع في جواب النهي وعليكم متعلقان بيحل وغضبي فاعل وقيل هو معطوف فيكون نهياً أيضاً . (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ ويحلل فعل الشرط وعليه متعلقان بيحلل وغضبي فاعل يحلل والفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وهوى فعل ماض أي هلك والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من على التحقيق . (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة

وغفار خبر إن ولمن متعلقان بغفار وجملة تاب صلة وآمن وعمل عطف وصالحاً مفعول به أو صفة لمصدر محذوف أي عمــل عملاً صالحاً ثم اهتدى عطف متأخر باعتبار الانتهاء لبعده عن أول الاهتداء أو للتفاوت بين المرتبتين فإن الاستمرار في التوبة والايمــان والعمــل الصالح هو الشرط الاساسي لقبول الاعمال •

البلاغــة :

في هذه الآيات أفانين متنوعة من الفنون ندرجها فيما يلي :

١ ــ المجاز المرسل :

وذلك في قوله يبساً لأنه لم يكن حين خاطبه الله تعالى يبساً ولكن باعتبار ما يئول اليه كقوله تعالى « إني أراني أعصر خمراً » وقد تقدم القول فيه مفصلاً •

٢ ــ الابهام :

وذلك في قوله « فغشيهم من اليم ما غشيهم » أي علاهم وغمرهم من الأمر الهائل الذي ليس في طوقهم احتماله مالا يمكن ادراك كنهه ولا سبر غوره وهو من جوامع الكلم التي يقل لفظها ويتشعب القول في معناها •

٣ ــ التهكم :

تقدم القول فيه مراراً وهو هنا في قوله « وما هدى » والمعروف أن التهكم هو أن يأتي المتكلم بعبارة والمقصود عكس معناها كقوله « إنك لأنت الحليم الرشيد » وغرضهم وصفه بضــد هذين الوصفين وأما قوله تعالى « وما هدى » فمضمونه هو الواقع فهو حينئذ مجرد

إخبار عن عـدم هدايته لقومه فأين التهكم ؟ ولكن العرف في مثـل ما هدى زيد عمراً بثبوت الهداية لزيد في نفسه ولكنه يؤخذ عليه انه لم يهـد عمراً ولكن فرعون ضالٌ في نفسه بل ان الضلال مركوز في سليقته كامن فيه كمون الطبائع الاصيلة فكيف يتوهم انه يهدي غيره وإذن فهو جمع بين المثلبتين واكتنفه الشر من ناحيتين فحق لمثله وقد صار مهزأة ان يتهكم به ويكون أداة للتهكم •

٤ ـ المجاز العقلي :

وفي قوله تعالى « وواعدناكم جانب الطور الايمن » فإن لقائل أن يقول ان المواعدة كانت لموسى عليه السلام فكيف أضيفت اليهم ، وإيضاح الجواب الدقيق الذي لم أر من وفاه حقه أنه مجـاز عقلي أسند المواعدة اليهم من قبل الله كما تسند الأمور المدركة الى من ليس له ادراك على حد المجاز العقلي وهذا من أسمى ما يصل اليه الأسلوب اللبق تقول لابن صديقك المتعسف المرتطم في حمأة الهوان لقد عرفتكم أهل حجا وتصون ، تريد أن تنسب اليه ما هو بعيد عنه بعد الأمور المدركة عن غير العقلاء حين تنسب اليهم على طريق المجاز العقلي •

* وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾

اللغــــة :

(عــلى أثري) : الأثر بقية الشيء والجمــع آثار وأثور والخبر وخرج في أَثَره وإثْره : بعده وائتثره وتأثّره تبع اثره والأثْر فرند السيف ويكسر كالأثير والجمع أثور •

(السامري) : في القاموس : الذي عبد العجل وكان علجاً من كَرمان أو عظيماً من بني إسرائيل ينتسب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة نسبة الى مقاطعــة في فلسطين ، قال في المنجد : وهم قوم « يخالفون اليهود في نقاط دينية جوهرية منها أنهم لا يقرون من كتب الوحي إلا أسفار موسى الخمسة المعروفة بالتوراة وانهم يقولون بواجب العبادة لا في أورشليم ولكن على جبل جريزيم جنوبي شكيم » وقال في الخازن « واسمه موسى بن ظفر » •

الاعراب :

(وما أعجلك عن قومك يا موسى) الواو عطف عــلى محذوف يفهــم من السياق والتقــدير فسار موسى لحضور الميقات مــع قوم مخصوصين وهم السبعون الذين اختارهم موسى من بين قومه ليذهبوا معه الى جبل الطور ليأخذوا التوراة ، عجل من بينهم شوقاً الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وخلفهم وراءه فقال له تعالى : وما أعجلك وسيأتي المزيد عن هذا السؤال في باب البلاغة • وما اسم استفهام مبتدأ وأعجل فعل ماض وفاعل مستتر تقديره هو يعود على ما والكاف مفعول به والجملة خبر ما وعن قومك متعلقــان بأعجلك • (قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى) هم مبتدأ وأولاء خبر وعلى أثري خبر ثان أو حــال وعجلت فعــل وفاعل والواو حالية

بتقدير قد أو عاطفة واليك متعلقان بعجلت ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف ولترضى اللام للتعليل وترضى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بعجلت أيضاً كأنه تعليل لعجلته . (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) قال فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والفاء الفصيحة أي إن شئت أن تعلم مصير قومك ، وان واسمها وجملة قد فتنا خبرها وهي فعل وفاعل وقومك مفعول به وأضلهم السامري فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر . (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفاً) تقدم القول في فاء التعقيب انها قد تتخلف في وقتها دون أن يحدث فاصل فلم يرجع موسى إلا بعد أن استوفى الاربعين يوماً وأخذ التوراة ، ورجع فعل ماض وموسى فاعل والى قومه متعلقان برجع وغضبان أسفاً حالان . (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ، ألم الهمزة للاستفهام الانكاري ويعدكم فعل مضارع مجزوم بلم والكاف مفعول به وربكم فاعل ووعداً مفعول مطلق وحسناً صفة . (أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي) الهمزة للاستفهام والفاء حرف عطف على محذوف وطال فعل ماض وعليكم متعلقان بطال والعهد فاعل وأم حرف عطف معادل للهمزة وأردتم فعل وفاعل وأن وما في حيزها مفعول أردتم وعليكم متعلقان بيحل وغضب فاعل يحل ومن ربكم صفة لغضب فأخلفتم الفاء حرف عطف وأخلفتم عطف على أردتم وموعدي مفعول أخلفتم .

البلاغة :

الاستفهام من الله تعالى لا يقع لاستدعاء المعرفة ولكنه يخرج عن

معناه الأصلي لأغراض أخر تدرك من سياق الكلام وقد أفاد السؤال هنا أغراضاً نوجزها فيما يلي :

آ ـ لتعريف المسئول بما يجهله من أمور وقد أراد سبحانه تعريفه بفتنة قومه فقد قيل انهم كانوا نحو ستمائة ألف نفس ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً .

ب ـ تبكيت المسئول وتفهيمه وتنبيهه الى خطل ما جاء به من ترك القوم وافساح المجال للسامري كي يضلهم لأنه مغرق في الضلالة وماهر في الإضلال .

ج ـ تعليم المسئول آداب السفر وهي : انه ينبغي على رئيس القوم أن يتأخر عنهم في المسير ليكون نظره محيطاً بهم ونافذاً فيهم ومهيمناً عليهم ، وقاطعاً الطريق على كل فتنة قد تتسرب الى صفوفهم .

على أن موسى عليه السلام أغفل هذه الامور ولعله ملمٌ بها ومطلع عليها ولكن الشوق الى لقاء الله والمسارعة الى ميعاده ألهب قلبه فلم يملك عنان صبره الجامح وذلك شأن الموعود بما طال حنينه اليه يودّ لو امتطى أجنحة الطير واستبق الساعات وهل ثمة ما يلهب الشوق مثل مواعدة الله ؟

قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ
ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا

يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ
هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى
وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ
أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن
تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ
يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ
ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ
لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ
إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا
﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

اللغـــة :

(بملكنا) : بقدرتنا مصدر ملك وهو مثلث الميـم وفي القاموس وشرحه التـاج ملك يملك من باب تعب مَلكاً ومُلكاً ومِلكاً بفتح الميم وضمها وكسرها وملكة ومملكة بفتح اللام ومملكـة بكسرها

ومسلكة بضسها الشيء احتواه قادراً على التصرف والاستبداد به وملك على القوم : استولى عليهم وملك عـلى فلان أمره استولى عليه وملك نفسه قدر على حبسها وملك المرأة تزوجها •

(أوزاراً) : أثقالاً وأرادوا بها حلي القبط التي استعاروها منهم وأرادوا بالأوزار انها آثام وتبعات لأنهم استعاروها منهم وليس لهم فيها حق •

(خوار) : بضم الخـاء صوت البقر والعجاجيل وعبر بالجسد مع أنه لا يقال للعاقل : ولأن الجسد لا يقال إلا للانسان تغليباً وتشبيهاً له بالعاقل كأنه غاير البقر ولا يقال جسد لغـير الانسان إلا للزعفران ويقال جساد بفتح الجيم أيضاً وللدم إذا يبس ويقال له جاسد أيضاً •

(يا ابن أم) : سيأتي في باب الفوائد •

(فقبضت): قبض يقبض من باب جلس بيده الشيء وعلى الشيء: أمسكه بيـده وضم عليه أصابعه وقبض يده عـن الشيء : امتنع عن إمساكه وقبضه عن الأمر أنحاه وقبضه الله أماته وقبض الشيء : خلاف بسطه ووسعه وقبض الطائر جناحه : جمعـه وقبض الـدار ونحوها تسلمها وقبض منه المال : أخـذه لنفسه وقبض قبضة أخذها ويقال قبص بالصاد المهملة لأنهمـا تتعاقبان في كثـير من الكلمـات تورد أهمها فيما يلي :

قال يعقوب بن السكيت : وقبضت قبضة وقبصت قبصة ويقال : إن القبصة أقل من القبضة وقال غيره : القبص بأطراف الأصابع والقبض بالكف كلهـا ويقال عـاد الى ضئضئه وصئصئه أي الى أصله والهمز الأصل وأنشد :

أنا من ضئضىء صـــدق بـخ ومن أكرم حـُـذ ْل
من عزاني قـال بَه ْ بَه ْ سِنْخُ ذا أكـرم أصـل

الحـُذل : الحجر وقال اللحياني : بخ بخ وبه به تقال للانسان إذا عـُظـّم ، وقال أبو عمرو : ما ينـُوضُ بحاجـة وما يقدر على أن يَنـُوص أي يتحرك ومنه قوله عز وجل : « ولات حين مناص » ومناص ومناض واحد ويقال : أنقاص وأنقاض بمعنى واحد وقال الأصمعي : المـُنـْقاض : المنقعر من أصله والمنقاص : المنشق ّ طولا ً وقال أيضاً : مضمض لسانه ومصمص لسانه إذا حركه وقال اللحياني : يقال : إنه لـَصـِل ّ أصلال وضـِل ّ أضلال والصل الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها ويقال مصمص إناءه ومضمضه إذا غسله فقول العامة مصمص العظم صحيح لا غبار عليه .

(بصرت) : بصر بالشيء بضم الصاد وأبصره بمعنى علمه وهو من باب ظرف ويقال بصر بالكسر من باب علم .

(مساس) : بكسر الميم مصدر ماس وستأتي حقيقة هذا التركيب في باب الاعراب .

الاعراب :

(قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) قالوا فعـل وفاعل وما نافية وأخلفنا فعل وفاعل وموعدك مفعول به وبملكنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي حال كوننا مالكين أمرنا ولكننا غلبنا على أمرنا من جهة السامري وكيده . (ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم) الواو

عاطفة ولكن واسمها وحملنا فعل ماضي بالبناء للمجهول ونا نائب فاعل وأوزاراً مفعول به ثان ومن زينة القوم صفة • (فقذفناها فكذلك ألقى السامري) الفاء عاطفة وقذفناها فعل وفاعل ومفعول وهو معطوف على محذوف أي فقال لنا السامري أقذفوها في النار لأن موسى تأخر عنكم بسببها فقذفناها الفاء حرف عطف وكذلك نعت لمصدر محذوف وقد تقدم كثيراً وألقى السامري فعل وفاعل • (فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار) الفاء عاطفة وأخرج فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على السامري والعطف على فأضلهم السامري لئلا يتوهم أنه من كلامهم ولهم متعلقان بأخرج وعجلاً مفعول به وجسداً حال من عجلاً ولكن يشكل على هذا الاعراب الذي اختاره عدد من المفسرين أن صاحب الحال لا يكون إلا معرفة ولعل هذا العجل الذي أخرجه السامري من الحفرة التي فيها تراب اثر حافر الرسول الى موسى كما سيأتي صار بحكم المعرفة نقول ولا مانع من إعرابه بدلاً من عجلاً وجملة له خوار من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر صفة • (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي) الفاء حرف عطف وقالوا فعل وفاعل وهذا مبتدأ وإلهكم خبر وإله موسى عطف على إلهكم فنسي الفاء حرف عطف ونسي فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على موسى أي نسي ربه فذهب يطلبه وقيل الضمير يعود على السامري أي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر • (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) الهمزة للاستفهام والفاء حرف عطف ولا نافية ويرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وأن مخففة من الثقيلة ولا نافية ويرجع فعل مضارع واسم أن المخففة ضمير الشأن أي انه ؛ وفاعل يرجع مضمر تقديره هو يعود على العجل واليهم متعلقان بيرجع وقولاً مفعول به ولهذا ارتفع الفعل بعدها • (ولقد

قال لهم هارون من قبل) الواو حرف عطف واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وقال لهم هارون فعل ماض وفاعل ومن قبل متعلقان بمحذوف حال أي قبل رجوع موسى • (يا قوم إنما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وإنما كافة ومكفوفة وفتنتم فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل والميم علامة جمع الذكور وبه متعلقان بفتنتم وإن ربكم الرحمن ان واسمها وخبرها والفاء الفصيحة واتبعوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به وأطيعوا أمري عطف على اتبعوني • (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) لن حرف نفي ونصب واستقبال ونبرح فعل مضارع ناقص منصوب بلن واسمها ضمير مستتر تقديره نحن وعليه متعلقان بعاكفين وعاكفين خبر نبرح ، حتى حرف غاية وجر ويرجع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والينا متعلقان بيرجع وموسى فاعل وهذا التعليق الذي جعلوه غاية لعكوفهم لم يكن منهم إلا تسويفاً وتعللاً ليس من قبيل الوعد بترك عبادته بعد رجوع موسى • (قال يا هارون ما منعك إذا رأيتهم ضلوا) ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة منعك خبر وإذ ظرف متعلق بمنعك وجملة رأيتهم مضافة للظرف ورأيتهم فعل وفاعل ومفعول به وجملة ضلوا حالية أو مفعول به ثان لرأيتهم إذا اعتبرتها قلبية • (أن لا تتبعني أفعصيت أمري) أن حرف مصدري ونصب ولا مزيدة أي أي شيء منعك من اتباعي في الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ، والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر وعصيت فعل ماض وفاعل وأمري مفعول به • (قال يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) يا ابن أم يا حرف نداء وابن أم اسمان مبنيان على الفتح لتركبهما تركب الأعداد مثل خمسة

عشر أو الظروف مثل صباح مساء فعلى هـذا ليس ابن مضافاً الى أم بل هو مركب معها فحركتهما حركة بناء وقد تقدم تفصيل هذا التركيب في « الأعراف » وعلى كل فهما في محل نصب منادى وانما اقتصر في خطابه على الأم مع أنه شقيقه لأنذكر الأم أعطف لقلبه ، ولا ناهية وتأخذ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعـل مستتر تقديره أنت وبلحيـتي متعلقان بتأخذ ولا برأسي عطف على بلحيتي • قيل كان موسى مجبولاً على الحدة والغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون غير الله أن أخذ برأس أخيه وبشعر وجهه يجره إليه • (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي) ان واسمها وجملة خشيت خبر إن وأن ومافي حيزها مفعول خشيت وجملة فرقت مقول القول وبين ظرف مكان متعلق بفرقت وبني اسرائيل مضاف اليه ولم ترقب قولي عطف على فرقت أي وخشيت أن تقول لم ترقب قولي وعلى هذا يكون الضمير في قولي واقعاً على موسى ، ويجوز عطفها على خشيت فيكون الضمير في قولي واقعاً على هارون• (قال فما خطبك يا سامري) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على موسى والفاء عاطفة أو استئنافية وما استفهامية مبتدأ وخطبك خبر ويا حرف نداء وسامري منادى مفرد علم • (قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول) جملة بصرت مقول القول وفاعل قال هو أي السامري ، وبما متعلقان ببصرت وجملة لـم يبصروا به صلة ، فقبضت عطف على بصرت وقبضة مفعول به ، وهي مصدر مرة من قبض واطلاقها عـلى المقبوض من تسمية المفعول بالمصـدر ، ومن أثر صفة لقبضـة وأثر مضاف والرسول مضاف اليه عـلى تقدير محذوفين أي من أثر حافر فرس الرسول والمعنى من تربة موطئه ، وتفصيل القصة في المطولات وسنلخص لك ما قالوه في باب البلاغة (فنبذتها وكذلك سوّلت لي

نفسي) فنبذتها عطف عـلى قبضت أي ألقيتها ، وكذلك نعت لمصدر محذوف وقد تقدم وسولت لي نفسي فعل وفاعل أي زينت لي نفسي .
(قال فاذهب فإن لك في الحيـاة أن تقول لا مساس) قال فعل ماض وفاعله يعود على موسى ، فاذهب الفاء عاطفة واذهب فعل أمر فاعله أنت، فإن الفاء عاطفة وإن حرف مشبه بالفعل ولك خبرها المقدم وفي الحياة متعلقان بمحـذوف حال وأن وما بعـدها اسم إن ولا نافية للجنس ومساس اسم لا والخبر محذوف فهو مبني مع لا الجنسية والمراد به النهي أي لا تمسني ولا أمسّك ، ومساس مصدر ماس كقتال مصدر قاتل ، قال الزمخشري : « عوقب في الـدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعاً كلياً وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكـل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً وإذا اتفق أن يماس أحداً رجلاً أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه » . (وإن لك موعـداً لن تخلفـه) وإن حرف مشبه بالفعل ولك خبرها المقدم وموعداً اسمها المؤخر ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتخلفه منصوب بلن ونائب الفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به ثان . (وانظر الى إلهك الـذي ظلت عليـه عاكفاً لنحرقنّه ثم لننسفنّه في اليم نسفاً) وانظر الواو عاطفة وانظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وإلى إلهك متعلقان بانظر ، والذي صفة وجملة ظلت صلة وظلت فعل ماض ناقص ، وأصله ظللت بلامين وأولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً ، وعليه متعلقان بعاكفاً وعاكفاً خبر ظلت ، ولنحرقنه اللام موطئـة للقسم ونحرقنه فعل مضارع مبني عـلى الفتح لاتصاله بنون التوكيد والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ، ثم حرف عطف لننسفنه مثل نحرقنه وفي اليم متعلقان بننسفنه ونسفاً مفعول مطلق .
(إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) إنما كافـة

ومكفوفة وإلهكم مبتدأ والله خبره والجملة مستأنفة والذي نعت وجملة لا إله إلا هو صلة وقد تقدم اعرابها كثـيراً ووسع فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وكل شيء مضاف اليه وعلماً تمييز من فاعل وسع •

البلاغـة :

الايجاز في هذه الآيات واضح جداً وهو في كل واحدة ، لأن تسلسل الحوادث يقتضي تقـدير جمل لا بد منها ، وقد أشرنا اليها إشارات واضحة تجزىء عن إعادتها ولكننا نورد هنا إيجازاً بالحذف ورد في قوله تعـالى « فقبضت قبضة من أثر الرسول » فقـد حذف المضاف مكرراً هنا والتقدير من أثر حافر فرس الرسول وهذا الحذف شائع كثيراً في القرآن كقولـه تعالى « ولكن البر من اتقى » وقولـه « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهـم من كـل حدب ينسلون » فحذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية في قوله تعالى : « واسأل القرية » أي أهل القرية وقد ورد في الشعر أيضاً ومما جاء منه قول الخزيمي يرثي أبا الهندام وهو من شعراء الحماسة :

إذا لاقيـت قومي فاسأليهـم ... كفى قومـاً بصاحبهم خبـيراً
هل أعفو عن أصول الحق فيهم ... إذا عَسُرت وأقتطع الصدورا

أراد أنه يقتطع مافي الصدور من الضغائن أي يزيل ذلك بإحسانه من عفو وغيره فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه • وحذف المضاف أكثر من حذف المضاف اليه ومما جاء من حذف المضاف اليه في القرآن الكريم قوله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعـد » أي من قبل الغلب ومن بعده •

خلاصة قصة السامري :

هذا وسنخرج عن النطاق الذي ترسمناه في هذا الكتاب وهو نطاق الاعراب واللغة والبيان فنوزد لمحة خاطفـة عن قصة السامري لعلاقتها بما نحن بصدده تاركين للقارىء مجال الرجوع الى المطولات • ففي الوقت الذي حـل ميعاد الذهاب الى الطور أرسل الله الى موسى جبريل راكباً حيزوم فرس الحياة لـذهب به ، فأبصره السامري فقال : إن لهـذا شأناً فقبض قبضة من أثر تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال : قبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل ، وقيل انه كلما وضعت الفرس حافرها على شيء اخضر ، فعرف أن للتراب الذي تضع الفرس حافرها عليه شأناً وقيل غير ذلك مما لا تطمئن اليه النفس ويحتاج الى كثير من التمحيص •

الفوائـد :

صاحب الحال :

الأصل في صاحب الحال التعريف لأنه محكوم عليه بالحال وحق المحكوم عليه أن يكون معرفة لأن الحكم على المجهول لا يفيد غالباً ، ويقـع صاحب الحـال نكرة بمسوغ يقربه من المعرفـة وذلك في المواضع التالية :

١ ـ إذا تقدمت عليه الحال نحو في الدار جالساً رجل ، وقول كثير عزة :

لميـة موحشاً طلـل يلـوح كأنه خلـل

وفي المغني ان تقديم حال النكرة عليها ليس لأجل تسويغ الحال فيها بل لئلا يلتبس الحال بالصفة .

٢ ــ أن يكون صاحبها مخصوصاً بوصف كقول الشاعر :

نجيت يا رب نوحاً واستجبت له　　في فلك ماخر في اليم مشحونا

فمشحوناً حال من فلك لوصفه بماخر .

٣ ــ أن يكون صاحبها مخصوصاً باضافة كقولــه تعالى « في أربعة أيام سواء للسائلين » فسواء حال من أربعة لاختصاصها بالاضافة الى أيـــام .

٤ ــ أن يكون صاحبهــا مخصوصاً بمعمول نحو : عجبت من ضرب أخوك شديداً ، فشديداً حال من ضرب لاختصاصه بالعمــل في الفاعل وهو أخوك .

٥ ــ أن يكون صاحبها مخصوصاً بعطف نحو : هؤلاء أناس وعبد الله منطلقين ، فمنطلقين حال من أناس لاختصاصه بالعطف عليه وهو عبد الله .

٦ ــ أن يكون صاحبها مسبوقاً بنفي كقوله تعالى « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » فجملة ولها كتاب معلوم حال من قرية لكونها مسبوقة بالنفي ، وقد مرّ أن الزمخشري يرد هذا القول ويجعل الجملة صفــة لقرية وانما توسطت الواو بينهما لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف .

٧ ــ أن يكون صاحبها مسبوقاً بنهي كقول الطرماح :

لا يركننْ أحــد الى الاحجام　　يوم الوغى متخوفاً لحـــمام

فستخوفاً حال من أحد لأنه مسبوق بالنهي .

٨ ـ أن يكون صاحبها مسبوقاً باستفهام كقول أحد الطائيين :

يا صاح هـل حـم عيش باقياً فترى

لنفسك العـذر في إبعادها الأمـلا

فباقياً حال من عيش لكونه مسبوقاً بالاستفهـام بهـل ، وصاح منادى مرخم صاحب عـلى غـير قياس وحم بالحاء المهملة بمعنى قدر والإبعاد مصدر أبعد والأمل مفعوله .

هذا وقد يقع صاحب الحال نكرة بلا مسوغ كقولهم عليه مائة بيضاً ، فبيضاً بلفظ الجمع حال من مائة وليس تمييزاً خلافاً للمبرد لأن تمييز المائة لا يكون جمعاً منصوباً ولا مجروراً وهو من أمثلة سيبويه ، وفي الحديث : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً ووراءه رجال قياماً ، فقياماً حال من رجال وهو نكرة بلا مسوغ .

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن
لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾
خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾
نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

اللغـــة :

(وزراً) : حملاً ثقيـلاً والمراد بها هنا العقوبة الثقيلة المرهقة الباهظة ، سماها وزراً تشبيهاً لها في ثقلها على من يحل به العقاب بالحمل الثقيل ينوء به الكاهل ويرزح الحامل تحت عبئه الفادح .

(زرقاً) : جمع أزرق وسبب اختياره لعيونهم يوم القيامة لوجهين:

١ ــ ان الزرقــة أبغض شيء من ألوان العيوب الى العرب لأن الروم كانوا أعداءهم وهم زرق العيون ومن أقوالهم في صفة العدو : « أسود الكبد ، أصهب السبال ، أزرق العين » فأصهب من الصهبة بالصاد المهمـلة وهي حمرة أو شقرة في الشعر ، والسبال : ما عـلى الشارب من الشعر ومقدم اللحية والاثنان مرادان بها هنا وقال بشار في وصف البخيل :

وللبخيل عـلى أمواله علـل زرق العيون عليها أوجه سود

وهو من أبيات ممتعة نوردها بكاملها :

ظل اليسار على العباس ممدود وقلبه أبداً بالبخـــل معقود
إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهـود
وللبخيل عـلى أمواله علـل زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجّي للنوال فما ترجى الثمار إذا لم يورق العود
بُثَّ النوال ولا تمنعك قلتــه فكل ما سدَّ فقراً فهو محمود

٢ ـ ان المراد العمى لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق •
(يتخافتون بينهم) أي يخفضون أصواتهم ويخفونها لما لحقهم من الرعب والهول وفي المختار : خفت الصوت سكن وبابه جلس والمخافتة والتخافت والخفت بوزن السبت : أسرار المنطق •

(أمثلهم) : أفضلهم وأعدلهم رأياً أو عملاً في الحياة الدنيا وجمعه أماثل ومُثُل ومؤنثه مثلى ، وأماثل القوم خيارهم ، والطريقة المثلى الشبهى بالحق ويقال المريض اليوم أمثل أي أحسن حالة ، وقال امرؤ القيس يصف الليل من معلقته :

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف إعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

الاعراب :

(كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً)
كذلك : نعت لمصدر محذوف أي كما قصصنا يا محمد هذه القصة ونقص فعل مضارع فاعله مستتر تقديره نحن وعليك متعلقان بنقص ومن أنباء صفة لموصوف محذوف هو مفعول به لنقص أي نقص نبأ من أنباء ، وما مضاف اليه وجملة قد سبق صلة ، وقد الواو عاطفة وقد حرف تحقيق وآتيناك فعل ماض وفاعل ومفعول به ومن لدنا حال لأنه كان صفة لذكراً ، وذكراً مفعول به ثان أي قرآناً • (من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) من شرطية في محل رفع مبتدأ وأعرض فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو

وعنه متعلقان بأعرض والفاء رابطة وان واسمها وجملة يحمل خبرها والفاعل مستتر تقديره هو ويوم القيامة ظرف متعلق بيحمل ووزراً مفعول وجملة من أعرض في محل نصب نعت لذكراً أي قرآناً منطوياً مشتملاً على هذه القصص يحمل المعرض عنها وزراً كاملاً يوم القيامة • (خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً) خالدين حال وفيه متعلقان بخالدين والضمير يعود للوزر أي في العقاب المتسبب عنه ففي الكلام مجاز كما سيأتي ، وساء الواو حالية أو عاطفة وساء فعل ماض من أفعال الذم وقد تقدم كثيراً وفاعله مستتر مميز بنكرة وهو حملاً والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم ، ولهم متعلقان بقول مقدر أي يقال لهم هذا الكلام ، وقيل هي كاللام في هيت لك أي لمجرد البيان فراجع سورة يوسف • ويوم القيامة ظرف متعلق بساء وحملاً تمييز • (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) الظرف بدل من يوم القيامة وجملة ينفخ مضافة الى الظرف وينفخ فعل مضارع بالبناء للمجهول وفي الصور متعلقان بينفخ ، ونحشر الواو عاطفة ونحشر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن والمجرمين مفعول به ويوم ظرف أضيف الى ظرف مثله متعلق بنحشر والتنوين في إذ عوض عن جملة وزرقاً حال من المجرمين• (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا) الجملة حال من المجرمين أو مستأنفة مسوقة لبيان حالهم في ذلك اليوم ويتخافتون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل وبينهم ظرف متعلق بيتخافتون ، وإن لبثتم جملة منصوبة بقول دل عليه يتخافتون والقول نصب على الحال أي قائلين في السر ، وان نافية ولبثتم فعل وفاعل وإلا أداة حصر وعشراً ظرف زمان ذهاباً الى الليالي لأن الشهور غررها الليالي فتكون الأيام داخلة تبعاً وتخافتهم ناجم عن الرعب الذي داخلهم ، فكأن أيام الدنيا لم تكن شيئاً مذكوراً

فهم يتذكرون أيام السرور التي سنحت لهم في الدنيا كيف مرت عليهم كظل الطائرة .

(نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً) نحن مبتدأ وأعلم خبر وبما متعلقان بأعلم وجملة يقولون صلة ، وإذ ظرف متعلق بأعلم وجملة يقول مضافة الى الظرف وأمثلهم فاعل وطريقة تمييز وإن نافية ولبثتم فعل وفاعل وإلا أداة حصر ويوماً ظرف متعلق بلبثتم .

البلاغة :

المجاز المرسل في قوله « خالدين فيه » أي في الوزر ، والوزر لا يقام فيه ولكن أراد العقاب المتسبب عن الوزر ، فالعلاقة فيه السببية.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا
قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ
ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا
﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا
﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا

﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا
هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا
تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ
زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾

اللغـــة :

﴿ قاعاً ﴾ : القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنهـا الجبال والآكام والجمـع أقْواع وأقْوُع وقيع وقيعان وقيعـة ، وقيل هو المنكشف من الأرض ، وقيل المستوي الصلب منها ، وقيل مالا نبات فيه ولا بناء .

﴿ صفصفاً ﴾ : الصفصف : الأرض المستوية الملساء كأن أجزاءها صف واحد من كل جهة ، وفي القاموس : المستوي من الأرض ، وقاع صفصف مستو مطمئن فهو بمثابة التأكيد للقاع لأنه بمعناه .

﴿ أمْتاً ﴾ : الأمت هو النتوّ اليسير ، يقال مدّ حبله حتى ما فيه أمت وقيل : الأمت هو التـل وهو قريب من الأول وقيل الشقوق في الأرض وقيل الآكام وفي القاموس « أمَتَه يأمته قدره وحزره كأمّته وقصده وأجل مأموت مؤقت والأمت المكان المرتفع والتلال الصغار والانخفاض والارتفاع والاختلاف في الشيء والجمع أمات" وامؤت"

والضعف والوهن والطريقة الحسنة والعوج والعيب في الفم وفي الثوب والحجر وأن يغلظ مكان ويرق مكان والمؤمَّت المملوء والمتهم بالشر ونحوه والخمر حرمت لا أمت فيها أي لا شك في حرمتها » .

(همساً) : الهمس : الصوت الخفي وهو مصدر همست الكلام من باب ضرب إذا أخفيته ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت أخفافها إذا مشت .

(وعنت) : في المختار : عنا يعنو من باب سما يسمو سمواً فالألف محذوفة قبل تاء التأنيث لالتقاء الساكنين إذا ذل وخضع ومنه العناة جمع عان وهو الاسير .

(هضماً) : الهضم : النقص ، تقول العرب : هضمت لزيد من حقه أي نقصت منه ، ومنه هضيم الكشحين أي ضامرهما ، قال امرؤ القيس :

إذا قلت هاتي نوليني تمايلت   عليّ هضيم الكشح ريا المخلخل

ورجل هضيم ومهتضم أي مظلوم ، وهضمته واهتضمته وتهضمته كله بمعنى .

الاعراب :

(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) الواو للاستئناف والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير تعنتهم واصرارهم على الجدل والمكابرة والاستهزاء ، ويسألونك فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقل الفاء عاطفة وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وجملة ينسفها مقول القول والهاء مفعول به مقدم وربي

فاعل مؤخر ونسفاً مفعول مطلق • (فيذرها قاعاً صفصفاً) الفاء عاطفة ويذرها فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره هو أي الله تعالى والهاء مفعول به وقاعاً لك أن تعربها حالاً من الضمير المنصوب أو مفعولاً به ثانياً لتضمين يذر معنى التصيير ، وصفصفاً حال ثانية أو بدل من المفعول الثاني وأعربها بعضهم صفة له • (لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) الجملة حال ثالثة أو حال أولى ولا نافية وترى فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت وفيها متعلقان بترى وعوجاً مفعول به ولا أمتاً عطف • وسيأتي مزيد من التقرير حول هذه الآية في باب البلاغة • (يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له) الظرف متعلق بيتبعون أو بدل من يوم القيامة المتقدم وقد تقدم تقرير اضافة يوم الى الظرف ويتبعون الداعي فعل مضارع وفاعل ومفعول به ولا نافية للجنس وعوج اسمها مبني على الفتح وله خبرها وجملة لا عوج له حال من الداعي أو صفة لمصدر محذوف أي يتبعونه اتباعاً لا عوج له ويجوز أن تكون مستأنفة والأول أظهر لأن الضمير في له يعود عليه أي لا عوج لدعائه بل يسمع جميعهم فلا يميل الى أناس دون أناس • (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً) الواو عاطفة وخشعت الاصوات فعل وفاعل وللرحمن متعلقان بخشعت والفاء عاطفة ولا نافية وتسمع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وإلا أداة حصر وهمساً مفعول به لأن الاستثناء مفرغ•(يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً) الظرف متعلق بتنفع واذ مضاف ولا نافية وتنفع الشفاعة فعل مضارع وفاعل ، وإلا أداة حصر ومن يجوز فيه أن يكون مفعولاً لتنفع وعندئذ تكون من واقعة على المشفوع ويجوز أن يكون بدلاً من الشفاعة على قاعدة المستثنى المنفي أو النصب على الاستثناء المتصل من الشفاعة ولا بد في هذين الوجهين من تقدير مضاف تقديره إلا شفاعة من أذن له واذا

اعتبر مستثنى منقطعاً وجب نصبه فتلخص فيه أربعة أوجه متقاربة الرجحان ورجح الزمخشري الرفع على البدلية وتبعه القاضي البيضاوي .

وجملة أذن له الرحمن صلة ورضي له قولاً عطف على أذن له ورجح أبو البقاء النصب على المفعولية . (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً) الجملة استئنافية مسوقة لتقرير علمه تعالى ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلهم ، ويعلم فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره هو وما مفعول به وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول وأيديهم مضافة لبين ، وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم ، ولا يحيطون لك أن تجعل الواو عاطفة ولك أن تجعلها حالية ، ويحيطون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وبه متعلقان بيحيطون وعلماً مفعول به . (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً) وعنت الوجوه فعل وفاعل وللحي متعلقان بعنت والقيوم صفة ، وسيأتي المراد بالوجوه في باب البلاغة والواو حالية وجملة وقد خاب حالية ومن فاعل خاب وجملة حمل ظلماً صلة . (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) الواو عاطفة على وقد خاب ، ومن شرطية مبتدأ ويعمل فعل الشرط ومن الصالحات صفة لمفعول به محذوف أي ومن يعمل أعمالاً من الصالحات والواو حالية وهو مبتدأ ومؤمن خبر والفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية ويخاف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وظلماً مفعول به ولا هضماً عطف على ظلماً وجملة لا يخاف خبر لمبتدأ محذوف والتقدير فهو لا يخاف ، وجملة فهو لا يخاف في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من . (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً) الكاف صفة لمصدر محذوف أي مثل ذلك الانزال أنزلناه وقرآناً حال وعربياً صفة . (وصرّفنا فيه

من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً) وصرفنا فعل وفاعل وفيه متعلقان بصرفنا ومن الوعيد صفة لمفعول محذوف أي صرفنا وعيداً من انوعيد ، ولعل واسمها وجملة يتقون خبرها وأو حرف عطف ويحدث عطف على يتقون ولهم متعلقان بيحدث وذكراً مفعول به ، وفاعل يحدث هو أي القرآن • (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً) الفاء استئنافية وتعالى الله فعل ماض وفاعل والملك الحق صفتان لله ولا تعجل الواو عاطفة ولا ناهية وتعجل فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وبالقرآن متعلقان بتعجل ومن قبل متعلقان بتعجل وأن يقضى المصدر المؤول مضاف لقبل واليك متعلقان بيقضى ويقضى فعل مضارع مبني للمجهول ووحيه نائب فاعل، وقل عطف على لا تعجل ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وزدني فعل أمر والنون للوقاية والياء مفعول به أول وعلماً مفعول به ثان أو تمييز •

البلاغـة :

في قوله تعالى : « لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » فن طريف يذهل العقول ، ويسكر العواطف ، ولا يكاد يدركه إلا من أودع الله فيهم سر البيان ، وارتاضوا بالمعاناة والدربة على إدراك النكت التي تعز على من رامها وتطول ، وهذا الفن سموه فن « التنكيت » وحدّه أن يخص المتكلم شيئاً بالذكر دون غيره مما يسد مسده وما يقتضيه ظاهر الكلام لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه ، وهو كثير في القرآن الكريم وسيرد في مواطنه ، أما في هذه الآية فقد تقدم في الكهف أن أهل اللغة فرقوا بين العِوج والعَوج فقالوا : العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان ولذلك قال في الكهف « الحمد لله الذي

أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجاً » أما في هذه الآية فالأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين ؟ أوليس مقتضى اللغة يوجب أن يستعمل العوج بالفتح ؟ وهنا يأتي هذا الفن ليسبر غور هذه النكتة التي تدق على النظرة السطحية الأولى ، ولا تقف عند التقارير اللغوية ، فنقول : إن اختيار العوج بالكسر في الآية له موضع حسن بديع في استواء الأرض ووصفها بالملاسة وانتفاء الاعوجاج عنها على أبلغ وجه ، وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة من الارض فسويتها وبالغت في تسويتها على عينك وعلى عيون البصراء بالأراضي واتفقتم بالاجماع على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم عمدت الى المهندس تستطلع رأيه لا بحسب الحدس والتخمين والنظر المجرد بل بحسب المقاييس الهندسية المبنية على العلم الدقيق لعثر فيها على عوج في غير موضع ، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي الذي لا يضل ولا يعزب عنه القليل النادر . فنفى الله سبحانه ذلك العوج الذي دقّ ولطف عن الادراك والفهم أللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة ، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الاحساس ولحق بالمعاني وسما عن الأعيان فقيل فيه عوج بالكسر .

وقد مرّ معنا وسيمر في هذا الكتاب نماذج رائعة لهذا التنكيت الذي ظهر لك في هذه الآية الكريمة مما لا يدركه إلا الحذاق الملهمون ، فلنرجىء القول فيها وسنعرض الآن على ناظريك نماذج من الشعر الجميل التي اشتملت على نكتة بارعة لتكون لك معالم صبح تحتذيها ، فمن ذلك قول الخنساء ترثي أخاها صخراً :

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

وقد سئل الأصمعي عن قولها هذا : لم اختصت فيه طلوع الشمس وغروبها دون أثناء النهار ؟ فقال لأن طلوع الشمس وقت الركوب الى الغارات وغروب الشمس وقت قرى الضيفان •

ومنه قول الحسن بن هانيء ، أبي نواس :

ألا فاسقني خمراً وقـــل لي هي الخمر
ولا تسقني ســـراً إذا أمكن الجهـــر

فقال « وقل لي هي الخمر » وذلك لأن الحواس الأربع قد التذت حين شربها وبقيت حاسة وحدة لم تستكمل لذتها وهي حاسة السمع فقال «وقل لي هي الخمر» ليسمع ذلك فتكمل له اللذة بجميع حواسه •

ونكتفي الآن بما تقدم ولنا عودة الى هذا الفن الجميل •

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا
يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ
﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا
تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ
شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ
فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾

اللغــة :

(تضحى) : ينتابك حـر الشمس في الضحى وفي القامـوس : « وضحا يضحو كغزا يغزو ضحواً برز للشمس وكسعى ورضي ضحواً وضحياً أصابته الشمس » •

(وسوس) : وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب في أنها حكايات للأصوات ، وسنتحدث عن أسماء الاصوات وحكاياتها في باب الفوائد ، وجاء في القاموس : « وسوس وِسواساً ووسوسة الشيطان له وإليه حدثه بشر أو بما لا نفع فيه ولا خير ووسوس الرجل: أصيب في عقله وتكلم بغـير نظـام وأصابته الوساوس فهو موسوس وتكلم بكلام خفي ، والوسواس صوت الحلي ، ووسوس الرجل كلمه كلاماً خفياً ، ووُسوس به بالبناء للمجهـول اختلط كلامـه ودهش ، والوسواس الاسم من وسوس ، والوسواس الشيطان ، والوسواس مرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط معـه الذهن ويقال لما يخطر بالقلب من شر أو لما لا خير فيه وسواس وجمعه وساوس •

(سوءاتهما) : عوراتهما وقد تقدمت •

(يخصفان) : أي يلزقان من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي يلزقان ورق الشجر بعضه ببعض حتى يصير عريضاً صالحاً للاستتار •

(اجتباه) : اصطفاه وقربه من جبى إلي كذا فاجتبيته فالمجتبى كأنه في الأصل من جمعت فيه المحاسن حتى اختاره غيره •

الاعراب :

(ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير مساوىء النسيان الذي هو صنو الجهل وقرينه ولذلك يجب التحوط منه والدعاء دائماً بقوله تعالى « وقل رب زدني علماً » • واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وعهدنا فعل وفاعل والى آدم جار ومجرور متعلقان بعهدنا ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ، فنسي عطف على عهد أي نسي ما أمرناه به أي أن النسيان أمر ركوز في طباع بني آدم ، ولم نجد : الواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم والفاعل مستتر تقديره نحن وعزماً مفعول به• (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) الظرف متعلق باذكر مقدراً أي واذكر وقت ما جرى على آدم من معاداة إبليس ووسوسته له وتزيينه له الأكل من الشجرة ومبادرة آدم بالطاعة له بعد ما سلف من النصيحة البالغة والتحذير من الشيطان ومكره وأحابيله • وقد تقدم اعراب الآية كثيراً فلا حاجة الى الاعادة ، ولا تنس اختلاف العلماء في اتصال الاستثناء وانقطاعه • وجملة أبى حالية • (فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌ لك ولزوجك) الفاء عاطفة وقلنا فعل وفاعل ويا آدم نداء وجملة إن

مقول القول وهذا اسم ان وعـدو خبرها ولك صفة لعدو ولزوجك عطف على لك • (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) الفاء عاطفـة ولا ناهية ويخرجنكما فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والكاف مفعول به والفاعل مستتر وهو ابليس والميم والألف للتثنية ، فتشقى الفاء فاء السببية وتشقى فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والفاعل مستتر تقديره أنت وأسند فعل الشقاء الى آدم وحده لأن شقاء زوجه منوط بشقائه كما أن سعادتها منوطة بسعادته فاختصر الكلام مع المحافظة على الفاصلة • (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) إن حرف مشبه بالفعل ولك خبر مقدم وأن وما في حيزها اسمها المؤخر وفيها متعلقان بتجوع ولا تعرى عطف على لا تجوع • (وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) عطف على سابقتها وسيأتي كلام بديع حول فصل الجوع عن الظمأ والعري عن الضحو والسر البياني الذي تتقطع دونه الاعناق في باب البلاغة • بقيت هناك مشكلة وهي عطف أنك على أن لا تجوع فكأنها اسم لإن بالكسر وهذا ممتنع فلا يقال : إن أن زيداً منطلق ولكن لما فصل هنا بينهما جاز فتقول : إن عندي أن زيداً قائم ، دعندي هو الخبر قدم على الاسم وهو ان وما في حيزها لكونه ظرفاً • والآية من هذا القبيل ، ورأى الزمخشري رأياً آخر فقال « فإن قلت : إن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيداً منطلق ، والواو نائبة عن أن وقائمة مقامها ، فلم أدخلت عليها ؟ قلت : الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إن ، إنما هي نائبة عن كل عامل ، فلما لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة كأن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن » •

قال ابن هشام في صدد الحديث عن المواضع التي يجوز فيها كسر همزة إن وفتحها : السادس أن تقـع بعد واو مسبوقة بمفرد صالـح

للعطف عليه نحو إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ، قرأ نافع وأبو بكر بالكسر في « وانك لا تظمأ » إما على الاستئناف فتكون جملة منقطعة عما قبلها أو بالعطف علـى جملة إن الأولى وهي إن لك أن لا تجوع وعليهما فلا محل لها من الاعراب وقرأ الباقون من السبعة بالعطف على أن لا تجوع من عطف المفرد على مثله والتقدير ان لك عدم الجوع وعدم الظمأ » .

(فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فوسوس الفاء عاطفة ووسوس فعل ماض واليه متعلقان بوسوس والشيطان فاعل ، قال يا آدم فعـل ماض ونداء وهل حرف استفهام وأدلك فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وعلى شجرة الخلد متعلقان بأدلك وملك عطف عـلى شجرة وجملة لا يبلى صفة لملك . (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى) فأكلا فعل ماض والألف فاعل ومنها متعلقان بأكلا فبدت عطف على أكلا ولهما متعلقان ببدت وسوءاتهما فاعل ، وطفقا فعل ماض من أفعال الشروع العاملة عمل كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً والالف اسمها وجملة يخصفان خبر طفقا وعليهما متعلقان بيخصفان ومن ورق الجنة صفـة لموصوف محذوف هو المفعول به أي ورقاً من ورق الجنة قيل هو التين والأولى أن يكون عاماً ليشمل جميع أوراق الأشجار ، وعصى آدم ربه فعل وفاعل ومفعول به ، فغوى عطف على عصى . (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) ثم حرف عطف واجتباه فعل ومفعول به وربه فاعل فتاب عليه عطف على اجتباه وهدى عطف على تاب . (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو) اهبطا فعل أمر مبني على حذف النون والألف فاعل ومنها متعلقان

باهبطا وجميعاً حال وبعضكم مبتدأ ولبعض حال لأنه كان صفة لعدو وعدو خبر وجملة بعضكم لبعض عدو في محل نصب على الحال • (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) الفاء عاطفة وإن شرطية وما زائدة ويأتينكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط والكاف مفعول به ومني متعلقان بيأتينكم وهدى فاعل يأتينكم ، فمن اتبع الفاء رابطة ومن شرطية مبتدأ واتبع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وهداي مفعول به والفاء رابطة للجواب وجملة لا يضل في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من وجملة من اتبع في محل جزم جواب إن •

البلاغة :

في قوله تعالى « إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى » فن بديع يسمى قطع النظير عن النظير وذلك انه قطع الظمأ عن الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب ، والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها ، ولو قرن كلاً بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة • ويسميه بعض علماء البيان « فن التوهيم » وقد سبقت الاشارة اليه وهو أن يأتي المتكلم بكلمة يوهم ما بعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيفها وهو يريد غير ذلك ، ومنها أن يأتي في ظاهر الكلام ما يوهم أن فيه لحناً خارجاً عن اللسان ، ومنها ما يأتي ظاهره يوهم أن الكلام قد قلب عن وجهه لغير فائدة ، ومنها ما يأتي دالاً على أن ظاهر الكلام فاسد المعنى وهو صحيح • وهذه الآية من القسم الذي يوهم ظاهره أن نظم الكلام جاء على غير طريق البلاغة لكون لفظه غير مؤتلف بمعناه لما ترى في الألفاظ من

عدم ملاءمة ، واذا تأمله المتأمل حق التأمل وجده جارياً على منهج البلاغة بحيث لو جاء على ما توهمه المعترض لكان النظم معيباً . وفي الآية يقول المتوهم لو قيل لا تجوع ولا تظمأ ولا تضحى ولا تعرى لكان ذلك جارياً على ما توجبه البلاغة من الملاءمة والجواب ان مجيئها على ماتوهمه المتوهم يفسد معنى النظم لأنه لو قيل : ان لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ لوجب أن يقول وانك لا تعرى فيها ولا تضحى ، والتضحي البروز للشمس بغير سترة . قال الهذلي وقيل للمجنون كما في أمالي القالي :

سلبت عظامي لحمها فتركتها مجردة تضحى لديك وتخصر

أي تلقى الشمس الضاحية مجردة فينال منها حرها وتلقى برد الليل مجردة فينال منها برده فهي معذبة ليلها ونهارها وإذا كان التضحي البروز للشمس بغير سترة كان معناه التعري فيصير معنى الكلام : وانك لا تعرى فيها ولا تعرى وهذا فساد ظاهر ، ولما كان هذا الفساد لازماً للنظم على الوجه الذي توهمه المتوهّم وجب العدول عنه الى لفظ القرآن وهو أن يضم سبحانه لنفي الجوع نفي العري لتطمئن النفس بسد الجوعة وستر العورة اللذين تدعو اليهما ضرورة الحياة وتطلبهما طبيعة الإنسان بالجبلّة ، ولما كان الجوع مقدّماً على العطش كتقديم الأكل على الشراب أوجبت البلاغة تأخر ذكر الظمأ عن الجوع وتقديمه على التضحي لأنه مهم يجب أن يتقدم الوعد بنفيه كما تقدم الوعد بنفي الجوع ، ويتأخر ذكر التضحي كما تأخر ذكر العري عن الجوع لأن التضحي من جنس العري والظمأ من جنس الجوع فإن قيل: لم ذكر التضحي وهو عري في المعنى وقد أغنى ذكر العري ؟ قلت : في ذكر التضحي فائدة كبيرة وهي وصف الجنة بأنها لا شمس فيها كما قال سبحانه : « لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً » فإن التضحي عري مخصوص

مشروط بالبروز الى الشمس وقت الضحى لذلك سمي تضحياً والانتقال من الأعم الى الأخص بلاغة لاختصاص الأخص بما لا يوجد في الأعم وقال العز بن عبد السلام في الأمالي : كان المناسب من طريق المجاز أن لا تجوع ولا تظمأ ولا تعرى ولا تضحى للجمع بين المتماثلين فلمَ عدل عن هذا ؟ والجواب : ان في الآية جناساً خيراً من هذا وذلك أن الجوع تجرد الباطن من الغذاء والعري تجرد الظاهر من الغشاء فجانس في الآية بين التجردين وكذلك الظمأ حر الباطن والضحى وهو الظهور للشمس حرّ الظاهر فجانس بالجمع بين الحرّين ٠

وقد رمق أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديماً وحديثاً فقال أبو الطيب المتنبي :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضّاح وثغرك باسم

يحكى انه لما استنشده سيف الدولة يوماً قصيدته التي أولها :

على قدْر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدْر الكرام المكارم

فلما بلغ الى هذين البيتين قال سيف الدولة : قد انتقدتهما عليك كما انتقد على امرىء القيس قوله :

كأني لم أركب جواداً للـذة ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كرّي كرّة بعد إجفال

فبيتاك لم يلتئم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرىء القيس وكان ينبغي لك أن تقول :

وقفت وما في المـوت شـك لواقف
ووجهـك وضـاح وثغرك باسـم
تمـر بك الأبطـال كلمى هزيمـة
كأنك في جفن الردى وهـو نائـم

فقال المتنبي إن صحّ أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا هو أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس واخطأت انا ، ومولاي يعلم أن الثوب لا يعلمـه البزاز كمـا يعلمه الحائك لأن البزاز يعرف جملته والحائك يعرف تفاصيله ، وانما قرن امرؤ القيس النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحـة بسباء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتبعته بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤماً ، ولما كان وجه المنهزم الجريح عبوساً وعينـه باكية قلت « ووجهك وضاح وثغرك باسم » لأجمـع بين الأضداد .

على أن في هذه الآية سراً لذلك زائداً على ما ذكر وهو أنه قصد تناسب الفواصل ولو قرن الظمـأ بالجوع لاتنتثر سلك رؤوس الآي وأحسن به منتظماً .

الفوائــد :

أسماء الأصوات :

وعدناك ببحث أسماء الاصوات ونرى أن نتوسع فيها قليلاً لأن كتب النحو قلّما تهتم لها. فهي تجري مجرى أسماء الافعال لأنها متواخية معها وهي مبنية وتنقسم الى قسمين :

آ ــ ما خوطب به مالا يعقل مما يشبه اسم الفعل في الاكتفاء به ، ولكن اسم الفعل مركب واسم الصوت مفرد لعدم تحمله الضمير كقولهم في دعاء الإبل لتشرب : جيء جيء بكسر الجيم فيهما مكررين مهموزين، وفي المحكم انهما أمر للابل بورود الماء يقال جأجأت الابل اذا دعوتها لتشرب فقلت جيء جيء نقله الجوهري عن الاموي ، وكقولهم في دعاء الضأن حاحا وفي دعاء المعز عاعا غير مهموزين والفعــل منهما حاحيت وعاعيت ، قال سيبويه وأبدلوا الألف من الياء لشبهها بها لأن قولك حاحيت انما هو صوت بنيت منه فعــلاً وليست فاعلت وكقولهــم في زجر البغل :

عدس ما لعبــاد عليك إمارة أمنت وهــذا تحملين طليق

فعدس صوت يزجر به البغل وقد يسمى البغل به والتقدير عــلى التسمية به يا عدس فحذف حرف النــداء • وإمارة بكســر الهمزة أي حكم •

ب ــ ما حكي به صوت مسمــوع ، والمحكي صوته قسمــان حيوان وغيره : فالأول كغاق بالغــين المعجمة والقاف لصوت الغراب ، والثاني نحو طاق حكاية لصوت الضرب وطق بفتح الطاء حكاية لصوت

وقع الحجارة بعضها على بعض . هــذا وسيرد المزيد من بحث أسماء الاصوات في هذا الكتاب .

نبذة من أسماء الأصوات :

وفيما يلي طائفة مختارة من أسماء الاصوات :

الصرير صوت القلم والسرير والباب والطست والنعل ، والنشيش صوت غليان القــدر والشراب ، الرنين : صوت الثكــلى والقوس ، القصيف : صوت الرعد والبحر ، وهدير الفحل ، النقيق صوت الدجاج والضفدع ، القعقعــة : صوت السلاح والجلــد اليابس والقرطاس ، الغرغرة : صوت غليان القدر وتردد النفس في صدر المحتضر ، العجيج: صوت الرعد والنساء والشاء ، الزفير : صوت النار والحمار والمكروب إذا امتلأ صدره غماً فزفر به ، الخشخشة والشخشخة : صوت حركة القرطاس والثوب الجديد والدرع ، الجلجلة : صوت السبع والرعد وحركــة الجلاجل ، الحفيف : صوت حركة الأغصــان وجناح الطائر وحركة الحية ، الصليل والصلصلة : صوت الحديد واللجام والسيف والدراهم والمسامير ، الطنــين : صوت البعوض والذباب والطنبور ، الأطيط : صوت الناقة والمحمل والرجل اذا أثقله ما عليه ، الصرصرة : صوت البازي والبط ، الدوي : صوت النحل والأذن والمطر والرعد ، الانقاض : صوت الدجاجة والفروج ، التغريد صوت المغني والحادي والطائر وكــل صائت طرب الصوت فهو غرد ، الزمزمــة والزهزمة : صوت الرعــد ولهب النار وحكاية صوت المجوسي إذا تكلف الكلام وهو مطبق فمه .

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا
﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا
يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ
ءَانَآىِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ
عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾
وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ
﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ

إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ
مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

اللغـــة :

(ضنكاً) : بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة ولهـذا لم يؤنث بأن يقال ضنكة على حد القاعدة التي ذكرها صاحب الخلاصة :

ونعتوا بمصدر كـثـيرا فالتزموا الافرادا والتذكيرا

وفي القاموس : « الضنك الضيق في كل شيء للذكر والانثى يقال ضنك ككرم ضنكاً وضناكة وضنوكة ضاق » وقرىء ضنكى على فعلى .

(يهد لهم) : أي يهتدي لهم فهو لازم ومعناه يتبين .

(آناء الليل) : جمع إني بكسر الهمزة والقصر كمعى بكسر الميم . وفي المختار : آناء الليل ساعاته ، قال الأخفش واحدها إنى مثل معى وقيل واحدها أني وأنو ، يقال مضى من الليل أنوان وانيان .

(متربص) : منتظر ما يئول اليه الأمر .

الاعراب :

(ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً) الواو عاطفة على جواب الشرط المتقدم وهو « فمن اتبع هداي » ومن اسم شرط جازم مبتدأ وأعرض فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وعن ذكري متعلقان بأعرض ، فإن الفاء رابطة للجواب لأنه

جملة اسمية وان حرف مشبه بالفعل وله خبرها المقدم ومعيشة اسمها المؤخر وضنكاً صفة والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من. (ونحشره يوم القيامة أعمى) ونحشره الواو استئنافية ونحشر فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ويوم القيامة ظرف متعلق بنحشره وأعمى حال من الهاء في نحشره وقد قرىء بالجزم عطفاً على محل « فإن له معيشة ضنكاً » .
(قال : رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ولم اللام حرف جر وما الاستفهامية في محل جر باللام وقد حذفت ألف ما الاستفهامية كما هي القاعدة والجار والمجرور متعلقان بحشرتني ، وحشرتني فعل وفاعل ومفعول به وأعمى حال والواو للحال وقد حرف تحقيق وكنت: كان واسمها وبصيراً خبر كنت.
(قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) كذلك نعت لمصدر محذوف أي حشراً مثل ذلك أو خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك وأتتك آياتي فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ، فنسيتها الفاء عاطفة ونسيتها فعل وفاعل ومفعول به ، وكذلك نعت لمصدر محذوف واليوم ظرف متعلق بتنسى . (وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) وكذلك نعت لمصدر محذوف ونجزي فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ومن موصول مفعول به وجملة أسرف صلة ، ولم يؤمن عطف على أسرف فهو داخل في حيز الصلة وبآيات متعلقان بيؤمن وربه مضاف إليه، ولعذاب: الواو حالية أو عاطفة واللام للابتداء وعذاب مبتدأ والآخرة مضاف إليه وأشد خبر وأبقى عطف على أشد . (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) الهمزة للاستفهام وهي داخلة على محذوف عطف عليه بالفاء وقد تقدم تقريره كثيراً وأعدناه الآن للتذكير والتقدير أغفلوا فلم

يتبين لهم ، وفاعل يهد المصدر المفهوم من أهلكنا أي أفلم يتبين لهم اهلاكنا ويحتمل أن يكون فاعل يهد ضميراً عائداً على الله تعالى أي يبين الله والأول أولى لأن يهدي معناه يتبين فهو لازم فالفاعل هو الجملة المنسبكة مصدراً لأهلكنا . وقد أنكر البصريون وقوع الجملة فاعلاً وجوزه غيرهم قال القفال : جعل كثرة ما أهلك من القرون مبيناً لهم ، قال النحاس : وهذا خطأ لأن كم استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها وقال الزجاج : المعنى أولم يهد لهم الأمر باهلاكنا من أهلكناه وحقيقته تدل على الهدى فالفاعل هو الهدى . ولهم متعلقان بيهد وكم خبرية مفعول مقدم لأهلكنا ومن القرون نعت لتمييز كم الخبرية أي كم قرن من القرون والمراد الأمة ، وجملة يمشون في مساكنهم حال من مفعول أهلكنا أو من الضمير في لهم وفي مساكنهم متعلقان بيمشون والضمير يعود على المهلكين بفتح اللام يريد أن قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويعاينون آثار هلاكهم وفيها ما يدعوا الى العبرة والاتعاظ ، وقد رمق أبو الطيب سماء هذا المعنى كما سيأتي في باب البلاغة . (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) إن وخبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ، ولأولي صفة لآيات والنهى مضاف اليه وهي جمع نهية بمعنى العقل . (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى) الواو استئنافية ولولا حرف امتناع لوجود وكلمة مبتدأ محذوف الخبر وجملة سبقت من ربك صفة لكلمة ومن ربك متعلقان بسبقت ، لكان اللام واقعة في جواب لولا وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على الإهلاك ولزاماً خبرها، وأجل مسمى عطف على كلمة أي ولولا أجل مسمى لكان الاهلاك لازماً لهم ويجوز كما يرى الزمخشري وأبو البقاء أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في «كان» أي لكان الإهلاك العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ومن العجيب ان معظم المفسرين كالجلال والبيضاوي وغيرهما جروا على هذا الوجه رغم

ما فيه من تكلف وقالوا : ان الفصل بالخبر قام مقام التأكيد لأنه كان من حق العطف أن يؤكـد الضمير المستتر في كان بالضمير المنفصل فكان يقال هو لزاماً وأجل مسمى ولا داعي لكل هذا التكلف وعطفه على كلمة أسهل وأسرع في تأدية المعنى المراد . (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) الفاء الفصيحة أي اذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وهو واقع بهم وآت عليهم فاصبر . واصبر فعـل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعلى ما متعلقان باصبر وجملة يقولون صلة وسبح عطف على اصبر وبحمد ربك في موضع نصب على الحال أي وأنت حامد لربك عـلى أن وفقك للتسبيح وأعانك عليـه وسيأتي المراد بالصبر في باب الفوائد . وقبل متعلق بسبح وطلـوع الشمس مضاف وقبل غروبها عطف على قبل طلوع الشمس . (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) الجار والمجرور متعلقان بسبح والفاء هي الفصيحة أيضاً وسبح فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأطراف النهار نصب عطفاً على محل « ومن آناء » المنصوب ويجوز عطفه على قبل طلوع الشمس ولعل حرف ترج ونصب والكاف اسمها وجملة ترضى خبرها ومتعلق ترضى محـذوف مفهوم من السياق أي بما تعطـاه من الثواب وجملة لعلك ترضى حالية من فاعل سبح أي صل حال كونك راجياً في أن الله تعالى يرضيك بما يعطيكه من الثواب . (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) الواو عاطفة ولا ناهية وتمدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد وهو في محل جزم بلا وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وعينيك مفعول به والى ما متعلقان بتمدن وجملة متعنا صلة وبه متعلقان بمتعنا والهاء هي العائد وأزواجاً مفعول متعنا أي أصنافاً منهم ومنهم صفة ويجوز أن يعرب

نصباً على الحال من هاء الضمير فيكون منهم متعلقاً بمتعنا وزهرة الحياة الدنيا توسع المعربون في اعرابها فأوصلوا أوجه نصبها الى تسعة وقد محصناها فرأيناها كلهـا سائغة ولهـذا نعرضها كما ذكروها لنتوصل إلى الترجيح :

١ ـ أن تكون مفعولاً ثانياً إذا أعربنا أزواجاً هو المفعول الاول لأن معنى متعنا أعطينا .

٢ ـ أن تكون منصوبة على الحال من ما الموصولة .

٣ ـ أن تكون منصوبة على البدلية من أزواجاً على المبالغة كأنهم نفس الزهرة .

٤ ـ أن تكون منصوبة بفعـل مضمر دل عليه متّعنا تقديره جعلنا لهم زهرة .

٥ ـ أن تكون منصوبة على الذم أي أذم زهرة الحياة الدنيا .

٦ ـ أن تكون منصوبة على الاختصاص .

٧ ـ أن تكون منصوبة على البدلية من محل « به » .

٨ ـ أن تكون منصوبة على الحال من الضمير في « به » .

٩ ـ أن تكون منصوبة على التمييز لـ « ما » أو للهاء في « به » .

ومن تمحيص هذه الوجوه ومراعاة جانب السهولة يتبين أن نصب زهرة يترجح في نصبها على الذم أو المفعولية عـلى تضمين متعنا معنى أعطينا وبهما بدأ الزمخشري وغيره .

ولنفتنهم اللام للتعليل ونفتنهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد

لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بمتعناهم والهاء مفعول به وفيه متعلقان بنفتنهم • (ورزق ربك خير وأبقى) الواو للحال ورزق ربك مبتدأ وخير خبر وأبقى عطف على خير • (وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً) وأمر الواو استئنافية أو عاطفة وأمر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأهلك مفعول به وبالصلاة متعلقان بفعل الأمر واصطبر فعل أمر وفاعله مستتر وتقديره أنت وعليها متعلقان باصطبر وجملة لا نسألك استئنافية ونسألك فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ورزقاً مفعول به ثان • (نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) نحن مبتدأ وجملة نرزقك خبر والعاقبة مبتدأ وللتقوى خبر وهاتان الجملتان مستأنفتان أيضاً • (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولى) لولا حرف تحضيض أي هلا ويأتينا فعل وفاعل مستتر ومفعول به وبآية متعلقان بيأتينا ومن ربه متعلقان بمحذوف صفة لآية ، اقترحوا جرياً على ديدنهم المعروف وعادتهم في التعنت واللجاج ، أولم الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق والتقدير ألم تأتهم البينات تترى ولم تأتهم بصورة خاصة بينة ما في الصحف الأولى، وبينة فاعل لتأتهم وما موصول مضاف لبينة وفي الصحف متعلقان بمحذوف صلة الموصول والأولى صفة للصحف وفيها ما يكفي المنصف أما المكابر المتعنت فهيهات أن يقنعه شيء • (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً) تقدم اعراب مثل هذا التركيب أي لو ثبت اهلاكنا ، فأنا وما بعدها فاعل لفعل محذوف والجملة مستأنفة سيقت لتدعيم ما تقرر من تعنتهم وصلفهم ومجادلتهم وبعذاب متعلقان بأهلكناهم ومن قبله صفة لعذاب • لقالوا : جواب لو والجملة لا محل لها وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ولولا حرف تحضيض

وأرسلت فعل وفاعل والينا متعلقان بأرسلت ورسولاً مفعول به والجملة مقول القول . (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) فنتبع الفاء هي السببية وتتبع منصوب بأن مضمرة في جواب التحضيض والفاعل مستتر تقديره نحن وآياتك مفعول به منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم ومن قبل متعلقان بنتبع وان وما بعدها في تأويل مصدر مضاف لقبل ونخزى عطف على نذل . (قل كلٌّ متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى) كل مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ومتربص خبر والجملة مقول القول والفاء الفصيحة وتربصوا فعل أمر ، فستعلمون الفاء استئنافية والسين حرف استقبال وتعلمون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ومن اسم استفهامية مبتدأ وأصحاب الصراط السوي خبر ومن اهتدى عطف على من أصحاب والجملة من أصحاب مفعول تعلمون المعلقة عن العمل ويجوز أن تكون من موصولة مفعول تعلمون وأصحاب الصراط خبر لمبتدأ محذوف أي هم أصحاب .

البلاغة :

١ ــ المجاز المرسل فقد ذكر القرون وأراد الأمم التي تعيش عبرها والاعتبار بآثار الأمم البائدة ، والقرون الخالية ، كان مثاراً لأخيلة الشعراء وخاصة في مقام الرثاء وأبرع من سما بخياله الى هذا المعنى أبو الطيب المتنبي والبحتري فنكتفي بهما وسنورد أبياتاً مختارة من قصيدتين لهما .

يقول عبد الله بن المعتز الشاعر العباسي الخليفة : « لو لم يكن للبحتري إلا قصيدته في ايوان كسرى وقصيدته في وصف بركة المتوكل لكان أشعر الناس » فقد زار البحتري بعد أن سئم الحياة في بغداد بعد

مقتل المتوكل على الله المدائن وهي مدينة يقع فيها ايوان كسرى وقد أبدع في وصف الايوان إبداعاً فريداً زاده روعة أنه من شعراء العرب أول من وصف الآثار القديمة الخالـدة واستوحاها وصب عليها من روحه وهذه مختارات منها :

صنـت نفسي عمـا يـدنّس نفسي
وترفعت عن جـدا كـلّ جبس

وتماسكت حيث زعزعـني الدهـ
ـر التماسـاً منـه لتعسي ونكسي

حضـرت رحـلي الهمـوم فوجهـ
ـت الى أبيض المـدائن عنسـي

ذكرتنيهـم الخطـوب التوالي
ولقـد تذكـر الخطـوب وتنسي

حلـل لم تكن كأطـلال سعـدى
في قفـار مـن البسابس ملس

فكـأن الجرماز من عـدم الأنـ
ـس وإخـلاله بنيـة رمس

لـو تراه علمـت أن الليـالي
جعلـت فيـه مأتمـاً بعـد عرس

فــإذا ما رأيت صــورة انطــا
كيــة ارتعت بـــين روم وفــرس
والمنــايا مواثــل" وانوشــر •••
••• وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضــرار من اللبــاس على أصــ
ــفر يختــال في صبيغــة ورس

★ ★ ★

عمــرت للســرور دهــراً فصارت
للتعــزي رباعهــم والتأســي
فلهــا ان أعينهــا بدمــوع
موقفــات عــلى الصبابــة حبس

ولا يتسع المجال لايراد القصيدة بكاملها ، فهي نموذج حي معبر من أدبنا العربي ، كما لا يتسع المجال لدراستها فنكتفي بإيراد بعض الملاحظات السريعة عليها :

١ ـ تشعر حين تقرأ السينية بروعة موسيقاها الناتجة عن خفة البحر وجماله (الخفيف) وتلاؤمه مـع العواطف والمعـاني والألفاظ والروي المهـموس وهو السين وترداد الحروف المهمـوسة كالسين والصاد والتاء •

٢ ـ تشعر بتأثر الشاعر بالعظمة حين قدم لوصف الايوان ثم ما تعتم أن تأسى وتحزن حين تقرأ أن الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عرس وهذا التجاوب النفسي بين ما يصفه الشاعر وبين ما يصف ميزة فنية بحتة .

٣ ـ تشعر أن الشاعر يعجب بكل ما هو عظيم في الدنيا ولو كان من غير قومه فنراه هنا معجباً بالفرس فبكاهم أصدق بكاء ورثاهم أحر رثاء وهكذا الفن يسمو ليستحيل انسانية صرفاً .

٤ ـ وأخيراً تعجب من أن الشاعر يطرق في الأدب العربي فناً جديداً لم يطرقه أحد من قبله وهو رثاء الممالك الزائلة والآثار الباقية ، ولم يشر إليه قبل القرآن أحد فيقول الله تعالى « أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى » .

وننتقل الى عينية أبي الطيب المتنبي وهي القصيدة التي رثى بها أبا شجاع فاتك وفيها تحدث عن شعور الانسان حيال الآثار المتخلفة عن أصحابها فقال منها :

إني لأجبن عن فراق أحبتي وتحسّ نفسي بالحمام فأشجع
ويزيدني غضب الأعادي قسوة ويلمّ بي عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ؟ ما المصرع

تتخلّف الآثار عن أصحابهـا   حيناً ويدركها الفناء فتتبـع

ويظهر أن أبا الطيب كان يحب القائد فاتكاً أبا شجاع حباً خالصاً قائماً على الاعجاب فهو يرثيه بقصيدتين يجعل منهما وسيلة إلى الابانة عما في نفسه من هموم ومحن وترى من خلالهما بعض النظرات الفلسفية فهو كما ترى يرى الحياة لا تصفو إلا للجاهل أو الغافل أما الشجاع الأبي فقلما تخطئه سهامها ونراه هنا معاني مظلمة قاتمة في نفسه حتى ليكاد يلقي سلاحه أمام عوادي الزمان لولا بقية من قوة يستمسك بها :

المجـــد أخســر والمكـــارم صفقـة
من أن يعيش لهـــا الهمـــام الاروع
والنـــاس أنـــزل في مكانك منـــزلا
من أن تعايشهــم وقـــدرك أرفـــع

٢ ـ وفي قوله : « أفلم يهد لهم ... » الآية فن المناسبة وهي على ضربين معنوية ولفظية والمعنوية هي أن يبتدىء المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ فالآية موعظتها سمعية فختمها بأشد مناسبة معنوية بقوله « أفلا يسمعون » وقال في الآية التي موعظتهـا مرئية وهي آية السجدة : « أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » فقد ختمها بقوله : « أفلا يبصرون » لأن ذلك مما يتبين بالرؤية وما فوق هــذه المناسبة مناسبة . ومن بديع ما ورد فيها شعراً قول القاضي الفاضل :

وبـــدر بأفـــلاك الخواطر طالـــع
وغصن بريحـــان الغــــدار وريق

لئن بت في بحـــر من الفكر سابحــاً
فإنسان عيـــني في الدمـــــوع غريق

فالمناسبة في الشطر الاول في البدر والافلاك والطلوع وفي الشطر الثاني بين الغصن والريحان ووريق وفي الثالث بين البحر وسابحاً وفي الرابع بين إنسان العـين والدموع وغريق ففي كــل شطر من البيتين مناسبات عديدة ، وأما المناسبة اللفظيـــة فهي دون رتبة المعنوية وهي الاتيان بكلمات متزنات وهي أيضاً على ضربين : تامة وغير تامة فالتامة تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة والناقصة موزونة غـير مقفاة فمن شواهد التامة من القرآن العظيم قوله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجراً غير ممنون » ومن الشعر قول ابن هانىء الاندلسي :

وعوابس وقوابس وفوارس ... وكوانس وأوانس وعقائـــل

ومن غير التامة قول ابن خلوف المغربي :

كالورد خداً والغزالة بهجة ... والغصن قداً والغزال مقلدا

وقد اجتمعت التامة والناقصة في قول أبي تمام :

مهـــا الوحـش إلا أن هـــاتا أوانس
قنـــــا الخط إلا أن تلك ذوابـــــل

فبـين قنا ومها مناسبة لفظية تامة وبين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة .

الفوائد :

النسخ في القرآن :

في قوله تعالى « فاصبر على ما يقولون » مبحث هام جدير بالتأمل وهو أن معظم المفسرين درجوا على القول إن هذه الآية منسوخة بآية القتال والصواب انها ليست منسوخة بل هي أمر بالصبر المحسود على كل حال وهو عدم الاضطراب ومساورة الجزع لما يقولون ولما يصدر عنهم من الأذية وليس فيها أية اشارة أو تلميح الى عدم القتال حتى يكون الامر بالقتال ناسخاً لها .

وموضوع النسخ في القرآن الكريم من الموضوعات الشائكة الصعبة ، والاختلاف حوله كثير وما علم في هذا الباب من استقراء كلام الصحابة والتابعين انهم كانوا يستعملون النسخ بإزالة المعنى اللغوي الذي هو إزالة شيء بشيء لا بازاء مصطلح الاصوليين فمعنى النسخ عندهم إزالة بعض الاوصاف من الآية بآية أخرى إما بانتهاء مدة العمل أو بصر الكلام عن المعنى المتبادر الى غير المتبادر ، أو بيان كون قيد من القيود اتفاقياً أو تخصيص عام أو بيان الفارق بين المنصوص وما قيس ظاهراً عليه أو ازالة عادة الجاهلية أو الشريعة السابقة فاتسع باب النسخ عندهم وكثر جولان العقل هنالك واتسعت دائرة الاختلاف .

أما المنسوخ باصطلاح المتأخرين فهو قليل جداً وقد ذكر الشيخ جلال الدين السيوطي في الاتقان بتقرير مبسوط ، كما ينبغي ، بعض ما ذكره العلماء ثم حرر المنسوخ الذي فيه رأي المتأخرين على وفق الامام الحافظ القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري

الاندلسي فعنده قريباً من عشرين آية ، وأتى في العصر الحديث الشيخ الامام محمد عبده فأنكر النسخ في القرآن وقال ان كل ما زعموا انه منسوخ يمكن تأويله كما رأيت في قوله تعالى « فاصبر على ما يقولون » وهو ظاهر في هذه الآية يطيح بالقول القديم ان الآيات المنسوخة تبلغ حوالي خمسمائة آية وهو قول ظاهر البطلان بالبداهة .

سُورة الأنبياء

مكية وآياتها اثنتا عشرة ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم
مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً
قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ
أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ
بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥)

اللغـــة :

(النجوى) : الكلام السّر وهي اسم من التناجي ولا تكون إلا خفية ، وفي القاموس : « وهو وصف بالمصدر يستوفى فيه المفرد والجمع يقال : هم نجوى » .

(أضغاث أحلام) : أخلاط رآها في النوم وقد تقدم بحثها .

الاعراب :

(اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) اقترب فعل ماض مبني على الفتح وللناس متعلقان باقترب ويجوز أن تكون تأكيداً لإضافة الحساب اليهم كقولك أزف للحي رحيلهم • والأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ، وحسابهم فاعل اقترب لأن كل آت قريب مهما يطل الأمد والواو للحال وهم مبتدأ وفي غفلة خبر ومعرضون خبر ثان • (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) الجملة تعليل للجملة السابقة فلا محل لها وما نافية ويأتيهم فعل مضارع والهاء مفعول به ومن حرف جر زائد لسبقه بالنفي وذكر مجرور لفظاً مرفوع محلاً على الفاعلية ومن ربهم صفة لذكر ومحدث صفة ثانية ويجوز تعليق من ربهم بيأتيهم أو بمحذوف حال من ذكر لأنه وصف بمحدث وإلا أداة حصر لأن الاستثناء مفرغ وجملة استمعوه في محل نصب على الحال من مفعول يأتيهم وقد مقدرة وهم الواو حالية وهم مبتدأ وجملة يلعبون خبر هم والجملة نصب على الحال من فاعل استمعوه ، هذا وقد استدل بوصف الذكر بكونه محدثاً على أن القرآن محدث لأن الذكر هنا هو القرآن وأجيب بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف لأنه متجدد في النزول فالمعنى محدث تنزيله وإنما النزاع في الكلام النفسي • (لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم) لاهية حال من فاعل يلعبون أيضاً فتكون حالاً متداخلة ويجوز أن تكون حالاً من فاعل استمعوه فتكون الحالان مترادفتين لأن الحال يجوز تعددها وقلوبهم فاعل لاهية وأسروا فعل وفاعل والنجوى مفعول به والذين بدل من واو وأسروا النجوى

إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش الذي جاءوا به وسيأتي المزيد من إعراب هذه الكلمة في باب الفوائد ، وجملة ظلموا صلة وهل حرف استفهام وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلكم صفة والجملة الاستفهامية في محل نصب بدل من النجوى لأنها بمثابة التفسير لها وأجاز الزمخشري أن تكون في محل نصب مقول قول محذوف ويجوز أن تكون في محل نصب محكية للنجوى لأنها في معنى القول ، ولا أرى مانعاً من أتكون جملة لا محل لها لأنها مفسرة . (أفتأتون السحر وأنتم مبصرون) وهذه الجملة تنطبق عليها الأوجه المتقدمة والهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على مقدر وتأتون السحر فعل مضارع وفاعل ومفعول به والواو للحال وأنتم مبتدأ وجملة تبصرون خبر وجملة وأنتم تبصرون حالية من فاعل تأتون مقررة للانكار . (قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم) ربي مبتدأ وجملة يعلم القول خبر والجملة مقول القول وفي السماء والارض متعلقان بمحذوف حال من القول أو بيعلم وهو الواو عاطفة وهو مبتدأ والسميع العليم خبران لهو وحذف متعلقهما للعلم به أي السميع لما أسروه والعليم به . (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) أضربوا عن قولهم هو سحر فقالوا هو أضغاث أحلام فأضغاث أحلام خبر لمبتدأ محذوف والجملة في محل نصب مقول قالوا بل افتراه ثم أضربوا عن ذلك فقالوا اختلقه فافتراه فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ثم أضربوا أيضاً فقالوا هو شاعر مبتدأ وخبر . (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا فليأتنا واللام لام الأمر ويأت فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره هو ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به كما يجوز في الكاف أن تكون نعتاً لآية أي

كائنة مثل الآية التي أرسل بها الأولون وعندئذ فما موصولة ويجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف وما مصدرية أي فليأتنا بآية اتياناً كائناً مثل ارسال الاولين •

الفوائـد :

قوله تعالى « وأسروا النجوى الذين ظلموا » قال أبو البقاء : « الذين ظلموا في موضعه ثلاثة أوجه : أحدها : الرفع ، وفيه أربعة أوجه :

آ ـ أن يكون بدلاً من الواو في وأسروا •

ب ـ أن يكون فاعلاً والواو حرف للجمع لا اسم •

جـ ـ أن يكون مبتدأ والخبر هل هذا والتقدير يقولون : هل هذا ؟

د ـ أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين ظلموا •

وثانيها : أن يكون منصوباً على اضمار أعني •

وثالثها : أن يكون مجروراً صفة للناس •

والمعروف أن الفعل يجب أن يبقى مع الفاعل بصيغة الواحد وان كان مثنى أو مجموعاً قال ابن مالك :

وجرد الفعل إذا ما أسندا   لاثنين أو جمع كفاز الشهدا

إلا على لغة ضعيفة لبعض العرب فيطابق فيها الفعل الفاعل ، وحكى البصريون عن طيء وحكى بعضهم عن ازدشنوءة نحو ضربوني قومك

وضربنني نسوتك وضرباني أخواك وفي الحديث «أومخرجيّ هم »
وقال عمرو بن ملقط الجاهلي :

ألفيتا عينــاك عنــد القفا أولى فأولى لك ذا واقيــه

فألفيتا بالبناء للمجهول فعل ماض وعيناك نائب الفاعــل فألحق الفعل علامة التثنية مع اسناده الى الظاهر ونائب الفاعل كالفاعل وعند ظرف بمعنى قرب متعلق بألفيتا وذاواقية حال من المضاف إليه وهو الكاف وواقية مصدر معناه الوقاية كالكاذبة مصدر معناه الكــذب وأولى ، فأولى لك دعاء أي قاربك ما يهلكك قال العيني : فإن قلت : ما موقع أولى من الاعراب ؟ قلت : يجوز أن يكون في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره دعائي أولى لك ، فأولى لك عطف على أولى الأول كرر للتأكيد وقال أبو البقاء في إعراب أولى لك فأولى فيه قولان أحدهما فعلى والألف فيه للإلحاق لا للتأنيث والثاني أفعل وهو على القولين هنا ولذلك لم ينون ويدل عليه ما حكى أبو زيد في النوادر وهي أولات بالتاء غير مصروف لأنه صار علماً للتوعيد فصار كرجل اسمه أحمد فعلى هذا يكون أولى مبتدأ ولك الخبر والثاني أن يكون اسماً للفعل مبنياً ومعناه ويلك شر بعد شر ولك تبيين ، وهذا البيت يصف به رجلاً إذا اشتد الوطيس فهو يلتفت الى ورائه مخافة أن يتبع فتلفى عيناه عند قفاه من شدة الالتفات ، وقال أبو فراس :

نتج الربيــع محاسناً ألقحنهــا غر السحائب

وأبو فراس من المولدين والغرض من كلامه التمثيل لا الاستشهاد.
وارتأى الشيخ مصطفى الغلاييني رأياً جميلاً وسنورد نص كلامه:

« وما ورد من ذلك من فصيح الكلام فيعرب الظاهر بدلاً من المضمر وعليه قوله تعالى (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أو يعرب الظاهر مبتدأ والجملة قبله خبر مقدم ، أو يعرب فاعلاً لفعل محذوف فكأنه قيل بعد قوله وأسروا النجوى : من أسرها ؟ فيقال أسرها الذين ظلموا وهو الحق وهذا لا يكون إلا حيث يستدعي المقام تقدير كلام استفهامي كما ترى في الآية الكريمة » ونحسب أن القول قد اشبع فحسبنا ما تقدم .

مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ
﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ
﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ
قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾
فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ
إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾

اللغة :

(قصمنا) : القصم أبلغ من الكسر وفي القاموس « قصم من باب

ضرب قصماً الشيء : كسره ، وقصم الرجل : أهلكه ، ويقال : قصم الله ظهر الظالم أي أنزل به البلية » وللقاف مع الصاد فاء وعيناً للكلمة سر عجيب ، انهما تدلان على الكسر والمحق والاهلاك فقولهم : قصب الشاة يعني قطعها قطعاً أو عضواً عضواً ومنه سمي القصاب أي الجزار والقصّابة مؤنث القصاب ولها معنى آخر وهو ما تسميه اليوم « الناي » أي قصبة ينفخ بها للغناء وعن بعض العرب : قلت أبياتاً فغنى بها حَكَمُ الوادي فو الله ما حرك بها قصّابة إلا خفت النار فتركت قول الشعر ، وهي الوتر ، ونفخ في القصابة : في المزمار ، وأقصدته المنية أهلكته ومنه قصد الرجل أتى اليه ونحا نحوه ، وقصرته حبسته وقصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم تطمح الى غيره وقصرت طرفي لم أرفعه الى مالا ينبغي وهنّ قاصرات الطرف : قصرنه على أزواجهنّ ، وقص الشعر والريش وقصّصه معروف وجناح مقصوص ومقصص ، وقصع الصؤاب بين ظفريه قتله وقصعت الرحى الحب فضخته وصبي قصيع قميء لا يشب ، وقصف القناة والعود كسرهما وقصف ظهره ورجل مقصوف والعامة تقول لمن تدعو عليه يا مقصوف وهي فصيحة لا غبار عليها وعصفت ريح فقصفت السفينة وعود قصف : سريع الانكسار ، قال الطرماح :

تميم تمنّى الحرب ما لم ألاقها
وهم قُصُفُ العيدان في الحرب خورها

وقصله قطعه قطعاً وَحِيّاً وسيفٌ قاصل وقصّال ومِقْصَل وقصل فرسه يقصله : علفه القصيل ومنه المقصلة وهي آلة للاعدام قوامها سكين تسقط على رأس المجرم فتقطعه ، وقصا يقصو قَصْواً وقُصُواً وقصاً وقَصَاءً الرجل تباعد وفي البعد اشارة الى الهلكة لأنها بعد أيضاً .

(أترفتم) : نعمتم من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف ابطار النعمة .

الاعراب :

(ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون) ما نافية وآمنت فعل ماض والتاء للتأنيث والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير كفرهم واستبعاد إيمانهم وقبلهم ظرف متعلق بآمنت ومن حرف جر زائد وقرية مجرور لفظاً فاعل آمنت محلاً وجملة أهلكناها صفة لقرية والمراد بالقرية أهلها كما سيأتي في باب البلاغة ، أفهم الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة يؤمنون خبر . (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم) الواو عاطفة وما نافية وأرسلنا فعل ماض وفاعل إلا أداة حصر ورجالاً مفعول أرسلنا وجملة نوحي اليهم صفة لرجالاً ، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية . (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) الفاء الفصيحة واسألوا فعل أمر وفاعل وأهل الذكر مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة لا تعلمون خبرها وجواب الشرط محذوف دلت عليه الفاء الفصيحة . (وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين) الواو عاطفة و ما نافية وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به وجسداً مفعول ثان إذا كانت جعل بمعنى التصيير وإن كانت بمعنى الخلق فجسداً حال مؤولة بالمشتق أي متغذين ، وجملة لا يأكلون الطعام في محل نصب نعت لجسداً وجسد مفرد أريد به الجمع وانما وحدّه ليشمل الجنس عامة لأن الجسد لا بد له من غذاء ، والواو عاطفة وما نافية وكانوا خالدين كان واسمها وخبرها والجملة معطوفة

على لا يأكلون • (ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين) ثم حرف عطف وصدقناهم فعل وفاعل ومفعول والوعد منصوب بنزع الخافض لأن صدق يتعدى لاثنين الى ثانيهما بحرف الجر والأصل في الوعد ، فأنجيناهم عطف على صدقناهم ومن نشاء عطف على الهاء وجملة نشاء صلة وأهلكنا المسرفين عطف على أنجيناهم والمسرفين مفعول به • (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون) اللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وأنزلنا فعل وفاعل واليكم متعلقان بأنزلنا وكتاباً مفعول به وفيه خبر مقدم وذكركم مبتدأ مؤخر والجملة صفة لكتاباً وسيأتي معنى فيه ذكركم في باب الفوائد والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والفاء عاطفة على مقدر ينسحب عليه الكلام أي ألا تتفكرون فلا تعقلون شيئاً من الاشياء المذكورة لكم، (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين) الواو عاطفة أو استئنافية مسوقة للتمثيل بالأمم التي هلكت قبلهم وكم خبرية مفعول به مقدم لقصمنا ومن قرية تمييز لكم الخبرية مجرور بمن وقد تقدم ذلك وجملة كانت ظالمة صفة لقرية والمراد بالقرية أهلها وكانت ظالمة كان واسمها المستتر وخبرها وأنشأنا عطف على قصمنا وبعدها ظرف متعلق بأنشأنا وقوماً مفعول به وآخرين صفة لقوماً • (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة وإذا الفجائية وقد تقدم الكلام حولها والخلاف فيها مشبعين وهم مبتدأ وجملة يركضون خبر هم ومنها متعلقان بيركضون وقد استدل بعضهم بهذه الآية على أن لما حرف وسماها ابن هشام رابطة لأنه لا عامل لها إذا اعربت ظرفاً بمعنى حين ونرى أن معنى المفاجأة التي دلت عليه اذا هو العامل وسيأتي مزيد بحث عن لما في باب الفوائد • (لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون)

لا ناهية وتركضوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وجملة لا تركضوا مقول قول محذوف والقائل اختلف فيه فقيل هم الملائكة وقيل هم من كان هناك من المؤمنين وهذا القول على سبيل الاستهزاء بهم طبعاً ، وارجعوا فعل أمر معطوف على لا تركضوا والى ما متعلقان بارجعوا وجملة أترفتم صلة وفيه متعلقان بأترفتم ومساكنكم بالجر عطف على ما ، ولعلكم تسألون لعل واسمها وخبرها والترجي هنا استهزاء بهم وتهكم بما كانوا يظنونه بأنفسهم من أنهم مظنة السخاء ومطلع الكرم والمعنى ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم حسبما تتصورون أنفسكم من أنكم أهل النوال والعطاء حيث يسألكم الناس في العوادي والنوازل ويندبونكم للملمات ويستشيرونكم في المعضلات وسيأتي المزيد عن هذا البحث الشيق في باب البلاغة .

البلاغة :

١ ــ المجاز المرسل في قوله « قرية » إذ المراد أهلها وقد تقدم مثال ذلك كثيراً .

٢ ــ التهكم بقوله « وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون » وقد ألمعنا الى المراد من هذا التهكم ونزيد عليه هنا احتمالين هامين مترتبين على هذا التهكم :

آ ــ انهم كانوا أسخياء حقيقة يجودون بالنوال ويبسطون أيديهم بالعطايا ولكنهم كانوا يفعلون ذلك رئاء الناس واكتساباً للشهرة والثناء وفي ذلك من الايلام والايجاع ما فيه ، إذ يرون أن ما أنفقوه وما بذلوه لم يكن إلا زيادة في برحائهم وإمعاناً في عذابهم .

ب ـ انهم كانوا بخلاء يكرهون البذل ويصدون عمن جاء يستندي سحاب أكفهم ويمتري اخلاف جدواهم فقيل لهم ذلك ليزيدهم إيلاماً على إيلام وايجاعاً على إيجاع .

الفوائد :

١ ـ قوله « كتاباً فيه ذكركم » أي فيه ما يوجب الثناء عليكم لكونه نازلاً بلسانكم وبين ظهرانيكم وعلى رسول منكم وقيل فيه ما تنشدونه من حسن الذكر وبعد الصيت وطيب الأحدوثة وقيل فيه الموعظة لكم والارشاد لما ينفعكم في دينكم ودنياكم وجميع ذلك محتمل .

٢ ـ بحث لما : تقع لما في العربية على ثلاثة أوجه :

الأول : أن تختص بالمضارع فتجزمه وتنفيه وتقلبه ماضياً كـ « لم » إلا أنها تفارقها في خمسة أمور :

١ ـ انها لا تقترن بأداة شرط فلا يقال : إن لما تقم ويقال : إن لم تقم .

٢ ـ ان منفيها مستمر النفي الى الحال أما منفي لم فيحتمل الاتصال والانقطاع مثل : « لم يكن شيئاً مذكوراً » ولهذا جاز أن تقول : لم يكن ثم كان ، ولكن لا يجوز أن تقول : لما يكن ثم كان .

٣ ـ ان الغالب في منفي لما ان يكون قريباً من الحال بخلاف منفي لم .

٤ ــ ان منفي لما متوقع ثبوته بخلاف منفي لم .

٥ ــ ان منفي لما جائز الحذف لدليل كقوله : « فجئت قبورهم بدءاً ولما » أي ولما أكن بدءاً قبل ذلك أي سيداً ولا يجوز : « وصلت الى حمص ولم » تريد ولم أدخلها .

الثاني : أن تختص بالماضي فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما نحو : لما جاءني أكرمته ويقال فيها حرف وجود لوجود وبعضهم يقول وجوب لوجوب وقيل هي ظرف لفعل وقع لوقوع غيره وقال جماعة : انها ظرف بمعنى حين .

الثالث : أن تكون حرف استثناء بمعنى إلا فتدخل على الجملة الاسمية نحو : « إن كل نفس لما عليها حافظ » فيمن شدد الميم وعلى الماضي لفظاً لا معنى نحو انشدك الله لما فعلت أي ما أسألك إلا فعلك .

قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ
جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا
فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ
وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ

ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾

اللغـــة :

(حصيداً) : فعيـل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحـد وغيره وستأتي قاعدته في باب الفوائد وهو الزرع المحصود •

(خامدين) : يقال خمدت النار وهمدت كل منهما من باب دخل لكن الاول عبارة عن سكون لهبها مع بقـاء الجمر والثاني عبارة عن ذهابها بالكلية •

(لهواً) : في المصباح : « اللهو معروف ، تقول أهل نجد : لهوت عنه ألهو لُهيّاً والاصل على فعول من باب قعد ، وأهل العالية لهيت عنه ألهى من باب تعب ومعناه السلوان والترك ولهوت به لَهْواً من باب قتل أولعت به أيضاً ، قال الطرطوشي : وأصل اللهو الترويح عن النفس بما لا تقضيه الحكمة وألهاني الشيء بالألف شغلني » اهـ • وفي القاموس والتاج : « لهى لهواً لعب كالتهى وألهاه ذلك والملاهي آلاته وتلاهى بذاك والأُلهوّة والأُلهيّة والتلهية ما يتلاهى به ولهت المرأة الى حـديثه لَهْواً ولُهُوّاً : أنست به وأعجبها واللَّهوة المرأة الملهو بها كاللهو وبالضم والفتـح ما ألقيته في فم الرحى والعطية أو أفضل العطايا وأجزلها كاللهية والحفنة من المال أو الألف من الدنانير

والدراهم لا غير ولهي به كرضي أحبه وعنه سلا وغفل وترك ذكره كلها كدعا لهياً ولهياناً ، وقال شارح القاموس قوله : لها لهواً لعب قضية اتحادهما وقد فرق بينهما جماعة فقيل يشتركان في أنهما اشتغال بما لا يعني حراماً أو لا قيل واللهو أعم مطلقاً فاستماع الملاهي لهو لا لعب وقال الجوهري : قد يكنى باللهو عن الجماع ويدل على ما قاله امرؤ القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وان لايحسن اللهو أمثالي

(فيدمغه) : فيذهبه وبابه قطع وفي القاموس : دمغه قَهَرَه ودمغ الحق بالباطل : أبطله ومحقه وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة .

(يستحسرون) يكلون ويتعبون يقال : استحسر البعير أي كلَّ وتعب ويقال حسر البعير وحسرته أنا فيكون لازماً ومتعدياً وأحسرته أيضاً فيكون فعل وأفعل بمعنى واحد وسيأتي مزيد بيان عن الاستحسار في باب البلاغة .

الاعراب :

(قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) يا أداة نداء وويلنا منادى مضاف يدعون الويل والثبور لأن هذا وقته ويجوز أن تكون يا للتنبيه وويلنا مصدر لفعل محذوف والجملة مقول قولهم وإن واسمها وجملة كنا ظالمين خبرها وكان واسمها وظالمين خبرها . (فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) الفاء عاطفة وما زالت فعل ماض ناقص والتاء علامة التأنيث وتلك اسم اشارة اسمها في محل رفع ودعواهم

خبرها منصوب بفتحة مقدرة على الألف والهاء مضاف اليه والميم حرف دال على جمع الذكور والمراد بالدعوى تلك الكلمات وهي « يا ويلنا إنا كنا ظالمين » وحتى حرف غاية وجر وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وحصيداً خامدين مفعول به ثان لأن حكمهما حكم الواحد إذ أن معنى جعلناهم حصيداً خامدين: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود ومثال ذلك قولك جعلته حلواً حامضاً أي جامعاً للطعمين أي مزاً، ولك أن تجعل خامدين صفة لحصيداً. (وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين) الواو حرف عطف أو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لعرض البدائع والعجائب التي انطوى عليها خلق السموات والارض وما فيهما للعظة ولتكون مطارح اعتبار وحافزاً للتفكير والاستدلال وما نافية وخلقنا فعل وفاعل والسماء مفعول به والارض عطف على السماء وما عطف على السماء والارض وبينهما ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ولاعبين حال من فاعل خلقنا . (لو أردنا أن نتخذ لهواً لا تخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) لو شرطية امتناعية وأردنا فعل وفاعل وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول أردنا وفاعل نتخذ ضمير مستتر تقديره نحن ولهواً مفعول به ولاتخذناه اللام واقعة في جواب لو واتخذناه فعل وفاعل ومفعول به من لدنا متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لاتخذ وإن يجوز أن تكون نافية بمعنى ما وكنا فاعلين كان واسمها وخبرها والجملة حالية من فاعل اتخذناه أي حال كوننا غير فاعلين ويجوز أن تكون إن شرطية وجوابها محذوف يدل عليه جواب لو ولعل هذا أولى وأشبه الوجهين بمذهب العربية . (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه تعالى لذاته ونقذف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن وبالحق جار ومجرور متعلقان بنقذف وعلى الباطل متعلقان

بمحذوف حال أي مستعلياً على الباطل ، فيدمغه عطف على نقذف فإذا الفاء عاطفة واذا فجائية وقد تقدم ذكرها وهو مبتدأ وزاهق خبرها ولكم الواو استئنافية ولكم خبر مقدم والويل مبتدأ مؤخر ومما متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر وهو مما ، أي استقر لكم الويل من كل ما تصفون ومما يجوز أن تكون موصولة وأن تكون مصدرية وعلى كل جملة تصفون لا محل لها • (وله من في السموات والارض) الواو عاطفة وله خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وفي السموات والارض صلة • (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) الواو عاطفة ومن معطوفة على من الأولى وعنده ظرف متعلق بمحذوف صلة وجملة لا يستكبرون حالية من من الأولى وعن عبادته متعلقان بيستكبرون وجملة لا يستحسرون عطف على جملة لا يستكبرون ويجوز أن تكون الواو للاستئناف ومن عنده أي الملائكة مبتدأ خبره جملة لا يستكبرون والجملة مستأنفة • (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما يصنعه من عند الله في عبادتهم ويسبحون فعل مضارع وفاعل ويجوز أن تكون الجملة حالية والليل والنهار ظرفان متعلقان بيسبحون وجملة لا يفترون حال من فاعل يسبحون • (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) أم المنقطعة عاطفة وتفيد الانكار واتخذوا فعل وفاعل وآلهة مفعول به ومن الأرض صفة وهم مبتدأ وجملة ينشرون خبر وجملة هم ينشرون صفة لآلهة ومفعول ينشرون محذوف أي يحيون الموتى ويجوز جعلها جملة مستأنفة لم يدعوا لآلهتهم انها تنشر الموتى ولكنهم بمجرد دعواهم ألوهيتها يترتب عليهم أن يدعوا ضمناً انها تنشر الموتى وسيأتي مزيد بحث حول الضمير الذي هو « هم » في باب البلاغة • (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) لو شرطية

امتناعية وكان فعل ماض ناقص وفيهما خبر كان المقدم وآلهة اسمها المؤخر وإلا بمعنى غير صفة لآلهة ظهر اعرابها على ما بعدها ولا يصح أن تكون استثنائية لأن مفهوم الاستثناء فاسد هنا إذ حاصله انه لو كان فيهما آلهة لم يستثن الله منهم لم تفسدا وليس كذلك فإن مجرد تعدد الآلهة يوجب لزوم الفساد مطلقاً وسيأتي مزيد بسط لهذا المبحث الهام ، ولفسدتا اللام واقعة في جواب لو وجملة فسدتا لا محل لها من الاعراب فسبحان الله الفاء عاطفة لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف ولفظ الجلالة مضاف اليه ورب العرش بدل أو صفة للفظ الجلالة وعما متعلقان بسبحان وجملة يصفون لا محل لها لأنها صلة ما ويجوز أن تكون ما مصدرية • (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان تفرده سبحانه بالسلطان ، بحيث لا يسأله أحد عما يفعله ولا نافية ويسأل فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وعما متعلقان بيسأل وهم الواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ وجملة يسألون خبر •

البلاغــة :

في هذه الآيات فنون عديدة أولها :

١ ـ الاستعارة في قولهم « يا ويلنا » فقد خاطبوا الويل وهو الهلاك كأنه شخص حي يدعونه لينقذهم مما هم فيه •

٢ ـ التشبيه البيلغ في قوله « جعلناهم حصيداً خامدين » •

فقد شبههم بعد حلول العذاب بهم بالحصيد أولاً وهو الزرع المحصود ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو الاستئصال من المنابت ثم شبههم

ثانياً بالنار المنطفئة ولم يبق منها إلا جمر منطفىء لانفع فيه ولا قابلية لشيء من النفع منه فلا ترى إلا أشلاء متناثرة وأجزاء متفرقة قد تسددت وقد ران عليها البلى •

٣ ــ الاستعارة المكنية في قوله « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » فقد شبه الحق والباطل وهما معنويان بشيئين ماديين محسوسين يقذفان ويدفعان ثم حذف هذين الشيئين واستعار ما هو من لوازمهما وهما القذف والدمغ لتجسيد الاطاحة بالباطل واعتلاء الحق عليه وتصوير إبطاله وإهداره ومحقه كأنه جرم صلب كصخرة أو ما يماثلها في القوة والصلابة قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه وهي من استعارة المحسوس للمعقول وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً مع استيفاء أقسام الاستعارة بالنسبة لطرفي التشبيه •

٤ ــ قوة اللفظ لقوة المعنى : وقد تقدم الكلام عن هذا الفن ونعني به نقل اللفظ من وزن الى وزن آخر أكثر منه ليتضمن من المعنى الدال عليه أكثر مما تضمنه أولاً لأن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للابانة عنها فاذا زيد في الالفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا الضرب من الزيادة لا يستعمل إلا في مقام المبالغة وهو هنا في قوله تعالى « ولا يستحسرون » فقد عدل عن الثلاثي وهو حسر الى السداسي وهو استحسر وقد كان ظاهر الكلام أن يقال يحسرون أي يكلون ويتعبون ، لأن أقل ملل منهم أو كلال إزاء الملائكة وإزاء عبادتهم لله سبحانه لا يتصور منهم ولكنه عدل عن ذلك لسر يخفى على النظرة السطحية الأولى وهو أن ما هم فيه من انهماك بالعبادة وانصراف بالكلية لها يوجب غاية الحسور وأقصاه •

٥ ــ التصريح بالضمير : وذلك في قوله : « هم ينشرون » وقد كان يكفي أن يقول ينشرون ولكنه عدل عن ذلك الى التصريح بالضمير لإفادة معنى الخصوصية أولاً كأنهم قالوا ليس هنا من يقدر على الإنشار غيرهم وثانياً لتسجيل الزامهم ادعاء صفات الألوهية لآلهتهم وهذا الادعاء قد أبطله الله في الآية التالية لهذه الآية بدليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية وهي « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » كما سيوضح في الاعراب ، وهذا من جوهر الكلام وخالصه .

٦ ــ المذهب الكلامي : وذلك في قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وذكر ابن المعتز أن الذي سماه هذه التسمية هو الجاحظ والكتاب الكريم مشحون به وتعريفه هو انه احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام وله طرق متعددة وقد أوصلها الرماني في تفسيره المسمى بالنكت في اعجاز القرآن الى خمسة ضروب ومنها اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل فملزوم قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » انهما ما فسدتا فليس فيهما آلهة إلا الله ، وايضاح ذلك إن دليل التمانع هو انه لو وجد مع الله إله آخر ربما قالوا لو فرضنا وجود إلهين فإما أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال اللاتي يندرج فيها القدرة على احياء الموتى وانشارهم وغير ذلك من الممكنات أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر وعندئذ تفسد الرعية بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق : « كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول » وللمتكلمين في طريقة التمانع جولات واسعة تؤخذ في مظانها ، وسيرد إيضاحها في باب الفوائد .

الفوائــد :

« إلا » بمعنى « غير » :

الأصل في « إلا » أن تكون للاستثناء وفي « غــير » أن تكون وصفاً ثم قد تحمل احداهما على الأخرى فيوصف بإلا ويستثنى بغير فإن كانت إلا بمعنى غير وقعت هي وما بعدها صفة لما قبلهــا وذلك حيث لا يراد بها الاستثناء وانما يراد بها وصف ما قبلها بما يغاير ما بعدها كقوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فإلا وما بعدها صفة لآلهة لأن المراد نفي الآلهة المتعددة واثبات الإله الواحد الفرد ولا يصح الاستثناء بالنصب لأن المعنى يكون حينئذ : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا وذلك يقتضي أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهذا ظاهر الفساد ،وسامح الله ابن يعيش شارح مفصــل الزمخشري حيث أجاز النصب على الاستثناء في الآية الكريمة غير مقدر ما يترتب على النصب من فساد وعبارة ابن يعيش « قال الله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا والمراد غير الله فهذا لا يكون إلا وصفاً ولا يجوز أن يكون بدلاً يراد به الاستثناء لأنه يصير في تقدير لو كان فيهما إلا الله لفسدتا وذلك فاســد لأن لو شرط فيمــا مضى فهي بمنزلة إن في المستقبل وأنت لو قلت إن أتاني إلا زيد لم يصح لأن الشرط في حكم الموجب فكما لا يصح أتاني إلا زيد كذلك لا يصح إن أتاني إلا زيد فلو نصب على الاستثناء فقلت لو كان فيهما إلا الله لجاز » • ثم لا يصح أيضاً أن يعرب لفظ الجلالة بدلاً من آلهة لأنه حيث لا يصح الاستثناء لا تصح البدلية ثم إن الكلام موجب فلا تجوز البدلية ولو صح الاستثناء لأن النصب واجب في الكلام الموجب التام وأيضاً لوجعلته بدلاً لكان التقدير:

لو كان فيهما إلا الله لفسدتا لأن البدل على نية طرح المبدل منه كما هو معلوم ولعدم صحة الاستثناء هنا وعدم جواز البدلية تعين أن تكون إلا بمعنى غـير .

ولتتمة هذا المبحث الدقيق ننقل الفصل الممتع الذي أورده العلامة ابن هشام في مغني اللبيب ورده على المبرد مع تعليقات مناسبة ليستوفي الموضوع حقه قال ابن هشام بعد أن ذكر أن لإلا أربعة أوجه :

« والثاني أن تكون صفة بمنزلة غير فيوصف بها وبتاليها جمع منكر أو شبهه فمثال الجمع المنكر:« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فلا يجوز في إلا هذه أن تكون للاستثناء من جهـة المعنى إذ التقدير حينئذ لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا وذلك يقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وليس ذلك المراد ، ولا من جهة اللفظ لأن آلهة جمع منكر في الاثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه فلو قلت قام رجال إلا زيداً لم يصح اتفاقاً ، وزعم المبرد أن « إلا » في الآية للاستثناء وان ما بعدها بدل محتجاً بأن «لو» تدل على الامتناع وامتناع الشيء انتفاؤه وزعم أن التفريغ بعدها جائز وان نحو « لو كان معنا إلا زيد »أجود كلام ويرده انهـم لا يقولون « لو جاءني ديّار أكرمته » ولا « لو جاءني من أحد أكرمته » ولو كانت بمنزلة النافي لجاز ذلك كما يجوز ما فيها ديار وما جاءني من أحد ولما لم يجز ذلك دل على أن الصواب قول سيبويه إن إلا وما بعدها صفة». الى أن يقول: « وشرط ابن الحاجب في وقوع إلا صفة تعـذر الاستثناء وجعل من الشاذ قول حضرمي بن عامر الصحابي وقيل عمرو بن معدى كرب :

وكـل أخ مفـارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقـدان

ومعنى الشذوذ فيه انه ليس استثناء إذ لم ينصب بعد الكلام التام الموجب فتعين انه صفة ولم يتعذر الاستثناء فهو شاذ إذ كان يمكنه أن يقول إلا الفرقدين ، ونحسب أن البحث طال فحسبنا ما تقدم .

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ
مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم
مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ
عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ
مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(أم اتخذوا من دونه آلهة » أم حرف عطف للاضراب والانتقال الى إظهار بطلان ما اتخذوه آلهة مع خلوها من خصائص الألوهية ، واتخذوا فعل ماض وفاعل ومن دونه في محل نصب مفعول به ثان لاتخذوا وآلهة هو المفعول الأول . (قل هاتوا برهانكم) هاتوا فعل

أمر مبني على الكسر دائماً إلا مع واو الجماعة فيضم وواو الجماعة فاعل وبرهانكم مفعول به • (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) هذا مبتدأ والاشارة للقرآن وجميع الكتب السماوية وذكر خبر ومن مضاف اليه ومعي ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول وذكر عطف على ذكر الأولى ومن مضاف اليه والظرف صلة والجملة مستأنفة • (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) بل حرف اضراب وأكثرهم مبتدأوجملة لا يعلمون خبر والواو فاعل والحق مفعول به ، فهم الفاء للتعليل وهم مبتدأ ومعرضون خبر • (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الواو استئنافية وما نافية وأرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك حال ومن حرف جر زائد ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على انه مفعول به وإلا أداة حصر ونوحي فعل وفاعل واليه متعلقان بنوحي ولا إله إلا أنا تقدم اعرابها كثيراً والفاء الفصيحة واعبدوني فعل أمر والواو فاعل والياء المحذوفة تبعاً لرسم المصحف مفعول به والجملة مستأنفة مقررة لما سبق اجماله من توحيد الله كما نطقت بذلك الكتب السماوية استدلالاً بمقتضيات العقل والمنطق • (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، سبحانه ، بل عباد مكرمون) استئناف آخر مسوق لحكاية أقوال بعض القبائل العربية الذين قالوا : الملائكة بنات الله ويقال انهم بنو خزاعة وبنو جهينة وبنو سلمة وبنو مليح وجملة اتخذ الرحمن ولداً مقول القول وسبحانه مصدر لفعل محذوف وقد مر والجملة معترضة وبل حرف اضراب وعباد خبر لمبتدأ محذوف ومكرمون صفة وقد وصف الملائكة بسبع صفات تقدمت الأولى • (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وهاتان صفتان ثانيتان الأولى جملة لا يسبقونه بالقول والثانية جملة هم بأمره يعملون ، وبأمره متعلقان بيعملون وجملة يعملون خبرهم •

(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وهذه هي الصفة الرابعة وما موصول مفعول به وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول وأيديهم مضاف اليه وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم . (وما يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وهاتان صفتان أخريان ويشفعون فعل مضارع وفاعل وإلا أداة حصر ولمن متعلقان بيشفعون وارتضى صلة الموصول وهم مبتدأ ومن خشيته جار ومجرور متعلقان بمشفقون ومشفقون خبر هم . (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) وهذه هي الصفة السابعة والأخيرة ومن شرطية مبتدأ ويقل فعل الشرط مجزوم ومنهم حال وان واسمها وإله خبرها والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه وقع جملة اسمية وذلك اسم اشارة مبتدأ وجملة نجزيه خبر والهاء مفعول نجزي وجهنم مفعول نجزي الثاني والجملة جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر ذلك وكذلك نجزي الظالمين الكاف نعت لمصدر محذوف أي نجزي الظالمين جزاء مثل ذلك .

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا
فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾
وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا
لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ
ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

اللغـــة :

(رَتْقاً) : في المختار : « الرتق : ضد الفَتْق وقد رتقت الفتق من باب نصـر سددته فارتتق أي التأم ومنـه قوله تعالى : كانتا رتقاً ففتقناهما ، والرتق بفتحتين مصدر قولك امرأة رتقاء أي لا يستطاع جماعها لارتتاق ذلك الموضع منها » وفي الأساس : « رتق الفَتْق حتى ارتتق وقرىء كانتا رَتْقاً ورَتَقاً وعن ابن الكلبي كانتا رتقاوين ففتق الله السماء بالماء وفتق الأرض بالنبات وامرأة رتقاء بينة الرَّتق إذا لم يكن لها خرق إلا المبال » .

(رواسي) : جمـع راسية من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ وفي المختـار : « والرواسي من الجبـال الرواسخ واحدتها راسية » وفي المصبـاح : « رسا الشيء يرسو رَسْواً ورُسُوّاً ثبت فهـو راس وجبال راسية وراسيات ورواس » .

(تميـد) : في المصباح : « ماد يميد ميداً من باب باع وميداناً بفتح الياء تحرك » وفي الاساس : « غصن مائد مائل وماد يميد ميداناً ومن المجاز مادت المرأة وماست وتميّدت وتميّست ومادت به الارض دارت ، ورجلٌ مائد : يدار به والمطعون يميد في الرمح » .

(فجاجاً) : في المختـار : « الفـج بالفتح : الطريق الواسع بين الجبلين والجمع فجاج بالكسر مثل سهم وسهام والفج بالكسر البطيخ الشامي وكل شيء من البطيخ والفواكه لم ينضج فهو فج بالكسر » وفي القاموس : الفج وجمعه فجاج ، والفجاج : الطريق الواسع بين جبلين .

الاعراب :

(أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو حرف عطف على مقدر ولم حرف نفي وقلب وجزم والذين فاعل وجملة كفروا صلة وان وما بعدها سدت مسد مفعولي رأى لأن الرؤيــة قلبية وان واسمها وجملة كانتا خبرها والالف اسم كان ورتقاً خبرها وفي الاخبار به ما تقدم في زيد عدل أي كانت الشمس والأرض نفس الرتق ، ففتقناهما الفاء عاطفة وفتقناهما فعل وفاعل ومفعول به والجملة معطوفة على كانتا والميم والالف حرفان دالان عــلى التثنية ، قال الأخفش : إنما قال كانتا لأنهمــا صنفان أي جماعتا السموات والأرضين كما قال سبحانه: « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » وقــال الزجاج : انمــا قال كانتا لأنه يعبر عن السموات بلفظ الواحــد لأن السموات كانت سماء واحــدة وكذلك الأرضون • (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) وجعلنا عطف على ما تقدم وجعلنا فعل وفاعل بمعنى خلق ومن المــاء متعلقان بجعلنا لأنها بمعنى خلقنا أو بمحذوف حال من كل شيء لأنه كان في الأصل وصفاً له فلما قدم عليه نصب على الحال ولك أن تجعل وجعلنا بمعنى صير متعدياً لاثنين فيكون من الماء في محل نصب على أنه مفعول ثان وكل شيء مفعول أول ، أفلا الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف ولا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل • (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم) وجعلنا عطف على جعلنا وفي الأرض إما مفعول ثان ورواسي هو المفعول الاول وإما متعلقان بجعلنا أو بمحذوف حــال ورواسي مفعول به وان وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله أي كراهــة أن تميد أو لئلا تميد وبهم متعلقان بتميد •

(وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون) وجعلنا عطف على ما تقدم وفيها هو المفعول الثاني أو متعلق بجعلنا وفجاجاً حال لأنه كان صفة لسبلاً وتقدم عليه وسبلاً مفعول به ولعل واسمها وجملة يهتدون خبرها .

(وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون) وجعلنا السماء فعل وفاعل ومفعول به أول وسقفاً مفعول به ثان وهم مبتدأ وعن آياتها متعلقان بمعرضون ومعرضون خبر هم والجملة حالية أو استئنافية .

(وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) الواو عاطفة وهو مبتدأ والذي خبر وجملة خلق صلة وفاعل خلق ضمير مستتر تقديره هو والليل مفعول به وما بعده عطف عليه وكل مبتدأ وساغ الابتداء لما فيه من معنى العموم وفي فلك متعلقان بيسبحون وجملة يسبحون خبر كل وجملة كل في فلك يسبحون محلها النصب على الحال من الشمس والقمر ، وانما جعل الضمير واو العقلاء للموصف بفعل هو من خصائص العقلاء هو السباحة وتقدم نظيره في قوله « رأيتهم لي ساجدين » .

الفوائد :

١ ـ بحث شيق في المفعول لأجله :

هذا بحث طريف أفرد له سيبويه فصلاً خاصاً في كتابه وهو يتعلق بالمفعول لأجله المؤول وهو هنا في قوله « وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم » قال ما خلاصته : هو من وادي قولهم : أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه قال ومعناه « ان ادعم الحائط إذا مال » وانما قدم ذكر الميل اهتماماً بشأنه ولأنه أيضاً هو السبب في الإدعام ، وادعام سبب في إعداد الخشبة فعامل سبب السبب معاملة

السبب وعليه حمل قوله تعالى « أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » كذلك ما نحن بصدده يكون الاصل وجعلنا في الارض رواسي لأجل أن تثبتها إذا مادت بهم فجعل الميد هو السبب كما جعل الميل في المثل المذكور سبباً وصار الكلام وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد فتثبتها ثم حذف فتثبتها لأمن الالباس إيجازاً واختصاراً » وهذا لعمري أولى مما درجنا عليه في الاعراب لأن مقتضى ما ذكرناه وذكره أكثر المعربين والمفسرين يقتضي أن لا تميد الارض بأهلها لأن الله كره ذلك ومكروه الله تعالى محال أن يقع كما أن مراده واجب أن يقع والمشاهد خلاف ذلك فكم من زلزلة مادت لها الأرض وكادت تقلب عاليها سافلها واما على تقرير سيبويه فالمراد أن الله تعالى يثبت الأرض بالجبال إذا مادت وهذا لا يأبى وقوع الميد ، وهذا بحث جليل قلّ من ينتبه له إلا بعد هذا التفصيل فتأمله تر السحر الحلال وان من البيان لسحرا .

٢ ــ ذهب سيبويه والجمهور الى القول بأن لفظي كل وبعض معرفتان بنية الاضافة ولذلك يأتي الحال منهما كقولهم مررت بكل قائماً وببعض جالساً ، وأصل صاحب الحال التعريف وذهب الفارسي إلى أنهما نكرتان وألزم من قال بتعريفهما أن يقول إن نصفاً وسدساً وثلثاً وربعاً ونحوها معارف لأنها في المعنى مضافات وهي نكرات باجماع ،ورد بأن العرب تحذف المضاف وتريده وقد لا تريده ودلّ مجيء الحال بعد كل وبعض على إرادته ، بقي هنا سؤال واحد وهو لم أتى بصيغة الجمع وهما اثنان ؟ والجواب ان الضمير عائد عليهما مع الليل والنهار وذلك لأن الليل والنهار يسبحان أيضاً لأن الليل ظل الأرض وهو يدور على محيط كرة الأرض على حسب دوران الارض وكذلك النهار يدور أيضاً لأنه يخلف الليل في المحيط .

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾
كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا
تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا
ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ
ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

الاعراب :

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير عدم خلود البشر جواباً لقولهم أن محمداً سيموت ، وما نافية وجعلنا فعل وفاعل ولبشر في محل نصب مفعول ثان ومن قبلك صفة لبشر والخلد مفعول جعلنا الاول والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة وإن شرطية ومت فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وهم مبتدأ والخالدون خبر والجملة في محل جزم جواب الشرط وهي بنية التقديم لأن أصل الكلام أفهم

الخالدون إن مت ، قال الفراء : جاء بالفاء لتدل على الشرط لأنه جواب قولهم سيموت قال ويجوز حذف الفاء واضمارها والمعنى إن مت فهم يموتون أيضاً فلا شماتة في الموت • (كل نفس ذائقة الموت) كل مبتدأ ونفس مضاف اليه وذائقة الموت خبر والجملة مستأنفة مسوقة للتدليل على عدم الخلود فلا مجال للشماتة ورحم الله القائل :

فقــل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(ونبلوكم بالشــر والخير فتنة والينا ترجعون) الواو استئنافية أيضاً ونبلوكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وبالشر متعلقان بنبلوكم والخير عطف على الشر أي نختبركم بما يجب فيه الصبر وبما يجب فيه الشكر وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غــير لفظه لأن الابتلاء فتنة فكأنه قيل تفتنكم فتنة ويجوز أن يعرب مفعولاً من أجله أو نصباً على الحال من فاعــل نبلوكم أي فاتنين لكــم والينا متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة معطوفة على نبلوكم أو حالية • (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً) لك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير موقفهم من النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأن تجعلها عاطفة فتكون الجملة معطوفة على قوله الآنف «وأسروا النجوى» وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة رآك مضاف لها الظرف وفاعل رآك الذين والكاف مفعول به وجملة كفروا صلة وإن نافية ويتخذونك فعل مضارع وفاعــل ومفعول به وإن النافية وما في حيزها جواب إذا وسيأتي ذكر السبب في عــدم اقتران الجواب بالفاء في باب الفوائــد وإلا أداة حصر وهزواً مفعول به ثان اما على الوصف بالمصدر مبالغة

وقد مرت له نظائر واما على حذف مضاف ، هذا ويجوز ان تكون ان النافية وما بعدها جملة معترضة فيكون الجواب قوله الآتي : (أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون) الهمزة للاستفهام والاستفهام معناه السخرية والجملة اما جواب إذا كما تقدم وإما مقول قول محذوف أي يقول بعضهم لبعض على سبيل السخرية والهزء أهذا ، وهذا مبتدأ والذي خبره وجملة يذكر صلة وآلهتكم مفعول به والواو حالية وهم مبتدأ وبذكر متعلقان بكافرون والرحمن مضاف اليه وهم تأكيد لهم الأولى تأكيداً لفظياً وكافرون خبر هم والجملة حال إما من فاعل يتخذونك وإما من فاعل القول المقدر كما أسلفنا ومفعول يذكر محذوف وسيرد بحثه في باب البلاغة . (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على استعجالهم العذاب وخلق فعل ماض مبني للمجهول والإنسان نائب فاعل ومن عجل متعلقان بخلق أو بمحذوف حال وسيأتي معنى هذا التركيب في باب البلاغة وسأريكم السين للاستقبال وأريكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به أول وآياتي مفعول به ثان والفاء عاطفة ولا ناهية وتستعجلون فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والياء المحذوفة للرسم مفعول به وجملة سأريكم مستأنفة أيضاً مسوقة لتأكيد العجلة وعاقبتها التي هي رؤية العذاب . (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لإيراد نمط من استعجالهم المذموم ويقولون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والوعد بدل وإن شرطية وكنتم كان

واسمها في محـــل جزم فعل الشرط وصادقـــين خبر كنتم وجواب ان محـــذوف تقديره فعينوا موعـــــده وخطابهـــم للنـــبي وأصحابه • (لو يعلم الذين كفروا حـــين لا يكفون عن وجوههـــم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) لو شرطية ويعلم فعل مضارع والذين فاعل وجملة كفروا صلة وحين يجوز أن يكون مفعول يعلم أي الوقت الذي يستعجلون فيه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب ضنك تحيط بهـــم النار من كـــل مكان لما كانوا بتلك المثابة من الكفر فجواب لو محذوف وقد تقدمت الاشارة اليه كثيراً ويجوز أن يكون يعلم متروكاً بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا متعجلين وحين منصوب بمضمر أي حين لا يكفوا عن وجوههـــم النار يعلمون أنهم كانوا على الباطل والأرجح ان مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله عليه أي لو يعلم الذيـــن كفروا مجيء الموعـــود الـــذي سألوا عنـــه واستبطئوه وحين منصوب بالمفعول الذي هو مجيء وجملة لا يكفون مضافة الى الظرف وعن وجوههـــم متعلقان بيكفون والنار مفعول به ولا عن ظهورهم معطوفـــة ، والواو حرف عطف ولا نافية وهم مبتدأ وجملة ينصرون خبر وينصرون فعـــل مضارع مبني للمجهـــول والواو نائب فاعـــل • (بل تأتيهم بغتة فتبهتهـــم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) بل حرف اضراب وعطف وتأتيهم فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على النار وبغتة حال أتى مصدراً وقيل مفعول مطلق وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الفوائد ، فتبهتهم عطف على تأتيهـــم فلا يستطيعون عطف أيضاً وردها مفعول يستطيعون ولا هم ينظرون عطف أيضاً وهم مبتدأ وجملة ينظرون خبر كما أنظروا وامهلوا من قبل •

البلاغـة :

١ ــ التذييل : في قوله تعالى : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت » فن طريف من فنون البلاغة أطلق عليه علماؤها اسم « التذييل » وعرفوه بأنه تذييل الكلام بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيداً وتخرجه مخرج المثل السائر ليشيع الكلام بعد دورانه عـلى الألسنة فإن لم تكن الزيادة تفيد ذلك فلا يسمى تذييلاً وبعضهم يسميه آنذاك تذييلاً ولكنه يقول عنه أنه معيب وما أجدر المعيب أن ينتفى عن فنون البلاغة أو يندرج في سلكها وهو شائع في القرآن الكريم وستأتي أمثلة كثيرة منــه ، أما في الآية التي نحن بصددها فإن المعنى مستوفى في الاخبار بأنه سبحانه لم يجعل لبشر قبل نبيه الخلد ثم ذيل ذلك الاخبار بما أخرجه مخرج تجاهل العارف وهو قوله « أفإن مت فهم الخالدون » ثم ذيل هذا التذييل بما أخرجه مخرج المثـل السائر حيث قال : « كل نفس ذائقة الموت » .

ومن أروع أمثلة التذييل في الشعر قول شاعر الخلود أبي الطيب:

تمسي الأمـاني صـرعى دون مبلغــه
فمـا يقـــول لشـيء ليـت ذلك لي

يقول أبو الطيب : لا تصل الأماني الى قلبــه فتستميله ، ولا الى لسانه فتجري عليه لأنه لا يحتاج أن يتمنى شيئاً إلا وله خـير منه أو صار له ذلك الشيء فالأماني تقصر عن بلوغ قدره ، وتقصر عن جلالة أمره وتمسي صرعى دون إدراك مجده فما يتمنى في الرفعــة أكثر مما

قد بلغه ، ولم يزل سيف الدولة لهجاً بهذا البيت معظماً له ، مثنياً عليه ، مقراً له بأنه لا يلحق سبقاً ولا يأتي أحد في بابه من المبالغة بمثل ما أتى به .

وقال ابن نباتة السعدي وأجاد :

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

لقد حقق له جميع آماله ومشتهياته فلم يعد لديه ما يؤمله وهبه صبا الى شيء فإنه واثق بحضوره فغدا بلا آمال .

٢ ــ الإيجاز بالحذف: وذلك في حذف مفعول يذكر في قوله تعالى: « أهذا الذي يذكر آلهتكم » والذكر يكون بالخير والشر فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل : سمعت فلاناً يذكرك فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم ومن جهة ثانية لم يقولوا : أهذا الذي يذكر آلهتكم بكل سوء لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي من القدح في آلهتهم رمياً بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ورئبوا بها عن نقل ذمها تفصيلاً وتصريحاً فنقلوه إجمالاً وتلميحاً ، بل أومئوا اليه بالاشارة المذكورة كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر وان كان قائلها غير كافر فيومىء اليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان ، وأساءوا الادب على الرحمن .

٣ ــ الاستعارة المكنية في قوله « خلق الانسان من عجل » فقد شبه العجل الذي طبع عليه الشخص وصار له كالجبلة بأصل مادته وهي الطين ثم حذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو قوله « خلق » وقيل لا استعارة فيه وانما هو من باب القلب والأصل خلق العجل من

الانسان لشدة صدوره عنه وملازمته له والقلب موجود كثيراً في كلامهم وقد تقدمت الإشارة اليه والأول أولى وأقعد بالبلاغة ومن بدع التفاسير ما قالوه من أن العجل هو الطين بلغة حمير وقال شاعرهم :

النبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

يقول النبع وهو شجر تتخذ منه القسي في الصخرة الصماء الصلبة لا في غيرها منبته أي نباته والنخل ينبت في الأرض اللينة الريانة فهو بين الماء والعجل أي الطين وهذه لغه حمير كما قيل والظاهر أن الشطر الأول تمثيل للصعب البخيل والثاني للسهل الجواد أو الاول للشجاع والثاني للجبان لشدة الاول ورخاوة الثاني وعلى كل حال هذا المعنى غير وارد في الآية الكريمة لأن السياق يأباها فهم يستعجلون والله سبحانه ينعى عليهم عجلتهم •

وفي هذه الآية الاستعارة المكنية بقوله « ذائقة الموت » وليس الموت مما يذاق ولكنه شبهه بطعام غير مريء ولا مستساغ ولكنه لحتمية وقوعه وكونه أمراً لا بد منه أصبح بمثابة المريء المستساغ فلا مندوحة لنفس عن ذوقه وقد تقدمت نظائر لهذه الاستعارة •

الفوائد :

١ ـ جواب « إذا » :

تخالف «إذا» أدوات الشرط جيمعاً،فإن أدوات الشرط متى أجيبت بأن النافية أو بما النافية وجب الاتيان بالفاء كما في هذه الآية وكما في قوله تعالى أيضاً : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا » •

٢ ـ مجيء المصدر حالاً :

جاءت مصادر تعرب أحوالاً بكثرة في النكرات كطلع زيد بغتة وجاء ركضاً وقتلته صبراً وهو أن تحبسه حياً ثم يرمى حتى يقتل وذلك كله على كثرته مؤول بالوصف فيؤول بغتة بوصف من باغت لأنها بمعنى مفاجأة أي مباغتاً ويؤول ركضاً بوصف الفاعل من ركض أي راكضاً ويؤول صبراً بوصف المفعول من صبر أي مصبوراً محبوساً ومع كثرة وروده قال سيبويه : لا ينقاس مطلقاً وقاسه بعضهم بما يمكن الرجوع اليه في المطولات .

ونعود الى بغتة فقد أكد بعضهم أنه يجوز جعلها مفعولاً مطلقاً وكذلك القول في الأمثلة المتقدمة إذ هي نوع من عاملها فهي كرجع القهقرى .

ويتحصل مما ذكره النحاة أن المصدر المنصوب فيه أقوال ثلاثة :

١ ـ مذهب سيبويه ان المصدر هو الحال وهو الاصل .

٢ ـ مذهب المبرد والأخفش انه مفعول مطلق غير منصوب بالعامل قبله وانما هو منصوب بالعامل المحذوف من لفظه وذلك المحذوف هو الحال وهو قول جميل كما ترى .

٣ ـ مذهب الكوفيين انه مفعول مطلق منصوب بالعامل قبله وليس في موضع الحال .

ومما يرد في هذا المجال اعراب « اسفاً » من قول أبي الطيب :

أبـلى الهـوى أسفاً يوم النـوى بدني
وفرق الهجـــر بـــين الجفن والوسن

روح تردّد في مثـــل الخـــلال إذا
أطـــارت الريح عنه الثوب لـــم يبن

كفى بجسمي نحـــولاً إنني رجـــل
لـــولا مخاطبـــتي إيـــاك لم ترني

فالحال هنا غير واردة لأن المعنى يأباها والمفعول لأجله لا يصح لاختلاف الفاعل فلم يبق إلا المفعولية المطلقة والتقدير أسفت أسفاً ودل على فعله ما تقدمه لأن ابلاء الهوى بدنه يدل على أسفه كأنه قال أسفت أسفاً ، وتعسف ابن هشام فحاول أن يبرر نصبه على أنه مفعول لأجله فقـال : فمن لم يشترط اتحاد الفاعل فلا اشكال (والقائل بهذا هو ابن خروف) واما من اشترطه فهو على اسقاط لام العلة توسعاً كما في قوله « يبغونها عوجاً » (أي يبغون لهـا عوجاً) أو الاتحـاد موجود تقديراً إما على أن الفعل المعلل مطـاوع أبلى محذوفاً أي فبليت أسفاً ولا تقـدر فبلي بدني لأن الاختـلاف حاصل إذ الأسف فعل النفس لا البدن أو لأن الهوى لما حصل بتسببه كأنه قال أبليت بالهوى بدني ولا طائل تحت هذه التأويلات المتعسفة .

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ
هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ
ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ
يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا
تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ
بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

اللغـــة :

(يكلؤكم) : في المصباح : « كلأه الله يكلؤه مهموز بفتحتين من باب قطع كلاءة بالكسر والمد حفظه ويجوز التخفيف فيقال كليته أكلاه وكلئته أكلؤه من باب تعب لغــة لقريش لكنهم قالوا : مكلوٌّ بالواو

أكثر من مكليّ بالياء » وفي القاموس : « كلأ يكلأ بالفتح كلئا وكلاءة وكلاء بكسر الكاف الله فلاناً حرمه وحفظه وكلأه بالسوط ضربه به وكلأ بصره في الشيء ردّده فيه وكلأ النجم متى يطلع : رعاه » وفي الأساس : « الله يكلؤك ، وتداركه الله بكِلاءته واكتلأت منه : احترست قال كعب بن زهير :

أنخت قلوصي واكتلأت بعينها وآمرت نفسي أيَّ أمري أفعل

أي احترست بعينها لأنها إذا رأت شيئاً ذعرت ، وكلأ دَيْنه كلوءاً : تأخر فهو كالىء ونهي عن « بيع الكالىء بالكالىء » وكـلّأته أنا تكلئةً واستكلأْت كُـلْأةً وتكلأت : استلفت سلفاً وتقول : « إن الكُلَى تذيب شحم الكُلى » جمع كلأة » .

(خردل) : الخردل : نبات له حبّ صغير جداً أسود مقرح والواحدة خردلة ويقال خردل الطعام : أكل خياره وخردل اللحم قطع أعضاءه والخرادل القطع من اللحم .

الاعراب :

(ولقد استهزىء برسل من قبلك) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم ومواساته واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق واستهزىء فعل ماض مبني للمجهول وبرسل قام مقام نائب الفاعل ومن قبلك نعت لرسل . (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) الفاء عاطفة وحاق فعل ماض وبالذين متعلقان بحاق وجملة سخروا لا محل لها لأنها صلة

الموصول ومنهم حال من فاعل سخروا وما فاعل حاق وجملة كانوا صلة الموصول وكان واسمها وبه متعلقان بقوله يستهزئون ويستهزئون جملة فعلية في محل نصب خبر كانوا • (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) من اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة يكلؤكم خبر والجملة مقول القول وبالليل متعلقان بيكلؤكم والنهار عطف على الليل ومن الرحمن أي من عذابه وأمره وهما متعلقان بيكلؤكم • (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) بل حرف اضراب وهم مبتدأ وعن ذكر ربهم متعلقان بمعرضون ، ومعرضون خبر هم وهو اضراب عما تضمنه الكلام من النفي والتقدير ليس لهم كالىء ولا مانع غير الرحمن مع انهم لا يخطرونه في بالهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه وعذابه • (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أم حرف عطف واضراب فهي بمعنى بل ولهم خبر مقدم وآلهة مبتدأ مؤخر وهمزة الاستفهام مقدرة والتقدير ألهم آلهة تمنعهم وجملة تمنعهم صفة لآلهة ومن دوننا صفة لآلهة أيضاً • (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن من ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ولا نافية ويستطيعون فعل مضارع وفاعل ونصر أنفسهم مفعول به ولا الواو عاطفة ولا نافية وهم مبتدأ ومنا متعلقان بيصحبون ويصحبون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة يصحبون خبر هم ، تقول العرب أنا لك صاحب من فلان أي مجير لك منه وتقول أيضاً : صحبك الله أي حفظك وأجارك • (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) بل حرف اضراب انتقالي ومتعنا فعل وفاعل وهؤلاء اسم اشارة مبني على الكسر في محل نصب مفعول به وآباءهم عطف على هؤلاء وحتى حرف غاية وجر وطال فعل ماض وعليهم متعلقان بطال والعمر فاعل طال•

(أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر وقد تكرر هذا التعبير حتى لم يعد ثمة موجب لإعادته ولا نافية ويرون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي يرون لأن الرؤية هنا علمية ويجوز أن تكون بصرية وان واسمها وجملة نأتي الارض خبرها وجملة ننقصها من أطرافها حالية من فاعل نأتي أو من مفعوله أي نفتحها أرضاً بعد أرض بما ينقص من أطراف المشركين ويزيد في أطراف المؤمنين وقد تقدم بسط هذا مفصلاً في سورة الرعد فجدد به عهداً وسيأتي السر في اسناد الفعل الى نفسه في باب البلاغة وقوله أفهم الهمزة للاستفهام الانكاري التقريعي والفاء عاطفة على مقدر وهم مبتدأ والغالبون خبر (قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) إنما كافة ومكفوفة وأنذركم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وبالوحي متعلقان بأنذركم ولا يسمع الواو عاطفة ويجوز أن تكون حالية ولا نافية ويسمع الصم الدعاء فعل مضارع وفاعل ومفعول به وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وهي لمجرد الظرفية متعلقة بيسمع أي وقت انذارهم ، وما زائدة وينذرون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة ينذرون في محل جر باضافة الظرف اليها وسيأتي تفصيل لهذه الآية في باب البلاغة .

(ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية ومستهم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به ونفحة فاعل والمراد بالنفحة القليل مأخوذ من نفح المسك قاله ابن كيسان ومنه قول النعمان بن بشير :

وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها

وقال المبرد : النفحة الدفعة من الشيء التي دون معظمه يقال نفحه نفحة بالسيف إذا ضربه ضربة خفيفة ، وقيل : هي النصيب ، وقيل هي الطرف والمعنى متقارب أي ولئن مسهم أقل شيء من العذاب، ومن عذاب ربك صفة لنفحة ، ليقولن اللام واقعة في جواب القسم لأنه سبق ويقولن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والنون للتوكيد ويا ويلنا إما نداء للويل ليحضر فهذا أوانه واما ان يا للتنبيه وويلنا مفعول مطلق لفعل محذوف وإنا إن واسمها وجملة كنا خبرها ونا اسم كان وظالمين خبرها • (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما سيتم عند اتيان ما أنذروه ونضع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن والموازين مفعول به والقسط وصف الموازين وقد وصفت بنفس المصدر مبالغة من قسط اذا عدل وليوم القيامة متعلق بنضع واللام بمعنى « في » كقولهم مضى لسبيله وقيل بمعنى عند قال الزمخشري : « مثلها في قولك جئته لخمس خلون من الشهر ومنه بيت النابغة :

توسمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

ومعناه تتبعت رسومها وآثارها فعرفتها أي في تلك المواضع المذكورة في البيت قبله وقوله لستة أعوام أي تمام ستة أعوام مضت من عهدها وهذا العام الحاضر الذي نحن فيه هو السابع ولو قال لسبعة أعوام لأفاد أن السبعة كلها مضت وليس مراداً فقول بعضهم انه كان يكفيه أن يقول لسبعة أعوام فعجز عن اتمامه وكمله بما لا معنى له ولا وجه إلا عدم التبصر • فلا الفاء عاطفة وتظلم فعل مضارع مبني للمجهول ونفس نائب فاعل وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول ثان لتظلم •

(وإن كان مثقال حبـة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) الواو عاطفة وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعـل الشرط واسمها مستتر تقديره هو يعود على العمل ومثقال حبة خبر كان ومن خردل صفة لحبة وأتينا بها في محـل جزم جواب الشرط وكفى الواو عاطفة وكفى فعل ماض والباء حرف جر زائد وحاسبين تمييز أو حال وأنث ضمير المثقال لأنه أضيف الى الحبة وقد مرت قاعدته •

البلاغـة :

١ ــ وضع الظاهر موضع المضمر : في قوله تعالى : « قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعـاء إذا ما ينذرون » فن لطيف يمكن تسميته وضع الظاهر موضع المضمر والفائدة منه التسجيل عليهم فقد كان مقتضى السياق أن يقول ولا يسمعون ولكنـه صرح بالصم وتجاوز بالظاهر عن ضميره للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إن أنذروا ، وللدلالة على صدور إنكار شديد وغضب عظيم وتعجب من نبو أسماعهم عن الوحي وعدم إصاختهم لما ينفعهم وإمعانهم في ركوب الغي والتعسف في متاهات الضلال وهـذا فن عجيب تميز به القرآن الكريم وسيرد عليك الكثير من نماذجه •

٢ ــ اسناد الضمير الى الله تعالى في قوله تعالى :« أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها »أسند سبحانه الضمير الى نفسه تعظيماً للمسلمين الذين أجرى على أيديهم الانتصار العظيم وافتتاح البلاد والأمصار وان عساكرهم وسراياهـم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها

ناقصة من أطرافها فأصله تأتي جيوش المسلمين ولكنه أسند الاتيان الى نفسه تنويهاً بقدر المجاهدين وتعظيماً لما أتوا به من جلائل الأعمال وناهيك بمن يعمل عملاً ينسبه الله الى نفسه ألا يصح فيه أن يكون مصداقاً لقوله في حديثه « كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها » الى آخر الحديث القدسي •

٣ ـ مبالغات ثلاث :

وفي قوله تعالى : « ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا » ثلاث مبالغات :

آ ـ ذكر المس وهو أقل شيء بل هو شيء رفيق جداً فما بالك اذا انثال عليهم ؟ أي يكفي للدلالة على ذلهم وهوان أمرهم ووهن عزيمتهم أن أقل مس يكفيهم ليذعنوا ويتطامنوا ويعلنوا ذلهم وخضوعهم والاقرار على أنفسهم بأنهم تصاموا وأعرضوا وقد رمق المتنبي سماء هذه المبالغة فقال في وصف قوم جبناء :

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

ب ـ وما في النفحة من معنى القلة والنزارة يقال : نفحته الدابة ونفحه بعطية •

ج ـ بناء المرة من النفح فمصدر المرة يأتي على فعلة أي نفحة واحدة لا ثاني لها تكفي لتشتيت أمرهم وتوهين كيانهم وتصدع صفوفهم فكيف اذا عززت بثانية أو ثالثة ؟ •

الفوائـد :

مصدرا المـرة والهيئة :

مصـدر المرة هو ما يذكر لبيان عـدد الفعل ويبنى من الثلاثي المجرّد على وزن فَعلة بفتح الفاء وسكون العين مثل : وقفت وَقْفَةً ووقفتين ووَقفات فإن كان الفعل فوق الثلاثي ألحقت بمصدره التاء مثل أكرمته إكرامة وفرّحته تفريحـة وتدحرج تدحرجـة إلا ان كان المصدر ملحقاً في الأصل بالتاء فيذكر بعده ما يدلّ على العدد مثل رحمته رحمة واحدة وأقمت إقامة واحدة واستقمت استقامة واحدة .

أما مصدر النوع أو الهيئة فهو ما يذكر لبيان نوع الفعل وصفته نحو وقفت وِقفة ويبنى من الثلاثي المجرد على وزن فِعلة بكسر الفاء مثل عاش عيشةً حسنة ومات ميتة سيئة وفلان حسن الجلسة وفلانة هادئة المشية فإن كان الفعـل فوق الثلاثي يصير مصـدره بالوصف مصدر نوع مثل أكرمته إكراماً عظيماً .

هذا وهنا تنبيه هام نبه عليه الشيخ أبو حيان وهو أن هذه التاء الدالة عـلى المرة الواحدة لا تدخل على كل مصدر بل عـلى المصادر الصادرة عن الجوارح المدركة بالحس نحو قومة وضربة وقعدة وأكلة ، وأما مصادر الأفعـال الباطنة والخصـال الجليلة الثابتة نحو الظرف والحسن والجبن والعلم فلا يقال من ذلك علمته علمة ولا فهمته فهمة ولا صبرته صبرة .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾
ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ
مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ
مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ
ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ
لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ
أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾

اللغـــة :

(التماثيل) : جمـع تمثال بكسر التاء أي الصورة المصورة أو ما تصنعه وتصوره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصورة وهـذا الوزن فيه زائدان أحدهما قبل الفاء والآخر قبل اللام وقد جاء اسماً وصفة . فالاسم تمثال للصورة ويجمع على تماثيل وقالوا تجفاف وتبيان فالتجفاف واحد تجافيف الفرس وهو ما يلبس عنـد الحرب والزينة وتبيان بمعنى البيان فمنهـم من يجعله مصدراً من قبيـل الشاذ لأن المصادر إنما تجيء على تفعال بالفتح نحو التلعاب والتهدار ولم يجيء بالكسر إلا تبيان وتلقاء ، وسيبويه يجعلهما من الاسماء التي وضعت

موضع المصادر كالغارة وضعت موضع الإغارة . وقال غير واحد من علماء اللغة : التمثال هو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب شبيهة بخلق الآدمي .

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما يكابده من قومه وتقوية لقلبه وحفزاً لاستدامته في تأدية الرسالة وذكر منها في هذه السورة عشر قصص وستأتي . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به وهارون معطوف على موسى والفرقان مفعول به ثان وضياء عطف على الفرقان وذكراً عطف على ضياء وللمتقين متعلقان بضياء وعطف الصفات جائز فهو من هذا الوادي واختار الزمخشري أن يعرب حالاً وعامله محذوف دل عليه ما قبله وقدره : وآتينا به ضياء ، أما ما ارتآه بعضهم من أن الواو زائدة وضياء حال من الفرقان فهذا مجرد تحكم لا تتردد في رده . (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) الذين اسم موصول في محل جر صفة للمتقين ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف أي هم الذين وجملة يخشون صلة والواو فاعل وربهم مفعول به وبالغيب حال من الفاعل في يخشون وهم الواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ ومن الساعة جار ومجرور متعلقان بمشفقون ومشفقون خبر هم وسيأتي سر التعبير بالاسمية في باب البلاغة . (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة لخطاب أهل مكة ومحاورتهم حول القرآن الكريم الذي أنزل بلسانهم ، وهذا مبتدأ وذكر خبر ومبارك صفة وجملة أنزلناه صفة لذكر وهو فعل وفاعل

ومفعول به والهمزة للاستفهام التوبيخي لأنه خطاب للعرب وهم أهل اللسان العربي ومعادن الفصاحة فما أجدرهم باكتناه أسرار القرآن وإدراك بلاغته والفاء عاطفة على محذوف وأنتم مبتدأ وله متعلقان بمنكرون ومنكرون خبر أنتم • (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبلُ وكنّا به عالمين) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وابراهيم مفعول به أول ورشده مفعول به ثان ومن قبل حال أي من قبل موسى وهارون وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وبه متعلقان بعالمين وعالمين خبر كنا • (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟) الظرف متعلق بفعل محذوف أي اذكر ولك أن تعلقه بعالمين وعلقه الزمخشري بآتينا أو برشده أيضاً وليس ثمة ما يمنع من ذلك وجملة قال مضاف اليها الظرف ولأبيه متعلقان بقال وقومه عطف على لأبيه ، وما اسم استفهام مبتدأ وهذه خبر والتماثيل بدل من اسم الاشارة والتي صفة وجملة أنتم لها عاكفون صلة الموصول وأنتم مبتدأ وعاكفون خبر ولها متعلقان بعاكفون وسيأتي السر في عدوله عن القول عليها عاكفون الى لها عاكفون في باب البلاغة • (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) قالوا فعل وفاعل ووجدنا فعل وفاعل والجملة مقول القول وآباءنا مفعول وجدنا الأول ولها متعلقان بعابدين وعابدين مفعول وجدنا الثاني • (قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وكنتم كان واسمها وأنتم تأكيد للتاء وآباؤكم عطف على التاء وفي ضلال خبر كنتم ومبين صفة لضلال • (قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) الهمزة للاستفهام وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به وبالحق متعلقان بجئتنا وأم حرف عطف معادل للهمزة وأنت مبتدأ ومن اللاعبين خبره •

البلاغـة :

١ ــ العدول عن الفعلية الى الاسمية : في قوله تعالى : « وهم من الساعة مشفقون » عدول عن الخطـاب بالجملة الفعلية كما هو مقتضى السياق الى الخطاب بالجملة الاسمية وانما يعدل عن أحد الخطابين وإن كان السياق يقتضيه لضرب من التأكيد والمبالغة وقد جيء بها هنا تنويهاً بالخاص بعد العام فالخشية من الله ملازمة لهم ولكنها من الساعة أكثر ملازمة وأشد امتلاكاً لقلوبهم وأسراً لجوارحهم، ما يريمون عن تذكرها، وتفادي كل ذنب خشية مواجهتها بما هم فيه ، وأمر ثان هو الديمومة والاستمرار اللذان تفيدهما الجملة الاسمية أكثر مما تفيدهما الجملة الفعلية التي تتوزع على الأزمنة •

٢ ــ في قوله تعالى : « ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون » عدول عن « على » التي يتعدى فعل العكوف بها ولكنه لم يقصد التعدية ولو قصد التعدية لقال عليها ولكنه عدل عنها الى اللام لأنه قصد من العكوف معنى العبادة ليجيبوه بقولهـم « وجدنا آباءنا لها عابدين » وانهم لا ينفكون عن التقليد الاعمى وفي ذلك ما فيه من التنديد بالتقليد والقول بغير برهان والانجرار الى ما عليه آباؤهم ولو بالأرسان ، وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأوثان والأصنام منهم وقيل إن اللام بمعنى على وقد نص النحاة على مجيئها بمعنى على ولكن تفوت بذلك النكتة التي ألمعنا اليها فالأولى بقاؤها على بابها من الاختصاص الذي هو معنى رئيسي للام •

٣ ــ خولف بين الجملتين في الآية « قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين » لملاحظة تجدد في احداهما فبرزت في صورة الفعلية وثبات

في الأخرى فبرزت في صورة الاسمية والمعنى : احدثت عندنا الاتيان بالحق وهو التوحيد فيما نسمعه منك أم أنت على ما كنت عليه من اللعب منذ أيام الصبا وأرادوا بالتجدد في الجملة الاولى أن التوحيد أمر محدث مخترع وبالثبات في الثانية أنه على عادتهم المستمرة من اللعب تحقيراً له ، وما أقبح ضلالهم في تقليد آبائهم في عبادة جماد هو دونهم في الرتبة حيث ينحتونها بأيديهم ثم يعفرون وجوههم وجباههم دونها .

قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ
ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن
تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا
فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾

اللغة :

(جذاذاً) : في القاموس الجذاذ بتثليث الجيم : ما تكسر من الشيء وفعله جذّ يجذّ من باب نصر وقد تقدمت الخصائص لاجتماع الجيم والذال فاء وعيناً للكلمة .

الاعراب :

(قال : بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) بل حرف اضراب وربكم مبتدأ ورب السموات والأرض خبر والذي صفة لرب وجملة فطرهن صلة والضمير يعود على السموات والأرض أو على التماثيل ورجح الزمخشري الثاني لكونه « أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم » ويدل على ذلك أيضاً قوله « وإنا على ذلكم من الشاهدين » كأنه قال وسأبين لكم ذلك وأبرهن عليه ، وأنا مبتدأ خبره من الشاهدين وعلى ذلك متعلقان بالشاهدين . (وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين) وهذا شروع في تأكيد الطريقة الفعلية أو الدليل العملي كما يقال فالواو عاطفة والتاء تاء القسم وسيرد بحث هام عن حروف القسم الجارة في باب الفوائد والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم واللام جواب القسم وأكيدن فعل مضارع مبني على الفتح لوجوب توكيده بنون التوكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا وأصنامكم مفعول به وبعد ظرف متعلق بأكيدن وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف الى الظروف ومدبرين حال أي تعودوا الى مجتمعاتكم . (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فولوا وعادوا الى مجتمعاتهم وذهب معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى بنفسه وقال إني سقيم أشتكي رجلي فتركوه ومضوا فرجع إبراهيم الى بيت الأصنام وقبالة الباب صنم عظيم والى جنبه أصغر منه وهكذا دواليك فقال لهم إبراهيم ألا تأكلون فلم ينبس أحد فانهال عليهم تكسيراً فجعلهم ... والقصة بكاملها مروية في الخازن وغيره .

وجعلهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وجذاذاً مفعول به ثان وإلا أداة استثناء لأن الكلام تام موجب وكبيراً مستثنى من الهاء أي لم يكسره وتركه لحبك النكتة واستكمال الهزء بهم ، ولعل واسمها واليه متعلقان بيرجعون وجملة يرجعون خبر لعل وفي هذا من التهكم ما فيه • (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) قالوا فعل وفاعل ومن اسم استفهام قصد به الانكار مبتدأ وجملة فعل خبر وهذا مفعول فعل وبآلهتنا متعلقان بفعل ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي أمامهم لوضع الظاهر موضع المضمر وقد تقدم بحثه وجملة إنه لمن الظالمين مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدم وتأكيد استنكارهم لما حدث وان واسمها واللام المزحلقة ومن الظالمين خبر ان • (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) جملة سمعنا مقول القول وفتى مفعول سمعنا وجملة يذكرهم مفعول به ثان وستأتي خاصة فعل سمع في باب الفوائد وجملة يقال صفة لفتى وله متعلقان بيقال وابراهيم : في رفعه عدة أوجه متساوية الرجحان أولها انه نائب فاعل ، يقال أي يقال له هذا اللفظ قال الزمخشري : وهو الصحيح لأن المراد الاسم لا المسمى وثانيها أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو ابراهيم أو هذا ابراهيم وثالثها أنه مبتدأ محذوف الخبر أي ابراهيم فاعل ذلك ورابعها انه منادى وحرف النداء محذوف أي يا ابراهيم • (قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) فأتوا الفاء الفصيحة وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبه متعلقان بقوله فأتوا ، وعلى أعين الناس في محل نصب على الحال من الضمير المجرور بالباء أي ائتوا به حال كونه معايناً مشاهداً وسيأتي سر الاستعلاء في هذا التعبير ولعلهم لعل واسمها وجملة يشهدون خبرها أي يشهدون عليه انه الفاعل •

الفوائـد :

في هذه الآيات فوائد كثيرة نورد أهمها فيما يلي :

١ ـ حروف القسم : أصل حروف القسم الباء والواو مبـدلة منها وانما قلنا ذلك لأنها حرف الجر الذي يضاف به فعل الحلف الى المحلوف وذلك الفعل أحلف أو أقسم أو نحوهما ولكنه لما كان الفعل غير متعد وصلوه بالباء المعدية فصار أحلف بالله أو أقسم بالله ، قال الله تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانكم » وقال الشاعر :

أقسـم بالله وآلائـه   والمرء عما قال مسئول

وقال زهير بن أبي سلمى :

فأقسمت بالبيت الذي طـاف حولـه

رجـال بنـوه من قريش وجرهـم

وانما خص الباء بذلك دون غيرها من حروف الجر لأمور :

آ ـ انه يجوز ذكر فعـل القسم معهـا كما رأيت في الشواهد المتقـدمة ولا يجوز ذلك في الواو والتاء فـلا تقول أقسـم والله ولا أقسم تالله •

ب ـ جواز دخولها على الضمير دون غيرها من الحروف تقول : بك لأفعلن ولا تقول تك ولا وك ، ومعروف أن الضمير يرد الشيء الى أصله •

جـ ــ استعمالها في القســم الاستعطافي وذلك أن القســم جملة انشائية يقصد بها تأكيد جملة أخرى فإن كانت هذه الجملة الاخرى انشائية أيضاً فذلك هو القسم الاستعطافي نحو بالله هل قام زيد أي أسألك بالله مستحلفاً ٠ ومن القسم الاستعطافي بالباء قول المجنون :

بربك هــل ضممت إليك ليلى   قبيل الصبــح أو قبلت فاها

د ــ اختصاص الباء دون الواو والتاء بمجيئهــا لغــير القســم وهو ظاهر ٠

ولما كثر استعمال ذلك في الحلف آثروا التخفيف فحذفوا الفعل من اللفظ وهو مراد ليعلق حرف الجر به ثم أبدلوا الواو من الباء توسعاً في اللغة ولأنها أخف لأن الواو أخف من الباء وحركتها أخف من حركة الباء وانما خصوا الواو بذلك لأمرين :

آ ــ انها من مخرج الباء أي من الشفتين ٠

ب ــ من جهة المعنى وذلك ان الباء معناها الالصاق والواو معناها الاجتماع ، والشيء إذا لاصق الشيء فقد جاء معه ٠

وأما التاء فهي مبدلة من الواو لأنه قد كثر إبدالها في نحو تكأة وتراث وتخمــة لشبههــا من جهــة اتساع المخرج وهي من الحروف المهموسة فناسب همسها لين حروف اللين ، ولما كانت الواو بدلاً من الباء والبدل ينحط عن درجة الأصل فلذلك لا تدخل إلا على كل ظاهر ولا تدخل على المضمر لانحطاط الفرع عن درجة الاصل لأنه من المرتبة الثانية والتاء لما كانت بدلاً من الواو وكانت من المرتبة الثالثة انحطت عن

درجة الواوفاختصت باسم الله تعالى لكثرة الحلف بهوقد يكون فيها معنى التعجب قال الله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » على طريق التعجب وكالآية التي نحن بصددها كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه أو مشكوكاً فيه على الاقل لتعذره وصعوبته •

٢ ـ خصائص فعل سمع :

لهذا الفعل خصائص عجيبة وذلك انه إذا دخل على مالا يسمع تعدى لاثنين كما في الآية الكريمة فالمفعول الأول فتى والثاني يذكرهم بخلاف ما لو دخلت على ما يسمع كأن قلت سمعت كلام زيد فانها تتعدى لواحد •

٣ ـ معنى الاستعلاء :

معنى الاستعلاء العلو فالسين والتاء للعلو لا للطلب ويكون الاستعلاء على نوعين حقيقي نحو « عليها وعلى الفلك تحملون » ومجازي نحو « أولئك على هدى من ربهم » « وانك لعلى خلق عظيم » شبه التمكن من الهدى والأخلاق العظيمة الشريفة والثبوت عليها بمن على دابة يصرفها كيف شاء وكذلك قولهم : عليه دين كأن شيئاً اعتلاه وكما في قوله « على أعين الناس » أي يثبت اتيانه في الأعين ويتمكن منها ثبات الراكب على المركوب وتملكه منه •

قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ
شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى
بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

الاعراب :

(قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟) الهمزة للاستفهام وأنت مبتدأ وجملة فعلت خبر وهذا مفعول به وبآلهتنا متعلقان بفعلت ويا حرف نداء وابراهيم منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب منادى . (قال : بل فعله كبيرهم هـذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) بل حرف اضراب وفعله كبيرهم فعل ومفعول به وفاعل مؤخر وهذا نعت لكبيرهم أو بدل منه والفاء الفصيحة واسألوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به وإن شرطية وكانوا فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والواو اسمها وجملة ينطقون خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فاسألوهم . (فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون) الفاء عاطفة ورجعوا فعل ماض وفاعل والى أنفسهم متعلقان برجعوا فقالوا عطف على فرجعوا وإنكم ان واسمها وجملة أنتم الظالمون خبرها ولك أن تجعل أنتم ضمير فصـل والظالمون خبر إن . (ثم نكسوا عـلى

رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) ثم حرف عطف للتراخي وسيأتي معنى التنكيس في باب البلاغة ونكسوا فعل ونائب فاعل وعلى رءوسهم حال أي كائنين على رءوسهم ولك أن تعلقه بنفس الفعل ومعنى التنكيس القلب يقال نكس رأسه ونكسه مخففاً ومشدداً أي طأطأه حتى صار أعلاه أسفله واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وعلمت فعل وفاعل والخطاب لابراهيم والجملة معمول لقول محذوف في موضع الحال وما نافية حجازية وهؤلاء اسمها وجملة ينطقون خبرها وجملة ما هؤلاء ينطقون في موضع المفعولين لعلمت أو في موضع المفعول الواحد إن كانت علمت بمعنى عرفت • (قال : أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف وتعبدون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ومن دون الله حال وما مفعول به وجملة لا ينفعكم صلة وشيئاً مفعول مطلق ولايضركم عطف على لاينفعكم • (أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) أف اسم فعل مضارع وقد تقدمت اللغات فيها ومعناه أتضجر ولكم متعلقان بمحذوف حال لأن اللام للبيان بالنسبة للمتأفف ولما تعبدون عطف على لكم وجملة تعبدون صلة ومن دون الله حال أفلا الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف ولا نافية وتعقلون فعل مضارع والواو فاعل • (قالوا : حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) حرقوه فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة مقول القول وانصروا فعل أمر وفاعل وآلهتكم مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسم كان وفاعلين خبرها وجواب ان محذوف دل عليه ما قبله أي فحرقوه وانصروا آلهتكم • (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم) لا بد من تقدير جمل محذوفة أي فأزمعوا أمرهم على حرقه فجمعوا الحطب الكثير وأضرموا النار وأوثقوا ابراهيم وجعلوه

في منجنيق ورموه في النار ، وقلنا فعل وفاعل ويا حرف نداء ونار منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب وكوني فعل أمر ناقص والياء اسمها وبرداً خبرها وسلاماً عطف على برداً وعلى ابراهيم صفة سلاماً • (وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) الواو حرف عطف وأرادوا فعل ماض وفاعل وبه متعلقان بأرادوا وكيداً مفعول به ، فجعلناهم الفاء حرف عطف وجعلناهم عطف على أرادوا والأخسرين مفعول به ثان •

البلاغة :

١ ـ تجاهل العارف : في قوله : « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم » فن طريف من فنونهم يسمى تجاهل العارف وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه ليخرج الكلام مخرج المدح أو الذم أو ليدل على شدة الوله في الحب أو لقصد التعجب أو التوبيخ أو التقرير وهو على قسمين موجب ومنفي والآية التي نحن بصددها من التجاهل الموجب الجاري مجرى التقرير •

٢ ـ التعريض : في قوله « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » فن التعريض ، وقد تقدمت الاشارة اليه أكثر من مرة ، أراد عليه الصلاة والسلام أن يبين لهم أن من لايتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة ولا يصح في العقل أن يطلق عليه أنه إله ، فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بأن الجمادات التي عبدوها ليست بآلهة لانهم إذا قالوا لا ينطقون قال لهم : فكيف تعبدون من يعجز عن النطق ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه ، فهذا الكلام من فرض الباطل مع الخصم حتى تلزمه الحجة ويعترف بالحق فإن ذلك أقطع لشبهته وأدفع لمكابرته •

وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً
يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ
ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ
مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

الاعراب :

(ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الواو عاطفة ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به ولوطاً معطوف على الهاء أو مفعول معه والواو واو المعية وهو ابن أخيه فنقلناه من أرض نمروذ بالعراق ، الى الأرض متعلقان بنجيناه أو بمحذوف حال والتي صفة للأرض وجملة باركنا فيها للعالمين صلة وفيها حال وللعالمين متعلقان بباركنا وهي قرى بيت المقدس بفلسطين وسيأتي بحث هام عن فلسطين لغة في باب الفوائد (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين) الواو حرف عطف ووهبنا فعل وفاعل وله متعلقان بوهبنا واسحق مفعول به ويعقوب عطف على اسحق ونافلة حال من يعقوب أي أعطي يعقوب زيادة من غير سؤال واذا جعلت معنى نافلة عطية فيكون انتصابها على المفعولية

المطلقة من معنى العامل وهو وهبنا لأن الهبة والعطية متقاربان في المعنى وكلاً مفعول أول لجعلنا مقدم وجعلنا فعل وفاعل وصالحين مفعول به ثان • (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به وأئمة مفعول به ثان وجملة يهدون بأمرنا صفة لأئمة وبأمرنا حال أي يهدون الى ديننا ملتبسين بأمرنا • (وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) وأوحينا عطف على ما تقدم واليهم متعلقان بأوحينا وفعل الخيرات مفعول به وإقام الصلاة عطف على فعل الخيرات وكذلك إيتاء الزكاة ، وكانوا الواو عاطفة وكانوا كان واسمها وعابدين خبرها ولنا متعلقان بعابدين • (ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً) ولوطاً منصوب بفعل محذوف يفسره ما بعده أي آتينا لوطاً فهو من باب الاشتغال وجملة آتيناه مفسرة لا محل لها وحكماً مفعول ثان لآتيناه وعلماً معطوف على حكماً • (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين) ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به ومن القرية متعلقان بنجيناه والتي صفة للقرية وجملة كانت صلة واسم كانت ضمير مستتر تقديره هي وجملة تعمل الخبائث خبر كانت وجملة انهم تعليلية لا محل لها وان اسمها وجملة كانوا خبرها وقوم خبر كانوا وسوء مضاف لقوم وفاسقين صفة لقوم • (وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين) في رحمتنا متعلقان بأدخلناه وجملة انه من الصالحين تعليلية وان واسمها والجار والمجرور خبرها •

البلاغة :

في هذه الآيات مجازان الأول في قوله « ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث » والمراد أهلها لأنهم كانوا يمارسون الخبائث أي

الأعمال القبيحة من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغيرها •
والثاني في قوله « وأدخلناه في رحمتنا » أي في جنتنا لأنها مكان الرحمة
فهو مجاز مرسل علاقته المحلية •

الفوائـد :

١ ــ فلسطين :

فلسطين بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير قرى بيت المقدس وفي القاموس : « فلسطون وفلسطين وقد تفتح فاؤهما : كورة بالشام وقرية بالعراق تقول في حال الرفع بالواو وفي حال النصب والجر بالياء أو تلزمها الياء في كل حال والنسبة فلسطي » هذا ويجوز في هذا النوع أي المسمى بجمع المذكر السالم أن يعرب بالحركات الثلاثة ظاهرة على النون حال كونه لم يكن أعجمياً وإن كان أعجمياً أعرب إعراب ما لا ينصرف أي لا ينون ويجر بالفتحة ويجوز فيه أن يعرب اعراب جمع المذكر السالم •

٢ ــ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة :

(إقام الصلاة وإيتاء الزكاة) القاعدة في مصدر الفعل الرباعي على وزن أفعل أن يأتي على إفعال إن كان صحيح العين نحو اكرم اكراماً وأوجد ايجاداً فان اعتلت عينه نحو اقام وأعان وأبان جاء مصدره على افالة كإقامة وإعانة وابانة حذفت عين المصدر وعوض منها تاء التأنيث والأصل اقوام وإعوان وإبيان فنقلت حركة الواو والياء وهي الفتحة الى الحرف الساكن قبلهما ثم حذفتا فراراً من اجتماع الساكنين وعوض

منهما التاء وقد تحذف هذه التاء من المصدر إذا أضيف كقوله تعالى «وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة» وما كان منه معتل اللام مثل أعطى وأهدى وأولى قلبت لامه في المصدر همزة مثل إعطاء وإهداء وإيلاء ولأصل اعطاو وإهداي وايلاي قال في شرح القاموس « العرب تهمز الواو والياء إذا جاءتا بعد ألف لأن الهمزة أحمل للحركة منهما ولأنهم يستثقلون الوقف على الواو وكذلك الياء مثل الرداء أصله رداي » هذا ويرجع في هذا الى بحث الابدال في كتب النحو المطولة .

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى
ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ
ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ
لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً
تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ
﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ
وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

اللغـــة :

(الحرث) : الزرع وبابه نصر أو كتب كما في المختار وفي القاموس: الحرث مصدر والأرض التي تستنبت بالبـذر والنوى والغرس قال ابن عباس وأكثر المفسرين إن الحرث كان كرماً قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعاً •

(نفشت) : تفرقت وانتشرت فيـه فرعته وأفسدته وفي المختار : « نفشت الغنم والابل أي رعت ليلاً بلا راع من باب جلس•••والنفش بفتحتين اسم منه ومنه قوله تعالى « إذ نفشت فيه غنم القوم » ولا يكون النفش إلا بالليـل » ونفش الصوف والقطن من باب نصـر والنفش تشعيب الشيء بأصابعك حتى ينتشر •

(لبوس) : اللبوس اللباس قال : « البس لكل حال لبوسها » والمراد الدرع ، قال قتادة : كانت صفائح فأول من سردها وخلقها داود فجمعت الخفة والتحصين وهي المسماة بالدرع والدرع كما في المختار مؤنثة ، وقال أبو عبيدة تؤنث وتذكر •

الاعراب :

(ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه من الكرب العظيم) ونوحاً عطف على لوطاً فيكون مشتركاً معـه في عامله الذي هو آتينا المفسر بآتينا الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقـدير ونوحاً آتيناه حكماً وداود وسليمان آتيناهما حكماً فإذ بـدل اشتمال من نوحـاً وداود وسليمان ولك أن تعربه مفعولاً به لفعـل محذوف أي واذكر

نوحاً وداود وسليمان أي اذكر خبرهم وقصتهم فتكون اذ منصوبة بنفس المضاف المقدر أي خبرهم الواقع في وقت كذا ، وجملة نادى مضاف اليها ومن قبل متعلقان بنادى فاستجبنا عطف على نادى وله متعلقان باستجبنا ، فنجيناه عطف على استجبنا ومن الكرب متعلقان بنجيناه والعظيم صفة . (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين)ونصرناه فعل وفاعل ومفعول به ومن القوم متعلقان بنصرناه والذين صفة للقوم وجملة كذبوا بآياتنا صلة وان واسمها وجملة كانوا خبرها وجملة انهم تعليلية لا محل لها وقوم سوء خبر كانوا فأغرقناهم عطف على ما تقدم وأجمعين تأكيد للهاء. (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) وداود وسليمان تقدم اعرابهما وإذ ظرف بدل من المضاف المحذوف أي اذكر قصة داود وسليمان وجملة يحكمان مضافة اليهاوفي الحرث متعلقان بيحكمان وإذظرف متعلق بدل من المضاف المحذوف وجملة نفشت مضاف اليها وفيه جار ومجرور متعلقان بنفشت وغنم القوم فاعل وستأتي خلاصة القصة في باب الفوائد ، وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وشاهدين خبرها ولحكمهم متعلقان بشاهدين وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين اليهما ، أو انه ضمير يراد به المثنى وانما وقع الجمع مقام التثنية مجازاً أو لأن التثنية جمع وأقل الجمع اثنان ، ويدل على أن المراد التثنية قراءة ابن عباس لحكمهما بصيغة التثنية . (ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً) ففهمناها عطف على يحكمان لأنه بمعنى الماضي أي فهمناه الصواب فيها وفهمناها فعل وفاعل ومفعول به وسليمان مفعول به ثان وكلاً مفعول أول مقدم لآتينا وحكماً وعلماً مفعول به ثان لآتينا . (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) وسخرنا فعل وفاعل ومع ظرف مكان

متعلق بسخرنا وداود مضاف اليه والجبال مفعول به وجملة يسبحن حالية من الجبال أي مسبحة ويجوز أن تكون مستأنفة والطير عطف على الجبال أو مفعول معه وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وفاعلين خبرها • (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) وعلمناه عطف على ما تقدم وعلمناه فعل وفاعل ومفعول به وصنعة مفعول ثان لعلمناه ولبوس مضاف ولكم يجوز أن تتعلق بمحذوف صفة للبوس فاللام للتمليك ويجوز أن تتعلق بعلمناه فتكون اللام للتعليل وعلى هذا يكون قوله لتحصنكم بدلاً باعادة اللام أي لكم ولإحصانكم ، وعلى الوجه الأول يتعلق قوله لتحصنكم بعلمنا ، ولتحصنكم اللام للتعليل وتحصنكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والفاعل مستتر تقديره هي والكاف مفعول به ومن بأسكم متعلقان بتحصنكم والفاء استئنافية وأنتم مبتدأ وشاكرون خبر • (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الأرض التي باركنا فيها) الواو عاطفة ولسليمان متعلقان بفعل محذوف تقديره سخرنا والريح مفعول به للفعل المحذوف المفهوم من قوله تعالى « وسخرنا مع داود الجبال » وعاصفة حال وجملة تجري بأمره حال ثانية والى الأرض متعلقان بتجري والتي صفة وجملة باركنا فيها صلة • (وكنا بكل شيء عالمين) الواو عاطفة ، وكنا : كان واسمها وبكل شيء متعلقان بعالمين وعالمين خبرها • (ومن الشياطين من يغوصون له) ومن الشياطين خبر مقدم ومن يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة مبتدأ مؤخر ولك أن تعطفها نسقاً على الريح وجملة يغوصون صلة أو صفة وجمع الضمير حملاً على معنى من وحسّن ذلك تقدم جمع ما قبله وله متعلقان بيغوصون • (ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين) ويعملون عطف على يغوصون وعملاً مفعول به أو مفعول مطلق ودون ظرف

متعلق بمحذوف صفة وذلك مضاف اليه وكنا كان واسمها وحافظين خبرها ولهم متعلقان بحافظين .

البلاغـة :

في قوله تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث الخ » فن جمع المختلف والمؤتلف ، وهو عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص مدح الآخر فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية ، وقبل أن نتحدث عن الآية نورد أبياتاً للخنساء توضح هذا الفن بجلاء نظمتها في أخيها صخر وقد أرادت مساواته في الفضل بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الولد فقالت :

جارى أباه فأقبلا وهما ... يتعاوران مُلاءة الحُضر
وهما وقد برزا كأنهما ... صقران قد حطّا الى وكر
حتى إذا نزت القلوب وقد ... لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما ... قال المجيب هناك : لا أدري
برقت صحيفة وجه والده ... ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه ... لولا جلال السن والكبر

فلنتكلم الآن على الآية والأبيات معاً لتتضح لك حقيقة هذا الفن العجيب : ففي الآية ساوى أول الآيتين داود وسليمان عليهما السلام في

أهلية الحكم ثم رجح آخرُها سليمان حيث يقول « ففهمناها سليمان » وحصل الالتفات الى مراعاة فأتى بما يقوم مقام تلك الزيادة التي يرجح بها سليمان لترشد الى المساواة في الفضل لتكون فضيلة السن وما يستتبعها من وفرة التجارب وحنكة الحياة قائمة مقام الزيادة التي رجح بها سليمان في الحكم أما معنى شعر الخنساء فإنها بعد قولها في المساواة :

وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطا الى وكر

وبعد قولها فيها أيضاً :

حتى اذا نزت القلوب وقد لزت هناك العذر بالعذر

تريد أن عذر اللجم لز بعضها بعضاً والعذر جميع عذار وهو السير الذي يكون على خد الدابة من اللجام وهذا يدل على المساواة في العدو ثم قالت في ترجيح الوالد :

برقت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجري

تعني أنه خرج وجهه من الغبار دون وجه رسيله سبقاً .

ثم قالت في الحاق الولد بالوالد في الفضل :

أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر

تريد أن الولد كان قادراً على مساواة الوالد لولا ما التزمه من الأدب مع برّ أبيه ، ومعرفته بحقه ، فغض من عنانه وخفض جناح فضله ليؤثر أباه بالفضل على نفسه .

والآية الكريمة ساوت بين داود وسليمان في التأهل للحكم وشركت بينهما فيه حيث قالت : « إذ يحكمان في الحرث » وأخبرت ان الله سبحانه فهم سليمان إصابة الحكم ففضل أباه بذلك بعد المساواة ثم التفت سبحانه ، الى مراعاة حق الوالد فقال : « وكلاً آتينا حكماً وعلماً » فرجعا بذلك الى المساواة بعد ترجيح سليمان ليعلم الولد بذلك بر الوالد ويعرفه ما له عليه من الحق حتى إذا فكر الناظر في هذا الكلام وقال : من أين جاءت المساواة في الحكم والعلم بعد الاخبار بأن سليمان فهم من الحكم ما لم يفهمه أبوه ؟ علم أن حق الأبوة قام مقام تلك الفضيلة فحصلت المساواة وحصل في هذا الكلام من الزيادة على معنى الخنساء بعد اشتراكهما في جمع المختلف. والمؤتلف ضرب آخر من المحاسن يقال له الالتفات وذلك في قوله تعالى فيها « وكنا لحكمهم شاهدين » وأدمج في هذا الالتفات ضرباً آخر من المحاسن يقال له « التنكيت » فإن النكتة التي من أجلها جمع الضمير الذي كان من حقه أن يكون مثنى هي الاشارة الى أن هذا الحكم متبع يجب الاقتداء به لأنه عين الحق ونفس العدل وكيف لا يكون كذلك وقد أخبر سبحانه أنه شاهد له أي هو مراعى بعينه عز وجل ويجوز أن يكون جمع الضمير الذي أضيف اليه الحكم من أجل أن الحكم يستلزم حاكماً ومحكوماً له ومحكوماً عليه فجمع الضمير لأجل ذلك .

هذا ومن طريف ماقيل في جمع المؤتلف والمختلف قول الخبزأرزي واسمه نصر الله بن أحمد البصري وكان أمياً يخبز خبز الأرز في البصرة وينشد أشعار الغزل فقد قال :

رأيت الهلال ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما ... هلال السما من هلال البشر

ولولا التورد في الوجنتين وما لاح لي من خلال الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب وكنت أظن الحبيب القمر

فقد سوى بينهما أولاً ثم رجع ففضل الحبيب على الهلال .

الفوائد :

قصة حكم داود وسليمان في الحرث :

سنلخص قصة حكومة داود وسليمان في الحرث لما انطوت عليه من طرافة لتكون حافزاً لأقلام كتاب القصة على ترجمتها على غرار قصة أهل الكهف فقد روى التاريخ : أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه فوقعت في حرثي فأفسدته فلم تبق منه شيئاً فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال : كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال : غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال : كيف تقضي، ويروى أنه قال بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين ، قال : أدفع الغنم الى صاحب الزرع ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيئته دفع الى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود : القضاء ما قضيت كما قال تعالى : « ففهمناها سليمان » أي علمناه القضية ويروى قال سليمان أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها

والحرث الى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادّان فقال : القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك .

الحكم بالشريعة الاسلامية :

أما حكم هذه القضية في الشريعة الاسلامية فقد تساءل عنه الزمخشري في كشافه فقال : « فإن قلت : فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها ؟ قلت : أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا يرونه فيه ضماناً بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد ، والشافعي رضي الله عنه يوجب الضمان بالليل » .

بقي هنا سؤال وهو لماذا استعمل ضمير الجمع لاثنين في قوله تعالى : « وكنا لحكمهم شاهدين » .

وفي الجواب قولان أولهما أن المراد المثنى ولو وقع الضمير جمعاً لأن التثنية أقل الجمع والثاني أن المصدر المضاف انما هو مضاف للحاكمين وهما داود وسليمان والمحكوم عليه ، فهؤلاء جماعة ولكن فيه على هذا اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهما انما يضاف الى أحدهما فقط وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز فان الحقيقة اضافة المصدر الى فاعله والمجاز اضافته الى مفعوله » .

ومن عجائب حكم سليمان ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (بينا امرأتان معهما ابناهما إذ جاء الذئب فذهب بأحدهما فقالت هذه : إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك فاختصمتا الى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فمرتا على سليمان فأخبرتاه فقال : ائتياني بسكين أشقه بينكما

فقالت الصغرى : لا ويرحمك الله فقضى به للصغرى . قال أبو هريرة : والله إن كنت سمعت بالسكين قبل ذلك ما كنت أقول إلا المدية .

قال في القاموس : والسكين مؤنثة كالسكينة وصانعها سَكّان وسكاكيني ، هذا وقد اشتهر داود بصنع الدروع والجواشن ونحوها وقد رمق أبو الطيب المتنبي سماء هذه الصناعة فقال يصف مفرشه وملبسه بصدد الافتخار بنفسه :

مفرشي صهوة الحصان ولكنّ
قميصي مسرودة من حديد
لأمة فاضة أضاة دلاص
أحكمت نسجها يدا داود

يقول : إني شجاع لا أفارق ظهر الفرس وملبوسي الدرع وقميصي لأمة أي ملتئمة الصنعة محكمة النسج من صنع داود وهو أول من عمل الدرع .

وسؤال آخر : كيف وصف اريح المسخرة لسليمان بأنها عاصف ووصفها في موضع آخر بأنها رخاء فوصفها تارة بالعصف وتارة بالرخاوة وقد أجاب الزمخشري على هذا السؤال ببراعة نادرة فقال : « كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال « غدوها شهر ورواحها شهر » فكأن جمعها بين الأمرين ، أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم ، آية الى آية ، ومعجزة الى معجزة ، وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفاً لهبوبها على حكم إرادته » .

قلت : ويشبه هذا الوصف عصا موسى تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجافي منها ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين فكانت في خفتها وفي سرعة حركتها كالجان وكانت في عظم خلقها كالثعبان وقد رمق الشعراء سماء هذا المعنى فوصفوا اجتماع النقيضين في موصوف واحد ، قال ابن الرومي في وصف وحيد المغنية :

خلقت فتنة غناء وحسناً ما لها فيهما جميعاً نديد
فهي نعمى يميد منها كبير وهي بلوى يشيب منها الوليد

فوصفها بأنها نعمى يميد منها الكبير ثم وصفها بأنها بلوى يشيب منها الصغير فهي إن واصلت أحيت وإن هاجرت أماتت وقال من هذه القصيدة الممتعة التي أحب أن ترجع اليها في ديوانه :

ما تزالين نظرة منك موت لي مميت ونظرة تخليد
تتلاقى فلحظة منك وعد بوصال ولحظة تهديد

وهو في الشعر كثير نجتزىء منه بهذا المثال .

* وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا

ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

الاعراب :

(وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) وأيوب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر وهو على حذف مضاف أي اذكر خبر أيوب ، وإذ بدل من خبر أي من المضاف المقدر وجملة نادى ربه مضاف اليه ، وربه مفعول نادى ، وأني أن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض أي بأني وان واسمها وجملة مسني الضر خبر أن وأنت الواو حالية وأنت مبتدأ وأرحم خبر والراحمين مضاف إليه وستأتي في باب الفوائد . (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) الفاء عاطفة واستجبنا فعل وفاعل وله متعلقان باستجبنا ، فكشفنا عطف على فاستجبنا وما مفعول به وبه صلة ما ومن ضر حال . (وآتيناه وأهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به وأهله مفعول به ثان ومثلهم عطف على أهله أو مفعول معه ومعهم ظرف مكان متعلق بمحذوف حال أي كائنين معهم ورحمة مفعول من أجله ويجوز أن يكون مصدراً لفعل مقدر أي رحمناه رحمة والأول أرجح ومن عندنا صفة لرحمة وذكرى عطف على رحمة وللعابدين

متعلقان بذكرى • (واسماعيل وادريس وذا الكفل كلٌ من الصابرين) واسماعيل مفعول به لفعل محذوف أي واذكر ويجوز أن يعطف نسقاً على من تقدم من الانبياء وادريس عطف على اسماعيل وذا الكفل عطف أيضاً وسيأتي سبب تسميته بذلك في باب الفوائد وكل مبتدأ ومن الصابرين خبره • (وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) الجملة معطوفة وان واسمها ومن الصالحين خبرها • (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه) وذا النون مفعول به لفعل محذوف أو معطوف نسقاً على من تقدم وسيأتي بحثه في باب الفوائد ، وإذ بدل من المضاف المحذوف كما تقدم وجملة ذهب مضاف إليها ومغاضباً حال أي لقومه لا لربه أي انه غضب عليهم لما كابده منهم ، فظن الفاء عاطفة وظنّ معطوف على ذهب أي تركهم وذهب دون أن يؤذن له وفاعل ظن مستتر تقديره هو وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لن نقدر عليه خبر وسيأتي معنى لن في باب الفوائد كما ستأتي خلاصة قصته • (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فنادى عطف على ظن وفي الظلمات متعلقان بمحذوف حال وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لا إله إلا أنت هي الخبر ويجوز أن تكون مفسرة لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف والجملة حالية واني ان واسمها والجملة تعليلية وجملة كنت من الظالمين خبر إني ومن الظالمين خبر كنت • (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) فاستجبنا عطف على ما تقدم وله متعلقان باستجبنا ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به ومن الغم متعلقان بنجيناه ، وكذلك الكاف نعت لمصدر محذوف وننجي المؤمنين فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به •

الفوائـد :

١ ـ خلاصة قصة أيوب :

روى التاريخ أن أيوب كان رجلاً رومياً من ولد اسحق بن يعقوب وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة وقالت له امرأته يوماً : لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء ؟ فقالت : ثمانين سنة فقال : أنا أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم ، وقصة أيوب حافلة بالصور الشعرية الملهمة وهي ديوان حافل عن الصبر على البلاء وعدم البطر في الرخاء .

٢ ـ الفرق بين الضُر والضَر :

يقال ضر بفتح الضاد وضر بضمها والفرق بينهما أن الضر بالفتح هو الضرر بكل شيء والضر بالضم هو الضرر في النفس من هزال ومرض وفرق بين البناءين لافتراق المعنيين وقد نظم بعضهم الفرق بينهما كما أورد معاني أخرى لهما قال :

وضدُّ نفع قيل فيه ضَرُّ ... وجودُ ضَرَّةٍ لعِرْسٍ ضِرُّ

وسوء حال المرء ذاك ضُرُّ ... كذا هزالُ مرضٍ أو كِبَرَ

٣ ـ التلطف في السؤال :

وقد تلطف أيوب في السؤال وألمح الى ما يعانيه من بلاء دون أن يصرح بمطلوبه حيث اكتفى بذكر المس في الضر وأدخل أل الجنسية على الضر لتشمل أنواعه المتقدمة ووصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها فكان درساً بليغاً لكل من تتعاوره الأرزاء وتنتابه اللأواء ويحكى أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها : ألطفت في السؤال لا جرم لأردنّها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حباً . وقد تعلق أبو الطيب المتنبي بأذيال هذه البلاغة عندما خاطب كافوراً بما كان يرجوه منه وهو أن يعطيه ولاية وإن كان قصده المواربة :

أرى لي بقربي منك عيناً قريرة
وإن كان قرباً بالبعاد يشاب

وهل نافعي أن ترفع الحجبُ بيننا
ودون الذي أملت منك حجاب

أُقِلّ سلامي حبَّ ما خف عنكم
وأسكت كيما لا يكون جواب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة
سكوتي بيان عندها وخطاب

وفي البيت الثالث نكتة نحوية وهي انتصاب حبّ وذلك انه نصبه

على أنه مفعول له وهو مصدر كأنه يقول الحب ما خف أي لإيثاري التخفيف وقد تلطف حبيب بن أوس أبو تمام وأجمل أغراضه كلها في بيت واحد وهو قوله :

وإذا الجودُ كان عوني على المر ء تقاضيتـــه بترك التقاضي

أما أبو بكر الخوارزمي فقال راسماً خطة الطلب :

وإذا طلبت الى كريم حاجـة فلقـــاؤه يكفيك والتسليم
فإذا رآك مسلماً عرف الـذي حملتـه فكأنـه ملـزوم

وسبقهم جميعاً أمية بن أبي الصلت بقوله المشهور :

أأذكر حاجتي أم قـد كفاني حيـاؤك إن شيمتك الحيـاء
إذا أثنى عليك المـرء يوماً كفـــاه من تعرضـه الثناء

٤ ـ ذو الكفل :

هذا لقبه والكفل هو النصيب واسمه بشير وقيـل الياس وقيل زكريا كأنه سمي بذلك لأنه المجدور وذو النصيب الأوفى من الحظ ، وقيل ذو الكفل اسمه وقد كان له اسمان ولم يكن لقباً .

٥ ـ ذو النون :

في المختار : « ذو النون الحوت وجمعه أنوان ونينان وذو النون لقب يونس بن متى على وزن شتى اسم والده على ما ذكر في القاموس أو اسم لأمه على ما قاله ابن الأثير في النهاية ، وقيل ذا النون لأنه رأى

صبياً مليحاً فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ، وحكى ثعلب أن نونة الصبي هي الثقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير ، ومعنى دسموا : سودوا ، وذو بمعنى صاحب ، قال السهيلي في كتاب الأعلام في قوله تعالى « وذا النون هو يونس بن متى أضاف ذا الى النون وهو الحوت فقال سبحانه « ولا تكن كصاحب الحوت » وبينهما فرق وذلك انه حين ذكر في معرض الثناء عليه قيل ذا النون ولم يقل صاحب النون والاضافة بذا أشرف من الاضافة بصاحب لأن قولك ذو يضاف الى التابع وصاحب يضاف الى المتبوع تقول : أبو هريرة صاحب النبي ولا تقول : النبي صاحب أبي هريرة إلا على وجه ما وأما ذو فانك تقول فيها ذو الملك وذو الجلال وذو العرش وذو القرنين فتجد الاسم الاول متبوعاً غير تابع ولذلك سميت أقيال حمير أذواء منهم ذو جدن وذو يزن وذو رعين وذو كلاع وفي الاسلام ذو الشهادتين وذو الشمالين وذو اليدين وذلك كله تفخيم للمسمى بهذا وليس ذلك في لفظ صاحب وانما فيه تعريف لا يقترن به شيء من هذا المعنى » وستأتي قصته وابتلاع الحوت له في الصافات .

٦ ـ معنى لن نقدر عليه :

أما معنى قوله « فظن أن لن نقدر عليه » لن نقضي عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك فهي من القدر لا من القدرة كما في قوله تعالى « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك ، قال وما هي يا معاوية ؟ فقرأ عليه هذه الآية وقال : أويظن نبي الله أن لا يقدر عليه ، قال : هذا من القدر لا من القدرة على أن الزمخشري بعد أن ذكر الوجه

الذي أوردناه أجاز أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى « فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله » .

وذهب جمهور من العلماء أن معناها فظنّ أن لن نضيق عليه من قدر عليه رزقه أي ضيق وقتر .

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً
وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾

اللغـــة :

(زكريا) : بالمد علم نبي وألفه للتأنيث فلذلك منع من الصرف وهو أيضاً غير مصروف للعجمة والتعريف وقيـل هو عربي مشتق من زكر أي امتلأ أو تزكر .

الاعراب :

(وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) تقدم القول في اعراب وزكريا إذ نادى ربه ، ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ولا ناهية للدعاء وتذرني فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والفاعل مستتر تقديره أنت والياء مفعول به وفرداً حال وأنت الواو عاطفة على محذوف أي فارزقني وارثاً وأنت مبتدأ وخير الوارثين خبر • (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) الفاء عاطفة واستجبنا فعل وفاعل وله متعلقان باستجبنا واستجبنا فعل وفاعل والمفعول محذوف أي نداءه وأصلحنا فعل وفاعل وله متعلقان بأصلحنا وزوجه مفعول به والمراد باصلاحها جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وعقمها والعقم انسداد الرحم كما في المختار • (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) الجملة تعليل للاصلاح وان واسمها وجملة كانوا كانوا خبرها وكان واسمها وجملة يسارعون في الخيرات خبر كان وعبر بفي دون الى للاشعار بديمومتهم على المسارعة كأنهم استقروا فيها (ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) ويدعوننا عطف على يسارعون ويدعوننا فعل وفاعل ومفعول به ورغباً ورهباً مصدران منتصبان على الحال أو على المصدرية الملاقية لعاملها في المعنى دون اللفظ أو على المفعول له وكانوا كان واسمها وخاشعين خبرها ولنا متعلقان بخاشعين • (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) والتي أي واذكر مريم التي ، وجملة أحصنت فرجها صلة فنفخنا عطف على أحصنت وفيها متعلقان بنفخنا ومن روحنا متعلقان بنفخنا أيضاً ولك أن تعرب التي مبتدأ والخبر محذوف أي فيما يتلى عليهم وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به وابنها

عطف على الهاء أو مفعول معه وآيــة مفعول به ثان وانما لــم يطابق المفعول الاول فيثنى لأن كلاً من مريم وابنها آية بانضمامه للآخر فصار آية واحدة أو تقول انه حذف من أحدهما لدلالة الثاني عليه أي وجعلنا مريم آية وابنها كذلك أو بالعكس وللعالمين صفة لآية • (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) إن واسمها وخبرها وأمة حال لازمة وقيل بدل من هذه وواحدة صفة وأنا الواو عاطفة وأنا مبتدأ وربكم خبر والفاء الفصيحة واعبدوني فعل أمر وفاعل وياء المتكلم المحذوفة لرسم المصحف مفعول به • (وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون) الواو عاطفة وتقطعوا فعل ماض وفاعله والأصل وتقطعتم إلا أن الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة ، وأمرهم في نصبه وجوه أرجحها أنه منصوب بنزع الخافض أي تفرقوا في أمرهم ويجوز أن يكون تقطعوا معناه قطعوا فيكون أمرهم مفعولاً به ورأى أبو البقاء أن يكون تمييزاً ولا أدري كيف استقام ذلك معه •

البلاغـة :

١ ــ الالتفات : في قوله تعالى « إن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ، وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون » الالتفات ، الأصل في تقطعوا تقطعتم على الأول إلا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه ويقبح عندهم ما فعلوه ويقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فيجازيهم على ما فعلوا •

٢ ـ معنى النفخ في مريم : ظاهر الكلام يوهم أن مريم هي التي أحييت لأن معنى النفخ الاحياء ولكن الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم ونحو ذلك أن يقول الزمار : نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته .

فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

اللغـــة :

(كفران) : الكفران مصدر الكفر قـال في القاموس : « كفر يكفر من باب نصر كفراً وكفراً وكفوراً وكفراناً ضد آمن وكفر بالخالق نفاه وعطّل وكفر كفراً وكفوراً وكفراناً بنعم الله جحـدها وتناساها .

(حدب) : بفتحتين مرتفع من الارض ومنه الحدب في الظهر وكل كدية أو أكمة فهي حدبة ٠

(ينسلون) : يسرعون والنسلان مقاربة الخطا مع الاسراع ، وفي المصباح : نسل في مشيه نسلاناً : أسرع وبابه ضرب وفي القاموس هو من باب ضرب وقتل ٠

(حصب جهنم) : الحصب المحصوب به أي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وفي المختار : « والحصب بفتحتين ما تحصب به النار أي ترمى وكل ما ألقيته في النار فقد حصبتها به وبابه ضرب ومثله في القاموس ٠

الاعراب :

(فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويعمل فعل الشرط ومن الصالحات صفة لمفعول به محذوف أي عملاً من الصالحات والواو حالية وهو مبتدأ ومؤمن خبر والفاء رابطة ولا نافية للجنس وكفران اسمها ولسعيه خبر والواو استئنافية أو حالية وان واسمها وكاتبون خبرها وله متعلقان بكاتبون ٠ (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) الواو عاطفة من عطف الجمل أو استئنافية وحرام خبر مقدم وعلى قرية متعلقان بحرام وجملة أهلكناها صفة لقرية وان وما في حيزها مبتدأ مؤخر وان واسمها وجملة لا يرجعون خبرها ، وقيل لا زائدة وهو قول أبي عبيدة كقوله ما منعك أن لا تسجد : أي يرجعون الى الايمان والمعنى وممتنع على أهل القرية قدرنا عليهم

إهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا الى الايمان الى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويصح أن تكون نافية على بابها والتقدير لأنهم لا يرجعون وقال الزجاج : وحرام على قرية أهلكناها حكمنا بإهلاكها أن تتقبل أعمالهم لأنهم لايرجعون أي لايتوبون ودل على هذا المعنى قوله قبل « فلا كفران لسعيه » أي يتقبل عمله ثم ذكر هذا عقيبه وبين أن الكافر لا يتقبل عمله .

وعبارة ابن هشام في المغني « وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون » فقيل لا زائدة والمعنى ممتنع على أهل قرية قدرنا اهلاكهم لكفرهم انهم يرجعون عن الكفر الى قيام الساعة وعلى هذا فحرام خبر مقدم وجوباً لأن المخبر عنه أن وصلتها ومثله وآية لهم أنا حملنا ذريتهم لا مبتدأ وان وصلتها فاعل أغنى عن الخبر كما جوز أبو البقاء لأنه ليس بوصف صريح ولأنه لم يعتمد على نفي ولا استفهام وقيل لا نافية والاعراب إما على ما تقدم والمعنى ممتنع عليهم انهم لا يرجعون الى الآخرة وإما على ان حرام مبتدأ حذف خبره أي قبول أعمالهم وابتدىء بالنكرة لتقييدها بالمعمول واما على انه خبر لمبتدأ محذوف أي والعمل الصالح حرام عليهم وعلى الوجهين فانهم لا يرجعون تعليل على اضمار اللام والمعنى لا يرجعون أعمالهم فيه ودليل المحذوف ما تقدم من قوله تعالى : « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه »

(حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)

حتى حرف غاية وجر وهي غاية لامتناع الرجوع فهي متعلقة بحرام على انها حرف غاية وجر ويجوز أن تكون ابتدائية وهي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى هنا جملة الشرط والجزاء واذا ظرف لما

يستقبل من الزمن والجواب الذي تتعلق به اذا محذوف وتقديره قالوا يا ويلنا واختار الزمخشري وغيره أن يكون الجواب هو الفاء الداخلة على اذا الفجائية فإذا جاءت الفاء معها تساندتا وتعاونتا على وصل الجواب بالشرط فيتأكد ولو قيل إذا هي شاخصة أو فهي شاخصة كان سديداً . هذا وقد اختار أبو حيان أن تكون حتى جارة متعلقة بتقطعوا على ما فيه من بعد قال : «وكون حتى جارة متعلقة بتقطعوا فيه من حيث كثرة الفصل لكنه من حيث المعنى جيد وهو انهم لا يزالون مختلفين على دين الحق الى قرب مجيء الساعة فإذا جاءت الساعة انقطع ذلك » وفتحت فعل ماض مبني للمجهول ويأجوج ومأجوج نائب فاعل ولا بد من تقدير مضاف وهو سدهما والواو للحال وهم مبتدأ وخبره جملة ينسلون ومن كل حدب متعلقان بينسلون . (واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) الواو عاطفة واقترب الوعد فعل وفاعل والحق صفة للوعد والفاء رابطة وإذا الفجائية وقد تقدم بحثها وهي مبتدأ وشاخصة خبر وأبصار الذين كفروا فاعل شاخصة . (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) النداء متعلق بقول محذوف في محل نصب على الحال أي يقولون يا ويلنا احضر فهذا أوانك وقد حرف تحقيق وكان واسمها وفي غفلة خبرها ومن هذا متعلقان بغفلة ، بل حرف اضراب وكان واسمها وخبرها وهذه الجمل كلها مقول قولهم المحذوف . (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) ان واسمها والجملة ابتدائية وما عطف على الكاف وجملة تعبدون صلة ومن دون الله حال وحصب جهنم خبر انكم وجملة أنتم لها واردون جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من جهنم وفيه أن مجيء الحال من المضاف اليه لم يرد في كلامهم إلا مشروطاً ويجوز أن تكون بدلاً من حصب جهنم ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لإن وأجاز

آخرون أن تكون مستأنفة • (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكلٌّ فيها خالدون) لو شرطية امتناعية وكان فعل ماض ناقص وهؤلاء اسمها وآلهة خبرها وجملة ما وردوها لا محل لها لأنها جواب لو والواو للحال وكل مبتدأ وفيها متعلقان بخالدون وخالـدون خبر • (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) لهم خبر مقدم وفيهـا حال وزفير مبتدأ مؤخر والواو عاطفة وهم مبتدأ وفيها متعلقان بيسمعون وجملة لا يسمعون خبر هم •

البلاغـة :

المذهب الكلامي : في قوله تعالى : « انكم وما تعبدون حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون » المذهب الكلامي وقد تقدمت الاشارة إليه ، وسنزيده بسطاً هنا فنقول : اذا تقرر أن المذهب الكلامي هو احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام أو استنتاج النتائج الصحيحة من المقـدمات الصادقة كما سيأتي في سورة الحج فإن الآيـة التي نحن بصددها يترتب عليها ان هؤلاء الاصنام والأوثان ليسوا بآلهة فلو كانوا آلهة فهم حصب جهنم كما تقدم ان ملزوم قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » هو ما تقديره لكنهما ما فسدتا فليس فيهما آلهة إلا الله ومن النوع الثاني تقـدم الكلام في سورة الاعراف عـلى قوله تعالى : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » فوجه استنتاج النتيجة في هذه الجملة من المقدمتين أن يقال إن الكفار لا يدخلون الجنة أبداً حتى يلج الجمل في خرم الابرة ، والجمل لا يدخل في خرم الابرة أبداً فهم لا يدخلون الجنة أبداً لأن تعليق الشرط عـلى مستحيل يلزم منه استحالة وقوع المشروط •

ومن المذهب الكلامي قوله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » وتمام الدليل أن يقال : لكنكم ضحكتم كثيراً وبكيتم قليلاً فلم تعلموا ما أعلم ، ومثله قوله مالك بن المرجل الأندلسي :

لو يكون الحب وصلاً كله لم تكن غايته إلا الملل

أو يكون الحب هجراً كله لم تكن غايته إلا الأجل

إنما الوصل كمثل الماء لا يستطاب الماء إلا بالعلل

فالبيتان الأولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فإنه قاس الوصل على الماء فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر ، وأما الأقيسة الحملية فقد استنبطوها على صور ، منها ما يروى أن أبا دلف قصده شاعر تميمي فقال له : ممن أنت ؟ فقال : من تميم ، فقال أبو دلف :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا

ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال التميمي نعم بتلك الهداية جئت إليك فأفحمه بدليل حملي ألزمه فيه أن المجيء إليه ضلال ولعمري إن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب من غيره وأعذب في الذوق وأسهل في التركيب فإنه جملة واقعة بعد لو وجوابها وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم .

وقال ابن رشيق في كتاب العمدة « ذكر ابن المعتز أن الجاحظ سمى هذا النوع المذهب الكلامي قال ابن المعتز : وهذا باب ما علمت اني وجدت منه في القرآن شيئاً وهو ينسب الى التكلف تعالى الله عن

ذلك علواً كبيراً » وقد فات ابن رشيق وابن المعتز أن القرآن حافل بهذا النوع كما رأيت وكما سيأتي فيما بعد على أن ابن رشيق لاحظ على ابن المعتز شيئاً آخر فقال : « غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية وقدمها على غيرها وأنشد للفرزدق :

لكل امرىء نفسان : نفس كريمة
وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى
إذا قل من احرارهن شفيعها

وأنشد لآخر ولا أظنه إلا ابراهيم بن العباس :

وعلمتني كيف الهوى وجهلته
وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
فأعلم ما لي عندكم فيميل بي
هواي الى جهلي وأعرض عن ظلمي

وعاب على أبي تمام قوله :

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن
يرضى المؤمل منك إلا بالرضا

وحكي أن اسحق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هـذا الباب وأمثاله عند الحسن بن وهب فقال : « يا هذا لقد شذرت على نفسك » وعندي أن النقـد يتوجه الى أبي تمـام في بيته لا من ناحية المذهب الكلامي الذي سلكه بل من ناحية التعقيد اللفظي فيه •

ومن طريف هذا المذهب ما أورده ابن رشيق لابن المعتز وهو قوله:

أسرفتُ في الكتمـان ... وذاك مـني دهـاني
كتمت حـبَّك حتى ... كتمتـه كتمـاني
ولـم يكـن لي بـد ... من ذكـره بلسـاني

قال : « وهذه الملاحة نفسها والظرف بعينه » •

وقال أبو نواس :

سَخُنْتَ من شدة البرودة حتى ... صرت عنـدي كأنك النـار
لا يعجب السامعون صفـتي ... كـذلك الثلـج بارد حار

فهذا مذهب كلامي فلسفي ، وقوله أيضاً :

فيك خـلاف لخـلاف الذي ... فيه خـلاف لخـلاف الجميل

ويمكن اعتبار أبي تمام صاحب طريقة خاصة في المذهب الكلامي ، أستمع الى قوله في الحسد :

وإذا أراد الله نشـر فضـيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ماكان يعرف طيب عرف العود

ومن أزهار البهاء زهير قوله :

يا من أكابد فيه ما أكابده   مولاي أصبر حتى يحكم الله
سميت غيرك محبوبي مغالطة   لمعشر فيك قد فاهوا بما فاهوا
أقول زيد وزيد لست أعرفه   وإنما هو لفظ أنت معناه
وكم ذكرت مسمّى لا اكتراث به   حتى يجر الى ذكراك ذكراه
أتيه فيك على العشاق كلهم   قد عز من أنت، يامولاي، مولاه
كادت عيونهم بالبغض تنطق لي   حتى كأن عيون الناس أفواه

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا
يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا
يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ
تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ
خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ
الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)

اللغة :

(السجّل) : كتاب العهود وكتاب الاحكام ، وكتاب يكتب فيه القاضي صورة الدعاوى والحكم فيها وصكوك المبايعات ونحوها

لتبقى محفوظة عنده والجمع سجلات ويقال سجّل الرجل : كتب السجل وسجل الاوراق قيدها في المحاكم وسجل القاضي عليه حكم وسجل عليه بكذا شهره به ووسمه وسجل له بماله قرره وأثبته له •

الاعراب :

(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) إن واسمها وجملة سبقت صلة ولهم متعلقان بسبقت ومنّا حال والحسنى فاعل وأولئك مبتدأ وعنها متعلقان بمبعدون ومبعدون خبر أولئك وجملة أولئك عنها مبعدون خبر إن وجملة إن الخ ابتدائية • (لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) جملة لا يسمعون حسيسها تحتمل وجوهاً منها أن تكون بدلاً من مبعدون لأنها تحل محله فتغني عنه ومنها أن تكون خبراً ثانياً لأولئك ويجوز أن تكون حالاً من ضمير مبعدون ولا نافية ويسمعون حسيسها فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به والواو للحال أو استئنافية وهم مبتدأ وفيما متعلقان بخالدون وجملة اشتهت أنفسهم صلة وخالدون خبر هم • (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) الجملة حالية أو بدل من الجملة السابقة ولا نافية ويحزنهم فعل ومفعول به والفزع فاعل والأكبر صفة للفزع وتتلقاهم الملائكة فعل ومفعول به وفاعل ، وجملة هذا يومكم مقول قول محذوف واقع موقع الحال أي قائلين : هذا يومكم ، وهذا مبتدأ ويومكم خبر والذي صفة ليومكم وجملة كنتم صلة وكان واسمها وجملة توعدون خبر كنتم • (يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب) الظرف متعلق

بمحذوف تقديره اذكر ولك أن تعلقه بلا يحزنهم أو بالفزع أو تتلقاهم الملائكة وجملة نطوي في محل جر بإضافة الظرف اليها والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والسماء مفعول به وكطي الكاف نعت لمصدر محذوف أي كما يطوي الرجل صحيفته ليكتب فيها فالطي مصدرمضاف للمفعول والحذف للفاعل مع المصدر مطرد باستمرار وللكتب متعلقان بطي فهي لتقوية التعدية أي للمكتوبات جميعها أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة . (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية وبدأنا فعل وفاعل وأول خلق مفعول بدأنا أي نعيد أول خلق اعادة مثل بدئنا له والزمخشري يجعل ما كافة للكاف دائماً ووعداً مصدر منصوب بوعدنا مقدراً قبله وهو مفعول مطلق مؤكد لمضمون ما قبله ، وعلينا متعلقان بوعداً وان واسمها وجملة كنا خبر إنا وكان واسمها وفاعلين خبرها وجملة إنا تعليلية بمثابة التأكيد للقدرة على فعل ذلك وقدرها أبو حيان في البحر « أي نحن قادرون على أن نفعل ذلك » واختار العمادي أن تكون حالية وقدرها « أي محققين هذا الوعد فاستعدوا لذلك » وستأتي فوائد هامة حول هذه الآية في بابي الفوائد والبلاغة . (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن الارض للصالحين لها ولاستغلال مواردها وطاقاتها المكنوزة فيها واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وكتبنا فعل وفاعل وفي الزبور متعلقان بكتبنا ومن بعد متعلقان بمحذوف حال من الزبور وأن ومافي حيزها مفعول كتبنا ، أي كتبنا وراثة الأرض ، وان واسمها وجملة يرثها خبر وعبادي فاعل والصالحون صفة .

البلاغــة :

١ ــ المبالغة : في قوله تعالى : « لا يسمعون حسيسها » فمن المبالغة ذلك لأن لقائل أن يقول : إذا نزل أهل الجنة منازلهم فيها فأي بشارة لهم في أنهم لا يسمعون حسيسها؟ والجواب انه تأكيد للمبالغة وانها لن تقرب منهم أبداً لأن الذي يكون عن كثب منهــا يسمع ، ولا شك ، حسيسها ، لأن أهل النار دركات جاءت وفق عدد سكانها وعدد داخليها ووفق عدة معبوداتهم ولذلك قال تعالى في آية أخرى « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » وسيأتي تفصيل ذلك في سورة الحجر ويروى أن علياً رضي الله عنه قرأ هذه الآية وهي « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول : « لا يسمعون حسيسها » .

٢ ــ التشبيه : في قوله تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده » تشبيه للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء قال الزمخشري: « فإن قلت : وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه ؟ قلت : أوله إيجاده من العدم فكما أوجده أولاً من عدم يعيده ثانياً من عدم فإن قلت : ما بال خلق منكراً ؟ قلت : هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلاً رجلاً فكذلك معنى أول خلق ، أول الخلق بمعنى أول الخــلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ماخلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى » .

إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم
بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾
وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ
وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

الاعراب :

(إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين) ان حرف مشبه بالفعل وفي هذا خبرها المقدم واللام المزحلقة ولقوم صفة لبلاغاً وعابدين صفة . (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الواو حرف عطف وما نافية وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به وإلا أداة حصر ورحمة مفعول من أجله أو حال مبالغة في أن جعله نفس الرحمة أو على حذف مضاف أي ذا رحمة وللعالمين صفة لرحمة أو يتعلق بنفس الرحمة . (قل انما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) إنما كافة ومكفوفة ويوحى فعل مضارع مبني للمجهول وإلي متعلقان بيوحى وان ومافي حيزها نائب فاعل يوحى وإلهكم مبتدأ وإله خبر وواحد صفة والفاء الفصيحة أي ان علمتم هذا وهل حرف حرف استفهام وأنتم مبتدأ ومسلمون خبر وسيأتي مبحث القصر بنوعيه في هذه الآية في باب البلاغة . (فإن تولوا

فقل آذنتكم على سواء) الفاء استئنافية وان شرطية وتولوا فعل ماض وهو فعل الشرط والواو فاعل والفاء رابطة لجواب الشرط وقل فعل أمر وآذنتكم فعل وفاعل ومفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط وعلى سواء متعلقان بمحذوف حال من التاء أي الفاعل أو من الكاف أي المفعول أي مستوين في العلم بالحرب وسيأتي تفصيل هذا الايجاز في باب البلاغة • (وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون) الواو للحال وإن نافية وأدري فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره أنا والهمزة للاستفهام وقريب خبر مقدم وأم حرف عطف وبعيد عطف عليه وما مبتدأ مؤخر وجملة توعدون صلة وجوز أبو البقاء أن يرتفع ما توعدون فاعلاً بقريب سد مسد خبره وقريب مبتدأ قال لأنه اعتمد على الهمزة أو ببعيد لأنه أقرب اليه فتكون المسألة من باب التنازع وجملة أقريب أم بعيد ما توعدون في محل نصب مفعول أدري المعلقة عن العمل • (إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون) ان واسمها وجملة يعلم خبرها وفاعل يعلم ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى والجهر مفعول به ومن القول حال من الجهر ويعلم عطف على يعلم الأولى وما مفعول به وجملة تكتمون صلة • (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) الواو عاطفة وإن نافية وأدري فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا ولعل واسمها وفتنة خبرها ولكم صفة ومتاع عطف على فتنة وإلى حين متعلقان بمحذوف صفة لمتاع أو يتعلق به وجملة لعله فتنة في محل نصب بأدري والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام في التعليق عن العمل ولكن النحاة لم يذكروا لعل من المعلقات ولكنها وردت كثيراً في القرآن كقوله في هذه الآية وكقوله: «وما يدريك لعل الساعة قريب ، وما يدريك لعله يزكى ، وقيل ان قوله ومتاع ليس داخلاً في حيز الترجي لأنه محقق فلا يصح عطفه على فتنة لأنه حيث

كان معطوفاً على خبرها كان معمولاً لها وداخلاً في حيزها وفي نطاق الترجي الذي تدل عليه فالأولى اذن أن يقال ان قوله ومتاع خبر لمبتدأ محذوف وتقديره وهذا متاع الى حين أي وتأخير عذابكم متاع لكم وتكون الجملة مستأنفة وليس هـذا ببعيد . (قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة واحكم فعل دعاء وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وبالحق حال وربنا الواو استئنافية وربنا مبتدأ والرحمن يجوز أن يكون خبراً والمستعان خبراً ثانياً ويجوز أن يكون صفة لربنا والمستعان خبر لأنه المحدث به وعلى ما متعلقان بالمستعان وجملة تصفون صلة والعائد محذوف أي تصفونه مخالفاً للواقع .

البلاغة :

١ ـ القصر :

في قوله تعالى « قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد » وقد تقدم بحث القصر مفصلاً ونقول ان في هذه الآية قصرين الاول قصر الصفة على الموصوف وذلك في قصر الوحي على الوحدانية والمعنى لا يوحى إليّ إلا اختصاص الإله بالوحدانية لا لأنه لم يوح اليه بشيء غيرها ولكنها الاصل الرئيسي في كل عبادة وعمل وهي المطلوبة أولاً وقبل كل شيء حتى كأن ما عداها غير منظور اليه أو غير جدير بالذكر والثاني قصر الموصوف على الصفة وذلك في قصر الله على الوحدانية وهو ظاهر .

٢ ـ الايجاز :

وذلك في قوله تعالى « فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء » تقدم

القول في الايجاز كثيراً وفي هذه الآية إيجاز قصر لأنه تحدث بثلاث كلمات وهي « آذنتكم على سواء » عن كلام طويل أي إن تولوا بعد هذه الآيات والشواهد وأعرضوا وطووا كشحاً فقل لهم لقد أعلمناكم على بيان أنا واياكم في حرب لا مهادنة فيهـا ولا صلـح بيننا ولكنني لا أدري متى يأذن الله ، وآذنتكم منقول من اذن إذا علم قال الحارث ابن حلزة :

آذنتنا ببينهـا أسمـاء رب ثاوٍ يمل منه الثواء

وقد سما الزمخشري في شرح هذا الايجاز وهذه نبذة من كلامه : « والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحسّ منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعاً بذلك « على سواء » أي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائه » .

٣ ـ التوليد :

في قوله : « قل رب احكم بالحق » فن التوليد وسماه ابن منقذ فن التلطيف وهو على ضربين : من الألفاظ ومن المعاني :

١ ـ التوليد من الألفاظ على ضربين أيضاً :

آ ـ توليد المتكلم من لفظه ولفظ غيره صورة من الكلام .

ب ـ توليد المتكلم صورة من موضعين من لفظ نفسه .

والأول هو أن يزوج لفظة من لفظة للفظة من لفظ غيره فيتولد

بينهما كلام مناقض غرض صاحب اللفظة الأجنبية وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة ومثاله ما حكي عن مصعب بن الزبير انه كان قد وسم خيله بلفظ « عُدّة » وهو يريد عدة الحرب فلما قتل وصارت خيله عند الحجاج ورأى ذلك الوسم أمر أن يوسم الى جانب عدة بلفظة « الفرار » فتولد بين اللفظين معنى غير ما أراده مصعب وانقلب المدح قدحاً .

٢ ـ التوليد من المعاني وستأتي أمثلته ، أما الآية التي نحن بصددها فقد زوج فناً من فنون البديع لفن آخر فيه فتولد فن ثالث غيرهما وذلك انه يتوجه على ظاهر اشكال وهو أن يقال : ما الحكمة في كونه سبحانه أمر نبيه أن يسأله الحكم بالحق وهو عز وجل يعلم أن نبيه متيقن انه سبحانه لا يحكم إلا بالحق فلو اقتصر على قوله احكم فقط كان ذلك كافياً فلم عدل عن الأوجز الموفي بالمعنى المراد مع سلامة الظاهر من الإشكال الى الأطول الموجب للإشكال ، والجواب :

ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدعون على من خالفهم حتى يؤذن لهم في ذلك لأنهم بعثوا مؤلفين لا منفرين وهم لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم به الله فإذا أعلمهم بمن لا يمكن إيمانه من قومهم ساغ لهم الدعاء على ذلك ، ألا ترى أن نوحاً عليه السلام لم يتجرأ أن يقول : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » إلا بعد قوله تعالى له : « إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » ولذلك احترس في الدعاء بقوله : على الأرض فإن من آمن معه كان في السفينة ولم يبق على الأرض إلا من حق عليه العذاب ولما علم سبحانه ان الذين عادوا نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لا يرجى فلاحهم أمره بالدعاء عليهم بيد أنه علمه كيف يدعو عليهم دعاء غير منفر لغيرهم فأراد سبحانه أن

يقول : قل رب أهلك الظالمين فعدل عن هذا اللفظ الخاص لما فيه من التنفير الى لفظ الإرداف فقال : « قل رب احكم بالحق » فانه سبحانه إذا حكم بالحق وهو العدل عاقب من يستحق العقاب وأما قول مورد الاشكال : لم عدل عن الأوجز الى الأطول ؟ ولو قال رب احكم لكان كافياً ، فليس الأمر كما زعم لأن للحاكم المختار الذي لا شريك له أن يحكم بالفضل فينزل عن حق نفسه وله أن يحكم بالعدل فيستوفي حقه وحق غيره وطلب مطلق الحكم لا يوفي بذلك فلهذا عدل عن الأوجز الى الأطول ليوفي بالمعنى المراد •

وقد تنخّل عن هذا الجواب أربعة عشر ضرباً من البديع اتفقت في هذه الألفاظ الثلاثة وهي :

١ ـ الإرداف الذي قدمنا ذكره •

٢ ـ الايضاح لأن إيضاح الإشكال الوارد على ظاهر الكلام جاء مدمجاً في الإرداف •

٣ ـ التتميم إذ لو وقع الاقتصار على قوله : رب احكم لكان المعنى المراد ناقصاً لأن مطلق الحكم لا يوفي بالمقصود كما بينا •

٤ ـ المقارنة لأن الادماج والإيضاح اقترنا في التتميم •

٥و٦ ـ الافتنان لجمع هذه اللفظات الثلاث بين فنين من الفنون التي يقصدها المتكلمون وهما :

آ ـ فن الأدب في تعليم الحق سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم كيف يدعو على من خالفه دعاء غير منفّر عنه •

ب ـ فن الهجاء لأن عدل الله سبحانه يأبى أن يأمر نبيه بالدعاء إلا على من علم تصميمه عـلى العصيان وبراءته من الايمـان ومن كان كذلك كان مستحقاً للذم فأدمج سبحانه في أمر الرسول بالدعاء عليهم هجاءهم بمقتضى ما تضمنه الكلام من استحقاق الملام .

٧ ـ الايجاز عن المعنى المراد بأقل ما يمكن من الحروف .

٨ ـ السهولـة فقد تركبت الكلمـات تركيباً سليماً من سوء الجوار ، سهلة المخارج ولأن الكلمات جاءت في مقارها فلا تتقدم كلمة عن كلمة ولا تتأخر .

٩ ـ التهذيب في كون تركيب الجملة وضع عـلى أصح ترتيب وأسهل تهذيب إذ تقدم فيها ذكر المدعو وثنى بالطلب وثلث بالمطلوب .

١٠ـ حسن البيان لأن الذهن يسابق الى فهم معنى الكلام من غير توقف بمجرد سماعه أول وهلة لعدم التعقيد في اللفظ وخلوه من أسباب اللبس من التقـديم والتأخـير وسلـوك الطريق الأبعـد وإيقاع المشترك .

١١ ـ التمزيج لامتزاج الفنون بمعاني البديع فإن فني الأدب والهجـاء امتزجا بمعنى الإرداف والتتميم ولم يظهر في اللفظ لكـل معنيين سوى صورة واحدة فظهر فن الأدب وأدمج فيه فن الهجاء وظهر الإرداف وأدمج فيه التتميم .

١٢ـالابداع لما تضمن كل لفظـة من الجملة الضرب والضربين فصاعداً من البديع .

١٣ـ التمثيل : لأن قوة البلاغة وورونق الفصاحة أخرجت هذه اللفظات مخرج المثل السائر الذي يصلح لأن يتمثل به في كل واقعة تشبه واقعته •

١٤ـ التوليد : لأن الإرداف لما زوج بالتتميم تولد منهما الايضاح وتولد من الايضاح والارداف الادماج ولما ظهرت فائدة الاتيان بالجار والمجرور وثبت التتميم وظهرت العلة في العدول عن لفظ الدعاء الخاص الى لفظ الارداف وتولد من ذلك فن الأدب ومن فن الادب فن الهجاء ولما ثبت الائتلاف والتهذيب وما وقع في النظم من حسن الترتيب تولد من ذلك المثل السائر ولذلك غلب التوليد على جميع ما فيها من الضروب الثلاثة عشر وأثبتت في بابه دون أبوابها •

التوليد في الشعر :

أما في الشعر فلا يستحسن إلا التوليد في المعاني أما التوليد في الألفاظ فيأتي دونه في المرتبة بل ربما غالى بعضهم فجعله غير مقبول لشبهه بالسرقة وذلك أن يستعذب الشاعر لفظه في شعر غيره فيأخذها ويضمنها معنى غير معناها الأول كقول أبي تمام :

لها منظر قيد الأوابد لم يزل يروح ويغدو في خفارته الحب

أخذ لفظة قيد الأوابد من بيت امرىء القيس في وصف فرس ونقلها الى الغزل وبيت امرىء القيس هو :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

على أنه قد يكون عذباً كما فعل علي بن زريق البغدادي في قوله :

استودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

فقد أخذ الأزرار من قول عبد الله بن المعتز :

يا حسن أحمد إذ بدا متشمراً في قرطق يسعى بكأس عقاره
والغصن في أثوابه والدر في فمه وجيد الظبي في أزراره

ولقد عابوا على عمارة اليمني بيته يمدح الخليفة المصري الفاطمي عند قدومه عليه من اليمن وهو :

فهل درى البيت أني بعد فرقته ماسرت من حرم إلا الى حرم

لأنه مأخوذ بلفظه من شعر أبي تمام مادحاً :

يا من رأى حرماً يسري الى حرم
طوبى لمستلم يأتي وملتزم

وهنا يحار الناقد في كثرة وقوع الشعراء الكبار بهذه المزالق ، قال ابن الأثير : « ومما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدته التي أولها :

دع عنك لومي فإن اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
دارت على فتية ذل الزمان لهم
فما يصيبهم إلا بما شاءوا

وهذا من عالي الشعر ثم وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا البيت في أصوات معبد وهو :

لهفي على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاءوا

وما أعلم كيف هذا » .

أما توليد المعاني فهو مستحسن على اطلاقه كقول أبي الطيب المتنبي:

همام إذا ما فارق الغمد سيفه وعاينته لم تدر أيهما النصل

أخذه من قول أبي تمام :

يمدون بالبيض القواطع أيديا فهن سواء والسيوف القواطع

وقال المتنبي أيضاً :

وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل

أخذه من قول أبي نواس في وصف الخمرة :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همه من صدره برحيل

وجميل أخذ المتنبي من أبي تمام قوله :

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام

وبيت أبي تمام :

هو الصنع إن تعجل فخير وإن ترث

فللريث في بعض المواضع أنفع

وبيت المتنبي أجمل وأرشق وفيه زيادة ضرب المثل :

وولد أحد الشعراء المولدين بيتاً فارسياً فقال :

كأن عـــذاره في الخـــد لام ومبسمه الشهي العذب صاد
وطرة شعره ليـــل بهيـــم فـــلا عجب إذا سرق الرقـــاد

فقد ولد هذا الشاعر من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لفظة لص وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النجوم فحصل في البيت توليد واغراب وادماج •

وقد أطلنا عنان القول ولكن الحسن غير مملول •

الفوائـــد :

التعليق :

للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر أحكام عديدة منها التعليق وهو إبطال العمل لفظاً لا محلاً لمجيء ما له صدر الكلام بعده والمعلقات عن العمل هي :

١ ــ لام الابتداء نحو «لقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق» فمن مبتدأ وهو موصول اسمي وجملة اشتراه صلة من وعائدها فاعـــل اشتراه المستتر فيه وما نافية وله وفي متعلقان بالاستقرار خبر خلاق ومن زائدة وجملة ماله في الآخرة من خـــلاق خبر من والرابط بينهما الضمـــير المجرور باللام وجملة من وخبره في محـــل نصب معلق عنها العامل بلام الابتداء لأن لها الصدارة فلا يتخطاها عامل وانما تخطاها

في باب إن فرفع الخبر لأنها مؤخرة من تقديم لاصلاح اللفظ وأصلها التقديم على إن •

٢ً ـ لام القسم كقول لبيد :

ولقـد علمت لتأتين منيـتي إن المنايا لا تطيش سهامهـا

فاللام في لتأتين لام القسم وتسمى جواب القسم ، والقسم وجوابه في محل نصب معلق عنها العامل بلام القسم لا جملة الجواب فقط ، فسقط ما قيل ان جملة جواب القسم لا محل لها وان الجملة المعلق عنها العامل لها محل فيتنافيان ولهذا قال أبو حيان « أكثر أصحابنا لا يذكرون لام القسم في المعلقات وفي العزة ، ولام القسم لا تعلق كقوله :

لقـد علمت أسـد أننا لهم يوم نصر لنعم النصير

بفتح أن فهذه لام القسم ولم تعلق وتقول علمت أن زيداً ليقومن بفتح أن » اهـ وفي المغني أن أفعال القلوب لإفادتها التحقيق تجاب بما يجاب به القسم كقوله :

ولقد علمت لتأتين منيتي الخ » اهـ •

فأخرج لام لتأتين عن كونها للقسم •

٣ً ـ ما النافية نحو « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » فما نافية وهؤلاء مبتدأ وجملة ينطقون خبره والجملة الاسمية في موضع نصب بعلمت وهي معلق عنها العامل في اللفظ بما النافية •

٤ً ـ لا وإن النافيتان الواقعتـان في جواب قسم ملفوظ به أو

مقدر فالملفوظ به نحو علمت والله لا زيد في الـدار ولا عمرو وعلمت والله أن زيد في الدار والمقدر نحو علمت لا زيد في الدار ولا عمرو .

٥ً ـ الاستفهـام كالآية التي نحن بصددها وهي « وإن أدري أقريب الخ » وقول كثير :

وما كنـت أدري قبـل عزة ما البكـا

ولا موجعـات القلـب حتى تولـت

فعطف موجعات بالنصب على الكسرة على محل قوله : ما البكا الذي علق عن العمل فيه قوله أدري .

سُورَةُ الحَجّ

مدنية وآياتها ثمان وسبعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾

اللغــة :

(مريد) : عات متجرّد للفساد قال الزجاج : المريد والمارد المرتفع الأملس وقال في القاموس وشرحه : المارد : العاتي المرتفع يقال بناء مارد أي مرتفع وهو مجاز وجمعه مردة وماردون ومرّاد ، والمريد : الشديد المرادة والخبيث الشرير وجمعه مُرْد ومؤنثه مرداء يقال : مُرْد على جُرْد أي شبان مرد على خيول جرد .

الاعراب :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم) يا أداة نداء وأيها منادى نكرة مقصودة مبني على الضم والهاء للتنبيه والناس بدل من أي على اللفظ واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وإن زلزلة الساعة إن واسمها وشيء خبرها وعظيم صفة لشيء وجملة إن زلزلة الساعة الخ تعليلية لا محل لها من الاعراب وذلك لقوله اتقوا ربكم • وزلزلة الساعة من إضافة المصدر الى فاعله أو الى مفعوله فعلى الأول كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي وعلى الثاني على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى « بل مكر الليل والنهار » • (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها) الظرف متعلق بتذهل وجملة ترونها مضاف اليها الظرف وأجازوا فيه أوجهاً أخرى منها أن يكون متعلقاً بعظيم أو باذكر مقدرة أو انه بدل اشتمال من زلزلة لأن كلاً من الحدث والزمان يصدق عليه انه مشتمل على الآخر والضمير في ترونها عائد على الساعة أي القيامة ولأنها بهذه المثابة التي تقطع نياط القلوب ، ويجوز أن يعود على الزلزلة ولعله أقرب لأنه في الدنيا ، وتذهل فعل مضارع مرفوع وكل مرضعة فاعل والجملة في محل نصب على الحال من ضمير ترونها أي الهاء فإن الرؤية هنا بصرية حتماً هذا إذا لم نجعل يوم متعلقاً بتذهل فإن تعلق به لم تجز الحال وصارت الجملة مستأنفة أو أنها حال من الزلزلة أو من الضمير المستتر في عظيم أو من الساعة وان كانت مضافاً اليها لأنها إما فاعل واما مفعول به ، كما تقدم ، ولا بد عندئذ من تقدير ضمير محذوف أي تذهل فيها والمرضعة هي التي باشرت الإرضاع بأن ألقمت الرضيع ثديها والمرضع هي التي من شأنها أن ترضع سواء باشرت

الارضاع أم لم تباشره ففرقوا بينهمـا بالتاء المربوطة وسيأتي مزيـد تفصيل لهذا السر في باب البلاغـة وعما أرضعت متعلقان بتذهـل وما موصولة أو مصدرية أي عن الذي أرضعته أو عن إرضاعها وتضع كل فعل مضارع وفاعل والجملة معطوفة على جملة تذهـل وذات حمـل مضاف لكل وحملها مفعول به لتضع والحمل بفتح الحاء المهملة ما كان في بطن أو عـلى شجرة وبالكسرة ما كان عـلى ظهر • (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) الواو عاطفة وترى فعل مضارع معطوف على ترونها وإنما جمع في الأول وأفرد في الثاني لأن الرؤية الأولى علقت بالزلزلة أو الساعة وكل الناس يرونها أما الثانية فهي متعلقة بكون الناس سكارى فلا بد من جعل كل أحد رائياً للباقي بقطع النظر عن اتصافه بالسكر وفاعل ترى مستتر تقديره أنت والناس مفعول به وسكارى حال والواو للحال وما نافية حجازية وهـم اسمها والباء حرف جر زائد وسكارى مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما والجملة في محل نصب على الحال من الناس ، ويجوز في سكارى ضم السين وفتحها فهمـا لغتان وبهما قرىء،ولكن الواو عاطفة عـلى محذوف مخالفة لما بعد لكن وهذا حكم مطرد لها والتقدير كما في البحر لأبي حيان : « فهـذه الأحوال وهي الذهول والوضع ورؤية الناس شبه السكارى هينة لينة ولكن عذاب الله شديد أي ليس ليناً وسهلاً فما بعد لكن مخالف لما قبلها » وسيأتي مزيد بحث لهذه الآية في باب البلاغة • (ومن الناس من يجادل في الله بغـير علم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لذكر من غفل عن الجزاء في ذلك وكذب به والمناسبة بينها وبين ما تقدم من ذكر أهوال الساعة وزلزلتها واضحة ومن الناس خبر مقدم ومن نكرة موصوفة حتماً وهي مبتدأ مؤخر أي ناس موصوفة بالجدل واللجـاج والسفسطة والمكابرة لا تنفـع فيهم

العظات ولا تؤثر فيهم الدلائل وجملة يجادل في الله صفة لمن وأفرد الضمير مراعاة للفظ من ولو جمع مراعاة لمعناها لجاز وفي الله متعلقان بيجادل على حذف مضاف أي قدرته وصفاته ودينه وبغير علم حال من الضمير الفاعل في يجادل أي جاهلاً متخبطاً في متاهات الضلالة العمياء والجهالة النكراء (ويتبع كل شيطان مريد) ويتبع عطف على يجادل وكل مفعول به وشيطان مضاف اليه ومريد صفة لشيطان ولا بد من تقدير مضاف أي خطوات كل شيطان • (كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) كتب فعل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان به وأن وما في حيزها في محل رفع نائب فاعل ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويجوز أن تكون من اسم موصول مبتدأ وفأنه الخبر ودخلت الفاء لما في الموصول من رائحة الشرط وجملة يضله خبر انه وجملة الشرط أو الموصول خبر أنه وأجاز الزمخشري أن تكون فأنه معطوفة على الأولى وتعقبه أبو حيان فقال : وهذا لا يجوز لأنك إذا جعلت فأنه عطفاً على انه بقيت انه بلا استيفاء خبر على أن كثيرين أيدوا الزمخشري في إعرابه ونرى أن ما اخترناه هو الاقرب للصواب ، ويهديه عطف على يضله والى عذاب السعير متعلقان بيهديه •

البلاغة :

١ ـ في قوله تعالى « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » تشبيه بليغ فقد شبه الناس في ذلك اليوم العصيب بحالة السكارى الذين فقدوا التمييز وأضاعوا الرشد ، والعلماء يقولون : إن من أدلة المجاز صدق نقيضه كقولك زيد حمار إذا وصفته بالبلادة والغباء ثم يصدق أن تقول وما هو بحمار فتنفي عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد

أن أثبتت السكر المجازي نفى الحقيقة أبلغ نفي مؤكد بالباء والسر في تأكيده التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله والاستدراك بقوله « ولكن عذاب الله شديد » راجع الى قوله وما هم بسكارى وكأنه تعليل لاثبات السكر المجازي كأنه قيل : إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب ؟ وما سببه ؟ فقيل شدة عذاب الله تعالى .

٢ ــ وفي عدوله عن مرضع الى مرضعة سرٌ قل من يتفطّن له وهو ان المرضعة هي التي باشرت الارضاع فعلاً فنزعها الثدي من فم طفلها عند حدوث الهول ، ووقوع الارتباك أدل على الدهشة وأكثر تجسيداً لمواطن الذهول الذي استولى عليها وهناك فرق آخر وهو أن وروده على النسب أي مرضع لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه انه موصوف بها وعلى غير النسب أي مرضعة يلاحظ فيه حدوث الفعل وخروج الصفة عليه وهذا من أسرار لغتنا التي تندر في اللغات .

وقال في المفصل : « إن مذهب الكوفيين ان حذف التاء من حائض للاستغناء عنها وهذا يوجب إثبات التاء في محل الالتباس كضامر وعاشق وأيم وثيب وعانس » وهذا الاعتراض بيّن ، وأما الاعتراض باثبات التاء في الصفات المختصة بالاناث من امرأة معيبة وكلبة مجرية على مافي الصحاح فليس بسديد لأن ما ذكروه مجوز لا موجب لأنهم يقولون الاتيان بالتاء في صورة الاستغناء على الأصل كحاملة في المرأة قال في الصحاح : يقال امرأة حامل وحاملة إذا كانت حبلى فمن قال

حامل قال هذا نعت ومن قال حاملة بناه على حملت فهي حاملة وأنشد لعمرو بن حسان :

تمخضت المنـون له بيوم أتى ولكـل حاملة تمـام

فإذا حملت شيئاً على ظهرها أو على رأسها فهي حاملة لا غير .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾

اللغـــة :

(النطفة) : ماء الرجـل أو المرأة والجمـع نطاف ونُطَـف وهو ما يعرف بالمني كفني والمني كإلي والمنية كرمية ويجمع على مُنْي كقفل .

ومنى وأمنى ومنّى بمعنى واحد • والنطفة أيضاً الماء الصافي قل أو كثر وسيأتي المزيد من الكلام عنه •

(علقة) : العلقة : هي الدم الجامد وهو المراد هنا والذي يعلق باليد وكل ما يُعلّق وما تتبلّغ به الماشية من الشجر ودويبة سوداء تمتص الدم والجمع علق •

(مضغة) : لحمة قدر ما يمضغ •

(مخلقة) : المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة متباينة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك وعلى حسب ذلك التفاوت تتفاوت المخلوقات في الصور والخلق •

(طفلاً) : الطفل بكسر الطاء يطلق على الولد من حين الانفصال الى حين البلوغ وأما الطفل بالفتح فهو الناعم والمرأة طفلة وأما الطفل بفتح الطاء والفاء فهو وقت ما بعد العصر من قولهم طفلت الشمس إذا مالت للغروب وأطفلت المرأة أي صارت ذات طفل وفي المختار : الطفل يستعمل مفرداً وجمعاً وفي الحديث سئل صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين • وقال في الأساس واللسان ما خلاصته : هو طفل بين الطفولة ، وفعل ذلك في طفولته وامرأة وظبية مُطفل وطفّلت ولدها : رشحته • قال الأخطل يصف سحاباً :

إذا زعزعته الريح جرّ ذيولها كما زحفت عوذ ثقال تطفّل

وامرأة طَفلة ، وطفلة الأنامل : ناعمة وبنان طَفْل ناعمة

قال ذو الرمة :

أسيلة مُسْتنّ الوشاحين قانىء
بأطرافها الحناء في سَبطٍ طَفْل

وقد طفل طُفولة وَطَفالة وآتيه في طفل الغداة وطَفَل العَشي
وهو بعيد طلوع الشمس وقبيل غروبها قال :

باكرتها طَفَلَ الغداة بغارة والمبتغون خطار ذاك قليل

وقال لبيد :

فتدليت عليه قافلا وعلى الأرض غيابات الطَّفَل

وطفّلت الشمس إذا دنت للغروب وطفّل الليل أقبل وأظلّ وطفّل علينا وتطفّل وهو طفيلي وتقول : ما زال يطفّل على الناس ، حتى نسخ طفيل الاعراس وهو رجل من الكوفة نسب اليه التطفيل •

(أشده) : تقدم بحثه ونقول هنا : الأشد كمال القول والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجمع التي لم يستعمل لها واحد وهو ما بين الثلاثين الى الأربعين •

(هامدة) : الهمود السكون والخشوع وهمدت الأرض يبست ودرست وهمد الثوب بلي •

(اهتزت) : تحركت وتجوز به هنا عن انبات الأرض نباتها بالماء •

(ربت) : زادت وارتفعت من ربا يربو •

الاعراب :

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب) يا أيها الناس تقدم إعرابها وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص فعل الشرط والتاء اسمها وفي ريب خبرها ومن البعث متعلقان بمحذوف صفة لريب فإنا الفاء رابطة وان واسمها وجملة خلقناكم خبرها ومن تراب متعلقان بخلقناكم وانما ساغ وقوع قوله فانا خلقناكم جواباً على تأويل فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم • (ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) عطف بثم للدلالة على وجود تراخ في تطور الخلق وتدرجه من حال الى حال وقوله مخلقة صفة لمضغة وغير مخلقة عطف على مخلقة والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها من الاعضاء شيء ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً • (لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى) لنبين اللام للتعليل ونبين مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل واللام مع مدخولها متعلقة بخلقناكم أو اللام للصيرورة والعاقبة أي أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه مالا يمكن اكتناهه أو الإحاطة به ولذلك حذف مفعول نبين ، وذلك للاستدلال بهذه القدرة على ان من قدر على بدء الخلق قادر على إعادته فلا مجال للانكار ولا مساغ للتشكك ، ونقر الواو استئنافية ونقر فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وفي الأرحام متعلقان بنقر وما مفعول به وجملة نشاء صلة والى أجل مسمى متعلقان بمحذوف حال وانما استأنف لأنه ليس المعنى خلقناكم لنقر ، ومسمى صفة لأجل حرف أي ممتد الوقت خروجه • (ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم) ثم حرف عطف وتراخ أيضاً ونخرجكم عطف على نقر وفاعل نخرجكم ضمير مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به

وطفلاً حال من مفعول نخرجكم ثم لتبلغوا لا بد من تقدير فعل وهو نعمركم ، ولتبلغوا اللام للتعليل أو الصيرورة وتبلغوا منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو فاعل وأشدكم مفعول به • (ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الواو عاطفة ومنكم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يتوفى صلة ومنكم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يرد صلة والى أرذل العمر متعلقان بيرد ، ونسب الى علي بن أبي طالب قوله أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون ، وقال قتادة تسعون والصواب انه الهرم والخرف ووصول الانسان الى مرحلة الاعياء والوهن أو يرتد إلى مرحلة الطفولة ضعيف البنية والعقل ، بليد الفهم • (لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) لكيلا متعلقان بيرد ويعلم منصوب بأن مضمرة بعد اللام وكي مصدرية ومن بعد علم متعلقان بمحذوف حال لأن علم بمعنى عرف وشيئاً مفعول به ليعلم • (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وهذه الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير الدليل الثاني لأن الدليل الأول منه ما هو مرئي مشاهد ومنه ما ليس كذلك فعبر عنه بالخلق أما هذا الدليل فهو داخل في حيز النظر ومتدرج في سلك المرئيات فلذلك عبر عنه بقوله وترى ، والأرض مفعول به وهامدة حال من الأرض فإذا الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة أنزلنا مضافة الى الظرف وعليها متعلقان بأنزلنا والماء مفعول به وجملة اهتزت لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وربت عطف على اهتزت وكذلك قوله وأنبتت ومن كل زوج صفة لمفعول به محذوف أي أشياء وأصنافاً كائنة من كل صنف وبهيج صفة لزوج • (ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي ويميت وأنه على كل شيء قدير) ذلك مبتدأ وبأن الله خبر وقيل ذلك خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وعندئذ تكون الباء

مع مدخولها في محل نصب على الحال وان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر ان أو خبر هو والمبتدأ الثاني وخبره خبر ان وانه عطف على بأن وان واسمها وجملة يحيي الموتى خبرها وانه على كل شيء قدير عطف أيضاً ولا بأس هنا بأن نورد ملاحظة لأبي حيان خلاصتها أن الباء ليست للسببية وانما هي متعلقة بمحذوف تقديره شاهد بأن وهو ينطبق على ما ذكرنا من الوجهين المتقدمين . (وان الساعة آتيةلاريب فيها) وان الساعة خبر لمبتدأ محذوف أي والأمر أن الساعة ، وان واسمها وآتية خبرها ولا نافية للجنس وريب اسمها وفيها خبرها والجملة حالية أو خبر ثان لأن . (وأن الله يبعث من في القبور) عطف على ماتقدم وان واسمها وجملة يبعث خبرها ومن مفعول به وفي القبور متعلقان بمحذوف صلة من .

البلاغـة :

في قوله تعالى « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » فنون لا يكاد يتسع لها صدر هذا الكتاب وسنحاول تلخيصها جهد المستطاع فأول ما فيها :

١ ـ ائتلاف الطباق والتكافؤ :

لمجيء أحد الضدين أو أحد المتقابلين حقيقة والآخر مجازاً فهمود الأرض واهتزازها ضدان لأن الهمود سكون فالاهتزاز هنا حركة خاصة وهما مجازان والربو والانبات ضدان وهما حقيقتان وإنما قلنا ذلك لأن الأرض تربو حالة نزول الماء عليها وهي لا تنبت في تلك الحالة، فإذا انقطعت مادة السماء ، وجفف الهواء رطوبة الماء خمد الربو وعادت الأرض الى حالها من الاستواء وتشققت وأنبتت فصدر الآية تكافؤ وما قابله في عجزها طباق .

٢ ـ الارداف :

وفيها مع هذين الفنين فن الارداف وهو كما ذكر قدامة في نقد الشعر أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ الاشارة الدال على المعاني الكثيرة بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه قريب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف وقد تقدمت الاشارة اليه في هود ، وهنا في هذه الآية عدل عن لفظي الحركة والسكون الحقيقيين الى أردافهما من لفظي الهمود والاهتزاز لما في لفظي الارداف من الملاءمة للمعنى المراد لأن الهمود يراد به الموت ، والأرض في حال عطلها من السقي والنبات موات فكان العدول الى لفظ الهمود المعبر به عن الموت أولى من لفظ السكون والاهتزاز المجازي مشعر بالعطالة كاهتزاز الممدوح للمدح فلأجل ذلك عدل عن لفظ الحركة العام الى لفظ الحركة الخاص لما يشعر أن الارض ستعطي عند سقيها ما يرضي من نباتها بتنزل السقي لها منزلة ما يسرها فاهتزت لتشعر بالعطاء فقد ظهرت فائدة العدول الى لفظ الارداف لما يعطيه من هذه المعاني التي لا يعطيها لفظ الحقيقة .

٣ ـ التهذيب :

وقد جاء نظم هذه الآية مع ما تضمن من التكافؤ والطباق والارداف والائتلاف منعوتاً بالتهذيب لما فيه من حسن الترتيب حيث تقدم فيه لفظ الاهتزاز على لفظ الربو ولفظ الربو على الانبات لأن الماء إذ نزل على الارض فرق أجزاءها ودخل في خلالها ، وتفريق أجزاء الجواهر الجمادية هو حركتها حالة تفرق الاتصال لأن انقسام الجوهر يدل على انتقال قسميه أو أحدهما عن حيزه ولا معنى للحركة إلا هذا

فالاهتزاز يجب أن يذكر عقيب السقي كما جاء الربو بعد الاهتزاز فإن التراب إذا دخله الماء ارتفع بالنسبة الى حاله قبل ذلك وهذا هو الربو بعينه وقد تقدم شرح كون الانبات انما يكون بعد الربو وجفاف رطوبة الماء وعود التراب الى حاله وتشققه فحصل التهذيب في نظم هذه الآية بحصول حسن الترتيب واقترن بذلك حسن النسق لتقدم كل ما يجب أن يكون معطوفاً عليه على كل ما يجب أن يكون معطوفاً •

٤ ـ المذهب الكلامي :

وفي قوله تعالى من أول سورة الحج الى قوله « وان الله يبعث من في القبور » فن المذهب الكلامي ففي هذه الآيات خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات وسياقها مفصلة على الترتيب :

آ ـ قوله تعالى « ذلك بأن الله هو الحق » ذلك لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه سبحانه أخبر بزلزلة الساعة معظماً لها وذلك مقطوع بصحته لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته منقول إلينا بالتواتر فهو حق ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق فالله هو الحق •

ب ـ أخبر سبحانه أنه يحيي الموتى لأنه تعالى أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأهوال التي فعلها سبحانه من أجلهم وقد ثبت أنه قادر على كل شيء، ومن الاشياء إحياء الموتى فهو يحيي الموتى •

ج ـ ولخبر أنه على كل شيء قدير لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير ولايقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير، فهو على كل شيء قدير •

د ــ وأخبر أن الساعة آتية لاريب فيها لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الانسان من تراب الى قوله « لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » وضرب سبحانه لذلك مثلاً بالارض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج ، ومن خلق الانسان علـى ما أخبر به فأوجده بالخلق ثم أعدمه بالموت ثم يعيده بالبعث وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلق ثم أماتها بالمحل ثم أحياها بالخصب،وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع الشاهد على المتوقع الغائب حتي انقلب الخبر عياناً صدق خبره .

هـ ــ في الاتيان بالساعة ولا تأتي الساعة إلا ببعث من في القبور، إذ هي عبارة عن مدة تقوم فيها الاموات للمجازاة فالساعة آتية لا ريب فيها وهو سبحانه يبعث من في القبور .

٥ ــ المجاز :

في قوله تعالى « وتنبت من كل زوج بهيج » فقـد أسند الانبات للأرض وهو مجاز عقلي لأن المنبت في الحقيقة هو الله تعالى وقد تقدم القول غير مرة في المجاز ونزيد هنا أن المجاز خلاف الحقيقة والحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة من أحق الأمر يحقه إذا أثبته أو من حققته إذا كنت على يقين وانما سمي خلاف المجاز بذلك لأنه شيء مثبت معلوم بالدلالة والمجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه فإذا عـدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً .

شرطا المجاز :

المجاز لا يكون إلا بشرطين :

آ ــ أن يكون اللفظ منقولاً عن معنى وضع اللفظ بإزائه أولاً

وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك وعن الكذب الذي ادعي فيه أنه مجاز .

ب ـ والشرط الثاني أن يكون النقل لمناسبة بين الأصل والفرع وعلاقته ، ولأجل ذلك لا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز مثال ذلك تسميتك رجلاً بالحجر ويقال ان ذلك مجاز وان كنت نقلت اسم الحجر الى الانسان إلا أنه نقل لغير مناسبة إذ لامناسبة بين حقيقة الحجر وحقيقة الانسان ومتى تحقق هذان الشرطان في لفظ كان ذلك اللفظ مجازاً .

قسما المجاز :

والمجاز مجازان : مجاز استعارة ، ومجاز حذف . والأول قائم على التشبيه لأنها جعل الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه كقولك لقيت أسداً ، وأنت تعني أنك لقيت شجاعاً ولكن ليس فيها نقل كما تقدم وسيأتي مزيد بسط لهذا البحث،فقوله تعالى « وأنبتت من كل زوج بهيج » نقل الانبات الى الارض وجعل خضرتها ونضرتها وتعاشيبها وتعاجيب ألوانها لها والحقيقة أن كل ذلك لله .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ
مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ
وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ

فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ
خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

اللغـــة :

(ثاني عطفه) : الثني : اللي وفي القاموس ثنى يثني الشيء عطفه وطواه ورد بعضه على بعض وكفه والعطف : الجانب يعطفه الانسان ويلويه ويسيله عند الاعراض عن الشيء وهو تعبير يراد به التكبر .

(حرف) : طرف وسيأتي تفصيل معناه في باب البلاغة .

الاعراب :

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم : تقدم القول فيها مفصلاً فجدد به عهداً ، ولا هدى عطف على علم ولا كتاب منير عطف أيضاً وسيأتي القول في تكرير هذه الآية في باب البلاغــة . (ثاني عطفــه ليضل عن سبيل الله) ثاني حال من فاعل يجادل وانما نصبه على الحال والحال من شرطها أن تكون نكرة لأن إضافتــه بنية الانفصـــال والتنوين مراد كالمنطوق به وعطفه مضاف وثني العطف سيأتي بحثه في باب البلاغة ،

وليضل اللام للتعليل أو للعاقبة والصيرورة ولعلها أولى لملاءمة السياق ويضل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والفاعل مستتر تقديره هو وعن سبيل الله متعلقان بيضل أي عن دينه . (له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) له خبر مقدم وفي الدنيا حال لأنه كان صفة لخزي وتقدم على القاعدة المشهورة وخزي مبتدأ مؤخر ونذيقه الواو عاطفة ونذيقه فعل وفاعل مستتر ومفعول به ويوم القيامة ظرف متعلق وعذاب الحريق مفعول به ثان وجملة له في الدنيا حالية . (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) ذلك مبتدأ وبما خبر وجملة قدمت صلة ويداك فاعل وان عطف على قدمت فهي في محل جر وان واسمها وجملة ليس خبرها واسم ليس مستتر تقديره هو والباء حرف جر زائد وظلام اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ليس وللعبيد جار ومجرور متعلقان بظلام وجملة ذلك بما قدمت يداك مقول قول محذوف وجملة القول حالية . (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الواو عاطفة أو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال المرتابين في ايمانهم الشاكين في دينهم ومن الناس خبر مقدم ومن نكرة موصوفة وهي مبتدأ مؤخر أي موصوفة بالعبادة القلقة غير المستقرة ولا الثابتة ، فهي عرضة للاهواء يعصف بها أقل ما يحدث لهم من بلاء أو ضر وجملة يعبد الله صفة لمن وعلى حرف حال من فاعل يعبد أي مضطرباً مترجرجاً وسيأتي مزيد بيان لهذا التعبير في باب البلاغة . (فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) فإن الفاء عاطفة وإن شرطية وأصابه فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به وخير فاعل واطمأن فعل ماض في محل جزم جواب الشرط وبه متعلقان باطمأن وإن الواو عاطفة على إن الأولى وأصابته فتنة عطف على ما تقدم وانقلب جواب الشرط وعلى وجهه حال أيضاً وجملة خسر

الدنيا والآخرة حال أيضاً من فاعل انقلب ولك أن تجعلها جملة مستأنفة أو تبدلها من جملة انقلب على وجهه،والدنيا مفعول خسر والآخرة عطف على الدنيا . (ذلك هو الخسران المبين) ذلك مبتـدأ وهو مبتدأ ثان والخسران خبر هو والجملة خبر ذلك والمبين نعت للخسران والجملة مستأنفة ولك أن تجعل هو ضمير فصل . (يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد) يجوز أن تكون هذه الجملة حالاً من فاعل يعبد ويجوز أن تكون مستأنفة ويدعو فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ومن دون الله حال وما اسم موصول مفعول به ولا نافية وجملة لا يضره صلة وما لا ينفعه عطف على الجملة السابقة وذلك هو الضلال البعيـد تقدم اعراب نظيرتها . (يدعو لمن ضـره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) الجملة بدل من جملة يدعو السابقة فهي بمثابة التكرير لها ولا محل لها ، ويدعو فعـل مضارع واللام للابتداء أو هي موطئة للقسم ومن اسم موصول مبتدأ وضره مبتدأ ثان وأقرب من نفعه خبر ضره وجملة ضره أقرب من نفعه صلة من ، وجملة لبئس المولى خبر من ويرد على هذا الاعراب دخول لام الابتداء على الخبر وهو ضعيف من حيث القواعد النحوية إلا أن يقال أن اللام كررت للمبالغة ولك أن تجعل يدعو من أفعال القلوب متضمنة معنى يزعم لأن يزعم قول مع اعتقاد فتكون جملة لمن ضره أقرب من نفعه في محل نصب على المفعول به لأن لام الابتداء معلقة لها عن العمل أو يكون يدعو بمعنى يقول ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان وأقرب خبره والجملة صلة من وخبر من محذوف تقديره إله أو إلهي وموضع الجملة نصب بالقول . وجملة لبئس مستأنفة لأنها لا يصح دخولها في الحكاية لأن الكفار لا يقولون عن أصنامهم لبئس المولى ولبئس العشير ، وهناك وجه آخر مقبول وهو أن تكون اللام زائدة في المفعول به ليدعو ويؤيد

هذا الوجه قراءة عبد الله يدعو من ضره بغير لام الابتداء فمن مفعول يدعو وضره مبتدأ وأقرب خبر والجملة صلة من وقد اختار الجلال السيوطي هذا الوجه ودعمه شارحوه أما الزمخشري فهذا نص عبارته :

«استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعد في التيه ضالاً فطالت وبعدت مسافة ضلالته فإن قلت : الضرر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض ؟ قلت : إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستشفع به حين يستشفع به ثم قال : يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها له « لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير » أو كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ثم قال: «لمن ضره» بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام » فكأن الزمخشري رحمه الله أجمل الأعاريب التي أوردناها على أن هناك أوجهاً عديدة سلكها المفسرون تربو على سبعة أوجه ولكنها كلها بعيدة عن المنطق نورد لك منها على سبيل المثال رأي الفراء قال : « إن التقدير يدعو من لضره ثم قدم اللام على موضعها » ولا يخفى مافيه من التعسف وتقديم ما في صلة الذي عليها.

وثمة رأي لا يقل عن هذا غرابة وشذوذاً وهو أن يكون ذلك بمعنى الذي في موضع نصب بيدعو أي يدعو الذي هو الضلال ولكنه قدم المفعول وهذا يتمشى على قول من جعل ذا مع غير الاستفهام بمعنى الذي مع انه منحصر في قولك ماذا ومن ذا ؟

وثمة رأي آخر أشد استحالة وهو أن يكون التقــدير ذلك هو الضلال البعيد يدعوه • فذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان أو بدل أو ضمير فصل والضلال خبر المبتدأ ويدعوه حال والتقدير مدعواً وهو وجــه يدعو على نفسه بالوهن كما ترى ، وإنما أوردنا هذه الآراء لنخلص الى القول إن هذه الآية من المشكلات التي شغلت علماء النحو والتفسير ولم يأتوا فيها بما ينقع الغليــل وكلام الله المعجز أسمى من أن تطالــه القواعد التي وضعها الانسان •

وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمولى فاعل والمخصوص بالذم محذوف تقديره هو ، ولبئس العشير معطوف على قوله لبئس المولى •

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

اللغـــة :

(المجوس) : أطلق المجوس Mages على فئة من الكهّان كان لهم الدور الخطير في الديانـة الايرانية القـديمة ولا سيما في العهـد الساساني وقد أطلق الاسم على فئات من المنجمين والعلماء ، وجاء ذكر المجوس في انجيل متى ، كانوا من رجـال علم الفلك وقـد استناروا بوحي خاص عن مجيء المسيح أتوا من منطقة لم تبعد عن فلسطين شرقاً على ما يظـن يهديهـم نجـم في السـماء الى أن وصلـوا الى بيـت لحم وقدموا للمسيح الطفل هداياهم وقد ذكر التقليـد الشعبي أنهم كانوا ثلاثة ومن سلالـة ملوكية ، وأطلق العرب المجوس عـلى قرصان النورمان والسكنديناقيين الذين حاولوا في القرون الوسطى اقتحـام السواحل والحدود في بلاد الغرب الاسلامي ، هذا وقد اختلف أهل العلم في المجوس فقيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس وقيل هم القائلون بأن للعالم أصلين النور والظلمة ، وقيل : هم قوم يستعملون النجاسات والأصل نجوس فأبدلت الميم نوناً ، هذا وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية إلا المجوس .

الاعراب :

(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد) ان واسمها وجملة يدخل خبر والذين مفعول به وجملة عملوا الصالحات عطف على آمنوا والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير مصير المؤمنين الذين يعملون الصالحات وجنات مفعول به ثان على السعة أو نصب بنزع الخافض وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات وجملة إن الله يفعل ما يريد مستأنفة لتعليل ما تقدم وان

واسمها وجملة يفعل خبر وفاعل يفعل مستتر تقديره هو وما مفعول به وجملة يريد صلة . (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) من شرطية مبتدأ أو موصولة فتكون الفاء فيما بعد رابطة للتشبيه بالشرط والأول أرجح ، وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على من وجملة يظن خبر وفاعل يظن مستتر يعود على من وأن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف ضمير الشأن وجملة لن ينصره الله خبرها وان وما بعدها سدت مسد مفعولي يظن وفي الدنيا متعلقان بينصره والآخرة عطف على الدنيا . (فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويمدد فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والفاعل مستتر تقديره هو وبسبب متعلقان بيمدد والى السماء صفة لسبب والمراد بالسماء سقف البيت ، ثم ليقطع عطف على فليمدد وهل حرف استفهام ويذهبن فعل مضارع مبني على الفتح وكيده مفعول به وما يغيظ فاعل يذهبن وجملة يغيظ صلة وجملة هل يذهبن في موضع نصب بينظر وسيأتي تفصيل واف لهذه الآية في باب البلاغة . (وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد) الواو عاطفة وكذلك نعت لمصدر محذوف وأنزلناه فعل وفاعل ومفعول به وآيات حال من الهاء وبينات صفة وأن الله عطف على هاء أنزلناه والمعنى وأنزلنا أن الله يهدي من يريد هدايته ولك أن تجعل الواو للحال وأن وما في حيزها في محل رفع لمبتدأ مضمر أي والأمر أن الله يهدي من يريد وأن واسمها وجملة يهدي خبرها ومن مفعول يهدي وجملة يريد صلة من . (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) ان واسمها وجملة آمنوا صلة وما بعده عطف على الذين والجملة ابتدائية . (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) إن الثانية واسمها وخبرها في محل رفع خبر ان الاولى وسيأتي السر في تصدير الجملتين

بإنّ أو تجعل الثانية تأكيداً للأولى ، ويكون قوله : (إن الله عـلى كل شيء شهيد) هو الخبر ، وإن واسمها وعـلى كل شيء متعلقان بشهيد وشهيد خبر إن وقيـل الخبر محذوف تقديره معترفون أو نحو ذلك وما ذكر تفسير له .

البلاغــة :

١ ـ الايجاز والتمثيل :

في قوله تعالى « من كان يظن أن لن ينصره الله » الى قوله « ما يغيظ » الايجاز والتمثيل فأما الايجاز فلأن معنـاه من كان يظن من حاسدي محمد ومبغضيه أن الله لن ينصره وانه يفعل شيئاً مغايراً للنصر ومن كان يغيظه أن محمداً يظفر بمطلوبه ويبلغ ما هدف اليه من المثل العليا التي رسمناها له فليستقص وسعه وليستفرغ جهده ، فلن يكون مثله إلا مثل من يأخذ حبلاً يمده الى سماء بيته فيخنق نفسه به ثم بعد ذلك كله ليعد النظر والتأمل مجدداً ليرى هل ذهب نصر الله الذي يغيظـه ويقض مضجعه ، وهل ذهب عنه ما كان يساوره من حرقة وارتماض ؟ وسمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع والبهر تتابع النفس ، وقال الجوهري في الصحاح : « وقوله تعالى : ثم ليقطع قالوا ليختنق لأن المختنق يمد السبب الى السقف ثم يقطع نفسه من الأرض حتى يختنق تقول منه : قطع الرجل أي اختنق ولبن قاطع أي حامض » قلت والعامة تستعمل هذا التعبير فيما يذهب خيره ويبلى وهو عربي فصيح . وسمي هذا الفعل كيـداً لأنه وضعه موضعـه إما لأنه لا يستطيع سواه ولا يملك غـيره وإما على سبيل

الاستهزاء وقد توسع المفسرون في هذه الآية وذهبوا بها مذاهب شتى فقالوا : « ويجوز أن يراد فليمد حبلاً الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي » وقال آخرون « النصر هو الرزق وأن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر ولا استسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقاً » وقيل غير ذلك وما ذكرناه أولى وأوفى بالمراد وهو ما يخالج كل حاسد وما يقال لكل من يعترض على ما ليس في طوقه ولا داخل في نطاق ارادته تقول له اشرب البحر ، أو اقتل نفسك فليس لك حيلة في تبديل ما هو واقع راهن وارادة الله أقوى .

٢ ـ تصدير الجملتين بان :

وفي تصدير الجملتين بإن زيادة في تأكيد الكلام وقد رمقه الشعراء في أشعارهم ، قال جرير :

إن الخليفة إن الله سربله . سربال ملك به تزجى الخواتيم

فقوله إن الله سربله خبر ان الاولى وكررها لتوكيد التوكيد وسربله كساه بالملك الشبيه بالسربال ويروى لباس ملك وقوله به أي بذلك اللباس أو الملك تزجى أي تساق الخواتيم جمع خاتم بالفتح والكسر والأصل خواتم فزيدت الباء والمراد بها عواقب الأمور الحميدة ومغابها وقال أبو حيان : « يحتمل أن خبر إن قوله به تزجى الخواتيم وجملة إن الله سربله اعتراضية » ويروى ترجى بالراء المهملة .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ
وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ
حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا
يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۩ * هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾
يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾
كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

اللغـــة :

(الدوابّ) : جمـع دابة بتشديد الباء لأنه مشتق من الدبيب فأما من قرأ بتخفيف الباء فقد حذفها كراهية التضعيف والدابة مؤنث الدابّ ما دبّ من الحيوان أي مشى كالحية أو على اليدين والرجلين كالطفل وغلبت الدابة عـلى ما يركب ويحمـل عليه وتقع على المذكر والمؤنث والتاء فيـه للوحدة وتصغير الدابة دويّبة والدباب الشديد الدبيب ، والضعيف الذي يدب في المشي قال :

زعمتني شيخاً ولست بشيخ إنما الشيخ من يدبّ دبيبا

والدبابة مؤنث الدباب وسميت بها آلة كانت في الماضي تتخذ في الحصار وكانوا يدخلون في جوفها ثم تدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في أجوافها ثم أطلقت في العصر الحديث على سيارة مصفحة تهجم على صفوف الاعداء وترمى منها القذائف .

(الحميم) : الماء البالغ نهاية الحرارة واستحمّ الرجل : اغتسل واستحمّ دخل الحمام وبض حميمه أي عرقه ويقال للمستحم طابت حِمّتك وحميمك وانما يطيب العرق على المعافى ويخبث على المبتلى ، فمعناه أصح الله جسمك وهو من باب الكناية وسخن الماء بالمِحَمّ وهو القمقم أو المرجل ومثل العالم كمثل الحَمّة وهي العين الحارّة وذابوا ذوب الحمّ وهو ما اصطهرْتَ إهالته من الألية وحمى الرجل حمًّى شديدة وهو محموم ، وهو حميمي وهي حميمتي أي وديدي ووديدتي وهم أحمّائي وتقول المرأة : هم أحْمائي وليسوا بأحِمّائي ، وعرف ذلك العامة والحامّة أي الخاصة وهو مولاي الأحم أي الأخص والأحب قال :

وكفيت مولاي الأحم جريرتي وحبست سائمتي على ذي الخلّة

وحُمّ الأمر قضي وحُمّ حمامه ونزل به القدر المحموم والقضاء المحتوم .

(يصهر) : يذاب يقال صهرت الشحم من باب قطع إذا أذبته والصهارة الألية المذابة وصهرته الشمس أذابته وفي الحديث « إن الحميم ليصب من فوق رؤوسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى

يخلص الى جوفه فيسلب مافي جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان » .

(مقامع) : جمع مقمعة بكسر الميم لأنها آلة القمع يقال قمعه يقمعه من باب قطع إذا ضربه بشيء يزجره به ويذله والمقمعة المطرقة وقيل : السوط وفي الأساس : « قمع خصمه قهره وأذله فانقمع وتقمع والناس على باب القاضي متقمّعون وانقمع في بيته وتقمع : جلس وحده وقمعته بالمقمع والمقمعة وبالمقامع وهي الجِرزة ، وتقمّعت الدواب ذبّبت عن رءوسها القَمَع وهي ذِبّان كبار زُرق من ذبان الكلأ التي تغنى الواحدة قمعة ، وأنشد الجاحظ :

كأنّ مَشَافِرَ النَّجَدَاتِ منها
إذا ما مسّها قَمَعُ الذباب
بأيدي مأتم متساعدات
نِعال السبت أو عَذَب الثياب

من النجد : العرق ، وقال أوس :

ألم تر أن الله أرسل مُزْنَةً
وعُفْر الظّباء في الكِناس تَقَمّعُ

وهم يكللون الجفان بالقَمَع جمع قمعة وهي أعلى السنام ، ومن المجاز « ويل لأقماع القول » وهم الذين يسمعون ولا يعون وفلان قَمعُ الأخبار يتتبّعها ويتحدّث بها وتقول : ما لكم أسماع ، إنما هي

أقماع » وفي القاموس وشرحه « والقمع أيضاً بتثليث القاف آلة توضع فوق الاناء فتصبّ فيه السوائل وجمعه أقماع » .

وللقاف مع الميم خاصة عجيبة وهي أنهما إذا اجتمعتا فاء وعيناً للكلمة دلت على القهر والاذلال والغلبة تقول : قمؤ الرجل قماءة وقمأ قمأً إذا ذل وصغر في الأعين وهو صاغر قميء وأقمأ الرجل أذله ، وقمحت السويق وغيره بكسر الميم واقتحمته إذا أخذته في راحتك الى فيك ومنه القمح وهو الحب الذي يطحن ويتخذ منه الخبز وشهر أقماح أشد أشهر الشتاء برداً ، قال الهذلي :

فتىً ما ابن الأغر إذا شتونا وحبّ الزاد في شهري قماح

ومن المجاز : أقمح المغلول فهو مقمح إذا لم يتركه عمود الغل الذي ينخس ذقنه أن يطأطىء رأسه « فهم مقمحون » وقمر الرجل غلبه وسلبه ماله وقمر الرجل بكسر الميم تحير بصره من الثلج وكأن القمر سمي بذلك لأنه متحير في سمائه ، وقمز الشيء جمعه وأخذه بأطراف أصابعه ، وقمسه في الماء غمسه وغرق في قاموس البحر : في قعره الأقصى وشبه القاموس بأعماق البحار لاشتماله على الكثير من مفردات اللغة وهو اسم لكتاب الفيروزبادي في اللغة ويطلق في زماننا على كل كتاب في اللغة فهو يرادف كلمة معجم وليس ذلك بعيداً ، وقمص يقمص بكسر الميم وضمها في المضارع قماصاً بالكسر كالنفار والشراد وتقامص الصبيان وبينهم مقامصة وقمص الفرس رفع يديه معاً وطرحهما معاً وعجن برجليه وتقمص مطاوع قمص لبس القميص ويقال على الاستعارة تقمص الولاية والإمارة وتقمصت الروح انتقلت من جسد الى جسد آخر على زعم بعضهم ومنه القميص وهو ما يلبس ، وقمط الأسير جمع

بين يديه ورجليه بالحبل وهو القِماط وقمط الصبي بقماطة وهي الخرقة التي تلف عليه في المهـــد والعامة تستعمله كثـيراً وهو عربي فصيح والقمّاط اللص وقمط الطائر اناثه والرجل امرأته فعـل بها ، وقمقم ما على المائدة تتبع ما عليها وجمعه ، وقمـل رأسه صار ذا قمل يُقْمَلُه ، وقمّ الشيء يقمه بضم القاف استأصله وقممه جففه ، والقمن بفتحتين الجدير بالأمر كأنه يغلبه ويتحكم به ويكون بلفظ واحـد مع المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ويقال : هذا المنزل لك موطن قمن أي جدير بأن تسكنه ، وقمه البعير يقمه قموهاً رفع رأسه فلم يشرب الماء كأن شيئاً غلبه وهذا من الغريب بمكان .

الاعراب :

(ألـم تر أن الله يسجد لـه من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجـوم والجبال والشجر والـدواب) : الهمزة للاستفهـام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعـل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر تقديره أنت والرؤية هنا علمية وذلك لأن رؤية سجود هذه الأمور إنما تتأتى عن طريق العقل لا عن طريق البصر وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي تر وأن واسمها وجملة يسجد لخبرها وله متعلقان بيسجد ومن فاعل وفي السموات ومن في الأرض متعلقان بمحذوف صلة الموصول والشمس وما بعدها عطف خاص على قوله من في السموات ومن في الأرض ونص على هذه الأمور لما ورد من أن بعضهـم كان يعبدها ، والسجود يشمل الملائكة والآدميـين والجبال والشجر والدواب وغـيرها وأفرد الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب بالذكر لشهرتها واستبعاد السجود منها .

(وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين كثيراً فمن منع استعمال المشترك في معنييه الحقيقي والمجازي لم ينظم كثيراً في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وجعله مرفوعاً بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة وذلك أن السجود المسند لغير العقلاء غير السجود المسند للعقلاء فلا يسوغ عطفه عندهم على ما قبله لاختلاف الفعل المسند اليهما في المعنى فسجود العقلاء هو الكيفية المخصوصة المعرفة وسجود غير العقلاء هو الاذعان والطاعة وأما الذين أجازوا استعمال المشترك في معنييه الحقيقي والمجازي فهم ينسقونه على ما تقدم ولهم في تبرير ذلك تأويلات ثلاثة وهي :

آ ـ ان المراد بالسجود هو المعنى العام المشترك بين العقلاء وغيرهم وهو الخضوع والاذعان فيكون الاشتراك معنوياً .

ب ـ انه لا يمنع الاشتراك اللفظي وقد يشترك المجاز والحقيقة .

جـ ـ انه يجوز الجمع بين المجاز والحقيقة وسيأتي مزيد بسط لهذا الموضوع في باب البلاغة .

ووقف فريق من المعربين موقفاً ثالثاً فلم يرفعوه بفعل مضمر لأن حذف فعل الفاعل غير وارد عندهم ولم ينسقوه على ما تقدم بل أعربوه مبتدأ وخبره محذوف تقديره مطيعون أو مجزيون أو مثابون أو نحو ذلك،ومن الناس صفة كثير وكثير حق عليه العذاب عطف على سابقه .

(ومن يُهن اللهُ فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) الواو استئنافية أو عاطفة ومن شرطية في محل نصب مفعول به مقدم ليهن والله فاعل وما نافية وله خبر مقدم ومن حرف جر زائد ومكرم مجرور بمن لفظاً

مبتدأ مرفوع محلاً وإن واسمها وجملة يفعل خبرها والجملة تعليلية • (هذان خصمان اختصموا في ربهم) الجملة مستأنفة مسوقة لسرد قصة المتبارزين يوم بدر وهم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وقيل هم المختصمون من أهل الكتاب والمسلمين في دين الله وهذان مبتدأ وخصمان خبره وجملة اختصموا صفة لخصمان ولك أن تجعل الجملة خبراً وخصمان بدل من هذان وفي ربهم متعلقان باختصموا وهو على حذف مضاف أي في دينه وقال خصمان ثم جمع الفعل لأن الخصم في الأصل مصدر ولذلك يوحّد ويذكر غالباً ويجوز أن يثنى ويجمع أو الجمع مراعاة للمعنى لأن المتخاصمين كانوا فرقاً شتى وطوائف كثيرة • (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم) الفاء عاطفة والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة وجملة قطعت خبر ولهم متعلقان بقطعت وثياب نائب فاعل ومن نار صفة لثياب وسيأتي تفصيل معنى الثياب هنا في باب البلاغة وجملة يصب خبر ثان لاسم الموصول أو حالية من الضمير في لهم أو تجعلها مستأنفة ويصب فعل مضارع مبني للمجهول ومن فوق رءوسهم متعلقان بيصب والحميم نائب فاعل • (يصهر به مافي بطونهم والجلود) جملة يصهر حالية من الحميم وهو بالبناء للمجهول وبه متعلقان به وما نائب فاعل وفي بطونهم متعلقان بمحذوف صلة ما والجلود عطف على ما واختار بعضهم أن يكون الجلود مرفوعاً بفعل مضمر أي وتحرق الجلود قالوا لأن الجلود لا تذاب وانما تنقبض إذا صليت بالنار فهو من باب : علفتها تبناً وماء بارداً أي وسقيتها ماء لأن الماء لا يكون علفاً • (ولهم مقامع من حديد) الواو عاطفة ولهم خبر مقدم ومقامع مبتدأ مؤخر ومن حديد صفة لمقامع واختلف في عودة الضمير في لهم فقيل يعود على الذين كفروا واللام للاستحقاق ، وقيل

يعود على أعوان جهنم أي الزبانية ولـم يتقـدم لهم ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليه . (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) كلما ظرف متضمن معنى الشرط وقد تقدم كثيراً وأرادوا فعل وفاعل وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول بـه لأرادوا ومنها متعلقان بيخرجوا ومن غم بدل من الجار والمجرور قبله بدل اشتمال لأنها تشمل عليه ويجوز أن تكون من للتعليـل فتتعلق بيخرجوا أيضاً أي يخرجوا من النار من أجل الغم الذي لحق بهم وجملة أعيدوا لا محل لها لأنها جواب كلما وفيهـا متعلقان بأعيدوا والواو حرف عطف والمعطوف محذوف تقديره وقيل لهم وجملة ذوقوا عذاب الحريق مقول القول المحذوف .

البلاغـة :

١ ـ الحقيقة والمجاز :

الحقيقة هي اللفظ الدال عـلى موضعه الأصلي وأما المجـاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع في أصل اللغة كما تقدم وقد وعدناك أن نقول قولاً شافياً في جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز فالواقع أن كل مجاز له حقيقة لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة له ، وبديه أن المخلوقات كلها تفتقر الى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم الذي لا بد منه فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقـة له فاذا نقل الى غـيره صار مجازاً والفرق الدقيق بينهما هو أن الحقيقة جارية على العموم في نظائر ألا ترى أنا إذا قلنا فلان « عالم » صدق على كل ذي علم بخلاف «واسأل القرية» لأنه لا يصـح إلا في بعض الجمادات دون بعض إذ المراد أهـل القرية

لأنهم ممن يصح السؤال لهم ولا يجوز أن يقال واسأل الحجر والتراب وقد يحسن أن يقال واسأل الربع والطلل قال الأعشى :

ألم تسأل الربـع القواء فينطق وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

٢ ـ الاستعارة التمثيلية في قطعت لهم ثياب :

في قوله تعالى : « قطعت لهم ثياب من نار » استعارة تمثيلية جعل تقطيع الثياب وتفصيلها على قدود الكفار بمثابة الاحاطة بهم مع التهكم الـذي ينطوي عليه أي أنها تشتملهـم وتحتويهم كما تشتمل الثياب لابسها وتحتويه أما الروعة فهي كامنة في قوله « يصب فوق رءوسهم الحميم » وهو ما يسمى بالارداف فإن الثياب تشمل جميع الجسد غير الرأس ، أفرد الرؤوس بالذكر بقوله : يصب .

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

الاعراب :

(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) تقدم إعراب نظيرها فجدد به عهداً . (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها من حرير) يحلون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وفيها متعلقان بيحلون ومن أساور اضطربت أقوال المعربين فيها كما استشهد بها جميع النحويين على مجيء من لبيان الجنس وهي قوله من ذهب وعلامتها أن يصح الإخبار بما بعدها عما قبلها فتقول الأساور هي من ذهب ، ومن البيانية ومجرورها في موضع نصب على الحال مما قبلها إن كان معرفة كقوله تعالى « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » وفي موضع النعت كقوله من ذهب ، ولم أر بينهم جميعاً من تعرض لإعراب من أساور إلا بقول مبهم لا يبل أواماً ولا يشفي غليلاً ولعل أقرب ما أراه فيها أن تكون نعتاً لمفعول محذوف أي حلياً ناشئاً من أساور كائنة من ذهب ، واكتفى ابن هشام بقوله هي للابتداء وقال أبو البقاء مثل قولنا ولم يتعرض الزمخشري لها وقال شهاب الدين الحلي « وقوله من أساور من ذهب ، في من الأولى ثلاثة أوجه أحدها أنها زائدة والثاني أنها للتبعيض أي بعض أساور والثالث أنها لبيان الجنس ومن في من ذهب لابتداء الغاية وهي نعت لأساور » وقوله متهافت متدافع كما ترى .

ولؤلؤاً عطف على محل من أساور لأن محلها النصب ، كذا قال المعربون ولكن الزمخشري لم يرتض هذا القول فجعلها منصوبة بفعل محذوف تقديره ويؤتون لؤلؤاً ، وجملة يحلون حالية أو خبر ثان لإن ولباسهم الواو عاطفة ولباسهم مبتدأ وفيها حال وحرير خبر . وفي هذا العدول عن الفعلية الى الاسمية دلالة على الديمومة حيث لم يقل ويلبسون حريراً فقد دل على أن الحرير ثيابهم المعتادة والدائمة في

الجنة كما أن فيه رعاية للمحافظة على الفواصل لأنه لو قال ويلبسون حريراً لكان في آخر الفاصلة الألف في الكتابة والوقف بخلاف البقية (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) الواو عاطفة وهدوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل والى الطيب متعلقان بهدوا ومن القول متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستكن في الطيب وهدوا الى صراط الحميد عطف على الجملة السابقة أي الى طريق الله المحمود ودينه القويم • (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادِ) إن واسمها وجملة كفروا صلة والجملة مستأنفة ويصدون الواو حرف عطف ويصدون عطف على كفروا وفي عطفه على الماضي تأويلات أولها أن لا يقصد بالمضارع الدلالة على زمن معين من حال أو استقبال وإنما يراد به مجرد الاستمرار ومثله « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » أو انه مؤول بالماضي لعطفه على الماضي أو انه على بابه وان الماضي قبله مؤول بالمستقبل وقد أجاز أبو البقاء وغيره أن تكون الواو حالية والجملة في محل نصب على الحال من فاعل كفروا وهو قول متهافت لأنه مضارع مثبت وما كان كذلك لا تدخل عليه الواو وما ورد منه على قلته مؤول فلا يسوغ حمل القرآن عليه وعن سبيل الله متعلقان بيصدون والمسجد الحرام عطف على سبيل الله والذي صفة ثانية للمسجد وجملة جعلناه صلة ونا فاعل والهاء مفعول به أول وللناس حال لأنه كان صفة وتقدم ، وسواء مفعول به ثان ان كانت جعل متعدية لاثنين وان كانت متعدية لواحد أعربت سواء حالاً من هاء جعلناه والعاكف فاعل سواء لأنه مصدر وصف فهو في قوة اسم الفاعل المشتق أي بمعنى مستو أي جعلناه مستوياً فيه العاكف أي المقيم ، والباد بحذف الياء تبعاً لرسم المصحف معطوف على العاكف ومعناه الطارىء ، وقد انفرد حفص بقراءة النصب في سواء والجمهور على رفعها على انه

خبر مقدم والعاكف والباد مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب مفعول به ثان أو حال وخبر إن محذوف تقديره خسروا أو هلكوا أو نحو ذلك وقدره الزمخشري نذيقهم من عذاب أليم واعترض عليه بأنه يكون بعد المسجد الحرام وفيه فصل بين الصفة والموصوف . (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويرد فعل الشرط وفيه متعلقان بيرد ومفعول يرد محذوف ليتناول كل ما يمكن تناوله وبإلحاد حال وبظلم حال أيضاً فهما حالان مترادفتان كأنه قال ومن يرد فيه مراداً عادلاً عن القصد ظالماً وهذا أولى من تقدير زيادة الباء في إلحاد وجعله هو المفعول ، قال أبو عبيدة : « مفعول يرد هو بإلحاد والباء زائدة في المفعول قال الأعشى : ضمنت برزق عيالنا أرماحنا أي رزق» وقال أبو حيان : « والأحسن أن يضمن معنى يرد يلتبس فيتعدى بالباء» ونذقه جواب الشرط والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ومن عذاب متعلقان بنذقه وأليم صفة وقدر أبو حيان الخبر مستنتجاً من قوله نذقه ، وهو إعراب تفسيري لا صناعي فالأولى أن يقدر تقديراً أي نذيقهم عذاباً أليماً .

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ
لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ
رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ
وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ
فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

اللغـــة :

(رجالاً) : مشاة جمع راجل كقائم وقيام يقال رجل يرجل بفتح الجيم رجلاً بفتحتين : سار على رجليه لا راكبا ، ويقال هذا رجل أي كامل في الرجال بين الرَّجولية والرُّجولية وهذا أرجل الرجلين وهو راجِل ورجِل بين الرُّجْلة وحملك الله عن الرُّجلة ومن الرُّجلة وقوم رُجّال ورِجال ورجّالة ورجْل ورَجْلى ورُجالى وأراجيل وترجلوا في القتال نزلوا عن دوابهم للمنازلة ورآه فترجل له ورجل أرْجَل عظيم الرجل ورجل رجيل وذو رُجلة مشّاء .

(ضامر) : في المختار ضمر الفرس من باب دخل وضمر أيضاً بالضم ضُمراً بوزن قفل فهو ضامر ، وناقة ضامر وضامرة وتضمير الفرس أيضاً أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك في أربعين يوماً ، والبعير يطلق على الجمل والناقة .

(فج) : الفج بفتح الفاء ويجمع على فجاج بكسر الفاء والفجاج بضم الفاء : الطريق الواسع الواضح بين الجبلين .

(تفثهم) : أوساخهم وقضاء التفث المراد به قص الأظافر ونتف الإبط وفي المصبـاح : تفث تفثاً فهو تفث مثل تعب تعباً فهو تعب إذا ترك الأدهان والاستحداد فعلاه الوسخ وقولـه تعالى : « ثم ليقضوا تفثهم » قيل هو استباحة ما حرم عليهم بالاحرام بعد التحلل » وقال غـيره : « التفث قيل أصله من التف وهو وسخ الأظفـار قلبت الفاء كمغثور في مغفور وقيل هو الوسخ والقذر يقال : ما تفثك ؟ وحكى قطرب : تفث الرجل إذا كثر وسخه في سفره ومعنى ليقضوا ليصنعوا ما يصنعه المحرم من ازالة شعر وشعث ونحوهما عند حله » .

الاعراب :

(وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشركْ بي شيئاً) الواو استئنافية والظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وجملة بوأنا مضافة اليها الظرف وبوأنا فعل وفاعل ولابراهيم متعلقان ببوأنا ومكان البيت مفعول بوأنا واختار أبو البقاء وغيره أن تكون اللام زائدة أي أنزلناه مكان البيت والدليل عليه قوله تعالى « ولقد بوأنا بني اسرائيل » اما على الاول فيكون معنى بوأنا هيأنا وان هي المفسرة لأنها واقعة بعد قول مقدر أي قائلين له لا تشرك ولا ناهية وتشرك فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وقيل هي مصدرية فعلنا ذلك لئلا تشرك وجعل النهي صلة لها وبي متعلقان بتشرك وشيئاً مفعول تشرك ، وعبارة أبي حيان : وأن مخففة من الثقيلة قاله ابن عطية والأصل أن يليها فعل تحقيق أو ترجيح كحالها إذا كانت مشددة أو حرف تفسير قاله الزمخشري وابن عطية وشرطها أن يتقدمها جملة في معنى القول وبوأنا ليس فيه معنى القول والأولى عندي أن تكون أن الناصبة للمضارع إذ يليها الفعل المتصرف من ماض ومضارع وأمر والنهي كالأمر . (وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) وطهر الواو عاطفة وطهر فعل أمر فاعله مستتر تقديره أنت وبيتي مفعول طهر وللطائفين متعلق بطهر والقائمين والركع عطف على ما تقدم والسجود صفة للركع والأولى أن تجعل الكلمتين بمثابة الكلمة الواحدة لأنهما عملان في عمل واحد وهو الصلاة . (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وأذن فعل أمر أي ناد بدعوة الحج والأمر به والخطاب لابراهيم كما يقتضيه السياق وعليه المفسرون جميعاً وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع

وهو أقوى من جهة التشريع ، وفي الناس متعلقان بأذن وبالحج متعلقان بمحذوف حال أي معلناً ويأتوك مضارع مجزوم لأنه وقع جواباً للطلب والواو فاعل والكاف مفعول به ورجالاً حال وعلى كل ضامر عطف على رجالاً أي مشاة وركباناً ويأتين فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والنون فاعل وجملة يأتين صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع وقرىء يأتون صفة للرجال والركبان ومن كل فج متعلقان بيأتين وعميق صفة لفج • (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) اللام للتعليل ويشهدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها وهي متعلقة مع مجرورها بيأتوك أو بأذّن ومنافع مفعول به ولهم صفة لمنافع ويذكروا عطف على يشهدوا والواو فاعل واسم الله مفعول به وفي أيام متعلقان بيذكروا ومعلومات صفة لأيام وسيأتي ذكر هذه الأيام في باب الفوائد • (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) على ما رزقهم متعلقان بيذكروا أيضاً ومعنى على هنا التعليل ومثله قوله تعالى « ولتكبروا الله على ما هداكم » وقول الشاعر :

علام تقول الرمح يثقل عاتقي ... إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت

ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم ، فكلوا الفاء الفصيحة وكلوا فعل أمر وفاعل ومنها متعلقان بكلوا وأطعموا عطف على كلوا والبائس مفعول به والفقير صفة • (ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) ثم حرف عطف واللام لام الأمر وسيأتي بحث مفيد عنها في باب الفوائد ويقضوا مضارع مجزوم بلام الأمر وتفثهم مفعول به وليوفوا نذورهم عطف على يقضوا تفثهم وليطوفوا بالبيت العتيق عطف أيضاً وبالبيت متعلقان بيطوفوا والعتيق صفة للبيت وسيأتي السر في تسميته بالعتيق في باب الفوائد •

الفوائــد :

١ ـ لام الأمر :

لام الأمر ويسميها النحاة اللام الطلبية سواء أكانت أمر أم دعاء فالأول نحو « لينفق ذو سعة من سعته » والثاني نحو « ليقض علينا ربك » وتكون للالتماس ، فالأمر من الأعلى والدعاء من الأدنى والالتماس من المساوي ، ولام الأمر مكسورة إلا إذا وقعت بعد الواو والفاء فالاكثر تسكينها نحو « فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي » وقد تسكن بعد ثم ، وتدخل لام الأمر على فعل الغائب معلوماً ومجهولاً وعلى المخاطب والمتكلم المجهولين •

٢ ـ لماذا سمي البيت العتيق :

اختلف المفسرون في هذه التسمية فرجح الزمخشري انه القديم لأنه أول بيت وضع للناس ، وقال ابن عباس : سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله ، وقال الزمخشري في تأييد هذا الوجه « فإن قلت : قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع ؟ قلت : ما قصد التسلّط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل » كما سيأتي ، وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير •

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ

وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ
فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ
فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

اللغـــة :

(حرمات الله) : الحرمات بضمتين ويقال في الجمع أيضاً حرمات بضم ففتح وحرم بضم ففتح جمع حرمة بضم فسكون وحرمة بضمتين وحرمة بضم ففتح وهي الذمة والمهابة وما وجب القيام به من حقوق الله وحرم التفريط به ومالا يحل انتهاكه وتفاصيل الحرمات تؤخذ من كتب الفقـــه .

(الرجس) : بتشديد الراء المكسورة وسكون الجيم والرَّجَس بتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم والرجس بتشديد الراء المفتوحة وكسر الجيم : القذر والأوساخ وسمى الأوثان رجساً على طريق التشبيه لأنها قذر معنوي .

(الزور) : الشرك بالله والباطل والكذب ومن معانيه أيضاً العقل والقوة يقال ماله زور ولا صيّور أي لا قوة له ولا مرجع اليه والرأي والسيد والزعيم ولذة الطعام وطيبه ولين الثوب ونقاؤه ومجلس الغناء وهو من الزور أو الازورار وهو الانحراف وفي الاساس « وكلمة زوراء دنية معوجة ومنارة زوراء : مائلة عن السمت ورمى بالزوراء : بالقوس

وفلاة زوراء وهو أزور عن مقام الذل وتقول : قوم عن مواقف الحق زور ، فعلهم رياء وقولهم زور ، ومالكم تعبدون الزور وهو كل ما عبد من دون الله وأنا أُزيركم ثنائي وأزرتكم قصائدي » هـذا وقد نظم بعضهم معاني هذه المادة بالأبيات التالية :

الصّدر والزائرُ فهو زَوْرُ وكـل زوار النسـاء زير
في جمـع أزور يقـال زُور أعني به ذا ميـل في الصدر
زيـارة أي مـرة فزوره وهيئـة الزيـارة ادع زيره
وقطعـة الكتان أما الزّوره فموضـع ذو شجـر وطـين

وسميت بغداد بالزوراء لانحراف قبلتها قال الطغرائي :

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

(فتخطفـه) : في القاموس : خطف يخطف من باب تعب خطفاً الشيء استلبه بسرعة وخطف البرق البصر ذهب به بسرعة .

(سحيق) : بعيد أي فهو لا يرجى خلاصه .

(شعائر الله) : جمـع شعيرة أو شعارة بالكسر وفي المصباح : « والشعائر أعـلام الحج وأفعاله الواحـدة شعيرة أو شعارة بالكسر والمشاعر مواضع المناسك » .

الاعراب :

(ذلك ومن يعظـم حرمات الله فهو خـير له عند ربه) ذلك قال الزمخشري : « خبر مبتدأ محذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم

الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال : هذا وقد كان كذا » ومعنى هذا انه يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهي كلام واحد ، وقيل مبتدأ محذوف الخبر أي ذلك الأمر الذي ذكرته وقيل فيموضع نصب تقديره امتثلوا ذلك وتظير هذه الاشارة البليغة قول زهير في وصف هرم بن سنان :

هذا وليس كمن يعيا بخطبته وسط النديّ إذا ما ناطق نطقا

وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة فكأنه قال : هذا خلقه وليس كمن يعيا بخطبته .

والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويعظم فعل الشرط وفاعله مستتر يعود على من وحرمات الله مفعول به والفاء رابطة وهو مبتدأ وخير خبر وله متعلقان بخير والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من وعند ربه الظرف متعلق بمحذوف حال . (وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم) الواو عاطفة وأحلت فعل ماض مبني للمجهول ولكم متعلقان بأحلت والأنعام نائب فاعل وإلا أداة استثناء وما يستثنى يجوز فيه الاتصال والانقطاع وقد تقدم اعراب هذه الآية وما استثناه الله في كتابه فالانقطاع على انه ذكر في آية المائدة ماليس من جنس الأنعام كالدم ولحم الخنزير والاتصال على صرفه الى ما يحرم من الأنعام بسبب عارض كالموت ونحوه وجملة يتلى صلة ونائب الفاعل ضمير مستتر وعليكم متعلقان بيتلى . (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) الفاء تفريع على قوله ومن يعظم حرمات الله ، واجتنبوا الرجس فعل أمر وفاعل ومفعول به ومن الأوثان بيان للرجس فهو في محل نصب على الحال واختار الزمخشري أن يكون

تمييزاً ومثل لذلك بقولك : عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس منهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، وليس قوله ببعيد واجتنبوا قول الزور عطف على ما تقدم . (حنفاء لله غير مشركين به) حنفاء لله حال مؤسسة من ضمير اجتنبوا وغير مشركين حال مؤكدة منه أيضاً وبه متعلقان بمشركين وسيأتي بحثهما في باب الفوائد . (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) هذه الجملة مستأنفة مسوقة لضرب المثل لمن يشرك بالله ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويشرك بالله فعل الشرط، فكأنما الفاء رابطة وكأنما كافة ومكفوفة وخر فعل ماض وفاعل مستتر ومن السماء متعلقان بخرّ ، فتخطفه عطف على خرّ وإنما عدل الى المضارع لسر سيأتي في باب البلاغة ، والطير فاعل أو تهوي به الريح عطف أيضاً وفي مكان متعلقان بتهوي أيضاً وسحيق نعت لمكان . (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) ذلك خبر لمبتدأ محذوف كما تقدم ومن يعظم شعائر الله تقدم اعرابها والفاء رابطة وان واسمها ومن تقوى القلوب خبرها . (لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) لكم خبر مقدم وفيها حال ومنافع مبتدأ مؤخر والى أجل صفة لمنافع ومسمى صفة لأجل ثم حرف عطف ومحلها مبتدأ وهو اسم مكان من حل يحل أي صار حلالاً والى البيت خبر والعتيق صفة .

البلاغة :

١ ــ التشبيه المركب والتمثيلي وقد تقدم انه ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد وبيان ذلك انه لما انقسمت حال الكافر الى قسمين لا مزيد عليهما الاول منهما المتذبذب الشاكّ المتمادي

على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشركين شبه بمن اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولي طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر وذلك حال المذبذب لا يلوح له خيال إلا اتبعه ونزل عما كان عليه والثاني مشرك مصمم على معتقد باطل لو نشر بالمناشير لم يتراجع عن تصميمه لا سبيل الى تشكيكه ولا مطمع في نقله عما هو عليه فهو فرح مبتهج لضلالته فهذا مشبه في اقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح الى واد سحيق سافل فاستقر فيه ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد ما يكون عن السماء .

وأجاز الزمخشري أن يكون هذا التشبيه من المركب والمفرق قال « فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقاً فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي توزّع أفكاره بالطير المتخطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصف به في بعض المهاوي المتلفة » .

وكلام الزمخشري فيه نظر لأن التشبيه التمثيلي مافي ذلك شك ولا مساغ لجعله مفرقاً .

٢ ــ العدول الى لفظ المضارع :

سياق الكلام يقتضي أن يعطف فتخطفه على مضارع مع أنه في الآية معطوف على خر وهو ماض ، وإنما عدل عن ذلك لتصوير الواقع والتقدير فهي تخطفه فيكون من عطف الجملة على

الجملة ولكنه آثر المخالفة لاستحضار الصورة الغريبة التي تصوره مزعاً في حواصل الطير .

الفوائد :

١ ـ الحال إما مؤسسة وإما مؤكدة فالمؤسسة هي التي لا يستفاد معناها بدونها نحو جاء خالد راكباً ، وأكثر ما تأتي الحال من هذا النوع ، والمؤكدة هي التي يستفاد معناها بدونها وانما يؤتى بها للتوكيد، وهذه أنواع ثلاثة :

آ ـ ما يؤتى بها لتوكيد عاملها وهي التي توافقه معنى فقط أو معنى ولفظاً فالأول نحو « تبسم ضاحكاً » ومنه قوله تعالى « ولا تعثوا في الأرض مفسدين » والثاني كقوله تعالى : « وأرسلناك للناس رسولا» وقول الشاعر :

أصـخ مصيخاً لمن أبـدى نصيحتـه
والـزم توقي خـلط الجـد باللعـب

ب ـ ما يؤتى بها لتوكيد صاحبها كقوله تعالى : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً » .

جـ ـ ما يؤتى بها لتوكيد مضمون جملة معقودة من اسمين معرفتين جامدين نحو : هو الحق بيناً أو صريحاً ، وقول الشاعر :

أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي وهـل بدارة يا للناس من عار

٢ ـ لماذا أنث الضمير في فإنها :

في قوله تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »

سؤال مهم وهو لماذا أنث الضمير ؟ وعلى أي شيء يعود ؟ والجواب لا يستقيم إلا بتقدير مضافات محذوفة ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأن الضمير يعود على الشعائر أي فإن تعظيمها من أفعال تقوى القلوب والعائد على من محذوف أي منه ويجوز أن الضمير ضمير مصدر مؤنث تقديره فإن العظمة أو الحرمة أو الخصلة .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ
الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ
إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي
الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ
اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ
التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

اللغـــة :

(منسكاً) : بفتح السين وكسرها فالفتح على أنها مصدر ميمي والكسر على أنها اسم مكان وفي المصباح نسك لله ينسك من باب قتل تطوع بقربة والنسك بضمتين اسم منــه وفي التنزيــل : « ان صلاتي ونسكي » والمنسك بفتح السين وكسرها يكون زماناً ومصدراً ويكون اسم المكان الذي تذبح فيــه النسيكة وهي الذبيحــة وزناً ومعنى ، ومناسك الحج عباداته وقيل مواضع العبادات ومن فعل كذا فعليه نسك أي دم يريقه ، ونسك تزهد وتعبد فهو ناسك والجمع نساك مثل عابد وعباد » وفي القاموس : « المنسك بفتح السين المكان المألوف والمنسك بالفتح أيضاً مصدر نسك والمنسك بالكسر شرعة النسك وموضع تذبح فيه النسيكة » .

(المخبتين) : المطيعين المتواضعين والإخبات نزول الخبت وهو المكان المنخفض وسيأتي في باب البلاغة بحث قيم حول هذا الوصف .

(البدن) : بضم الباء جمع بدنة سميت بذلك لعظم بدنها وهي خاصة بالابل كما قال الأزهري أو هي تشمــل الابل والبقر كمــا قال صاحب الصحاح قال القسطلاني : « البدن عند الشافعي خاصة بالإبل وعند أبي حنيفة من الإبل والبقر فكلام الشافعية موافق لكلام الأزهري وكلام الحنفية موافق لكلام الصحاح » .

(صواف) : قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرىء صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لأن البدنة تعقل احدى يديها .

(وجبت جنوبها) : وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس وجبة غربت قال أبو تمام :

فالشمس طالعـــة من ذا وقـــد غربت
والشمس واجبـــة من ذا ولـم تجب

(القانع) : السائل المتذلل والخارج من مكان الى مكان وخادم القوم وأجيرهم والجمع قانعون وقنّع أو بمعنى القَنِع أي الراضي بما قسم له يقال قنع يقنع من باب تعب تعباً قَنَعاً وقناعة وقُنْعاناً : رضي بما قسم له يقال قنع يقنع من باب تعب تعباً : قَنَعاً وقناعة وقُنعاناً: رضي بمـا قسم له وقنع يقنع من باب فتـح قنوعاً : سأل وتذلل وفي الأساس واللسان : « العز في القناعة والذل في القنوع وهو السؤال وفلان قنـع بالمعيشة وقنيع وقنوع وقانع ، أنشد الكسائي :

فإن ملكت كفاك قوطاً فكن به قنيعـاً فإن المتقي الله قانـــع

وقنع بالشيء واقتنع وتقنّع ، وأقنعك الله بما أعطـاك ، وفلان حريص ما يقنعه شيء وبيت شوقي المشهور :

شباب قنـع لا خـير فيهم وبورك بالشباب الطامحينـا

يدل على ضلاعته باللغة وتمكنه منها .

(المعتر) : المعترض بسؤال وعرّه وعرّاه بمعنى واحـد وقيل القانع السائل والمعتر المعترض من غير سؤال وقال قوم بالعكس وفي المصباح : « المعتر الضيف الزائر والمعتر : المتعرض للسؤال من غير طلب يقال عره واعتره وعراه واعتراه إذا تعرض للمعروف من غير مسألة »

وفي القاموس « والمعتر الفقير والمعترض للمعروف من غير أن يسأل عرّه ، عرّاً واعتره وبه » وفي الاساس واللسان : « وعن عائشة رضي الله عنها : مال اليتيم عُرّة لا أدخله في مالي ولا أخلطه به». ولا تفعل هذا لا تصبك منه معرّة وفي الحديث « كلما تعاررت ذكرت الله » وكان سلمان رضي الله عنه إذا تعارّ في الليل قال : سبحان رب النبيين وإله المرسلين ، وهو أن يهب من النوم مع كلام من عِرار الظليم وهو صياحه و « أطعموا القانع والمعتر » أي المعترض بسؤاله » .

الاعراب :

(ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير التشريع الخاص بكل أمة ونوع التعبد الذي يتقربون به الى الله ولكل أمة متعلقان بمحذوف مفعول جعلنا الثاني المقدم وجعلنا فعل وفاعل ومنسكاً مفعول جعلنا الأول وليذكروا اللام للتعليل ويذكروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بجعلنا واسم الله مفعول به وعلى ما رزقهم متعلقان بيذكروا وجملة رزقهم صلة ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم . (فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) الفاء الفصيحة وإلهكم مبتدأ وإله خبره وواحد صفة فله الفاء عاطفة وله متعلقان بأسلموا وأسلموا فعل أمر وفاعل وبشر الواو عاطفة وبشر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والمخبتين مفعول به . (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) الذين نعت للمخبتين أو بدل منه وإذا

ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه وجملة ذكر الله مضاف اليها وجملة وجلت قلوبهم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم واذا وفعلها وجوابها لا محل لها لأنها صلة والصابرين عطف على الذين وعلى ما متعلقان بالصابرين وجملة أصابهم صلة للموصول والمقيمي الصلاة عطف أيضاً وحذفت النون للاضافة ومما متعلقان بينفقون وجملة رزقناهم صلة وجملة ينفقون صلة أيضاً . (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) الواو عاطفة والبدن مفعول لفعل محذوف فهي منصوبة على الاشتغال أي وجعلنا البدن ، وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به ولكم متعلقان بجعلناها ومن شعائر الله مفعول به ثان لجعلناها التي هي بمعنى التصيير . (لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف) لكم خبر مقدم وفيها حال وخير مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها ويجوز جعلها حالاً من الهاء في جعلناها، فاذكروا الفاء الفصيحة واذكروا فعل أمر وفاعل واسم الله مفعول به وعليها متعلقان باذكروا وصواف حال من الهاء أي بعضها الى جنب بعض . (فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) الفاء عاطفة واذا ظرف مستقبل وجملة وجبت جنوبها مضافة الى الظرف والفاء رابطة لجواب إذا وجملة كلوا منها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وأطعموا القانع والمعتر عطف على جملة كلوا منها . (كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) كذلك الكاف نعت لمصدر محذوف أي سخرها تسخيراً مثل ذلك التسخير وسخرناها فعل وفاعل ومفعول به والجملة حال ولكم متعلقان بسخرناها ولعل واسمها وجملة تشكرون خبرها والجملة في محل نصب على الحال من الكاف في لكم . (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) لن حرف

نفي ونصب واستقبال وينال فعل مضارع منصوب بلن ولفظ الجلالة مفعول به مقدم ولحومها فاعل ينال ولا دماؤها عطف على لحومها والمعنى لن تبلغ مرضاته ولن تقع منه موقع القبول والمراد أصحاب اللحوم والدماء قال أبو حيان في البحر : « أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوباً حول الكعبة وتضميخ الكعبة بالدم تقرباً الى الله تعالى فنزلت هذه الآية » ولكن الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمل لأنه مخفف وينالهُ فعل مضارع ومفعول به والتقوى فاعل ومنكم حال من التقوى أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الايمان . (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) الكاف نعت لمصدر محذوف وقد تقدمت نظائره وسخرها فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ولكم متعلقان بسخرها ولتكبروا اللام للتعليل وتكبروا منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل واللام وما في حيزها متعلقة بسخرها وتكبروا فعل مضارع وفاعل ولفظ الجلالة مفعول به ، على ما هداكم : ما مصدرية أو موصولة أي على هدايته إياكم أو على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمينه معنى الشكر وبشر الواو استئنافية وبشر فعل أمر وفاعل مستتر والمؤمنين مفعول به . (إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد البشرى للمؤمنين بالنصر المحتوم وإن الله ان واسمها وجملة يدافع خبر وعن الذين متعلقان بيدافع وجملة آمنوا صلة ومفعول يدافع محذوف تقديره : عوادي المشركين وغوائلهم ، وجملة إن الذين تعليل للجملة السابقة وان واسمها وجملة لا يحب خبرها وكل خوان مفعول به وكفور صفة لخوان .

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ
وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ
وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

اللغـــة :

(صوامع) : الصوامع جمع صَوْمَعَة وصومع وهو جبل أو مكان مرتفع يسكنه الراهب أو المتعبد قصد الانفراد ثم أطلقت الكلمة على الدير ، والصومعة أيضاً : العقاب والبرنس وأعلى كل جبل إذا كان مستدقَّ الرأس •

(بيع) : جمع بيعة بكسر الباء المعبد للنصارى واليهود والجمع بيع وبيعات بكسر الباء وفتح الياء وبيعات بكسر الباء وسكون الياء •

(وصلوات) : بفتح الصاد واللام جمع صلاة وسميت الكنيسة صلاة لأنه يصلَّى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرية صلوثاً بفتح الصاد والثاء المثلثة كما في الخفاجي على البيضاوي قال : وبه قرىء في الشواذ ومعناه في لغتهم المصلى فلا يكون مجازاً •

الاعراب :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) الجملة مستأنفة مسوقة للإذن بقتال المشركين ، كان المؤمنون يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يشكون فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فنزلت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية . وأذن فعل ماضي مبني للمجهول والمأذون فيه محذوف للعلم به أي أذن للذين يقاتلون في القتال وللذين متعلقان بأذن وجملة يقاتلون صلة ويقاتلون مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وبأنهم متعلقان بأذن أيضاً والباء للسببية أي بسبب ظلمهم وجملة ظلموا خبر أنهم وإن الله على نصرهم لقدير الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للوعد لهم بالنصر على طريق الرمز والكناية ، وان واسمها وقدير خبرها واللام المزحلقة وعلى نصرهم متعلقان بقدير . (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الذين نعت أو بدل من الموصول الأول ، ولك أن ترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف تنويهاً بقدرهم ورفعاً لشأنهم، وجملة أخرجوا صلة والواو نائب فاعل ومن ديارهم متعلقان بأخرجوا وبغير حق حال وإلا أداة استثناء وأن يقولوا المصدر المؤول مستثنى منقطع في محل نصب واختار الزمخشري وغيره أن يكون الاستثناء مفرغاً لوجود النفي بغير فإلا أداة حصر وان يقولوا في محل جر على الابدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله « هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله » وربنا مبتدأ والله خبر والجملة في محل نصب مقول القول . (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) الواو استئنافية ولولا

حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ودفـع الله مبتدأ محذوف الخبر وجوباً والناس مفعول به لدفع لأنه مصدر مضاف الى فاعله وهو الله والمعنى ولولا أن دفع الله الناس بعضهـم ببعض لغلب المفسدون وتعطلت المصالح ويقل عمله عكسه وهو أن يضاف المصدر الى مفعوله ثم يأتي فاعله مرفوعاً كقول الاقيشر الاسدي :

أفـنى تلادي وما جمعـت من نَشَبٍ

قـرع القواقيـز أفـواه الأبـاريق

فقرع بالقـاف والعين المهملة مرفوع عـلى الفاعلية بأفنى وهو مصدر مضاف الى مفعوله وهو القواقيز بقافين وزاي معجمة : أقداح يشرب بها الخمر واحـدها قاقوزة بزاءين معجمتين فجمعها قوازيز ، وأفواه فاعل المصدر وهو جمع فم وأصله فوه فلذلك ردت في الجمع على أنه روي البيت بنصب الأفواه فيكون من القسم الأول .

وبعضهم بدل بعض من الناس وببعض متعلق بدفع واللام واقعة في جواب لولا وهدمت فعل ماض مبني للمجهول وصوامع نائب فاعل وبيع وصلوات ومساجد عطف عـلى صوامع وأخر ذكر المساجد لأن الصوامع والبيع والكنائس أقدم منها في الوجود وجملة يذكر صفة للمواضع المذكورة وفيها متعلقان بيذكر واسم الله نائب فاعل وكثيراً صفة لمصـدر محذوف أي ذكراً كثـيراً أو صفـة لظرف محذوف أي وقتاً كثـيراً . (ولينصرن الله من ينصـره ان الله لقوي عزيز) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وينصرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيـد الثقيلة . والله فاعل ومن موصول مفعول به وجملة ينصره صلة وجملة ان وما بعدها تأكيد لتعليل النصر والله اسمها واللام المزحلقة وقوي خبرها الأول وعزيز خبرها الثاني . (الذين إن

مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) الذين بدل من الذين السابقة أو نعت ثان للذين الأولى أو خبر لمبتدأ محذوف ولك وجه آخر وهو أن تعربها بدلاً من «من ينصره» ذكر هذا الوجه الزجاج قال : أي لينصرن الله الذين إن مكناهم ، وإن شرطية ومكناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وفي الأرض متعلقان بمكناهم وأقاموا فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم جواب الشرط والصلاة مفعول به وما بعده عطف عليه . (ولله عاقبة الأمور) الواو استئنافية أو عاطفة ولله خبر مقدم وعاقبة الأمور مبتدأ مؤخر .

الفوائد :

الجهاد ذروة سنام الاسلام :

والأحاديث في الجهاد كثيرة نورد منها ما يسمو الى ذروة البلاغة جرياً على نهجنا في هذا الكتاب فعن أبي هريرة رضي الله عنه : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله قيل : ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حجٌ مبرور » رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن خزيمة في صحيحه .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بالناس قبل غزوة تبوك فلما أن صبح صلى بالناس صلاة الصبح ثم إن الناس ركبوا فلما أن طلعت الشمس نعس الناس على إثر الدلجة ولزم معاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو إثره والناس تفرقت بهم ركابهم على جوادّ الطرق تأكل وتسير فبينا معاذ على إثر رسول الله صلى

الله عليه وسلم وناقته تأكل مرة وتسير أخرى عثرت ناقة معاذ فحنكها بالزمام فهبت حتى تفرت منها ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كشف عنـه قناعة فالتفت فإذا ليس في الجيش أدنى اليه من معاذ فناداه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا معاذ فقال لبيك يا رسول الله قال : ادن دونك فدنا منه حتى لصقت راحلتاهما إحـداهما بالأخرى فقال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : ما كنت أحسب الناس منا بمكانهم من البعد فقال معـاذ : يا نبيّ الله نعس الناس فتفرقت ركابهم ترتع وتسير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا كنت ناعساً فلما رأى معاذ بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلوته له فقال : يا رسول الله : ائذن لي أن أسألك عن كلمة أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سل عما شئت ، قال : يا نبي الله حدثني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيره ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ بخ بخ لقد سألت لعظيم ثلاثاً وإنه ليسير على من أراد الله به الخير ، وانه ليسير على من أراد الله به الخير وإنه ليسير على من أراد الله به الخير فلم يحدثه بشيء إلا أعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات حرصاً لكيما يتقنه عنه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : تؤمن بالله واليوم الآخر وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتعبـد الله وحده لا تشرك به شيئاً حتى تموت وأنت على ذلك ، قال يا رسول الله أعدلي فأعادها ثلاث مرات ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت يا معـاذ حدثتك برأس هذا الأمر وقوام هذا الأمر وذروة السّنام؟ فقال معاذ: بلى يا رسول الله حدثني بأبي أنت وأمي فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم إن رأس هذا

الأمر : أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإن قوام هذا الأمر : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وان ذروة السّنام منه الجهاد في سبيل الله ، انما أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فاذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقّها وحسابهم على الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا اغبرّت قدم في عمل تبتغى به درجات الآخرة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله ولا ثقل ميزان عبد كدابّة تنفق في سبيل الله أو يحمل عليها في سبيل الله .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾
وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ
فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ
وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ
بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى
ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

اللغــــة :

(بئر) : في المختار : « بأر بئراً بهمزة بعـد الباء حفرها وبابه قطـع » والبئر فعِل بمعنى مفعول كالـذبح بمعنى المذبوح حفرة في الأرض عظيمة يستقى منها الماء والجمع آبار وأبآر وبئار وأبؤر وهي مؤنثة • وفي الأساس : « الفاسق من ابتأر ، والفويسق من ابتهر يقال : ابتأرت الجارية إذا قال فعلت بها وهو صادق وابتهرتها إذا قال ذلك وهو كاذب وأنشد الكميت :

قبيـح" بمثـلي نعت الفتـا ة إما ابتهـاراً وإما ابتئـارا

(معطلة) متروكـة بموت أهلها مـع أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء •

(مشيد) : مرتفع مجصص من شاد البناء أي رفعه ويقال شيّد وأتى به في النساء من شيّد لأنه هناك وقع بعد جمع أما هنا فقد وقع بعد مفرد فناسب التخفيف •

الاعراب :

(وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وانه ليس بأوحدي في التكذيب ، وإن شرطية ويكذبوك فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقد الفاء رابطة للجواب لاتصاله بقد وقد حرف تحقيق وكذبت فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة والجملة في محل جزم جواب الشرط وقبلهم ظرف زمان متعلق بكذبت وقوم

نوح فاعل وعاد وثمود معطوفان على قوم وأنّث القوم باعتبار معنى الأمة أو القبيلة ولم يقل قوم عاد وثمود استغناء بشهرتهما بهذين الاسمين • (وقوم ابراهيم وقوم لوط) عطف على ما تقدم • (وأصحاب مدين وكُذب موسى فأمليت للكافرين) وأصحاب مدين عطف وعدل عن قوم شعيب لأن أصحاب مدين أعرق من أصحاب الأيكة في التكذيب فلذلك خصهم بالذكر ، وكذب فعل ماض مبني للمجهول وموسى نائب فاعل وخالف في الكلام فلم يقل قوم موسى لأنه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم ينته الى موسى إلا بعد طول الكلام حسن تكريره ليلي قوله فأمليت فيتصل المسبب بالسبب كما قال في آية « ق » بعد تعديدهم : « كل كذب الرسل فحق وعيد » فربط العقاب والوعيد ووصلهما بالتكذيب بعد أن جدد ذكره ، فأمليت : الفاء عاطفة وأمليت فعل وفاعل وللكافرين متعلقان بأمليت • (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وأخذتهم فعل وفاعل ومفعول به ، فكيف الفاء عاطفة وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم ونكير اسم كان أي إنكاري فحذفت الياء والنكير مصدر بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة نقمة وبالحياة هلاكاً وبالبناء خراباً وسيأتي معنى الاستفهام في باب البلاغة • (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما تقدم بضرب الأمثلة والشواهد وكأين خبرية ومحلها الرفع على الابتداء ومن قرية تمييز كأين وقد تقدم تحقيقه وجملة أهلكناها من الفعل والفاعل والمفعول به خبر كأين ويجوز نصب كأين على الاشتغال بفعل محذوف يفسره أهلكناها فتكون جملة أهلكناها مفسرة ، وهي ظالمة الواو للحال وهي مبتدأ وظالمة خبر والجملة نصب على الحال • (فهي خاوية على عروشها

وبئر معطلة وقصر مشيد) الفاء عاطفة وهي مبتدأ وخاوية خبر والجملة معطوفة على جملة أهلكناها وعلى عروشها إما متعلقان بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واما أن يكون خبراً ثانياً لهي كأنه قيل هي خالية وهي عـلى عروشها أي قائمة مطلة عـلى عروشها بمعنى أن السقوف سقطت الى الارض فصارت في سمت الحيطان وبقيت الحيطان مواثل باهتة مشرفة على السقوف الساقطة وكلا التقديرين جميل ووارد، وبئر عطف على قرية أي وكم من بئر ، ومعطلة صفة لبئر وقصر مشيد عطف أيضاً وهل هي بئر معينة وقصر معين أم هما واردان مورد المثل ، سيأتي الكلام عن هذا كله في باب الفوائد .(أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) الهمزة للاستفهام الانكاري إن كانوا قد سافروا أو للحث على السفر ليروا مصارع من تقدمهم، والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه المقام أي أغفلوا وأهملوا وسافروا فلم ينتفعوا ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويسيروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعله وفي الارض متعلقان بيسيروا فتكون الفاء للسببية وتكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ولهم خبر تكون المقدم وقلوب اسمها المؤخر وجملة يعقلون صفة لقلوب وبها متعلقان بيعقلون وأو حرف عطف وآذان عطف على قلوب وجملة يسمعون بها صفة لآذان وواضح أن التفريع عـلى المنفي يوجب النفي أيضاً . (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الفاء للتعليل وان واسمها والضمير يعود على القصة أو الشأن وجملة لا تعمى الأبصار خبر ولكن الواو عاطفة ولكن حرف استدراك أهمـل لأنه خفف وتعمى القلوب فعل مضارع وفاعل والتي صفة القلوب وفي الصدور متعلقان بمحذوف صلة الموصول وسيأتي سر قوله في الصدور في باب البلاغة .

البلاغـة :

١ ـ الاستفهام في قوله تعالى « فكيف كان نكير » معناه التقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه ويماري فيه ، ويلجأ الى المكابرة والسفسطة في مخالفته ، وقال أبو حيان : « ويصحب هذا الاستفهام معنى التعجب فكأنه قيل ما أشد ما كان انكاري عليهم » وهذا واضح أيضاً فالاستفهام إذن للتقرير التعجبي .

٢ ـ الاتصال في قوله تعالى « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » فإن لقائل أن يقول ان القلوب لا تكون إلا في الصدور فأية فائدة في ذكر ما هو متعارف وكائن لأنه معلوم والاتصال عن ذلك أن يقال ان المتعارف ان العمى الحقيقي مكانه البصر لأنه إصابة الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب مجاز فلما أريد نقله من الحقيقة الى المجاز كان الكلام بمثابة إثبات ما هو خلاف المتعارف وما هو الاصل فاحتاج الى زيادة تعيين ليتقرر أن العمى مكانه هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقوله بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه ونفي المضاء عن السيف وهو المتعارف وهذا من أوابد البيان فافهمه ، وجملة الأمر ان الخلل ليس في مشاعرهم فهي سليمة لا عيب فيها وإنما الخلل في عقولهم المرتكسة وأحلامهم المعطلة .

الفوائد :

البئر المعطلة والقصر المشيد : قيل هما خاصان قال الخطيب الشربيني في تفسيره : « روي أن هذه البئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من العذاب وهي بحضرموت

وإنما سميت بذلك لأن صالحاً حضرها حين مات وثم بلدة عبد البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وأمّروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زماناً ثم كفروا وعبدوا صنماً وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم والأولى أن تكون البئر عامة وأن يكون القصر عاماً أي كم من قرية أهلكناها وكم من بئر عطلناها من سقاتها وكم من قصر مشيد تفرق عنه أهلوه وتحمل عنه ساكنوه •

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ
رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ
ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ
﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ
أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

الاعراب :

﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾ الواو عاطفة ويستعجلونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به وبالعذاب متعلقان بيستعجلونك أي يطلبون عجلتك على سبيل الاستهزاء والواو عاطفة ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويخلف فعل مضارع منصوب بلن والله فاعل ووعده مفعول به . ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ الواو للحال وان واسمها وعند ربك الظرف متعلق بمحذوف حال والكاف خبر إن ومما صفة لسنة وجملة تعدون صلة واقتصر في التشبيه على الألف لأن الألف منتهى العدد بلا تكرار وأيام الشدائد مستطالة على حد قول الشاعر :

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

﴿ وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير ﴾ الواو عاطفة قال الزمخشري في كشافه : « فإن قلت لم عطفت الأولى بالفاء وهذه بالواو ؟ قلت الأولى وقعت بدلاً من قوله « فكيف كان نكير » وأما هذه فحكمها حكم الجملتين المعطوفتين بالواو أعني قوله « ولن يخلف الله وعده » و« ان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » وكأين خبرية في محل رفع مبتدأ ومن قرية في محل نصب تمييز كأين وجملة أمليت لها صفة لقرية والواو حالية وهي مبتدأ وظالمة خبر والجملة في محل نصب على الحال ثم أخذتها عطف على أمليت وإليّ الواو عاطفة أو حالية وإليّ خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر . ﴿ قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ﴾ يا حرف نداء وأيها منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب على النداء والهاء للتنبيه والناس بدل من أي وإنما

كافة ومكفوفة وأنا مبتـدأ ونذير خبر ومبين صفة • (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) الفاء تفريعية والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وعملوا عطف على آمنوا والصالحات مفعول به ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر ورزق عطف عـلى مغفرة وكريم صفة لرزق وجملة لهم مغفرة خبر الذين • (والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم) الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة سعوا صلة وفي آياتنا متعلقـان بسعوا ومعنى السعي في الآيات إفسادها وتزييفها وإبطالها يقال سعيت في أمر فلان إذا أصلحته أو أفسدته بهذا السعي ومعاجزين حال أي مسابقين في زعمهم وتقديرهم قد سولت لهم أنفسهم أنهم يستطيعون إبطالها وصرف الناس عن اتباعها فالمفاعلة لا تخلو من معنى الظن والاعتقاد بالنسبة اليهم ، وأولئك مبتدأ وأصحاب الجحيم خبره والجملة خبر الذين • (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في تسلية ثانية للنبي صـلى الله عليه وسلم ، وما نافية وأرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك متعلقان بأرسلنا ومن لابتداء الغاية ومن رسول من زائدة ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به لأرسلنا ولا نبي عطف على من رسول وإلا أداة حصـر وإذا ظرف مستقبل وجملة تمنى في محل جر بإضافة الظرف وجملة ألقى الشيطان لا محل لها والجملة الشرطية بعد إلا تحتمل وجوهاً أرجحها أن تكون في محل جر صفة لرسول عـلى اللفظ والنصب عـلى المعنى ويجوز أن تكون حالاً ولك أن تجعل الاستثناء منقطعاً فتكون إلا أداة استثناء والجملة نصب على الاستثناء وفي أمنيته متعلقان بألقى وسيأتي معنى هـذا الالقاء وقصة سبب النزول في بـاب الفوائـد ، وقد استشكل أبو حيان مجيء جملة ظاهرها الشرط بعـد إلا وهو إذا تمنى ألقى ،

وأجاب عن ذلك بأن اذا جردت للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين إلا والفعل الذي هو ألقى وهو فصل جائز فيكون إلا قد وليها ماض في التقدير ووجه شرط وهو تقدم فعل قبل إلا وهو أرسلنا قال ابن هشام : والذي يظهر انما هو فيما إذا ولي إلا لفظ الفعل وهذا لم يقع في الآية فلا اشكال ولا حاجة لتأويل إذا بأنها خرجت عن الشرطية • (فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الفاء استئنافية وينسخ الله فعل مضارع وفاعل وما مفعول به وجملة يلقي الشيطان صلة ثم حرف عطف ويحكم الله فعل وفاعل وآياته مفعول به والله عليم حكيم جملة اعتراضية مؤلفة من مبتدأ وخبريه • (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) اللام للتعليل والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة وهي متعلقة بيحكم أي ثم يحكم الله آياته ليجعل ويجوز أن تتعلق بينسخ وما موصولية أو مصدرية وهي على كل حال مفعول به أول وجملة يلقي الشيطان صلة وفتنة مفعول به ثان وللذين صفة لفتنة وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر والجملة صلة للذين والقاسية عطف على الذين وقلوبهم فاعل القاسية ومن المفيد أن نذكر أن ال في القاسية موصولة والقاسية صفتها وأنثها لأن مرفوعها وهو قلوبهم مؤنث مجازي • (وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) الواو حالية أو استئنافية وإن واسمها واللام المزحلقة وفي شقاق خبرها وبعيد صفة لشقاق •

الفوائد :

أسطورة الغرانيق :

نعرض الآن لمسألة شغلت علماء المسلمين في القديم والحديث ، واستأثرت باهتمام الكثيرين منهم لخطورتها ، وجسامة ما تنطوي عليه

من أمور لا يجوز للباحث أن يمرّ بهـا مرور الراكب العجلان ، فهي تمسّ جوهر العقيدة ، وتتعلق بعصمة صاحب الرسالة ، فإلقاء الكلام على عواهنه فيها من غير تمعن ولا تمحيص لا يجوز بحال وسنعمد الى سرد الأسطورة عـلى علاتها وكما نقلها المفسرون من غير تفنيد لها أو اثارة للشكوك حولها ، وكثر تناقلها حتى أصبحت حديث السمر تروّح به النفس ويزجى بها الفراغ والناس بطبعهم ميالون الى كل غريب وهذه هي الاسطورة :

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعراض قومه عنه ، لعيبه أصنامهم وزرايته بآلهتهم ، أخذه الضجر من هذا الإعراض ، ولحرصه على إسلامهم وتهالكه عليه تمنى أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً الى استمالتهـم واستنزالهم عن غيهـم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة « والنجم إذا هوى » وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فأخـذ يقرؤها فلما بلـغ قوله : « ومناة الثالثة الأخرى » « ألقى الشيطان في أمنيته » التي تمناها بأن وسوس له بما شيعهـا به فسبق لسانه عـلى سبيل السهو والغلط الى أن قال : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى ، وروى الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه اليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكاً وظلمة والمؤمنون نوراً وإيقاناً .

وفيما يلي طائفـة من أقوال العلمـاء والمفسرين فقال الرازي ما خلاصته :

هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم تكلم في أن رواة هــذه القصة مطعونون وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة النجم وسجد معــه المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق ولا شك أن من جوز عــلى الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في تفي الأوثان ولو جوّزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك أي مما ألقاه الشيطان على لسانه ويبطل قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » فانه لا فرق في العقل بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه النقلية والعقلية عرفنا عــلى سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة وقد قيل : إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها • ا هـ كلام الرازي •

أما شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني شارح البخاري فقد نبه في فتح الباري على البخاري على ثبوت أصلها وقال سامحه الله : « أخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ : « أفرأيتــم اللات والعزى ، ومنــاة الثالثة الأخرى » ألقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى » فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فلما ختم السورة سجد وسجدوا فكبر ذلك على النبي فنزل تسلية له « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته » أي في قراءته بين كلماته •

وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالــد عن شعبة فقال في إسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب ثم ساق الحديث المذكور وقال البزار : لا يروى إلا متصلاً بهذا الاسناد وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور .

وأوردها الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس . ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكل من طرقها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع ولكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصــلاً مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح ، أحدهما ما أخرجه الطبري عن طريق يونس بن زيد عن ابن شهاب ، حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه ، والثاني ما أخرجه من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة كلاهما عن داود بن أبي هند عن أبي العالية .

وقال ابن حجر العسقلاني في معرض رده على القاضي أبي بكر ابن العربي : « وقد تجرأ ابن العربي كعادته فقال : ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها وهو إطلاق مردود عليه وكذا قول القاضي عياض : هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة ولا رواة ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع أسانيده وكذا قول عياض أيضاً : ومن حكيت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحــد منهم ولا رفعها الى صحابي وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية فهذا مردود أيضاً .

وتتمة كلام القاضي عياض تدل على مدى تحرره من غائلة التقليد ومحاولته تمحيص الحقائق قال : « وقد بين البزاز أن الحديث لا يعرف طريق يجوز ذكره إلا من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك

الذي وقع في وصله وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم قال : ولم ينقل ذلك » .

قال الحافظ بن حجر : « وجميع ذلك لا يتمشى مع قواعد المحدثين فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلّ ذلك على أن لها أصلاً وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتجّ بالمرسل وكذا من لا يحتجّ به لاعتضاد بعضها ببعض وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله : ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى ، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس فيه وكذا سهواً إذ كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته » ومضى قائلاً : « وقد سلك العلماء في ذلك التأويل مسالك نحو السبعة فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة من النوم وهو لا يشعر فلما أعلمه الله بذلك أحكم آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة » .

ورد القاضي عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم .

وقيل : ان الشيطان ألجأه الى أن قال ذلك بغير اختيار . ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان « وما كان لي عليكم من سلطان ... الآية » قال : فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة .

وقيل : ان المشركين كانوا اذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك فعلق

ذلك بحفظه صلى الله عليه وسلـم فجرى عـلى لسانه سهواً • وقد رد القاضي عياض ذلك فأجاد •

وقيل : لعله قال ذلك توبيخاً للكفار ، قال القاضي عياض وهـذا جائز إذا كان هناك قرينة تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً والى هذا نحا الباقلاني •

وقيل : انه لما وصـل الى قوله « ومنـاة الثالثة الأخرى » خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به كعادته إذا ذكرها فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » أي أظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطاً وتشويشاً عليه ونسب ذلك الى الشيطان لكونه الحامل لهم عليه أو المراد بالشيطان شيطان الانس •

وقيل : المراد بالغرانيق العـلا الملائكـة وكان الكفار يقولون : الملائكة بنات الله ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله « ألكم الذكر وله الأنثى » فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنـا ورضوا بذلك فنسخ تينك الكلمتين وهما قولـه : تلك الغرانيق العلا ، وان شفاعتهن لترتجى وأحكم آياته •

وقيل : كان النبي صلى الله عليـه وسلم يرتل القرآن فترصّده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً صوت النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قول النبي وأشاعها • قال القاضي عياض وهذا أحسن الوجوه وهو الذي يظهر ترجيحه ويؤيـده ما روي عن ابن عباس في تفسـير تمنى بتلا وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال : معنى قوله في أمنيته أي في

تلاوته فأخبر تعالى في هـذه الآية أن سنة الله في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله لأنه معصوم.

قال في فتح الباري : « وقد سبق الى ذلك الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب هذا المعنى » اهـ .

ما ما ورد في صحيح البخاري بصدد هذه القصة فهو : « وقال ابن عباس في « إذا تمنى ألقى الشيطـان في أمنيته » إذا حـدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته ، ويقال أمنيته قراءته « الأماني يقرءون ولا يكتبون » فتراه حكى تفسير الأمنية بالقراءة بلفظ يقال بعد ما فسـرها في الحديث رواية عن ابن عباس ، وهذا يدل على المغايرة بين التفسيرين ، فما يدعيه الشراح أن الحديث في رأي ابن عباس بمعنى التـلاوة يخالف ظـاهر العبارة ، ثم حكايته تفسير الامنية بمعنى القراءة بلفظ يقال يفيد انه غير معتبر عنده وسيأتي ان المراد بالحديث حديث النفس .

وقال القسطلاني في شرح البخاري : « وقد طعن في هذه القصة غير واحد من الأئمة حتى قال ابن اسحق وقد سئل عنها : هي من وضع الزنادقة » وكفى في انكار حديث أن يقول فيه ابن اسحق أنه من وضع الزنادقة مع حال ابن اسحق المعرفة عند المحدثين .

وهذا نص ما قاله القاضي عياض : « والذي ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم » وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وقد يكون ذلك لبلاغـة السورة وشدة قرعها وعظم وقعها » ثم قال القاضي : « قد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن هذه الرذيلة » .

أما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسوّد عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه وحتى يفهمه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً وذلك كفراً وسهواً وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على لسانه أوقلبه لا عمداً ولا سهواً أو أن يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل ، أو أن يتقول على الله ـ لا عمداً ولا سهواً ـ ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » وقال « إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً » .

ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين ، وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه .

ووجه ثالث انه علم من عادة المنافقين ، ومعاندة المشركين ، وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة ، وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الاسلام لأدنى شبهة ، ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة

الأصل ، ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ، ولأقامت اليهود عليهم الحجة ، كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء ، ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ، ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو امكنت ، وما ورد عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها ، واجتثاث أصلها ، ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ، ليلبس به على بعض ضعفاء المسلمين •

ووجه رابع : ذكر الرواة لهذه القصة أن فيها نزلت : « وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك » الآيتان ، هاتان الآيتان تردّان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري ولولا أن ثبته لكاد يركن اليهم شيئاً قليلاً ، فمضمون هذا ومفهومه أن الله عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلاً فكيف كثيراً وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه صلى الله عليه وسلم قال : افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له ؟ وهذا مثل قوله تعالى في الآية الأخرى : « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء » قال القشيري:ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مرّ بآلهتهم أن يقبل بوجهه اليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل ، قال ابن الانباري : « ما قارب الرسول ولا ركن » •

أما ما ذكره ابن‌حجر من أن القصة رويت مرسلة من ثلاث طرق على شرط الصحيح وانه يحتج‌بها الخ ما سبق فقد ذهب عليه أن العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين فالحديث الذي يفيد خرمها ونقضها

لا يقبل على أي وجه جاء وقد عد الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الأخبار التي يجب القطع بكذبها ، هذا لو فرض اتصال الحديث فما ظنك بالمراسيل ؟ وانما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الاعمال وفروع الأحكام لا في أصول العقائد ومعاقد الإيمان بالرسل وما جاءوا به فهي هفوة من ابن حجر يغفرها الله له.وقد استغل بروكلمان المستشرق الألماني الشهير هذه الرواية فنقلها بأمانة واعتبرها من المسائل المفروغ من إثباتها وذلك في كتابه « تاريخ الشعوب الاسلامية » الذي أخرجه للناس عام ١٩٣٩ للميلاد فقال في الحديث عن محمد : « ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله ولقد أشار اليهن في احدى الآيات الموحاة اليه بقوله : تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن ترتجى ، أما بعد ذلك حين قوي شعور النبي بالوحدانية فلم يعترف بغير الملائكة شفعاء عند الله ، وجاءت السورة الثالثة والخمسون وفيها إنكار" لأن تكون الآلهة الثلاث بنات الله ، ولم يستطع التقليد المتأخر أن يعتبر ذلك التسليم إلا تحولاً أغراه به الشيطان ولذلك أرجئت حوادثه إلى أشد الأوقات ضيقاً في مكة ثم ما لبث أن أنكره وتبرأ منه في اليوم التالي » .هذا ما ذكره بروكلمان وهو ينضح بالتعصب وينادي على نفسه بالافتئات ولم يقتصر الأمر على بروكلمان وحده فكثير من المبشرين وبعض المستشرقين تشبثوا بهذه الرواية وزعموا أن الرسول فعل ذلك لما قاومه المشركون بمكة فأحب أن يتقرب منهم فمدح آلهتهم ثم عدوا عمله هذا تراخياً عن تشدده في التوحيد ومهاجمة الاصنام ، هذا وقد تصدى لهم كثيرون من علماء المسلمين في العصر الحديث ففندوا افتراءاتهم وطوحوا

بأراجيفهم ، وحسبنا أن نلمع الى اثنين من كبار هؤلاء العلماء ملخصين ما قالاه ضاربين صفحاً عن التطويل فيما لا يتفق مع منهاج الكتاب •

خلاصة ما كتبه العالم الهندي محمد علي :

« إن هذه الرواية وردت عند الواقدي وعند الطبري ومع ذلك فانها لا ظل لها من الحقيقة فإن كل عمل من أعمال رسول الله مناقض لمثل هذا الاتجاه،أضف الى ذلك أن الواقدي معروف بسرد الاسرائيليات وبسرد الخرافات وكذلك الطبري معروف بالجمع الكثير واستقصاء الروايات مهما كان حظها من الصحة ، على أننا لو رجعنا الى رواية محمد ابن اسحق أو الى صحيح البخاري وهو الذي لم يغادر من حياة الرسول شيئاً إلا ذكره لم نر لقصة الغرانيق أثراً وابن اسحق جاء قبل الواقدي بأربعين سنة وقبل الطبري بنحو مائة وخمسين سنة أو تزيد ، أما البخاري فقد كان معاصراً للواقدي ومع ذلك لم يذكر هذه القصة ثم ان الواقدي معروف عند المحدثين بأنه يضع الأحاديث وانه غير ثقة فيما يروي وكذلك لم يذكرها أحد من رواة الحديث •

وإذا عدنا الى قراءة الآيات نفسها بالتسلسل وجدناها : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك اذن قسمة ضيزى ، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظنّ وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » فليس من المعقول أن تحشر بين هذه الآيات المتتالية آية مناقضة لها في أصل العقيدة الاسلامية وصلب دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وهنالك تفاصيل كثيرة في نقض هذه الرواية لا جدوى من ذكرها » •

هذا ما ذكره العالم الهندي مولانا محمد علي وهو كاف في الرد على هؤلاء المستشرقين الذين ينظرون الى نبوة محمد نظرة مادية مجردة من الايحاء الإلهي وما ذلك إلا من قبيل التعصب الديني المبني على عداء سياسي انهم ينكرون أن يكون محمد ذا نبوة صحيحة بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بني إسرائيل •

خلاصة البحث الجليل الذي كتبه الامام محمد عبده :

والآن آن لنا أن نلخص البحث الممتع الذي كتبه الامام الشيخ محمد عبده وفيه قطعت جهيزة قول كل خطيب :

« لا يخفى على كل من يفهم العربية وقرأ شيئاً من القرآن أن قوله تعالى « وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي ••• الآيات » يحكي قدراً قدر للمرسلين كافة لا يعدونه ولا يقفون دونه ويصف شنشنة عرفت فيهم وفي أممهم فلو صح ما قال أولئك المفسرون لكان المعنى أن جميع الانبياء والمرسلين قد سلط الشيطان عليهم فخلط في الوحي المنزل اليهم ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته وهذا من أقبح ما يتصور متصور في اختصاص الله تعالى لأنبيائه واختيارهم من خاصة أوليائه فلندع هـذا الهذيان ولنعد الى ما نحن بصدده » وبعد أن أفاض الاستاذ الامام في ذكر الله لنبيه أحوال الانبياء والمرسلين قبله ليبين له سنته فيهم وانه لم يبعث واحد منهم في أمـة إلا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف قال « فعلى هذا المعنى الذي يتفق مع ما لقيه الأنبياء جميعاً يجب أن تفسر الآية وذلك يكون على وجهين :

الأول :

أن يكون تمنى بمعنى قرأ والأمنية بمعنى القراءة وهو معنى قد

يصح وقــد ورد استعمال اللفظ فيــه قال حسان بن ثابت في عثمان رضي الله عنهما :

تمنى كتــاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمــام المقادر

غير أن الالقاء لا يكون عــلى المعنى الذي ذكروه بل على المعنى المفهوم من قولك : ألقيت في حديث فلان إذا أدخلت فيه ما ربما يحتمله لفظــه ولا يكون قد أراده أو نسبت اليه ما لم يقله تعلــلاً بأن ذلك الحديث المذكور يؤدي اليه وذلك من عمل المعاجزين الذين ينصبون أنفسهم لمحاربة الحق ، يتبعون الشبهة ، ويسعون وراء الريبة ، فالإلقاء بهذا المعنى دأبهم ونسبة الإلقاء الى الشيطان لأنه مثير الشبهات بوساوسه مفسد القلوب بدسائسه ، وكل ما يصدر من أهل الضلال ينسب اليه ويكون المعنى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا حدث قومه عن ربه أو تلا وحياً أنزل اليه فيه هدى لهم قام في وجهه مشاغبون يحولون ما يتلوه عليهم عن المراد منــه ويتقولون عليه ما لــم يقله ، وينشرون ذلك بين الناس ليبعدوهم عنه ويعدلوا بهم عن سبيله ثم يحق الله الحق ويبطل الباطل ، ولا زال الانبياء يصبرون على ما كذبوا وأوذوا ويجاهدون في الحق ولا يعتدون بتعجيز المعجزين ولا بهزء المستهزئين الى أن يظهر الحق بالمجاهدة ، وينتصر على الباطل بالمجالدة فينسخ الله تلك الشبهة ويجتثها من أصولهــا ويثبت آياته ويقررها وقد وضع الله هذه السنة في الناس ليتميز الخبيث من الطيب فيفتتن الذين في قلوبهم مرض وهم ضعفاء العقول بتلك الشبه والوساوس فينطلقون وراءها ويفتتن بها القاسية قلوبهم من أهل العناد والمجاحدة فيتخذونها سنداً يعتمدون عليه في جدلهــم ثم يتمحص الحق عنــد الذين أوتوا العلم ، ويخلص لهم بعــد ورود كل شبهة عليــه فيعلموا انه الحق من ربك

فيصدقوا به فتخبت وتطمئن قلوبهـم والذين أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع الذي يستقر بالعقـل في قرارة اليقين وبين المغالطات وضروب السفسطة التي تطيش بالفهم ، وتطير به مع الوهم ، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال وأخرى ذات اليمـين •

الثاني :

ان التمني على معناه المعروف وكذلك الأمنية وهي أفعولة بمعنى المنية وجمعها أماني كما هو مشهور وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : التمني حديث النفس بما يكون وبما لا يكون والتمني سؤال الرب وفي الحديث : « إذا تمنى أحدكم فليتكثر فإنما يسأل ربه » وفي رواية فليكثر ، قال ابن الأثير : التمـني تشهي حصول الأمر المرغوب فيـه وحديث النفس بما يكون ومالا يكون • وقال أبو بكر : تمنيت الشيء إذا قدرته وأحببت أن يصير لي ، وكل ما قيل في معنى التمني على هذا الوجه فهو يرجع الى ما ذكرنا ويتبعه معنى الأمنية • ما أرسل الله من رسول ولا نبي ليدعو قوماً الى هدى جديد أو شرع سابق شرعه لهم ويحملهم على التصديق بكتاب جاء به نفسه إن كان رسولا أو جاء به غـيره ان كان نبياً بعث ليحمل الناس على اتباع من سبقه إلا وله أمنية في قومه وهي أن يتبعوه وينحازوا الى ما يدعوهم اليه وما يستشفوا من دائهم بدوائه ، ويعصوا أهواءهـم بإجابة ندائه ، وما من رسول أرسل إلا وقد كان أحرص على إيمان أمته وتصديقهم برسالته منه على طعامه الذي يطعم وشرابه الذي يشرب وسكنه الذي يسكن اليه ويغدو عنه ويروح عليه وقد كان نبينا صـلى الله عليه وسلم من ذلك في المقام الأعلى والمكان الأسمى قال الله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » وقال: « وما أكثر الناس ولو حرصت

بمؤمنين » وقــال : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » وفي الآيات مما يطول سرده مما يدل على أمانيه صلى الله عليه وسلم المتعلقة بهداية قومه وإخراجهم من ظلمــات ما كانوا فيه الى نور ما جاء به ، وما من رسول ولا نبي اذا تمنى هذه الأمنية السامية إلا ألقى الشيطان في سبيله العثرات وأقام بينه وبين مقصده العقبات ووسوس في صدور الناس وسلبهم الانتفاع بما وهبوا من قوة العقل والإحساس فثاروا في وجهه وصدوه عن قصده وعاجزوه حتى لقد يعجزونه ، وجادلوه بالقول والسلاح حتى لقد يقهرونه ، فإذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها وسهل عليهم إيذاؤه وهو قليل الأتباع ضعيف الانصار ظنوا الحق من جانبهم وكان فيما ألقوه من العوائق بينه وبين ما عمد اليه فتنة لهم ، غلبت سنة الله في أن يكون الرسل من أواسط قومهم أو من المستضعفين فيهم ليكون العامل في الاذعان بالحق محض الدليل ، وقوة البرهان ، وليكون الاختيار المطلق هو الحامل لمن يدعى اليه عــلى قبوله ولكيلا يشارك الحق الباطل في رسائله و يشاركــه في نصب شراكه وحبائله أنصار الباطل في كل زمان ، هم أهــل القوة والأنفة والجاه والاعتزاز بالأموال والأولاد والعشــيرة والاعوان والغرور بالزخارف ، والزهو بكثرة المعارف ، وتلك الخصال انما تجتمع كلها أو بعضها في الرؤساء وذوي المكانة من الناس فتذهلهم عن أنفسهم وتصرف نظرهم عن سبيل رشدهم ، فإذا دعا الى الحق داع عرفته القلوب النقية من أوضار هذه الفواتن ، وفزعت اليه النفوس الصافية والعقول المستعــدة لقبولــه بخلوصها من هذه الشواغل ، وقلما توجــد الا عند الضعفاء وأهــل المسكنة فإذا التف هؤلاء حول الداعي ، وظاهروه على دعوته قام أولئك المغرورون يقولون : « ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين »

فإذا استدرجهم الله على سنته وجعل الجدال بينهم وبين المؤمنين سجالاً افتتن الذين في قلوبهم مرض من أشياعهم ، وافتتنوا بما أصابوا من الظفر في دفاعهم ولكن الله غالب على أمره فيمحق ما ألقاه الشيطان من هذه الشبهات ويرفع هذه الموانع وتلك العقبات ويهب السلطان لآياته فيحكمها ويثبت دعائمها وينشيء من ضعف أنصارها قوة ، ويخلف لهم من ذلهم عزة وتكون كلمة الله هي العليا ،وكلمة الشيطان هي السفلى « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

خاتمة هامة للأستاذ الامام :

« ولو صح ما قاله نقلة قصة الغرانيق لارتفعت الثقة بالوحي وانتقض الاعتماد عليه كما قاله البيضاوي وغيره ولكان الكلام في الناسخ كالكلام في المنسوخ يجوز أن يلقي الشيطان فيه ما يشاء ولانهدم أعظم ركن للشرائع الإلهية وهو العصمة وما يقال منا المخرج في ذلك ينفر منه الذوق ولا ينظر اليه العقل على أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق العلى لم يردلا في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم إلا ما جاء في معجم ياقوت غير مسند ولا معروف بطريق صحيح وهذا يدل على أن القصة من اختراع الزنادقة كما قال ابن اسحق وربما كانت منشأ ما أورده ياقوت ولا يخفى أن الغرنوق والغرنيق لم يعرف في اللغة إلا اسماً لطائر مائي أسود أو أبيض أو هو اسم الكركي أو طائر يشبهه ، والغرنيق بالضم كزنبور وقنديل وسموءل وفردوس وقرطاس وعلابط معناه الشاب الابيض الجميل وتسمى الخصلة من الشعر المفتلة الغرنوق كما يسمى به ضرب من الشجر ويطلق الغرنوق والغرانق على ما يكون في أصل العوسج اللين النبات ولا يقال لمة غرانقة وغرانقية أي ناعمة تضيئها

الريح أو الغرنوق الناعم المستتر من النبات الخ ولا شيء من هذه المعاني يلائم الإلهام والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح القول الذي يعرض على ملوك البلاغة وأمراء الكلام فلا أظنك تعتقد إلا أنها من مفتريات الأعاجم ومختلقات الملبسين ممن لا يميز بين حر الكلام ، وما استعبد منه لضعفاء الأحلام ، فراج ذلك على من يذهله الولوع بالرواية ، عما تقتضيه الدراية ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ
يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ
مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم
مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ * ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

الاعراب :

(وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به) الواو عاطفة وليعلم عطف على ليجعل وقد تقدم تعليق ليجعل والذين فاعل وجملة أوتوا العلم صلة والعلم مفعول به ثان لأوتوا وأنه الحق سدت مسد مفعولي يعلم ومن ربهم حال فيؤمنوا عطف على يعلم وبه متعلقان بيؤمنوا .(فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم) فتخبت عطف على فيؤمنوا به وله متعلقان بتخبت أي تطمئن له قلوبهم وقلوبهم فاعل والواو استئنافية وأن واسمها ولهاد اللام المزحلقة وهاد خبر إن والـذين مفعول هـاد لأنه اسم فاعل وجملة آمنوا صلة والى صراط مستقيم متعلقان بهاد . (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) الواو عاطفة عـلى ما تقدم ليستكمل شرح حـال الكافرين ويستوفيها ولا يزال فعل مضارع ناقص والذين كفروا اسمها وفي مرية خبرها ومنه صفة لمرية وهي بكسر الميم وضمها والضمـير يعود الى القرآن أو الى الرسول أو الى ما ألقاه الشيطان . (حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) حتى حرف غاية وجر وتأتيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والهاء مفعول به والساعة فاعل وبغتة حال وأو حرف عطف ويأتيهـم عطف على تأتيهـم وعذاب يوم فاعـل وعقيم صفة . (الملك يومئذ لله يحكم بينهم) الملك مبتدأ ويومئذ ظرف مضاف الى مثله وهو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر وهو لله والتنوين عوض عن محذوف تقديره يوم يؤمنون أو يوم تزول حريتهـم وجملة يحكم بينهم مستأنفة كأنها وقعت جواباً لسؤال مقدر تقديره ماذا يصنع بهم فقيل يحكم بينهم ولا يبعد أن تكون حالاً من اسم الله والظرف متعلق بيحكم . (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيـم) الفاء

عاطفة للتفريع والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وجملة وعملوا الصالحات عطف على جملة آمنوا وفي جنات النعيم خبر • (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) والذين مبتدأ أيضاً وجملة كفروا صلة وجملة كذبوا بآياتنا عطف على جملة كفروا فأولئك الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم وعذاب مهين مبتدأ مؤخر والجملة خبر أولئك وجملة أولئك الخ خبر الذين •
(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً)
(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً)
قتلوا أو ماتوا عطف على قتلوا ، ليرزقنهم اللام موطئة للقسم ويرزقنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والهاء مفعول به والله فاعل ورزقاً مفعول مطلق وحسناً صفة والجملة القسمية وجوابها خبر الذين وهذا أولى من تقدير خبر • (وإن الله لهو خير الرازقين) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وهو مبتدأ وخير الرازقين خبر هو والجملة خبر إن•(ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وان الله لعليم حليم) اللام موطئة للقسم وجملة يدخلنهم جواب القسم وجملة القسم وجوابه بدل من الجملة القسمية الأولى أو هي مستأنفة والهاء مفعول به ومدخلاً مفعول مطلق لأنه مصدر ميمي وجملة يرضونه صفة لمدخلاً ، وان الله لعليم حليم الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وعليم حليم خبران لإن • (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ذلك خبر مبتدأ محذوف وقد تقدم اعراب نظيره والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم أو موصوله مبتدأ وعاقب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبمثل متعلقان بعاقب وما موصول مضاف اليه وجملة عوقب به صلة •

(ثم بغي عليه لينصرنّه الله إن الله لعفو غفور) ثم بغي عليه عطف على عاقب واللام موطئة للقسم والجملة القسمية خبر من وجملة ان الله لعفو غفور تعليلية لا محل لها .

البلاغـة :

(يوم عقيم) : استعارة مكنية فقد شبه مالا خير فيه من الزمان بالنساء العقم أو لأن يوم الحرب يقتل فيه أولاد النساء فيصرن كأنهن عقم لم يلدن .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ
وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

الاعراب :

(ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير) الجملة مستأنفة لتقرير قدرته تعالى على النصر وان من قدر على ايلاج الليل والنهار وايلاج النهار في الليل وغير ذلك من روائع قدرته قادر ولا شك على النصر ، وذلك مبتدأ والاشارة الى النصر الموعود وبأن الله خبره والباء للسببية وجملة يولج الليل في النهار خبر ان وجملة ويولج النهار في الليل عطف على الجملة الاولى وان الله سميع بصير عطف أيضاً على بأن الله الخ ومعنى ايلاج الليل في النهار وبالعكس تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك وبالعكس • (ذلك بأن الله هو الحق) جملة مستأنفة ثانية لتقرير دليل آخر الى جانب الدليل الاول وهو القدرة على جميع الممكنات وهو كونه تعالى حقاً ثابتاً وما عداه معدوم وزائل وذلك مبتدأ وبأن خبر والله اسم ان وجملة هو الحق من المبتدأ والخبر خبر أن • (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) عطف على ما تقدم وقوله من دونه متعلقان بمحذوف حال • (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرّة) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله مستتر تقديره أنت وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر لأنها علمية كما سيأتي وجملة أنزل خبر أن ومن السماء متعلقان بأنزل وماء مفعول به ، فتصبح الفاء عاطفة لا سببية لأن الاستفهام تقريري كما قدمنا مؤول بالخبر أي قد رأيت والخبر لاجواب له وأيضاً لا تصح السببية هنا فإن الرؤية لا يتسبب عنها اخضرار الارض بل انما يوجبه انزال الماء بعد أن تصبح وسيأتي مزيد تفصيل لهذه النكت البلاغية في باب البلاغة ، فتصبح الفاء عاطفة وتصبح

معطوف على أنزل وهو فعل مضارع ناقص وسيأتي سر المخالفة في عطف المضارع على الماضي والارض اسم تصبح ومخضرة خبرها ، واختار أبو البقاء أن تكون تصبح تامة والارض فاعلاً ومخضرة حالاً • (إن الله لطيف خبير) الجملة تعليل لما تقدم وان واسمها وخبراها • (له مافي السموات ومافي الارض وإن الله لهو الغني الحميد) الجملة حالية أو مستأنفة وله خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ما ومافي الارض عطف على مافي السموات وان الله الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وهو الغني مبتدأ وخبر والجملة خبر إن والحميد خبر ثان لهو • (ألم تر أن الله سخر لكم مافي الارض والفلك تجري في البحر بأمره) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر مضارع مجزوم بلم وأن الله مفعول تر وجملة سخر خبر أن ولكم متعلقان بسخر وما مفعول سخر وفي الارض صلة ما والفلك عطف على ما أي سخر لكم مافي الارض وسخر لكم الفلك وجملة تجري حال من الفلك وفي البحر متعلقان بتجري وبأمره حال (ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه) الواو عاطفة ويمسك فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو والسماء مفعول به وأن تقع المصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله فالبصريون يقدرون كراهة أن يقع والكوفيون لئلا تقع واختار أبو البقاء وغيره أن تكون بدل اشتمال من السماء أي ويمسك وقوعها بمعنى يمنعه وعلى الارض متعلقان بتقع وإلا أداة حصر لأن الكلام غير موجب أو في قوة النفي أي لا يتركها تقع في حالة من الاحوال فهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال فقوله باذنه متعلقان بمحذوف حال أي ملتبسة بمشيئته تعالى واذنه والباء للملابسة • (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) الجملة تعليلية وان واسمها وبالناس متعلقان برءوف واللام المزحلقة ورءوف خبر أول ورحيم خبر ثان •

البلاغـة :

في قوله تعـالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء مـاء فتصبح الارض مخضرة » عطف المضارع المستقبل على الماضي ولم يقل فأصبحت عطفاً على أنزل وذلك لإفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان فانزال الماء مضى وجوده واخضرار الأرض باق لم يمض وهذا كما تقول أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكراً له ولو قلت فرحت وغدوت شاكراً له لم يقع ذلك الموقـع لأنه يدل عـلى ماض قد كان وانقضى وهـذا موضـع جدير بالتأمل .

والسؤال الوارد هنا لم لم ينصب فتصبـح جواباً للاستفهام ؟ والجواب لو نصب لأعطى عكس ما هـو الغرض لأن معنـاه اثبـات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك : ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكـره شاك تفريطـه فيه وان رفعته فأنت مثبت للشكر . قـال سيبويه : وسألته (يعني الخليل) عن « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة » فقال هذا واجب وهو تنبيه كأنك قلت أتسمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا » قال ابن خروف في شرح كتاب سيبويه : « وقوله فقال هذا واجب وقوله فكان كذا يريد أنهما ماضيان وفسر الكلام بأن تسمع ليريك أنه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه » وقال بعض شراح الكتاب : « فتصبح لا يمكن نصبه لأن الكلام واجب ألا ترى أن المعنى أن الله أنزل الماء فالأرض هذه حالها» وقال الفراء « وانما عبر بالمضارع لأن فيه تصويراً للهيئة التي الارض عليها والحالة التي لابست الأرض والماضي يفيد انقطاع الشيء وهذا كقول جحدر

ابن معونة العكلي يصف حالـه مع أشد نازلة في قصة جرت له مـع الحجاج بن يوسف :

يسمو بناظرتين تحسب فيهما ... لما أجالهمـا شعاع سراج
لما نزلت بحصن أزبرمهضر ... للقرن أرواح العـدا مجاج
فأكر أحمل وهو يقعي باسته ... فاذا يعود فراجـع أدراجي
وعلمت اني إن أبيت نزالـه ... أني من الحجاج لست بنـاج

فقوله : فأكر تصوير للحالة التي لابسها .

وقال ابن هشام في المغني : « وقيـل الفاء في هذه الآية للسببية وفاء السببية لا تستلزم التعقيب بدليـل صحة قولك إن يسلـم فهو يدخل الجنة ومعلوم ما بينهما من المهلة » .

بحث ممتع للرازي :

وللامام الرازي بحث جيد هنا يمكن تلخيصه بما يلي :

« ذكر هنا من آثار قدرته ستة أشياء :

١ ـ انزال الماء الناشيء عنه اخضرار الارض وفسر الرؤية بالعلم دون الابصار لأن المـاء وان كان مرئياً إلا أن كون الله منزلاً له من السماء غير مرئي وقال فتصبح الأرض دون أصبحت لإفادته بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان .

٢ ـ قوله : « له مافي السموات ومافي الأرض » ومن جملته خلق المطر والنبات نفعاً للحيوان مع أن الله لا يحتاج لذلك ولا ينتفع به .

٣ ــ تسخير مافي الارض أي ذلل لكم ما فيها كالحجر والحديد والنار لما يراد منها والحيوان للأكل والركوب والحمل عليه والنظر اليه.

٤ ــ تسخير الفلك بالمــاء والرياح فلولا أن الله سخرها لكانت تغوص أو تقف .

٥ ــ إمساك السماء لأن النعم المتقدمة لا تكمل إلا به والسماء جرم ثقيل وما كان كذلك لا بد له من السقوط لولا مانع يمنع منه وهو القدرة فأمسكها الله بقدرته لئلا تقع فتبطل النعم التي امتن بها علينا .

٦ ــ الإحياء ثم الإماتة ثم الإحياء . نبه بهذا على أن هذه النعم لمن أحياه الله فنبه بالاحياء الاول على انعامه في الدنيا بكل ما تقدم ونبه بالإماتة والإحياء ثانياً على إنعامه علينا في الآخرة .

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ
﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ
وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ
ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ
ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

اللغــة :

(منسكاً) : بفتح السين وكسرها شريعة لأنه مأخوذ من النسيكة وهي العبادة • وقد تقدم الكلام مستوفياً عن هذه المادة •

الاعراب :

(وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الانسان لكفور) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من منازعته تثبيتاً له وحفزاً لهمته على المضي في الأمر الذي عهد الله اليه به ، وهو مبتدأ والذي خبر وجملة أحياكم صلة ثم حرف عطف للتراخي ويميتكم فعل وفاعل ومفعول به أي عند انتهاء الآجال، ثم حرف عطف وتراخ أيضاً ويحييكم فعل مضارع مرفوع والكاف مفعوله أي عند البعث وجملة إن الانسان لكفور مستأنفة تفيد التعليل لعدم الاعتبار والتبصر بعد هذه العبر والدلائل وإن واسمها واللام المزحلقة وكفور خبرها • (لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع الى ربك إنك لعلى هدى مستقيم) لكل أمة مفعول ثان مقدم لجعلنا ومنسكاً هو المفعول الاول والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها ولذلك لم يأت بالواو الاستئنافية وهي مسوقة لزجر منازعيه من أهل الاديان السماوية وهم مبتدأ وناسكوه خبر والجملة الاسمية صفة لمنسكاً والفاء الفصيحة ولا ناهية وينازعنك فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لتوالي الامثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين هي واو الجماعة في محل

رفع فاعل والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة ولم تؤثر في بناء المضارع لأنه لم تباشره وقد مرت لها نظائر والكاف مفعول به وفي الأمر متعلقان بينازعنك وادع فعل أمر وفاعله أنت والى ربك متعلقان بادع على حذف مضاف أي الى دينه وسبيله وجملة انك لعلى هدى مستقيم تعليلية لا محل لها وان واسمها واللام المزحلقة وعلى هدى خبرها ومستقيم صفة لهدى • (وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) الواو عاطفة وان شرطية وجادلوك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقل الفاء رابطة وقل فعل أمر والله مبتدأ وأعلم خبر والجملة مقول القول وجملة فقل جواب الشرط وبما متعلقان بأعلم وتعملون صلة • (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) جملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبي مما كان يلقى والله مبتدأ وجملة يحكم خبر وبينكم ظرف متعلق بيحكم ويوم القيامة متعلق بيحكم أيضاً وفيما متعلقان بمحذوف حال وجملة كنتم صلة وكان واسمها وفيه متعلقان بتختلفون وجملة تختلفون خبر كنتم • (ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والارض) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتعلم فعل مضارع مجزوم وفاعله مستتر تقديره أنت وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلم وان واسمها وجملة يعلم خبرها وما مفعول به وفي السماء صلة ما والارض عطف على السماء • (إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) جملتان تعليليتان لما سبق وان واسمها وفي كتاب خبرها وإن واسمها ويسير خبرها وعلى الله متعلقان بيسير •

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

اللغة :

(يسطون) : يبطشون والسطو الوثب والبطش ولذلك عدي بالباء وإلا فهو يتعدى بعلى يقال سطا عليه وأصله القهر والغلبة وفي الأساس « وسطا بقرنه وعلى قرنه وثب عليه وبطش به » ، والفحل يسطو على طروقته ومن المجاز : سطا الماء كثر وزخر ، وما سطوت في طعام أحد : ما تناولته ولهم أيد سواطٍ عواطٍ قال المتنخّل يصف خمراً :

ركودٌ في الإنـاء لها حُمَيّا   تلذّ بأخذها الأيدي السواطي

وللسين مع الطاء فاء وعيناً للكلمة صفة الامتداد ، تقول رأيتهم قاعدين على المساطب وهي الدكاكين الممتدة حول رحبة المسجد وبات فلان على المسطبة وتقول : كم أبات هذا البيت رجالاً على المساطب ، وأوقعهم في المتالف والمعاطب ؛ تريد فسر في بلاد الله ، وتقول : إما أن يبيتك على المسطبة، أو يرفعك الى المسطبة وهي المجرّة، وسطح الشيء : بسطه وسواه ومنه سطح الخبز بالمسطح وهو المحور وسطح الثريدة في الصحفة ومنه سطح البيت وسطحٌ مسطح : مستو وأنف مسطح منبسط جداً وبسط لنا المِسْطح والمساطح وهو الحصير من الخوص وضربه فسطحه إذا بطحه على قفاه ممتداً فانسطح وهو سطيح ومنسطح وبه سمي سطيح وضربه بالمسطح وهو عمود الخباء وشرب من السطيحة وهي المزادة ، وسطر واستطر كتب وكتب سطراً من كتابه وسَطَراً وأسطراً وسطوراً وأسطاراً وهو مسيطر علينا ومتسيطر ، ونار ساطعة ممتدة ونور ساطع وسطع الفجر وسطع الغبار سطوعاً وسطع البعير والظليم مدّ عنقه الى السماء قال ذو الرمة يصف ظليماً :

يظلّ مختضعاً طوراً فتنكره حيناً ويسطع أحياناً فينتسب

وسطع بيديه رفعهما مصفقاً بهما ومن المجاز سطعت رائحة المسك وأعجبني سطوع رائحته ، واغتسلت بالسَّطل والسَّيطل وهما القدَس الذي يتطهر به في الحمّام ، وحرك النار بالاسطام وسيف مصقول السّطام وهو الحدّ وأنشد سيبويه لكعب بن جعيل :

وأبيض مصقول السطام مهنّداً

وذا حلق من نسج داود مِسْردا

ومن المجاز ليل طما أسطمّه وهو في أسطمّة قريش في وسطهم وعاد الملك في اسطمّه : في أصله ، قال :

يا ليتها قد خرجت من فُمِّه   حتى يعودَ الملك في اسطمّه

والعرب سطام الناس .

(الذباب) : اسم جنس واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث ويجمع على ذبّان بالكسر كغربان وذبان بالضم كقضبان وعلى أذبّة كأغربة وهو أجهل الحيوانات لانه يرمي نفسه في المهلكات ومدة عيشه أربعون يوماً وأصل خلقته من العفونات ثم يتوالد بعضه من بعض يقع روثه على الشيء الابيض فيرى أسود وعلى الأسود فيرى أبيض،والذباب مأخوذ من ذب إذا طرد وآب إذا رجع لأنك تذبه فيرجع عليك وقد ذكره امرؤ القيس في شعره قال :

أرانا موضعين لأمر غيب   ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذبّان ودود   وأجرأ من مُجلّحة الذئاب

وسيأتي بحث مسهب عنه في باب البلاغة .

الاعراب :

(ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة ويعبدون فعل مضارع والواو فاعل ومن دون الله حال وما موصول مفعول به وجملة لم ينزل صلة ما وبه حال لأنه كان في الأصل صفة لسلطاناً وسلطاناً مفعول به . (وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير) وما عطف على ما الاولى وجملة ليس صلة ولهم

خبر ليس المقدم وبه متعلقان بعلم وعلم اسم ليس المؤخر وما الواو عاطفة وما نافية وللظالمين خبر مقدم ومن حرف جر زائد ونصير مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ مؤخر . (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة تتلى في محل جر بإضافة إذا اليها وتتلى فعل مضارع مبني للمجهول وعليهم متعلقان بتتلى وآياتنا نائب فاعل وبينات حال وجملة تعرف لا محل لها لأنها جواب إذا وفي وجوه متعلقان بتعرف والذين مضاف اليه وجملة كفروا صلة والمنكر مفعول به وفيه وضع الظاهر موضع المضمر وهو الذين كفروا تشنيعاً عليهم وتسجيلاً للشهادة عليهم بالكفر . (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) جملة يكادون حال من الموصول وان كان مضافاً لأن المضاف جزؤه ويجوز أن يكون حالاً من وجوه لأن المراد بها أصحابها ويكادون من أفعال المقاربة ، والواو اسمها وجملة يسطون خبرها وبالذين متعلقان بيسطون وجملة يتلون صلة وعليهم متعلقان بيتلون وآياتنا مفعول به . (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار) قل فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة ، أفأنبئكم الهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على محذوف أي أخاطبكم فأنبئكم وأنبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وبشر متعلقان بأنبئكم ومن ذلكم متعلقان بشر والنار خبر لمبتدأ محذوف ، أو النار مبتدأ وخبره جملة وعدها والجملة لا محل لها لأنها مفسرة لشر . (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) جملة وعدها الله إما خبر ثان واما خبر النار ووعدها الله فعل ومفعول به أول وفاعل والذين كفروا مفعول به ثان لوعدها ويجوز أن يكون الضمير هو المفعول الثاني والذين كفروا هو المفعول الاول ولعل هذا أرجح لسر سيأتي في باب الفوائد وبئس المصير فعل وفاعل والمخصوص بالذم

محذوف أي هي . (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) كلام مستأنف مسوق لضرب المثل وهو إن يكن أشبه بالقصة إلا انه في سيرورته واستغرابه سمي مثلاً ، يا أيها الناس تقدم اعرابها كثيراً وضرب مثل فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعل ، فاستمعوا الفاء الفصيحة واستمعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وله متعلقان باستمعوا . (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) الجملة مفسرة للمثل وان واسمها وجملة تدعون صلة ومن دون الله حال وجملة لن يخلقوا ذباباً خبر ان وذباباً مفعول به ولو الواو عاطفة على محذوف هو حال أي انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو في هذه الحال التي اجتمعوا لها ولو شرطية واجتمعوا فعل وفاعل وله متعلقان باجتمعوا . (وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) الواو عاطفة وان شرطية ويسلبهم فعل الشرط والهاء مفعول به والذباب فاعل وشيئاً مفعول به ثان ولا نافية ويستنقذوه جواب الشرط والواو فاعل والهاء مفعول به ومنه متعلقان بيستنقذوه وجملة ضعف الطالب والمطلوب حال . (وما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز) الواو استئنافية مسوقة للرد على أحبار اليهود ورؤسائهم الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وما نافية وقدروا فعل وفاعل ولفظ الجلالة مفعول به وحق قدره مفعول مطلق وجملة ان الله تعليل لما تقدم وان واسمها واللام المزحلقة وقوي خبر إن الاول وعزيز خبر إن الثاني .

البلاغة :

سلامة الاختراع :

وهو أن يخترع الشاعر أو الكاتب معنى لم يسبق اليه ولم يتبع

فيه فقوله تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً » الآية من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل الكافرين واستركاك عقولهم لغرابة التمثيل الذي تضمن الافراط في المبالغة مع كونها جارية على الحق خارجة مخرج الصدق وذلك حين اقتصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات وأقلها سلباً لما تسلبه وتعجيز كل من دونه سبحانه كائناً من كان عن خلق مثله مع التضافر والاجتماع ثم نزل في التمثيل عن رتبة الخلق إذ هما مما يعجز عن مثلهما كل قادر غير الله عز وجل الى استنقاذ النزر التفه الذي يسلبه هذا الخلق الضعيف على ضعفه ويعجز كل قادر من المخلوقين عن استنقاذه منه فتنقل في النزول في التمثيل على ما تقتضيه البلاغة على الترتيب في هذا المكان ، لما علم سبحانه انه لا مبالغة في تعجيزهم عن الخلق والاختراع الذي لا يدعيه جبار ولا يتعاطاه من المخلوقين أحد وإن أوتي قدرة وأعطي قوة وكان فيه من التغالي بالكفر والجهل ما يدعي معه الالهية وينتحل الربوبية ، فنزل بهم الى استنقاذ ما يسلبه هذا المخلوق الضعيف على ضعفه وقوتهم ليريهم عجزهم فتستيقنه نفوسهم وإن لم تقرّ به ألسنتهم فجاء بما يقضي الظاهر أنه أيسر من الخلق وهو الحقيقة مثله في العسر فإن الظفر بنفس هذا المخلوق أيسر من الظفر بما يسلبه فاستنقاذ ما يسلبه في العجز عنه مثل خلقه ولم يسمع مثل هذا التمثيل في بابه لأحد قبل نزول الكتاب العزيز .

هذا وقد قسم علماء البيان سلامة الاختراع إلى ضربين :

أولهما : يبتدعه صاحبه من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه وهذا الضرب يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، وينتبه له عند الأمور الطارئة فمن ذلك ما ورد في شعر لأبي تمام في قصيدة له يمدح بها المعتصم بالله ويذكر حرق الافشين ومطلعها :

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أُسْد العرين حذار

وفيها يخترع وصف المصلبين فيقول :

بكروا وأسروا في متون ضوامر
قيدت لهم من مربط النجّار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم
أبداً على سفر من الأسفار

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، والخاطر في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كبير كلفة لشاهد الحال الحاضرة ، ومما قاله فيها في صفة من أحرق بالنار :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرّ الزناد الواري
ناراً يساور جسمَه من حرها لهبٌ كما عصفرت شِقّ إزار
طارت لها شُعَلٌ يهدّم لفحها أركانه هدماً بغير غبار

فصَّلْنَ منه كلَّ مَجْمَعِ مَفْصِلٍ
وفعلن فاقرةً بكل فقار

مشبوبةً رفعت لأعظم مشرك
ما كان يرفع ضوءها للساري

صلى لها حياً وكان وقودها
ميتاً ويدخلها مع الفجار

وقد ذيل البحتري على ما ذكره أبو تمام في وصف المصلبين فقال :

كـم عزيز أباده فغــدا ير كب عــوداً مركّباً في عــود
أسلمتــه الى الرقــاد رجــال لم يكونوا عن وترهم برقود
تحسد الطير فيه ضبع البوادي وهو في غــير حالة المحسود
غاب عن صحبه فلا هو موجو د" لديهـم وليس بالمفقــود
وكأن امتداد كفيه فوق الجـــذع في محفل الردى المشهود
طائر مــد" مستريحاً جناحيـــه استراحات متعب مكـدود
أخطــب الناس راكباً فإذا أر جل خاطبت منه عـين البليد

ومن هــذا الضــرب ما جــاء في شعر أبي الطيب المتنــبي في وصفه الحمى :

وزائرتي كــأن بها حيـــاء فليس تزور إلا في الظـــلام
بذلت لها المطــارف والحشايا فعافتهــا وباتت في عظــامي
كأن الصبــح يطردها فتجري مدامعهــا بأربعة سجــام
أراقب وقتها من غــير شوق مراقبــة المشوق المستهـــام

ومن بديع ما أتى به في هذا الموضع أن سيف الله بن حمدان كان مخيماً بأرض ديار بكر على مدينة ميا فارقين ، فعصفت الريح بخيمته فتطــيّر الناس لذلك وقالوا فيــه أقوالاً فمدحه أبو الطيب بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة أولها :

أينفـــع في الخيمـــة العُذَّل وتشمــل من دهرها يشمل

ومما أحسن فيه غاية الاحسان وعدّ من أوابده التي لا تبلى قوله:

تضيق بشخصك أرجاؤها ويركض في الواحد الجحفل
وتقصر ما كنت في جوفها وتركز فيها القنا الذبّل
وكيف تقوم على راحة كأن البحار لها أنمل
فليت وقارك فرّقته وحملت أرضك ما تحمل
فصار الأنامُ به سادةً وسُدْتَهُمُ بالذي يفضُل
رأت لون نورك في لونها كلون الغزالة لا يُغْسَل
وأنّ لها شرفاً باذخاً وأن الخيام بها تخجل
فلا تنكرنّ لها صرعة فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بلّغ الناس ما بلّغت لخانتهمُ حولك الأرجل
ولما أمرت بتطنيبها أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تفعل
وعرّف انك من همه وأنك في نصره ترفل
فما العاندون وما أمّلوا وما الحاسدون وما قوّلوا
همُ يطلبون فمن أدركوا؟ وهم يكذبون فمن يقبل؟
وهم يتمنّون ما يشتهون ومن دونه جدّك المقبل

والمعاني المخترعة فيها واضحة للعيان وكفى المتنبي فضلاً أن يأتي بمثلها .

وفي كتاب الروضة لأبي العباس المبرد ، وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيــه بأبي نواس ثم بمن كان في زمانه فقال مما أورده من شعره : وله معنى لم يسبق اليه باجماع وهو قوله :

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كســرى وفي جنباتها مها تدّريها بالقسيّ الفوارس

فللراح ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

فالمعنى مخترع ولكنه ـ كما يقول الجاحظ ـ من المعاني المشاهدة فإن هذه الخمر لم تحمل إلا ماء يسيراً وكانت تستغرق صور هــذه الكأس الى مكان جيوبها وكان الماء فيها قليلاً بقدر القلانس التي على رؤوسها وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر .

وثانيهما : المعاني التي تستخرج من غير شاهد حال متصورة فانها أصعب منالاً مما يستخرج بشاهد الحال وقد قيل : إن أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداعاً للمعاني وقد عدت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معنى :

فمن ذلك قوله :

يا أيهــا الملك النائي برؤيته وجودُه لمراعي جوده كثب

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أمــلاً

إن السمـــاء ترجّى حــــين تحتجب

وكذلك قوله في الهجاء :

وأنت تـــدير قطـب رحـىً عليـــا
ولـــم نر للـرحى العليـــاء قطبـــا
ترى ظفـــراً بكــــل صـــراع قرن
إذا ما كنـت أسفـــل منـــه جنبـا

وكذلك قوله :

وإذا أراد اللــــه نشــر فضـــيلة
طويت أتـــاح لهـا لســان حســـود
لــولا اشتعـــال النار فيمـــا جاورت
ما كـــان يعرف طيـبُ عرف العـــود

وكذلك له في الشيب :

شعلــةٌ في المفـــارق استودعتـــني
في صميـــم الفؤاد ثكـــلا صميمـا
يستثـــير الهمـــوم ما اكتنّ منهـــا
صُعُـــداً وهي تستثـير الهمومـــا

على أن ابن الرومي فاق شعراء العربية جميعاً في خلق الأشكال للمعاني المجردة أو خلق الرموز لبعض الاشكال المحسوسة بل فاق بها شعراء الدنيا جميعاً . استمع لوصفه لحركة الرقاق في يد الخباز :

ما أنس لا أنس خبــازاً مررت بــه
يدحو الرقاقــة مثل اللمــح بالبصــر
ما بــين رؤيتهــا في كفــه كــرة
وبــين رؤيتهــا قوراء كالقمــر
إلا بمقــدار ما تنــداح دائــرة
في صفحــة المــاء يرمى فيــه بالحجر

ووصفه للحركة البطيئة في سير السحائب :

سحائبَ قيستْ في البــلاد فألفيت
غطــاء عــلى أغوارهــا ونجودهــا
حدتهــا النّعامى مثقــلات فأقبلــت
تهــادى ، رويــداً ، سيرهــا كركودها

وله :

واذا امــرؤ مــدح امرأً لِنوالــه
وأطــال فيه فقــد أراد هجــاءه
لو لــم يقــدر فيــه بعــد المستقى
عنــد الورود لما أطــال رشــاءه

وله قوله الممتع :

عــدوك من صــديقك مستفــاد
فــلا تستكثرنّ من الصحــاب
فإن الــداء أكثــر ما تــراه
يكــون من الطعــام والشــراب

وكذلك قوله :

لما تؤذن الــدنيا به من صروفهــا
يكون بكــاء الطفــل ساعة يولــد
وإلا فمــا يبكيــه منهــا وانهــا
لأوسـع ممــا كــان فيه وأرغــد
إذا أبصــر الــدنيا استهــل كأنــه
بمــا هو لاق من أذاهــا يهــدد

قول جامع للجاحظ :

وللجاحظ فصل ممتــع انتهى فيه الى وصف الذباب الذي نحن بصدد الحديث عنه قال : « ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب أو في معنى شريف كريم أو في بديع مخترع إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه إن هو لم يقدر على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى

ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه ، أو لعله يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط وقال انه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الأول هذا إذا قرعوه به إلا ما كان من عنترة في صفة الذباب فإنه وصفه فأجاد وصفه فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له قال عنترة :

جادت عليها كلّ عين ثرّة ... فتركن كل حديقة كالدرهم
فترى الذباب بها يغني وحده ... هزجاً كفعل الشارب المترنّم
غرداً يحكّ ذراعه بذراعه ... فعل المكبّ على الزناد الأجذم

يريد فعل الأقطع المكب على الزناد ، والأجذم المقطوع اليدين فوصف الذباب اذا كان واقعاً ثم حك إحدى يديه بالأخرى فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك » .

قصة قاضي البصرة :

وبعد أن تحدث الجاحظ طويلاً كعادته في الاستطراد عن الذباب روى قصة قاضي البصرة وهي طويلة تصور إلحاح الذباب وقدرته على العض وهي مثبتة في كتاب الحيوان للجاحظ فليرجع اليه من شاء .

الفوائد :

متى اجتمع بعد ما يتعدى الى اثنين شيئان ليس ثانيهما عبارة عن الأول فالفاعل المعنوي رتبته التقديم وهو المفعول الأول ويعني بالمفعول

الأول من يتأتى منه فعل فإذا قلت : وعدت زيداً ديناراً فالدينار هو المفعول الثاني لأنه لا يتأتى من فعل وهو نظير أعطيت زيداً درهماً فزيد هو الفاعل لأنه آخذ للدرهم ·

ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ
بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ۩ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا
جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ
مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى
ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ
ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

الاعراب :

(الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير اصطفائه تعالى الرسل والله مبتدأ وجملة يصطفي خبر ومن الملائكة حال لأنه كان في الأصل صفة لرسلاً وتقدم عليه ولك أن تعلقه بيصطفي ورسلاً مفعول به ومن الناس عطف على من

الملائكة وحذف من الثاني لدلالة الاول عليه أي ويصطفي من الناس رسلاً وجملة إن الله سميع بصير تعليلية لما تقدم أي سميع لما يقولونه بصير بمن يتخـذه رسولاً وان واسمها وسميع خبرها الاول وبصير خبرها الثاني . (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الأمور) جملة يعلم خبر ثالث أو مستأنفة ويعلـم فعـل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وما موصول مفعول به وبين أيديهم الظرف متعلق بمحذوف صلة وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم والى الله الواو عاطفة والى الله متعلقان بترجع وترجع فعل مضارع مبني للمجهول والأمور نائب فاعل . (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم) يا أيها الذين آمنوا تقدم اعرابها وجملة آمنوا صلة واركعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل واسجدوا عطف على اركعوا واعبدوا ربكم عطف أيضاً . (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) وافعلوا الخـير عطف على ما تقدم وجملة لعلكم تفلحون حال من الواو في اركعوا وما عطف عليه أي افعلوا هذه الأمور حال كونكم راجين الفلاح . (وجاهدوا في الله حق جهاده) وجاهدوا عطف أيضاً وفي الله متعلقان بجاهـدوا ولا بد من حذف مضاف بعد حذف مفعول جاهدوا أي جاهدوا أعداءكم في ذات الله ومن أجله ففي للسببية وحق جهاده مفعول مطلق .

(هو اجتباكم وما جعـل عليكم في الدين من حرج) هو مبتدأ وجملة اجتباكم أي اختاركم خبر والجملة حال من الله وما الواو عاطفة وما نافية وجعل فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وعليكم متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لجعـل وفي الدين حال ومن حرف جر زائد وحرج مجرور لفظـاً منصوب محـلاً لأنه مفعول جعـل الأول . (ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هـذا) ملة في

نصبها أوجه أظهرها ما ذكره الزمخشري ونصه : « نصب الملة بمضمون ماتقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجوز نصبها على الاختصاص أي أخص بالدين ملة أبيكم» أو بتقدير فعل مضمر تقديره اتبعوا وهناك أوجه أخرى لا تخرج عن هذه الأوجه ، وأبيكم مضاف اليه وابراهيم بدل من أبيكم وهو مبتدأ وجملة سماكم خبر والجملة حال من ابراهيم وسماكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول والمسلمين مفعول به ثان ومن قبل حال أي من قبل هذا الكتاب وفي هذا عطف على من قبل أي وفي هذا القرآن . (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) اللام للتعليل وقيل للعاقبة ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام واللام ومدخولها متعلقة بسماكم والرسول اسم يكون وشهيداً خبر يكون وعليكم متعلقان بشهيداً وتكونوا شهداء على الناس عطف على نظيرتها . (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) الفاء الفصيحة وأقيموا الصلاة فعل أمر وفاعل ومفعول به وما بعده عطف عليه . (هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) الجملة حالية من الله وهو مبتدأ ومولاكم خبر فنعم المولى الفاء استئنافية ونعم فعل ماض جامد لانشاء المدح والمولى فاعل والمخصوص بالمدح محذوف أي هو ، ونعم النصير عطف على نعم المولى .

سورة المؤمنون
مكية وآياتها ثماني عشرة ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ
﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ
﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾
ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

اللغـــة :

(اللغو) : اللغو : كل من كان حراماً أو مكروهاً أو مباحاً لم تدع اليه ضرورة ولا حاجة ، واللغو كل مالا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه واطراحه وكل مالا يعتد به •

(لفروجهم) : الفروج جمع فرج وهو من الانسان العورة •

الاعراب :

(قد أفلح المؤمنون) قد حرف تحقيق وأفلح فعل ماض والمؤمنون فاعل • (الذين هم في صلاتهم خاشعون) الذين صفة للمؤمنون وهم مبتدأ وفي صلاتهم متعلقان بخاشعون ، وخاشعون خبر « هم » والجملة صلة الذين ، وقدم الجار والمجرور على متعلقه للاهتمام به وحسنه كون متعلقه فاصلة • (والذين هم عن اللغو معرضون) والذين عطف على الذين وهم مبتدأ وعن اللغو متعلقان بمعرضون ، ومعرضون خبر «هم» والجملة صلة الذين • (والذين هم للزكاة فاعلون) والذين عطف على الذين وهم مبتدأ وفاعلون خبر وللزكاة متعلقان بفاعلون وضمن فاعلون معنى مؤدون وقيل اللام زائدة في المفعول به لتقدمه على عامله • (والذين هم لفروجهم حافظون) والذين عطف على ما تقدم وهم مبتدأ وحافظون خبر ولفروجهم متعلقان بحافظون • (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) إلا أداة استثناء وعلى أزواجهم في موضع الحال أي إلا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن قال الزمخشري : « من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أو والياً عليها ومنه قولهم : فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشاً والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق « على » بمحذوف يدل عليه « غير ملومين » كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله إلا فعلت معنى ما طلبت منك إلا فعلك » وذهب الفراء الى أن « على » بمعنى « من » أي إلا من أزواجهم كما جاءت « من »

بمعنى « على » في قوله « ونصرناه من القوم » ، وأو حرف عطف وما عطف على أزواجهم وجملة ملكت أيمانهم صلة وعبر بما دون « من » وان كان المقام لها لنقصهن لأنهن السراري ، والسرية : الأمة التي بوأتها بيتاً وهي فعلية منسوبة الى السر وهو الجماع أو الإخفاء لأن الانسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرّته ، وضمت السين لأن الأبنية قد تغير في النسب كما قالوا في النسب الى الدهر دهري والى الارض السهلة سهلي بضم أولهما والجمع سراري وقال الأخفش هي مشتقة من السرور لأن الانسان يسرّ بها، وعبارة المصباح: «والسرية فعلية قيل مأخوذة من السر بالكسر وهو النكاح فالضم على غير قياس فرقاً بينها وبين الحرّة إذا نكحت سراً فإنه يقال لها سرية بالكسر على القياس وقيل من السر بالضم بمعنى السرور لأن مالكها يُسر بها فهو على القياس » . (فإنهم غير ملومين) الجملة تعليل للاستثناء وان واسمها وغير ملومين خبرها . (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وابتغى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ووراء الظرف متعلق بمحذوف صفة وهذا المحذوف مفعول ابتغى أي ابتغى شيئاً كائناً وراء ذلك ولك أن تجعل وراء بمعنى خلاف فتنصبه على أنه مفعول به وذلك مضاف اليه والفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان والعادون خبر أولئك أو هم ضمير فصل والعادون خبر والجملة خبر أولئك . (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) والذين عطف على ما تقدم وهم مبتدأ وراعون خبره ولأماناتهم متعلقان براعون وعهدهم عطف على أماناتهم . (والذين هم على صلواتهم يحافظون) تقدم اعرابها وهي عطف على ما تقدم . (أولئك هم الوارثون) أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والوارثون خبر وقد تقدم انه يجوز اعراب هم مبتدأ ثانياً ولكن

الأحسن أن يكون للفصل للدلالة علـى التخصيص . (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) الذين خبر ثان أو صفة للوارثون وجملة يرثون صلة والفردوس مفعول به وهم مبتدأ وفيها متعلقان بخالدون ، وخالدون خبر هم وأنث الفردوس باعتبار المعنى أن الجنة وجملة هم فيها خالدون حال .

البلاغـة :

١ ـ التفصيل :

تميزت السورة ببراعة استهلالها لأنها ذكرت أحوال المؤمنين على جهة التفصيل ، والتفصيل على قسمين : متصل ومنفصل ، فالمتصل كل كلام وقع فيه أما أو ما كقوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم » الى آخر الكلام ، وأما المنفصل فهو ما يأتي مجمله في مكان ومفصله في مكان آخر كقوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون » الى قوله تعالى « والذين هم لفروجهم حافظون » الى قوله تعالى « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » فإن قوله تعالى وراء ذلك اجمال المحرمات وقد تقدمت مفسّرة في سورة النساء بقوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » الى قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلك » فإن هذه الآية اشتملت على خمسة عشر محرماً من أصناف النساء ، ذوات الأرحام ثلاثة عشر صنفاً ومن الأجانب صنفان .

٢ ـ الطباق :

وفي قوله تعالى « الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون » طباق أيجاب ، فقد جمع سبحانه للمؤمنين في هذا

الوصف بين الفعل والترك إذ وصفهم بالخشوع في الصلاة وترك اللغو وهذا كله من طباق الايجاب المعنوي ، وقد حمدوا الخشوع كثيراً ، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال : « لو خشع قلبه خشعت جوارحه » ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول : اللهم زوجني بالحور العين فقال : بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً
فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً
فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ج
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ
إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

الاعراب :

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب قسم محذوف واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وخلقنا فعل وفاعل والانسان مفعول به ومن سلالة متعلقان بخلقنا ، فمن للابتداء ومن طين صفة لسلالة أو متعلقان بسلالة لأنها بمعنى مسلولة ، فمن للبيان ، ولا تلتفت الى قول بعض المعربين ان الواو عاطفة جملة كلام على جملة كلام فالكلام مستأنف لا علاقة له بما قبله . (ثم جعلناه

نطفة في قرار مكين) ثم حرف عطف وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به ونطفة مفعول به ثان وفي قرار مفعول به ثالث ومكين صفة . (ثم خلقنا النطفة علقة) ثم حرف عطف وخلقنا فعل وفاعل والنطفة مفعول به أول وعلقة مفعول به ثان لأن خلقنا متضمن معنى صيرنا . (فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً) الفاء حرف عطف وخلقنا فعل وفاعل والعلقة مفعول به أول ومضغة مفعول به ثان ، فخلقنا فعل وفاعل والمضغة مفعول به أول وعظاماً مفعول به ثان . (فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) الفاء حرف عطف وكسونا فعل وفاعل والعظام مفعول به أول ولحماً مفعول به ثان ثم حرف عطف وأنشأناه فعل وفاعل ومفعول به وخلقاً حال وآخر صفة فتبارك الفاء استئنافية وتبارك فعل ماض والله فاعل وأحسن بدل من الله والخالقين مضاف اليه وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف ، لأن المضاف إليه عوض من « من » وهكذا جميع باب اسم التفضيل ، ومميز أحسن محذوف للعلم به أي خلقاً . (ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) ثم حرف عطف وتراخ وان واسمها وبعد ذلك الظرف متعلق بمحذوف حال أو بميتون ، واللام المزحلقة وميتون خبر ان ، ثم انكم عطف على ما تقدم وجملة تبعثون خبر ان .

البلاغة :

١ ـ المخالفة في حروف العطف :

في حروف العطف المتتابعة في هذه الآيات أسرار لطيفة المأخذ دقيقة المعنى ، فقد ذكر تعالى تفاصيل حال المخلوق في تنقله فبدأ بالخلق الاول وهو خلق آدم من طين ، ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو

خلق النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخي وحيث صار الى التقدير الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخ عطفه بالفاء ، ولما انتهى الى جعله ذكراً أو انثى وهو آخر الخلق عطفه بثم ، ونحن نعلم أن الزمن الذي تصير فيه النطفة علقة طويل ولكن الحالتين متصلتان فأحياناً ينظر الى طول الزمان فيعطف بثم وأحياناً ينظر الى اتصال الحالين ثانيهما بأولهما من غير فاصل بينهما بغيرهما فيعطف بالفاء، ومثل هذا تزوج محمد فولد له. وشيء آخر ، وهو ان صيرورة التراب نطفة أمر مستبعد في ظاهر الحال ومثل ذلك صيرورة النطفة علقة لاختلاف احداهما عن الاخرى اختلافاً ظاهراً ولكن صيرورة العلقة مضغة لا غرابة فيه لتقاربهما فلهذا الوجه عطف في قوله تعالى « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة » بثم ، وفي الآية التي نحن بصددها لوحظت أطوار الخلق وتباعد الأوقات بين كل طورين . وفي حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ما خلاصته : اختلاف العواطف بالفاء وثم لتفاوت الاستحالات يعني ان بعضها مستبعد حصوله مما قبله وهو المعطوف بثم فجعل الاستبعاد عقلاً أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسي لأن حصول النطفة من أجزاء ترابية غريب جداً وكذا جعل النطفة البيضاء ماء أحمر بخلاف جعل الدم لحماً مشابهاً له في اللون والصورة وكذا تصليبها حتى تصير عظماً لأنه قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد وكذا مد لحم المضغة عليه ليستره وذلك يقتضي عطف الجميع بثم إن نظر لآخر المدة وأولها ، ويقتضي العطف بالفاء ان نظر لآخرها فقط .

٢ ــ تشبيه الرحم بالقرار :

في قوله تعالى « في قرار مكين » استعارة تصريحية فقد حذف

المشبه وأبقى المشبه به ، والمشبه هو الرحم وقد شبهه بالقرار أي موضع الاستقرار ثم وصفه بمكـــين بمعنى متمكن لتمكنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال أو لتمكن ما يحـل فيه كقولهم طريق سائر أي يسار فيه • وبقي ايضاح قوله تعالى «خلقاً آخر» وقد كثرت فيه الأقوال واضطربت ، وخير ما يقال فيه انه عام والمراد مباينته للخلق الأول مباينة بعيدة جداً حيث جعله حيواناً وكان جماداً ، وناطقاً وكان أبكم ، وسميعاً وكان أصم ، وبصيراً وكان أعمى أكمه ، وأودع باطنه وظاهره وكـل عضو من أعضائه وكـــل جزء من أجزائه عجائب لا توصف وغرائب لا تدرك •

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ
سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً
نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾

اللغـــة :

(طرائق) : جمع طريقة وهي السيرة والحالة والمذهب والخط

في الشيء ، وفي الاساس واللسان : « ووضع الاشياء طرّقة طرقة وطريقة طريقة : بعضها فوق بعض وهي طرق وطرائق ، وطرّق طريقاً سهّله حتى طرقه الناس بسيرهم » وسميت السموات طرقاً لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة .

(طور سيناء) : وطور سنين قال الزمخشري : « لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف اليه كامرىء القيس وكبعلبك فيمن أضاف ، فمن كسر سين سيناء فقد منع من الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها بقعة وفعلاء لايكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ، ومن فتح فلم يصرف لأن الألف للتأنيث كصحراء » هذا وسيناء شبه جزيرة يحدها البحر الابيض المتوسط شمالاً وقناة السويس وخليج السويس غرباً وفلسطين وخليج العقبة شرقاً تنتهي جنوباً عند رأس محمد في البحر الأحمر ، وسيناء جبل واقع في شبه جزيرة سيناء جنوباً والمراد بالشجرة شجرة الزيتون وخصت بطور سيناء مع أنها تخرج في غيره لأن أصلها منه ثم نقلت الى غيره .

الاعراب :

(ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) جملة مستأنفة مسوقة لذكر خلق السموات التي تعلو الانسان بعد ذكر خلقه واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وخلقنا فعل وفاعل وفوقكم ظرف متعلق بخلقنا وسبع طرائق مفعول خلقنا وطرائق مضاف لسبع ، وما الواو حالية وما نافية وكان واسمها وعن الخلق متعلقان بغافلين وغافلين خبر كنا . (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في

الارض) وأنزلنا عطف عـلى خلقنا ومن السماء متعلقـان بأنزلنا وماء مفعول به وبقدر صفة لماء أو حال من الضمير أي بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة ، فأسكناه عطف على انزلنا وهو فعل وفاعل ومفعول به وفي الأرض متعلق بأسكناه • (وإنا على ذهاب به لقادرون) الواو عاطفة وان واسمها وعـلى ذهاب متعلقان بقادرون وبه متعلقان بذهاب وقادرون خبر إنا واللام المزحلقة • (فأنشأنا لكـم به جنات من نخيل وأعناب) الفاء عاطفة وأنشأنا فعل وفاعل ولكم متعلق بأنشأنا وبه متعلقـان بأنشأنا أيضاً أو بمحـذوف حال فتكون الباء للملابسة وجنات مفعول به ومن نخيل صفة لجنات وأعناب عطف على نخيل • (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) لكم خبر مقدم وفيها حال وفواكه مبتدأ مؤخر وكثيرة صفة ومنها متعلقان بتأكلون ، وتأكلون فعل مضارع وفاعل وجملة لكم فيها الآية حال من جنات أو صفة كما هي القاعـدة • (وشجرة تخرج من طور سيناء) الواو حرف عطف وشجرة عطف على جنات وجملة تخرج صفة لشجرة ومن طور سيناء جار ومجرور متعلقان بتخرج • (تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) الجملة صفة ثانية لشجرة وبالـدهن في موضع نصب عـلى الحال أي ملتبسة بالدهن ومصحوبة به ، والدهن عصارة كـل شيء ذي دسم ، وصبغ عطف على الدهن جار على اعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونـه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصبغ به الخبز أي يغمس فيه للائتدام به ، وللآكلين صفة لصبغ • (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها) الواو حرف عطف وان حرف مشبه بالفعل ولكم خبرها المقدم وفي الأنعـام حال واللام المزحلقـة وعبرة اسم ان وجملة نسقيكـم تفسيرية لعبرة أو مستأنفة والكاف مفعول به ومما متعلقان بنسقيكم وفي بطونها متعلقان بمحذوف

صلة ما . (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) تقدم اعرابها قريباً فجدد به عهداً .

البلاغــة :

في قوله تعالى « وصبغ للآكلين » استعارة تصريحية شبه الادام من المائعات بالصبغ ثم حــذف المشبه وأبقى المشبه به بجامع التلون بلونه إذا غمس به .

وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ
فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن
يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ
إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾

الاعراب :

(وعليها وعلى الفلك تحملون) الواو عاطفة وعليها متعلقان بتحملون والضمير يعود على الابل التي هي من جملة الانعام ولأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفن البر . (ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لسرد خمس قصص أولاها قصة نوح ، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل ونوحاً مفعول به والى قومه متعلقان بأرسلنا . (فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون) الفاء حرف عطف وقال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ويا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة واعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وما نافية ولكم خبر مقدم ومن حرف جر زائد وإله مبتدأ مؤخر محلاً مجرور بمن لفظاً وغيره صفة لإله على المحل وقرىء بالجر على اللفظ وهو جائز وجملة مالكم من إله غيره مستأنفة تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة ، والهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على مقدر أي أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم . (فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما هذا إلا بشر مثلكم) الفاء عاطفة وقال الملأ فعل وفاعل والذين صفة للملأ وجملة كفروا صلة ومن قومه حال وجملة ما هذا مقول القول وما نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلكم صفة وهذه هي الشبهة الأولى من الشبه الخمس التي ذكروها . (يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة) جملة يريد صفة وأن وما في حيزها مفعول يريد وعليكم جار ومجرور متعلقان بيتفضل والواو حالية أو استئنافية وشاء الله فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محذوف يفهم من مضمون جواب لو أي لو

شاء انزال رسول ، واللام واقعة في جواب لو وجملة أنزل ملائكة لا محل لها لأنها جواب شرط جازم وهذه هي الشبهة الثانية • (ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) الجملة مستأنفة مسوقة لحكاية شبهتهم الثالثة وما نافية وسمعنا فعل وفاعل وبهذا متعلقان بسمعنا وفي آبائنا في محل نصب حال أي في قصص آبائنا والأولين صفة لآبائنا • (إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) جملة مستأنفة مسوقة لحكاية شبهتهم الرابعة وإن نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر ورجل خبر هو وبه خبر مقدم وجنة أي جنون مبتدأ مؤخر والجملة صفة رجل فتربصوا الفاء الفصيحة أي إن أردتم أن تتبينوا حقيقته فتربصوا ، ويجوز أن تكون استئنافية وهذه هي شبهتهم الخامسة ، وتربصوا فعل أمر أي انتظروا والواو فاعل وبه متعلقان بتربصوا وحتى حرف غاية وجر وحين مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بتربصوا أيضاً أي اصبروا عليه واحتملوه الى زمان حتى ينجلي لكم أمره عن مغبته فإن أفاق من جنته وإلا قتلتموه • (قال رب انصرني بما كذبون) كلام مستأنف مسوق لطلب الانتصاف منهم والانتصار عليهم من ربه بعد أن يئس من إيمانهم ، ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وانصرني فعل أمر والفاعل مستتر والنون للوقاية والياء مفعول به والباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بالباء أي بسبب تكذيبهم إياي فالباء للسببية ويجوز أن تكون للبدل أي انصرني بدل تكذيبهم إياي ، كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك ومكانه ، والجار والمجرور متعلقان بانصرني • (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا) الفاء استئنافية وأوحينا فعل وفاعل واليه متعلقان بأوحينا وأن مفسرة لوقوعها بعد أوحينا وهو فعل فيه معنى القول دون حروفه واصنع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والفلك مفعول به وبأعيننا

حال من الضمير المستكن في اصنع أي بحفظنا وكلاءتنا ، ووحينا عطف على أعيننا أي وأمرنا . (فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين) الفاء عاطفة لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالأمر العذاب ، وجملة جاء مضاف اليها الظرف وأمرنا فاعل وفار التنور عطف على جاء أمرنا وقد تقدم بحث هذا في سورة هود . فاسلك الفاء رابطة لجواب اذا واسلك فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وفيها متعلقان باسلك ومن كل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لاثنين واثنين مفعول اسلك وقد تقدم اعراب هذا في هود أيضاً . (وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) وأهلك عطف على اثنين وإلا أداة استثناء ومن مستثنى متصل من موجب فهو واجب النصب وجملة سبق صلة وعليه متعلقان بسبق ، والقول فاعل ومنهم حال أي بالاهلاك . (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) الواو عاطفة ولا ناهية وتخاطبني فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والنون للوقاية والياء مفعول به وفي الذين متعلقان بتخاطبني أي بترك اهلاكهم وذلك بعد أن لزمتهم الحجة البالغة ، وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاول ، لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ، وجملة ظلموا صلة وجملة إنهم مغرقون تعليل للنهي عن المخاطبة بشأنهم وان واسمها وخبرها . (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) الفاء استئنافية وإذا ظرف مستقبل وجملة استويت في محل جر بالاضافة اليها وأنت تأكيد للتاء ومن عطف على التاء ومعك ظرف متعلق بمحذوف صلة لمن وعلى الفلك متعلقان باستويت أي اعتدلت عليه . (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) الفاء رابطة لجواب إذا وقل فعل أمر وأفرده بالأمر اظهاراً لفضله واشعاراً بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم ، والحمد مبتدأ ولله خبره والجملة مقول القول وجملة القول

لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والذي صفة لله وجملة نجانا صلة ومن القوم متعلقان بنجانا والظالمين صفة للقوم .

وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ
الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ
مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ
إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا
أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾

الاعراب :

(وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) الواو عاطفة وقل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف وأنزلني فعل أمر للدعاء والفاعل مستتر تقديره أنت والنون للوقاية والياء مفعول به ومنزلاً اسم مكان

أو مصــدر مفعول به ثان أو مفعول مطلق ومباركاً صفــة وأنت الواو حالية وأنت مبتــدأ وخير المنزلين خبر • (إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين) الجملة مستأنفة مسوقة لتعليل ما ذكر وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم ولآيات اللام المزحلقــة وآيات اسم إنّ ، وإن مخففــة من الثقيلة والغالب إهمالها وكنا كان واسمها والــلام الفارقة ومبتلين خبر كنا ويجوز أن يكون اسمها ضمير الشأن والجملة خبرها ويجوز أن تكون إن نافية واللام بمعنى إلا • (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) ثم حرف عطف للتراخي وأنشأنا فعل وفاعل ومن بعدهم حال وقرناً مفعول به أي قوماً وآخرين صفة وهم قوم عاد • (فأرسلنا فيهم رسولاً منهم) الفاء حرف عطف وأرسلنا فعل وفاعل وفيهم متعلق بارسل ورسولاً مفعول به ومنهم صفة • (أن اعبدوا الله مالكم من إلــه غيره أفــلا تتقون) أن مفسرة لأن في الارسال معنى القول دون حروفه أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله ثم إن ارسال الرسل هو للتبليغ ، ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في موضع نصب بنزع الخافض أي بأن اعبدوا والجار والمجرور متعلقان بأرسلنا وما بقي تقدم اعرابه قريباً بنصه فجدد به عهداً • (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا) الواو عاطفة وقال الملأ فعل وفاعل ، والجملة من كلامهم الباطل معطوفة على كلامه الحق فالعطف هنا لبيان المفارقة ، وقد سبق مثل هذا التعبير في سورة الأعراف مجرداً من الواو كأنه جواب سؤال مقدر فلم يحتج اليها ، ومن قومه حال والذين صفة لقومه وجملة كفروا صلة وما بعدها عطف عليه داخل في حيزها ، وأسهب في وصفهم لبيان فداحة ما ارتكبوه من كفران للنعم وجحود للنعم المترادفة عليهــم ليورد بعــد ذلك على لسانهم شبهتــين من شبهات الملاحــدة وبنوا عليهما انكارهم البعث

والطعن في رسالته عليه السلام • (ما هــذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) ما نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلكم صفة وجملة يأكل صفة ثانية ومما متعلقان بيأكل وجملة تأكلون صلة ولك أن تجعلها مصدرية أي من مأكولكم وكذلك قوله ويشرب مما يشربون ، وحــذف العائد من الثاني اكتفاء بالعائد الأول وهو منه والجملة كلها مقول القول وهي تتضمن الشبهة الاولى • (ولئن أطعتــم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون) الواو عاطفــة واللام موطئة للقسم وإن شرطية وأطعتم فعل وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط وبشــراً مفعول به ومثلكم صفة وإن واسمها واللام المزحلقة وخاسرون خبرها ، وإذن : هذه ليست هي الناصبة للفعل المضارع وانما هي اذا الشرطية حذفت جملتها التي تضاف وعوض عنها التنوين كما في يومئذ ولهذا لا يختص دخولها على المضارع بل تدخل على الماضي وعلى الاسم وقد وردت في القرآن كثيراً مثل « إنكم إذن من المقربين » فقد دخلت هنا على الاسم ومن دخولها على الماضي قوله « وإذن لآتيناهم » وهذا تقرير عن شبهتهــم الثانية • والجملة جواب القسم لأنه المتقدم حسب القاعــدة • (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتــم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون) الهمزة للاستفهام الانكــاري الاستبعادي وجملة يعدكم مستأنفــة مسوقة لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعــه بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده • ويعدكم فعــل مضارع وفاعل مستتر تقديره هو والكاف مفعول به وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول به ثان وأن واسمهــا ومخرجون خبرهــا وإذا ظرف متعلق بمخرجون وجملة متم في محــل جر باضافة الظرف اليها وكنتم تراباً وعظاماً عطف على إذا متم وأنكم الثانية تأكيد للأولى لما طال الفصل بين اسم ان وهو الكاف وخبرها وهو مخرجون ولما كانت لمجرد التأكيد

اللفظي لم تحتج الى الخبر ، وهذا أحد أوجه ذكرها النحاة وسنأتي على ذكرها في باب الفوائد لأنها كلها صحيحة وما ذكرناه أسهلها .
(هيهات هيهات لما توعدون) هيهات اسم فعل ماض بمعنى بعد وسيأتي الكلام عليها مطولاً في باب الفوائد والثانية تأكيد لفظي لها واللام زائدة وما اسم موصول فاعل لاسم الفعل وهو هيهات ومحله القريب الجر باللام الزائدة ومحله البعيد الرفع على أنه فاعل هيهات ، ويجوز أن تكون ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيهات ، وسيأتي مزيد من الأوجه في اعراب هذا التركيب في باب الفوائد .

الفوائـد :

١ ـ في قوله تعالى « أيعدكم أنكم إذا متم » الآية : اختلفت آراء الأئمة النحاة والمفسرين في اعراب هـذه الآية وقد ذكرنا في الاعراب ما رأيناه أقرب الى التناول وأدنى الى المنطق وسنورد لك هنا ما قالوه لوجاهته ، ولترى ما تختار فقـال سيبويه : إن خبر « أن » الأولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه تقديره « أنكم مخرجون » وهو العامل في الظرف و « أن » الثانية وما في حيزها بدل من الأولى .

وذهب الجرمي والمبرد والفراء : الى أن خبر « أن » الأولى هو مخرجون وهو العامل في « اذا » وكررت الثانية توكيداً لما طال الفصل وهذا هو الوجه الذي اخترناه .

واختار أبو البقاء أن اسم الأولى محذوف أقيم مقام المضاف اليه تقـديره : أن اخراجكم ، و « إذا » هو الخبر و « أنكم مخرجون » تكرير لأن « أن » وما عملت فيه للتوكيد أو للدلالة على المحذوف .

وقيل « أنكم مخرجون » مبتدأ وخبره الظرف مقدماً عليه والجملة خبر عن « أنكم » الأولى والتقدير : أيعدكم انكم إخراجكم كائن أو مستقر وقت موتكم ، ولا يجوز أن يكون العامل في « إذا » مخرجون لأن مافي حيز « أن » لا يعمل فيما قبلها ولا يعمل فيها « متم » لأنه مضاف اليه ، وانكم ومافي حيزه في محل نصب أو جر بعد حذف حرف الجر إذ الأصل أيعدكم بأنكم ، ويجوز أن لا يقدر حرف جر فيكون في محل نصب فقط نحو وعدت زيداً خيراً •

٢ ــ هيهات :

في هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين ونذكر فيما يلي أشهرها وما قرىء به ، فالمشهور هيهات بفتح التاء من غير تنوين بني لوقوعه موقع المبني أو لشبه الحرف وبها قرأ العامة وهي لغة الحجازيين، وهيهاتاً بالفتح والتنوين ، وهيهات بالضم والتنوين ، وبالضم من غير تنوين ، وهيهات بالكسر والتنوين ، وبالكسر من غير تنوين ، وهيهات باسكان التاء ، وهيهه بالهاء آخراً ووصلاً ووقفاً ، وايهات بابدال الهاء همزة مع فتح التاء • فهذه تسع لغات وقد قرىء بهن ولم يتواتر منهن غير الأولى ، ويجوز ابدال الهمزة من الهاء الاولى في جميع ما تقدم فيكمل بذلك ست عشرة لغة ، وايهان بالنون آخراً وايها بالألف آخراً ، ويقع الاسم بعدها مرفوعاً بها ارتفاع الفعل بفعله لأنها جارية مجرى الفعل فاقتضت فاعلاً كاقتضائه الفعل • قال جرير :

فهيهات هيهات العقيق ومن به   وهيهات خلٌ بالعقيق نواصله

والعقيق واد بالمدينة يقول فيه جرير ويبدع :

ولــم أنس يومـــاً بالعقيق تخايلت
ضحـــاه وطابت بالعشي أصائلـــه
رزقنا به الصيـــد العزيز ولـم نكن
كمن نبـــله محرومـــة وحبائلـــه

وقال الزمخشري : « فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله : « فهيهات هيهات العقيق وأهله » فما هذه اللام ؟ قلت : قال الزجاج في تفسيره : البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نوّن فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به » وما اخترناه في الاعراب أسهل وأقـرب •

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ
بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾

اللغـــة :

(غثاء) : الغثاء : ما يحمله السيل ومثله الجفاء وهو ما تكسّر وتهشّم أيضاً من المرعى إذا يبس ، ويجمع عـلى أغثية كغراب وأغربة وعلى غثيان كغراب وغربان ، وقال الزجاج هو البالي من ورق الشجر إذا جرى السيل فخالط زبده ، وقيل ما يلقيه السيل والقذر مما لا ينتفع به ، ولامه واو لأنه من غثا الوادي يغثو غثواً وكـذلك القـدر ، وأما غثيث نفسه تغثى غثياناً أي خبثت فهو قريب من معناه ولكنه من مادة الياء وقال الزمخشري : « شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي وأسود من بلي العيدان والورق » •

الاعراب :

(إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير معتقدهم بأن العالم قديم بالطبع ولم يزل كذلك ولم يحدث باحداث محدث والناس كالنبات ينبتون ويعودون بالموت هشيماً وهذا كفر صريح وضلال بعيد وسيأتي في باب الفوائد مزيد من معتقد الدهريين • وان نافيه وهي مبتدأ وإلا أداة حصر وحياتنا خبر والدنيا صفة وجملة نموت ونحيا حالية أو مفسرة لما ادعوه من أن حياتهم هي الحياة الدنيا أي يموت بعضنا وينقرض بعضنا الى انقراض العصر ، والواو حرف عطف وما نافية حجازية ونحن اسمها وبمبعوثين الباء حرف جر زائد ومبعوثين مجرور بالباء لفظاً خبر ما محلاً • (إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين) ان نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر ورجل خبر وجملة افترى صفة وعلى الله متعلقان بافترى وكذباً

مفعول به ، والواو حرف عطف وما نافيــة حجازية ونحن اسمها وله متعلقان بمؤمنين ومؤمنــين محله القريب مجرور بالباء الزائدة ومحله البعيد خبر ما • (قال رب انصرني بما كذبون) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ورب منادى محذوف منه حرف النداء مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وانصرني فعل أمر معناه الدعاء والنون للوقاية والفاعل مستتر تقــديره أنت وبما الباء حرف جر وما موصولــة أو مصدرية وكذبوني فعل وفاعــل ومفعول به والجملة صلة ما والجار والمجرور متعلقان بانصرني • (قال عما قليل ليصبحن نادمين) عما قليل : عن حرف جر وما زائدة وقليــــل مجرور بعن والجار والمجرور متعلقان بيصبحن أو بنادمين أو بمحذوف تقديره عما قليل ننصر فحذف لدلالة ما قبله وهو رب انصرني ، واللام موطئة للقسم ويصبحن فعل مضارع ناقص والواو المحذوفة لالتقــاء الساكنين اسمهــا وهو مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الامثال والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة ونادمين خبر يصبحن • (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين) الفاء عاطفة وأخذتهم الصيحة فعل ومفعول به وفاعل وبالحق حال من الصيحة ، فجعلناهم عطف على فأخذتهم والهاء مفعول به أول وغثاء مفعول به ثان والفاء حرف عطف وبعداً مصدر يذكر بدلاً من اللفظ بفعله فهو مفعول مطلق لفعل محذوف واجب الاضمار لأنه بمعنى الدعاء عليهم والاصل بعدوا بعداً وللقوم صفة لبعداً ولا تتعلق به لأنه لا يحفظ حذف هذه اللام ووصول المصدر الى مجرورها البتة ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل • (ثم أنشأنا من بعــدهم قروناً آخرين) ثم حرف عطف وتراخ وأنشأنا فعل وفاعل ومن بعدهم متعلقان بمحذوف حال وقروناً مفعول به وآخرين صفــة • (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) ما نافية وتسبق فعل مضارع ومن حرف جر

زائد وأمة مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه فاعل تسبق وأجلها مفعول به وما يستأخرون عطف على ما سبق وذكر الضمير بعد تأنيثه لمراعاة المعنى لأن أمة بمعنى قوم •

الفوائد :

في شرح النهج لابن أبي حديد : « قال قاضي القضاة : ان أحداً من العقلاء لم يذهب الى نفي الصانع للعالم ولكن قوماً من الورّاقين اجتمعوا ووضعوا بينهم مقالة لم يذهب أحد اليها وهي أن العالم قديم لم يزل على هيئته هذه ولا إله للعالم ولا صانع له أصلاً وإنما هو هكذا ما زال ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر ، ومن أشهر الذين أخذوا هذه المقالة من العرب ابن الراوندي وقد أخذ هذه المقالة ونصرها في كتابه المعروف بكتاب التاج » قلت : قد ذكر أبو العلاء المعري ابن الراوندي وتاجه هذا في رسالة الغفران ومما قاله : « وأما ابن الراوندي فلم يكن الى المصلحة بمهدي ، وأما تاجه فلا يصلح أن يكون نعلاً وهل تاجه إلا كما قالت الكاهنة أف وتف وجورب وخف » • وفي هؤلاء يقول أبو العلاء في لزومياته :

ضل الذي قال البلاد قديمة   بالطبع كانت والأنام كنبتها
وأمامنا يوم تقوم هجوده   من بعد ابلاء العظام ورفتها

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا

مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا
لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ
إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

اللغـــة :

(تترى) سترد في باب الاعراب •

(ربوة) : الربوة والرباوة : الارض المرتفعة وفي رائهما الحركات الثلاث وقد اختلف المفسرون في المراد بها فقيل بيت المقدس وقيل دمشق وغوطتها ، وعن الحسن فلسطين والرملة •

(معين) :اسم مفعول من عان يعين كباع يبيع فهو معين كمبيع فالميم زائدة وأصله معيون كمبيوع وقد دخله الاعلال ، والمعين : الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته ، فوجه من جعله مفعولاً أنه مدرك بالعـين لظهوره من عانه إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبته ، ووجه من جعله فعيـلاً أنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة ، وقال الراغب : هو من معن الماء جرى وسمي مجرى الماء معيان ، وأمعن الفرس تباعـد في عدوه ، وأمعن بحقي ذهب به ، وفلان معن في حاجته أي سريع •

الاعراب :

(ثم أرسلنا رسلنا تترى) ثم حرف عطف وتراخ وأرسلنا فعل وفاعل ورسلنا مفعول به وتترى : التاء مبدلة من الواو وأصله وترى وهو مصدر كشبعى ودعوى فألفه للتأنيث وهو منصوب على الحالية أي متتابعين فهو مصدر واقع موقع الحال ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف تقديره ارسالا تترى اي متتابعا وفي ألفها ثلاثة أقوال :

١ ـ هي للإلحاق بجعفر كالألف في أرطى ولذلك تؤنث في قول من صرفها .

٢ ـ هي بدل من التنوين .

٣ ـ هي للتأنيث مثل سكرى ولذلك لا تنون على قول من منع الصرف .

(كلما جاء أمة رسولها كذبوه) كلما ظرف متضمن معنى الشرط وجملة جاء أمة إما مضاف اليها وإما لا محل لها وقد تقدم تفصيل البحث عن كلما ، وأمة مفعول مقدم ورسولها فاعل مؤخر وجملة كذبوه لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم . (فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث) الفاء عاطفة وأتبعنا فعل وفاعل وبعضهم مفعول به أول وبعضاً مفعول به ثان وجعلناهم عطف على أتبعنا والهاء مفعول به أول وأحاديث مفعول به ثان ، والأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكون جمعاً للأحدوثة التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة وهي مما يتحدث به الناس تزجية للفراغ واجتلاباً للسلوى ودفعاً للملالة وتعجباً وتلهياً ،

وفي القاموس « يقال صاروا أحاديث أي انقرضوا » • (فبعداً لقوم لا يؤمنون) الفاء استئنافية وبعداً مصدر لفعل محذوف أي بعدوا بعداً وهذا دعاء عليهم ولقوم تقدم القول في هذه اللام قريباً فجدد به عهداً وجملة لا يؤمنون صفة لقوم • (ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين) ثم حرف عطف وتراخ وأرسلنا فعل وفاعل وموسى مفعول به وأخاه عطف عليه وهارون بدل أو عطف بيان وبآياتنا حال أي حال كونهما ملتبسين بآياتنا فالباء للملابسة وسلطان مبين عطف على آياتنا وهي الآيات التي جاء بها وإنما عطف سلطان على آياتنا لما تميزت به تلك الآيات المرهصة من الفضل حتى كأنها ليست منها والا فإن الشيء لا يعطف على نفسه ومن تلك الحجج القاطعة البينة اليد والعصا • (الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين) الى فرعون متعلقان بأرسلنا وملئه عطف على فرعون فاستكبروا عطف على أرسلنا وكانوا قوماً عالين كان واسمها وخبرها ومعنى عالين متكبرين أو متطاولين على الناس قاهرين لهم بالبغي والظلم ، وقد أشار سبحانه الى ذلك في آية أخرى فقال : « وإن فرعون علا في الارض » • (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) الفاء عاطفة وقالوا فعل وفاعل والضمير يعود على فرعون وملئه والهمزة للاستفهام الانكاري ونؤمن فعل مضارع ولبشرين متعلقان بنؤمن ، والبشر يقع على الواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ، ومثلنا صفة وهي كغير في انه يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى : « إنكم إذن مثلهم » وقال : « ومن الارض مثلهن » ويقال أيضاً هما مثلاه وهم أمثاله • وقومهما الواو للحال وقومهما مبتدأ ولنا متعلقان بعابدون وعابدون خبر قومهما • (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) الفاء عاطفة وكذبوهما فعل وفاعل ومفعول به فكانوا عطف على كذبوهما وكان واسمها ومن المهلكين

خبرها • (ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون) الواو استئنافية وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به أول والكتاب مفعول به ثان ولعل واسمها والضمير يعود الى قوم موسى لأن فرعون وقومه كانوا قد بادوا غرقاً • (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) الواو عاطفة وجعلنا فعل وفاعل وابن مريم مفعول به أول وأمه عطف على ابن مريم وآية مفعول به ثان ولم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة وهي الولادة من غير أب ولو قال آيتين لساغ لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح الله ألقي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخرى فكان آية من غير وجه • (وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) وآويناهما عطف على جعلنا أي أسكناهما ، والى ربوة متعلقان بآويناهما وقد تقدم القول فيها وذات صفة لربوة وقرار مضاف اليه ومعنى القرار الاستقرار أي جعلناها صالحة للاستقرار فيها بما فيها من مغلات وطاقات وثمار وماء ، ومعين عطف على قرار •

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ
أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾
نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

الاعراب :

(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) يا أيها الرسل تقـدم اعرابها والنداء لجميع الانبياء بحسب تفاوت الأزمنة المترامية بينهم ، وكلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومن الطيبات متعلقان بكلوا و المراد بالطيبات ما حـل وطاب • (واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليـم) واعملوا عطف عـلى كلوا وصالحاً مفعول به أو مفعول مطلق وجملة إني تعليل للأمر وان واسمها وبما متعلقان بعليم وجملة تعملون صلة وعليم خبر إن • (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للتنبيه على انتظام أمر هـذه الأمة وكمال سدادها • وان واسمها وأمتكم خبرها وأمة حال لازمة وواحدة صفة وأنا الواو عاطفة وأنا مبتدأ وربكم خبر ، فاتقون الفاء الفصيحة واتقوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة لرسم المصحف مفعول به • (فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) الفاء استئنافية وتقطعوا فعل ماض والواو فاعل ، وأمرهم تقدم اعرابها في الانبياء وأنها إما نصب على اسقاط الخافض أي تفرقوا في أمرهم أو أنها مفعول به ، وعدّي تقطعوا اليه لأنه بمعنى قطعوا ، وبينهم ظرف متعلق بتقطعوا وزبراً حال من فاعل تقطعوا أي أحزاباً متخالفين ، والزبر جمع زبرة بمعنى القطعة أو جمع زبور بمعنى فريق ولها جمع آخر تقدم في الكهف وهو زبر بفتح الباء ، وكل مبتدأ وحزب مضاف اليه وبما متعلقان بفرحون ولديهم ظرف متعلق بمحـذوف صلة وفرحون خبر كـل حزب • (فذرهم في غمرتهم حتى حين) الفاء الفصيحة وذرهم فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والخطاب لمحمـد صلى الله عليه وسلم والضمير

لكفار مكة وفي غمرتهم حال أي متخبطين في غمرتهم أو مفعول ثان لذر أي اتركهم متخبطين في غمرتهم ، وحتى حرف غاية وجر وحين مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بذرهم • (أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين) الهمزة للاستفهام الانكاري التقريعي ويحسبون فعل مضارع وفاعل وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي يحسبون وأن وما اسمها وكان من حقها أن تكتب مفصولة ولكنها كتبت موصولة اتباعاً لرسم المصحف وجملة نمدهم صلة وبه متعلقان بنمدهم ومن مال وبنين حال من الموصول • (نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) الجملة خبر أن ، نسارع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ولهم متعلقان بنسارع وفي الخيرات حال ، بل حرف اضراب انتقالي عن الحسبان ولا نافية ويشعرون فعل وفاعل معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي لا تفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء أصلاً كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور يتيح لهم التأمل فيعرفون أن ذلك الإمداد ما هو إلا استدراج لهم واستجرار الى زيادة الإثم •

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾

الاعراب :

(إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) الجملة ابتدائية مستأنفة مسوقة لذكر الأبرار الذين يشفقون من خشية ربهم ، وان واسمها وهم مبتدأ ومن خشية ربهم متعلقان بمشفقون ومشفقون خبر هم والمصدر وهو خشية مضاف لمفعوله أي خائفون من عذابه وجملة هم من خشية ربهم مشفقون صلة الذين • وفي الاشفاق معنى يتضمن زيادة على معنى الخشية ، هو معنى الرقة والضعف • (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) عطف على الجملة السابقة وإعرابها مماثل لها وجملة يؤمنون خبرهم • (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون) عطف أيضاً على إن الذين وجملة يؤتون صلة الذين وما مفعول يؤتون وجملة آتوا صلة وقلوبهم الواو حالية وقلوبهم مبتدأ ووجلة خبره وأنهم أن وما بعدها نصب بنزع الخافض ويكون تعليلاً لقوله وجلة والتقدير وجلة من أنهم أي خائفة من رجوعهم الى ربهم وأن واسمها والى ربهم متعلقان براجعون وراجعون خبر أنهم • (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) الجملة خبر إن الذين هم من خشية ربهم وما عطف عليه ، فاسم إن أربعة موصولات وخبرها جملة أولئك ، وأولئك مبتدأ وجملة يسارعون خبر المبتدأ وفي الخيرات متعلقان بيسارعون والواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقتها بمثابة تأكيد لها وهم مبتدأ ولها متعلقان بسابقون وسابقون خبر هم والضمير في لها يعود على الخيرات لتقدمها عليه في اللفظ وهو الظاهر من سياق الكلام وقيل على الجنة وليس ببعيد ، ومفعول سابقون محذوف أي سابقون الناس لها ويقال سبق له واليه ويجوز أن تكون اللام للتعليل أي سابقون لأجلها • (ولا نكلف نفساً إلا

وسعهـا) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للدلالة عـلى أن التكليف غير خارج عن حدود الطاقات والامكانيات ، ولا نافية ونكلف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ونفساً مفعول نكلف الأول وإلا أداة حصر ووسعها مفعول به ثان • (ولـدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون) الواو عاطفـة ولدينا ظرف متعلق بمحذوف خبر مقـدم وكتاب مبتدأ مؤخر وجملة ينطق صفة وبالحق حال أي ملتبساً بالحق وهم الواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون خبر • (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل حرف اضراب للانتقـال الى أحوال الكفار المحكية وقلوبهم مبتدأ وفي غمرة خبر ومن هذا صفة لغمرة أي كائنة من هذا الذي وصف به المؤمنون • (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) الواو عاطفة ولهم خبر مقدم وأعمال مبتدأ مؤخر ومن دون ذلك صفة لأعمال وجملة هم صفـة ثانية لأعمال وهم مبتـدأ ولها جار ومجرور متعلقان بعاملون ، وعاملون خبر هم أي مستمرون عليها ومعنى من دون ذلك أي متجاوزة متخطية لما وصف به المؤمنون •

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ
ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ
عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾
أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ
يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ
جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾

اللغـــة :

(مترفيهم) : أغنياءهم ورؤساءهم •

(يجأرون) : يضجون وفي القاموس : جأر كمنع جأراً وجؤاراً رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث ، والبقرة والثور صاحا ، والنبات طال ، والارض طال نبتها ، والجؤار من النبت الغض والكثير والرجل الضخم » وقال في اللسان والاساس : الجؤار الصراخ باستغاثة •

(تنكصون) : في المختار ما يدل عـلى انه من بابي جلس ودخل والمصدر نكوص •

(سامراً) : السامر مأخوذ من السمر وهو سهر الليـــل وقال الراغب : السامر الليل المظلم وهو اسم جمع كحـاج وحاضـر وراكب وغائب كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكـر القرآن وتسميته سحراً وشعراً ، وسبّ رسول الله صـلى الله عليه وسلم •

(تهجرون) : هو بفتح التاء من الهجران وهو الترك أو من هجر هجراً هذى وتكلم بغـير معقول لمرض أو نحوه ، وقرىء بضمها من أهجر إهجاراً : أفحش في كلامه •

الاعراب :

(حتى إذا أخـذنا مترفيهم بالعـذاب إذا هم يجأرون) حتى هنا ابتدائية يبتدأ بها الكلام وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه

منصوب بجوابه وهو يجأرون وجملة أخذنا في محل جر بإضافة الظرف اليها ونا فاعل ومترفيهم مفعول به وبالعذاب متعلقان بأخذنا وإذا الثانية حرف مفاجأة قائمة مقام فاء الجزاء في الربط والجملة بعدها جواب إذا الأولى لا محل لها كأنه قيل فهم يجأرون وقيل حتى حرف غاية وجر • (لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون) لا ناهية وتجأروا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل واليوم متعلق بتجأروا وإنكم تعليل للنهي وإن واسمها ومنا متعلقان بتنصرون ولا نافية وجملة تنصرون خبر إنكم والواو نائب فاعل • (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) قد حرف تحقيق وكانت آياتي كان واسمها وجملة تتلى خبرها وعليكم متعلقان بتتلى ، فكنتم الفاء عاطفة وكان واسمها وعلى أعقابكم حال من فاعل تنكصون وجملة تنكصون خبر كنتم • (مستكبرين به سامراً تهجرون) مستكبرين حال ثانية من فاعل تنكصون وبه متعلقان بمستكبرين أي بسببه والضمير في به للبيت العتيق والحرم وقيل عائد الى القرآن ، وسامراً حال ثالثة وجملة تهجرون حال رابعة فهي أحوال متداخلة أي كل واحدة مما قبلها • (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أسباب ركوبهم متن الضلالة ، وسيأتي أنها خمسة سنشير اليها في مواطنها ، والهمزة للاستفهام الانكاري التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويدبروا فعل مضارع مجزوم بلم والقول مفعول به والفاء عاطفة على محذوف دخلت عليه الهمزة أي فعلوا ما فعلوا مما سبق ذكره فلم يدبروا القول ، وأم عاطفة بمعنى بل الانتقالية أي بل أجاءهم بل ألم يعرفوا بل أيقولون ، وقوله أفلم يدبروا القول هو السبب الأول لإقدامهم على الضلالة واجترائهم على ارتكابها أي أنهم صدفوا عن التأمل في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وفي مقدمتها القرآن المعجز ،

وجاءهم فعل ومفعول به ثان وما موصول فاعل وجملة لم يأت آباءهم الأولين صلة وهــذا هو السبب الثاني وهو اعتقادهــم أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أمر غريب لأنهــا لم تسمع عن الأمــم السالفة . (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) عطف على ما تقدم كما ذكرنا وهذا هو السبب الثالث في إقدامهم على ركوب الغي وهو عدم علمهم بأمانة مدعي الرسالة وصدقه قبل أن يدعيها وليس الأمر بهذه المثابة بل أنهم سبروا غوره وعلموا حقيقته واكتنهوا صدقه ولقبوه بالأمين فكيف كذبوه بعد أن أجمعوا على جدارته باللقب الذي أطلقوه عليه . والفاء عاطفــة وهم مبتــدأ وله متعلقان بمنكــرون ومنكرون خبر هــم . (أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) عطف على ما تقدم أيضاً وهذا هو السبب الرابع وهو اعتقادهم فيه الجنون وهذا الاعتقاد مناقض لما كانوا يعتقــدون فيه من كمال الرجاحة وتمام الحصافة . وبه خبر مقدم وجنة أي جنون مبتدأ مؤخر بل حرف عطف واضراب انتقالي ، وجاءهم فعــل ومفعول به وفاعــل مستتر وبالحق متعلقان بجاءهم أو بمحذوف حال أي ملتبساً بالحق والواو حالية وأكثرهم مبتدأ وللحق متعلقان بكارهون وكارهون خبر أكثرهم .

الفوائــد :

معنى وأكثرهم :

اعترض الزمخشري على نفسه فوجه اليها سؤالاً وأجاب عليه وفيما يلي نص السؤال والجواب قال : « فإن قلت : قوله « وأكثرهم » فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق ، قلت : كان فيهم من يترك الايمان

به أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب .

فإن قلت يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح اسلامه قلت : يا سبحان الله كأن أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلامه » .

وهذا جميل من الزمخشري ولكن أولى من ذلك أن يكون الضمير في قوله « وأكثرهم » عائداً على الجنس للناس كافة ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام في قوله وأكثرهم على الجنس بجملته كقوله : « إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » وكقوله : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » ويدل على ذلك قوله تعالى « بل جاءهم بالحق » والنبي صلى الله عليه وسلم جاء الى الناس كلهم وبعث الى الكافة ويحتمل أن يحمل الأكثر على الكل كما حمل القليل على النفي ، وأما قول الزمخشري إن من تمادى على الكفر وآثر البقاء عليه تقليداً لآبائه ليس كارهاً للحق فمردود فإن من أحب شيئاً كره ضده فإذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه الى الايمان ضرورة ، ثم انجر الكلام الى استبعاد ايمان أبي طالب وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان قد أسلم لاشتهر اسلامه كما اشتهر اسلام العباس وحمزة لأنه أشهر ، وللقائل باسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار فلم يظهر له مواقف في الاسلام يشتهر بها كما اشتهر لغيره من عمومته .

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ
بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ
خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ
﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾
وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾

اللغـــة :

(خرجاً) : أجراً وخراجاً ويغلب في الخرج أن يكون مال العنق وفي الخراج مال العقـار ونقيض الدخل وقيـل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه ، والوجه أن الخرج أخص من الخراج ، ومعنى الآية : أم تسألهم عن هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير .

(ناكبون) عادلون وزائفون ومائلون وكل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب .

(لجوا) : اللجاج وهو التمادي في العناد ، وفي المصباح : لجّ في الأمر لججاً من باب تعب ولجاجاً ولجاجة فهو لجوج ولجوجة مبالغة إذا لازم الشيء وواظبه ومن باب ضرب لغة .

(يعمهون) : في المصباح : « عمه في طغيانه عمهاً من باب تعب إذا تردّد متحيراً ، وتعامه مأخوذ من قولهم أرض عمهاء إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة فهو عمه وأعمه .

(استكانوا) : يقال : استكان أي انتقل من كون الى كون كاستحال إذا انتقل من حال الى حال وأصله استكون نقلت حركة الواو الى ما قبلها ثم قلبت ألفاً ، هذا ما قاله علماء اللغة ولكن اعترض بعضهم على هذا التنظير وحجته أن استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذي معناه التحول كقولهم استحجر الطين واستنوق الجمل ، وأما استحال فثلاثيه حال إذا انتقل من حال الى حال واذا كان الثلاثي يفيد التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر فليس استحال من استفعل للتحول ولكنه من استفعل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه إذا لم يزد السداسي فيه على الثلاثي معنى .

ثم نعود الى تأويله فنقول : المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص الى كون الخضوع والضراعة الى الله تعالى ، ولقائل أن يقول : استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون الى كون فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر الى الخضوع بأولى ، وترى هذه الصيغة لا تفهم إلا أحد الانتقالين ، فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت مجملة محتملة للانتقالين جميعاً والجواب أن أصلها كذلك على الاطلاق ولكن غلب العرف على استعمالها في الانتقال الخاص كما غلب في غيرها .

ولما دخل أحمد بن فارس اللغوي الوزير بغداد في زمن الامام الناصر جمع له جميع علماء بغداد وعقد بهم محفلاً للمناظرة فانجر

الكلام الى هذه الآية فقال : الأصل اللغوي هو مشتق من قول العرب : كنت لك إذا خضعت ، وهي لغة هذلية فاستحسن ابن فارس ذلك منه ، وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعلى وحال واستحال على ما مر وانما لم يجعل من استفعل المبني للمبالغة مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم لأن المعنى يأباه وذلك أنها جاءت في النفي والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب ، فلو جعلت للمبالغة أفادت نقص المبالغة لأن نفي الأبلغ أدنى من نفي الأدنى وكأنهم على ذلك ذموا بنفي الخضوع الكثير وأنهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها وليس الواقع فانهم ما اتسموا بالضراعة ولا بلحظة منها فكيف تنفى عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية ؟

ووزن استفعل على ضربين متعد وغير متعد فالمتعدي قولهم استحقه واستقبحه وغير المتعدي استقدم واستأخر ويكون فعل منه متعدياً وغير متعد فالمتعدي نحو علم واستعلم وفهم واستفهم وغير المتعدي نحو قبح واستقبح وحسن واستحسن ، وله معان أحدها الطلب والاستدعاء كقولك استعطيت أي طلبت العطية واستعتبته أي طلبت اليه العتبى ومنه استفهمت واستخبرت ، والثاني أن يكون للاصابة كقولك استجدته واستكرمته أي وجدته جيداً وكريماً ، وقد يكون بمعنى الانتقال والتحول من حال الى حال نحو قولهم استنوق الجمل إذا صار على خلق الناقة واستتيست الشاة إذا اشبهت التيس ومنه استحجر الطين إذا تحول الى طبع الحجر في الصلابة ، وقد يكون بمعنى تفعل لتكلف الشيء وتعاطيه نحو استعظم بمعنى تعظم واستكبر بمعنى تكبر كقولهم تشجّع وتجلّد وربما عاقب فعل قالوا : قرّ في المكان واستقرّ وعلا

قرنه واستعلاه،قال الله تعالى : «وإذا رأوا آية يستسخرون» والغالب على هــذا البناء الطلب والإصابة وما عـــدا ذينك فانــه يحفظ حفظــاً ولا يقاس عليه •

الاعراب :

(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) الواو استئنافية ولو شرطية واتبع الحق فعل وفاعل وأهواءهم مفعول به واللام واقعة في جواب الشرط وفسدت السموات والأرض فعــل وفاعل والجملة لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومن عطف على السموات والارض وفيهن متعلقان بمحذوف صلة من • (بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) بل حرف اضراب انتقالي وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به وبذكرهم متعلقــان بآتيناهــم ، والمعنى كيف يكرهون الحق مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم والتنويه بذكرهم • والفاء عاطفة وهم مبتدأ وعن ذكرهم متعلقان بمعرضون ومعرضون خبر هم • (أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين) عطف انتقالي على « أم به جِنّة » وهــو السبب الخامس من أسباب ركوبهــم متن الضلالة العمياء وتسألهم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به أول وخرجاً مفعول به ثان والفــاء تعليلية أو فصيحــة وردت مورد التعليل للسؤال المستفاد من الانكار ، وخراج مبتدأ وربك مضاف اليه وخير خبر ، وهو الواو حرف عطف وهو مبتدأ وخير الرازقين خبر • (وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيم) الواو حرف عطف وان واسمها واللام المزحلقة وتدعوهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والى صراط متعلقان بتدعوهــم ومستقيم صفة • (وإن الذين لا يؤمنون

بالآخرة عن الصراط لناكبون) الواو عاطفة وان واسمها وجملة لا يؤمنون صلة وبالآخرة متعلقان بيؤمنون وعن الصراط متعلقان بناكبون واللام المزحلقة وناكبون خبر إن . (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرّ للجّوا في طغيانهم يعمهون) الواو استئنافية مسوقة لبيان اصابتهم بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بالقحط حتى روي أنهم أكلوا العلهز وهو كما في الصحاح طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة وسيأتي تفصيل هذه الحادثة في باب الفوائد . ولو شرطية ورحمناهم فعل وفاعل ومفعول به وكشفنا عطف على رحمناهم وما مفعول به وبهم متعلقان بمحذوف صلة ما ومن ضر حال ، للجّوا اللام رابطة لجواب لو وجملة لجوا لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم وفي طغيانهم متعلقان بيعمهون وجملة يعمهون حالية . (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأخذناهم فعل وفاعل ومفعول به وبالعذاب متعلقان بأخذناهم ، فما استكانوا عطف على أخذناهم وما نافية واستكانوا فعل وفاعل ولربهم متعلقان باستكانوا ، والواو حرف عطف وما نافية ويتضرعون فعل مضارع وفاعل وسيأتي سر عطف المضارع على الماضي في باب البلاغة .

البلاغة :

عطف المضارع على الماضي لإفادة الماضي وجود الفعل وتحققه ، وهو بالاستكانة أحق بخلاف التضرع فإنه أخبر عنهم بنفي ذلك في الاستقبال .

الفوائـد :

قوله تعـالى : « ولو رحمناهم » الآية والآية التي تليها ، هاتان الآيتان مدنيتان فإن أصابتهم بالقحط إنما كانت بعد خروجه صلى الله عليه وسلم من بينهم ، روى التاريخ أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز ــ وقد قدمنا تفسيره ــ جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمـة للعالمين ؟ فقـال بلى ، فقـال : قتلت الآباء بالسيف والأبنـاء بالجوع فنزلت الآية .

حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾
وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟
مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾
لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

اللغــــة :

(مبلسون) : في المصباح : « البلاس مثل سلام هو المِسْح ، وهو فارسي معرب والجمــع بلس بضمتين مثــل عناق عنق ، وأبلس الرجل ابلاساً سكت ، وأبلس أيس ، وفي التنزيل فإذا هم مبلسون » .

(ذرأكم) : خلقكم وبثكم بالتناسل .

الاعراب :

(حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) حتى حرف تبتدأ به الجمل وقد تقدم نظيره قريباً وقيل هي غاية وجر ، إذا شرطيــة ظرفية متعلقة بمبلسون وجملة فتحنا في محــل جر باضافة الظرف اليها وعليهم متعلقان بفتحنا وباباً مفعول به وذا عذاب صفة لباباً وإذا الثانية حرف مفاجأة قائمة مقام فاء الجزاء في الربط والجملة بعدها جواب اذا الأولى كأنه قيل فهم فيه مبلسون ، وهم مبتدأ وفيه متعلقان بمبلسون ، ومبلسون خبر هــم . (وهو الــذي أنشأ لكــم السمع والأبصار والأفئــدة قليــلاً ما تشكرون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقريع الكافرين وتذكــير المؤمنين فهو خطاب عام ، وهو مبتدأ والذي خبر وجملة أنشأ صلة ولكم متعلقان بأنشأ والسمع مفعول به والأبصار والأفئدة عطف عليه وقليلاً منصوب على أنه مفعول مطلق صفة لمحذوف هو المفعول المطلق في الحقيقة تقديره شكراً قليلاً وما زائدة للتوكيد بمعنى حقاً وإنما خص هذه الأعضاء لأنه يناط بها من المنافع مالا يناط بغيرها ، هذا من جهة ومن جهة ثانية من لم يعمل هذه الاعضاء فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها ، وسيأتي مزيد بسط في هــذا الصدد في باب البلاغة . (وهو الــذي ذرأكم في الأرض واليه

تحشرون) عطف على ما تقدم واعرابه ظاهر • (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) وهو الذي عطف على ما تقدم وله خبر مقدم واختلاف الليل والنهار مبتدأ مؤخر والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف مقدر ولا نافية وتعقلون فعل مضارع وفاعل • (بل قالوا مثل ما قال الأولون) بل حرف اضراب انتقالي وقالوا فعل وفاعل ومثل صفة لمصدر محذوف أي قولاً مثل قول الأولين وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضاف لمثل والأولون فاعل • (قالوا : أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون) الجملة بدل من الجملة قبلها أي مستأنفة،والهمزة للاستفهام الاستبعادي واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة متنا في محل جر باضافة اذا اليها وكنا عطف على متنا وكان واسمها وتراباً خبرها وعظاماً عطف على تراباً والهمزة للاستفهام الاستبعادي أيضاً وان واسمها واللام المزحلقة ومبعوثون خبرها•(لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) اللام جواب للقسم المحذوف ووعد فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب فاعل ونحن تأكيد للضمير وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل وسوغ العطف الفصل بالمنفصل ومن قبل متعلقان بوعدنا أو بمحذوف صفة لقوله آباؤنا أي الكائنون من قبل والمعنى على الجميع لقد وعدنا وآباؤنا بالبعث فلم نر هذا الوعد صدقاً وانما رأيناه أساطير الأولين • (إنْ هذا إلا أساطير الأولين) إن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وأساطير الأولين خبر هذا •

البلاغـة :

١ ـ وحد السمع في قوله تعالى « وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والأفئدة » لوحدة المسموع دون الابصار والأفئدة أو لأنه

مصدر في الأصل والمصادر لا تجمع فلمح الى الاصل وقد تقدمت الاشارة الى ذلك في البقرة فجدد به عهداً •

٢ ــ في قوله « بل قالوا مثل ما قال الأولون » الفصل أي قطع احدى الجملتين عن الأخرى للاتحاد فقد فصل : قالوا أئذا متنا وكنا تراباً الخ عما قبله لقصد البدل لكونه أوفى بالمقصود من الأول لأن ما قال الأولون أقوال كثيرة ولا يدرى أي قول يراد من تلك الأقوال والأحسن أن يقال إن أريد بقوله مثل ما قال الأولون مانقل عنهم من قولهم أئذا متنا الخ وهو الظاهر كان بدل كل من كل •

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا
ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ

وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ
لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾

الاعراب :

(قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة استئنافية ، ولمن خبر مقدم ومن استفهامية والأرض مبتدأ مؤخر ومن عطف على الارض ومن موصولية وعبر عنهم بمن تغليباً للعقلاء كما تقرر وفيها متعلقان بمحذوف صلة من وان شرطية وكنتم تعلمون كان واسمها وجملة تعلمون خبرها وكنتم فعل الشرط والجواب محذوف أي فأخبروني بخالقهما ، وفي هذا تلويح بغباوتهم • (سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الجملة مستأنفة مسوقة للاخبار من الله تعالى عما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه ولله متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي ، والجملة مقول القول ، قل فعل أمر والمراد بالأمر التوبيخ والتأنيب والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والفاء عاطفة على محذوف ولا نافية وتذكرون فعل مضارع بحذف إحدى التاءين والأصل تتذكرون • (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) من اسم استفهام مبتدأ ورب السموات السبع خبره

ورب العرش العظيم عطف عليه • (سيقولون لله قل أفلا تتقون) لله خبر لمبتدأ محذوف أي لا بد لهم أن يقولوا ذلك وأتى باللام نظراً الى معنى السؤال ، فإن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد ويقال لزيد • (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه) من اسم استفهام مبتدأ وبيده خبر مقدم وملكوت كل شيء مبتدأ مؤخر والجملة خبر من والتاء والواو في ملكوت زائدتان للمبالغة كزيادتهما في الرحموت والرهبوت من الرحمة والرهبة ، والملكوت الملك العظيم والعز والسلطان، والملكوت السماوي هو محل القديسين في السماء ، والواو عاطفة أو حالية وهو مبتدأ وجملة يجير خبر والواو عاطفة وجملة لايجار عطف على يجير والمعنى يغيث من يشاء ويحرسه ولا يغاث أحد منه وعدي بعلى لتضمنه معنى النصر • (إن كنتم تعلمون) إن شرطية وكنتم فعل الشرط والجواب محذوف كما تقدم أي فأخبروني • (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) لله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف وفيه نظر الى أن المعنى مَن له ما ذكر والتقدير في الأولى قل من له السموات السبع وفي الثاني قل من له ملكوت كل شيء فلام الجر مقدرة في السؤال فظهرت في الجواب نظراً للمعنى وقد قرىء باسقاطها مع رفع الجلالة جواباً على اللفظ لقوله مَن لأن المسئول به مرفوع المحل وهو مَن فجاء جوابه مرفوعاً مطابقاً له في اللفظ • فأنى الفاء الفصيحة وأنى اسم استفهام بمعنى كيف وهي في محل نصب على الحال وتسحرون فعل مصارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) بل حرف اضراب وعطف وأتيناهم فعل وفاعل ومفعول به وبالحق حال والواو حالية وان واسمها واللام المزحلقة وكاذبون خبر إن .

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) ما نافية واتخـذ الله فعل وفاعل ومن حرف جر زائد وولـد مجرور لفظاً منصوب محـلاً لأنه مفعول به والواو عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وإله مجرور لفظاً مرفوع محـلاً لأنه اسم كان • (إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) إذن حرف جواب وجزاء مهمل والى هذا ذهب الفراء وقد تقدم القول فيه في الاسراء واليه جنح الزمخشري قال : « فإن قلت إذن لا تدخل إلا على كلام هو جواب وجزاء فكيف وقع قوله : إذن لذهب جواباً وجزاء ولم يتقدم شرط ولا سؤال سائل ؟ قلت : الشرط محذوف تقديره لو كان معه آلهة فحذف لدلالة : وما كان معه من إله » واختار غير الفراء والزمخشري أن تكون إذن بمعنى لو الامتناعية وعليه جرى البيضاوي قال : « أي لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الكائنات الى واجب واحد » واللام واقعة في جواب الشرط على كلا القولين ، وذهب كل إله فعل وفاعل والجملة لامحل لها وبما خلق متعلقان بذهب وجملة خلق صلة ولعلا بعضهم على بعض عطف على ما تقدم • (سبحان الله عما يصفون) سبحان الله نصب على المصدر وعما متعلقان بسبحان وجملة يصفون صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن وصفهـم • (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) عالم الغيب بالجر على البدلية من الجلالة أو صفة له وقرىء بالرفع على القطع فهو خبر لمبتدأ محذوف ، فتعالى الفاء عاطفة كأنه قال علم الغيب فتعالى ،

وعما متعلقان بتعالى وجملة يشركون صلة • (قل رب إما تريني ما يوعدون) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وإما أدغمت إن الشرطية بما الزائدة وتريني فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم فعل الشرط والنون للوقاية والياء مفعول به وما مفعول به ثان فهي بصرية تعدت لمفعولين بواسطة الهمزة لأنه من أرى الرباعي وجملة يوعدون صلة ما والعائد محذوف أي يوعدون به من العذاب (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) هذا جواب الشرط والفاء رابطة وأعيد لفظ رب منادى مبالغة في التضرع والابتهال ولا ناهية وتجعلني فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والياء مفعول به أول وفي القوم مفعول به ثان والظالمين صفة • (وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) الواو عاطفة على ما تقدم وان واسمها وعلى أن نريك متعلقان بقادرون وأن حرف مصدري ونصب ونرى مضارع منصوب بأن والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به أول وما مفعول به ثان وقد تقدم القول في أرى البصرية ، واللام المزحلقة وهي لام الابتداء زحلقت الى الخبر وقادرون خبر إنا • (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) كلام مستأنف مسوق لحث النبي صلى الله عليه وسلم على الصفح عن مساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان • وادفع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبالتي جارومجرور متعلقان بادفع والتي نعت لمحذوف أي الخصلة ، وهي أحسن مبتدأ وخبر والجملة الاسمية صلة التي ، والسيئة مفعول به وجملة نحن أعلم حالية ونحن مبتدأ وأعلم خبر وبما متعلقان بأعلم وجملة يصفون صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بوصفهم لك وسوء ذكرهم •

البلاغـة :

في قوله تعالى « ادفع بالتي هي أحسن السيئة » عدول عن مقتضى السياق لسرّ بليغ فالظاهر أن يقول ادفع بالحسنة السيئة ولكنه عدل عن مقتضى الكلام لما فيه من التفصيل ، والمعنى : ادفع السيئة بما أمكن من الإحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة ، ولمعترض أن يقول كيف تسوغ هذه المفاضلة التي هي اشتراك في أمر والتميز بغيره وليس ثمة أي اشتراك بين الحسنة والسيئة فانهما ضدان متقابلان فما وجه هذه المفاضلة اذن ؟ والجـواب : ان الحسنة من باب الحسنات أزيـد من السيئة من باب السيئات فتجيء المفاضلة مما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدين كقولك العسل أحلى من الخل يعني أنه في الاصناف الحلوة أميز من الخـل في الاصناف الحامضة وليس لأن بينهمـا اشتراكاً خاصاً ، ومن هـذا الوادي ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال : نشأت أنا والاعمش في حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا بمعنى أنهما استويا في بلوغ كل منهما الغاية : أشعب بلغ الغاية على السفلة والاعمش بلغ الغاية على العلية .

هـذا ويجوز أن يراد وجـه آخر وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي تدفع بها السيئة فانها قد تدفع بالصفح والإغضاء ويقنع في دفعها بذلك وقد يزاد عـلى الصفح الاكرام وقد تبلـغ غايته ببذل الاستطاعة فهذه الانواع من الدفع كلها دفع بحسنة ولكن أحسن هذه الحسنات في الدفـع هي الأخيرة لاشتمالها عـلى عدد من الحسنات ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن الحسنات في دفع السيئة وعندئذ تجري المفاضلة على حقيقتها من غير تأويل .

وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ
أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ
إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ
وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

اللغــــة :

(همزات) : جمع همزة وهي النخسة والدفعة بيد وغـيرها وفي الاساس واللسان : « همز رأسه عصـره وهمز الجوزة بكفه ، ومن المجـاز : همز الرجل في قفـاه : غمز بعينه ورجـل هـُمَزَة وهمّاز والشيطان يهمز الانسان : يهمس في قلبه وسواساً ويقال : أعوذ بالله من هَمْسه وهمزه ولمزه و « أعوذ بك من همزات الشياطـين » وفي المختار : « وهمزات الشيطان : خطراته التي يخطرها بقلب الانسان » قلت : وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض ، شبّه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب عـلى المشي والجمـع للمرّات أو لتنوع الوساوس .

(برزخ) : حاجز يصدهم عن الرجوع الى الدنيا ، والبرزخ هو الحاجز بين المتنافيين ، وقيل الحجاب بين الشيئين أن يصل أحدهما الى الآخر ، وقال الراغب : أصله برزه فعرّب وهو في القيامة الحائل بين الانسان وبين المنازل الرفيعة ، والبرزخ قيل هو الحائل بين الانسان وبين الرجعة التي يتمناها .

(تلفح) اللفح أشد النفح لأنه الإصابة بشدة والنفح الاصابة مطلقاً كما في قوله تعالى : « ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك » وفي القاموس لفح يلفح من باب فتح فلاناً بالسيف ضربه به ، ولفحت النار لفحاً ولفحاناً أو السموم بحرها فلاناً أصابت وجهه وأحرقته .

(كالحون) : الكلوح أن تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية ، وعن مالك بن دينار : كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مرّ في السوق برأس قد أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته » وفي المختار: «الكلوح تكشّر في عبوس وبابه خضع» قلت : ومنه كلوح الأسد أي تكشيره عن أنيابه ودهر كالح وبرد كالح أي شديد .

الاعراب :

(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة ولك أن تعطفها على ما تقدم ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وأعوذ فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا ، وبك

متعلقان بأعوذ وكذلك قوله من همزات الشياطين • (وأعوذ بك رب أن يحضرون) عطف على ما تقدم وأعيد كل من العامل والنداء مبالغة وزيادة اعتناء بهذه الاستعاذة ، وأن حرف مصدري ونصب ويحضرون منصوب بان وعلامة نصبه حذف النون والنون للوقاية والواو فاعل وياء المتكلم المحذوفة في محل نصب مفعول به • (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت) يجوز أن تكون غاية ليصفون متعلقة بها أي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت ، ويجوز أن تكون ابتدائية ، واذا ظرف مستقبل متعلق بقال وجملة جاء مضاف اليها الظرف وأحدهم مفعول به مقدم والموت فاعل مؤخر وجملة قال لا محل لها ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وأرجعون فعل أمر مبني على حذف النون وواو الجماعة فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة لرسم المصحف مفعول به وإنما جمع والمخاطب واحد وهو الله تعالى للتعظيم وقال أبو البقاء : « فيه ثلاثة أوجه أحدها انه جمع على التعظيم كما قال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر » وكقوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا » والثاني أنه أراد يا ملائكة ربي أرجعون والثالث أنه دل بلفظ الجمع على تكرير القول فكأنه قال ارجعني ارجعني » وما ذكرناه أولى ولعل واسمها وجمل اعمل خبرها وصالحاً مفعول به أو مفعول مطلق وفيما صفة لصالحاً أو متعلقان باعمل وجملة تركت صلة أي ضيعت من عمري من دون جدوى أو فائدة • (كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) كلا حرف ردع وزجر وسيأتي القول فيها مفصلاً أي لن تكون له رجعة وإن واسمها وكلمة خبرها وسيأتي بحث مفيد عن الكلمة في باب الفوائد وهو مبتدأ وقائلها خبر والجملة الاسمية صفة لكلمة والواو إما عاطفة وإما حالية ومن ورائهم خبر مقدم وبرزخ مبتدأ والى يوم صفة

لبرزخ وجملة يبعثون مضاف اليها الظرف ، وليس المراد انهم يرجعون يوم البعث ولكنه اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا فليست الغاية داخلة في المغيا وانما المراد أنه غيا رجوعهم بالمحال فهو يشبه قوله تعالى : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » .

(فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) الفاء استئنافية واذا ظرف مستقبل متعلق بما في الجواب من معنى النفي أي انتفى ذلك ، وجملة نفخ مضاف اليها الظرف وفي الصور متعلقان بنفخ والفاء رابطة لجواب إذ ولا نافية للجنس وأنساب اسمها مبني على الفتح وبينهم ظرف متعلق بمحذوف خبرها ويومئذ ظرف متعلق بمحذوف صفة لأنساب أو بالمحذوف الذي تعلق به الخبر والتنوين في يومئذ عوض عن جملة تقديرها يوم نفخ الصور ، وسيأتي معنى نفي الانساب في باب البلاغة ، ولا يتساءلون عطف على ما سبق ويتساءلون فعل مضارع وفاعل أي لا يسأل بعضهم بعضاً عنها كما سيأتي . (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) الفاء للتفريع والجملة معطوفة أو مستأنفة ومن شرطية مبتدأ وثقلت فعل الشرط وموازينه فاعل فأولئك الفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان أو ضمير فصل والمفلحون خبر أولئك أو خبر هم والجملة خبر أولئك . (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) الجملة معطوفة على سابقتها ومثيلتها وفي جهنم متعلقان بخالدون وخالدون خبر لمبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر لأولئك وارتأى الزمخشري أن يكون بدلاً من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لأن صلة الموصول لا محل لها . (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) الجملة مستأنفة أو خبر ثان أو حال ووجوههم مفعول به

مقدم والنار فاعل مؤخر والواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ وفيها متعلقان بكالحون أو بمحذوف حال من هم وكالحون خبر .

البلاغــة :

في قوله تعالى « فلا أنساب بينهم » فن التنكيت وقد تقدم بحثه فقد قصــد بنفي الأنساب وهي موجودة أمراً آخر لنكتة فيــه ، فإن الانساب ثابتة لا يصح نفيها وقد كان العرب يتفاخرون بهــا في الدنيا ولكنــه جنح الى نفيها إما لأنها تلغو في الآخرة إذ يقع التقاطــع بينهم فيتفرقون معاقبين أو مثابين ، أو أنه قصد بالنفي صفة للأنساب محذوفة أي يعتد بها حيث تزول بالمرة وتبطل لزوال التراحم والتعاطف من فرط البهر والكلال واستيلاء الدهشة عليهم .

الفوائــد :

تطلق الكلمة في اللغة على الكلام ، وهــذا الاطلاق اختلف فيه العلمــاء فذهب السنهوري في شرح الأجرومية وابن هشام في شذور الذهب الى أن الاطلاق حقيقي كائن في أصل اللغة ، قال صاحب القاموس « الكلمة وجمعهــا كلم وكلمات : اللفظة وما ينطق به الانسان مفرداً كان أو مركباً » وقيل إن الاطلاق المذكور من قبيل الاستعارة وان أجزاء الكلام لمّا ارتبط بعضهــا ببعض حصلت له بذلك وحدة فشابه بذلك الكلمــة فأطلق لفظها عليه ، والآية صريحة في تأكيد هــذا الاطلاق ، ونحوها قوله صلى الله عليه وسلم : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خــلا الله باطل وكلُّ نعيم لا محالــة زائل

وقولهم كلمة الشهادة يريدون : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا
غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا
فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

اللغــــة :

(شقوتنا) : أحد مصادر شقي ، وفي المختار : « الشقاء والشقاوة بالفتح ضد السعادة وقرأ قتادة شقاوتنا بالكسر وهي لغة وقد شقي بالكسر شقاء وشقاوة أيضاً وأشقاه الله فهو شقي بيّن الشِقوة » وفي القاموس وشرحه « شقي يشقى من باب تعب شَقاً وشقاوة وشِقاوة وشَقوة وشِقوة ضد سعد فهو شقي والجمع أشقياء » .

(اخسئوا) : ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت وفي الصحاح : « خسأت الكلب وخسأ بنفسه يتعـدى ولا يتعدى » وفي المختار : « خسأ الكلب طرده من باب قطع وخسأ هو بنفسه خضع » وللخاء مع السين فاء وعيناً خاصة واحـدة وهي أن الكلمة تدل عـلى المهانة والمذلة وقد تقدم القول في خسأ ، وخسر التاجر في بيعه خسراناً وخسراً وتاجر خاسر وأخسر الميزان وخسّره نقصـه وميزان مخسور وأخسر فلان وأكسد وقع في الخسران والكساد وأخسرت الرجل نقيض

أربحته وقيل لسلم الخاسر لأنه باع مصحفاً ورثه واشترى بثمنه عوداً يضرب به ، والخسة معروفة وهي النذالة ، تقول : خسست يا رجل تخس مثل مسست تمس خسة وخساسة ورجل خسيس وقوم أخسة وما رأيت أخسّ منه والخس ترياق ويقال : أين نبت الخس ، من فصاحة قسّ وكلاهما من إياد ، ولكن أين الأخامص من الأجياد ، وخسف القمر وخسفت الأرض وانخسفت ساخت بما عليها وخسف الله بهم الارض ومن المجاز سامه خسفاً أي ذلاً وهواناً ورضي بالخسف وبات على الخسف : على الجوع وشربوا على الخسف على غير ثقل وعين خاسفة فقئت حتى غابت حدقتها في الرأس وخسفت عينه وانخسفت وخسف بدنه : هزل ، وفلان بدنه خاسف ولونه كاسف قال يصف صائداً :

أخو قترات قد تبين أنه
إذا لم يصب لحماً من الوحش خاسفُ

وخسفت إبلك وغنمك وأصابتها الخسفة وهي تولية الطرق وإن للمال خسفتين : خسفة في الحر وخسفة في البرد ، وهو مخسول ومخسّل : وقد خَسَله وخسّله . وقال :

ونحن الثريا وجوزاؤها ونحن الذراعان والمِرزَمُ
وأنتم كواكب مخسولة ترى في السماء ولا تعلم

وقولهم أخَساً أم زكاً أي أوتر أم شفع ، وتخاسى الصبيان تلاعبوا بذلك ، وقال الممزق :

تخاس يداها بالحصى وترضّه بأسمر صرّافٍ إذا جمّ مطرق

وفي هذا القدر ما يكفي .

(سخريا) : بالكسر والضم مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء النسب زيادة في قوة الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية والأول مذهب الخليل وسيبويه والمراد بهم الصحابة وقيل أهل الصفّة خاصة وفي المصباح : « سخرت منه سخراً من باب تعب هزئت به والسخري بالكسر لغة فيه والسخرة وزان غرفة ما سخرت من خادم أو دابة بلا أجر والسخري بالضم بمعناه وسخرته في العمل بالتثقيل استعملته مجاناً وسخر الله الإبل ذللها وسهلها » .

الاعراب :

(ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) الهمزة للاستفهام التقريري والتوبيخي ولم حرف نفي وقلب وجزم وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وآياتي اسمها وجملة تتلى خبرها وعليكم متعلقان بتتلى ، فكنتم الفاء عاطفة وكان واسمها وبها متعلقان بتكذبون وجملة تكذبون خبر كنتم . (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) قالوا فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بالواو والواو فاعل وربنا منادى مضاف وغلبت فعل ماض والتاء للتأنيث وعلينا متعلقان بغلبت وشقوتنا فاعل غلبت ، وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وقوماً خبرها وضالين صفة . (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) ربنا منادى مضاف وكرره للعناية به وأخرجنا فعل أمر معناه الدعاء ومنها متعلقان بأخرج والفاء عاطفة وإن شرطية وعدنا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والضمير فاعل والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية وان واسمها وظالمون خبرها والجملة في محل جزم جواب الشرط .

(قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) جملة اخسئوا مقول القول وهو فعل آمر والواو فاعل وفيها متعلقان باخسئوا ولا الواو عاطفة ولا ناهية وتكلمون فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والياء المحذوفة مفعول به • (إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) جملة تعليلية لما قبلها من الزجر ، وإن واسمها وجملة كان خبرها وفريق اسم كان ومن عبادي صفة لفريق وجملة يقولون خبر كان وربنا منادى مضاف وجملة آمنا مقول القول ، فاغفر لنا الفاء عاطفة واغفر فعل أمر معناه الدعاء وارحمنا عطف عليه ، وأنت الواو استئنافية وأنت مبتدأ وخير الراحمين خبر • (فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون) الفاء عاطفة واتخذتموهم فعل وفاعل ومفعول به والميم علامة جمع الذكور والواو لاشباع ضمة الميم وسخرياً مفعول به ثان ومن هؤلاء المهاجرين بلال وصهيب وعمار وخباب وحتى حرف غاية وجر وأنسوكم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وذكري مفعول به ثان وكنتم كان واسمها ومعهم متعلقان بتضحكون وجملة تضحكون خبر كنتم والمعنى لم يعد لكم شغل إلا الهزء بهم والضحك منهم •

إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾
قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ
عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ
لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾
وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

اللغــــة :

(العادّين) : بتشديد الدال جمع عاد من عدّ الشيء يعدّه بضم العين في المضارع إذا أحصاه وحسبه •

(عبثاً) العبث بفتحتين : اللعب ومالا فائدة فيه وكل ما ليس فيه غرض صحيح يقال عبث يعبث عبثاً إذا خلط عمــله بلعب وأصله من قولهم عبثت الأقط أي خلطته والعبث طعــام مخلوط ومنه العوثباني لتمر وسويق وسمن مختلط •

الاعراب :

(إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) كلام مستأنف مسوق لبيان حسن حالهم أنهم انتفعوا بإذايتهم إياهم • وان واسمها وجملة جزيتهــم خبر إن وجزيتهم فعل ماض وفاعــل ومفعول به أول واليوم ظرف لجزيتهم وبما متعلقان بجزيتهم والباء للسببية أي بسبب صبرهم وما مصــدرية وأن وما بعدها في تأويل مصــدر مفعول ثان

لجزيتهم أي جزيتهم فوزهم وأن واسمها وهم ضمير فصل والفائزون خبر ان . (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين) كم استفهامية في محل نصب على الظرفية الزمانية وهو متعلق بلبثتم ، وفي الارض متعلقان بلبثتم أو بمحذوف حال وعدد سنين تمييز كم وسنين مضاف اليه والمعنى كم لبثتم عدداً من السنين . (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين) جملة لبثنا مقول القول ويوماً ظرف متعلق بلبثنا وأو حرف عطف وبعض يوم معطوف على يوماً ، فاسأل الفاء الفصيحة واسأل فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت والعادين مفعول به وقد قالوا هـذا لأنهم ـ وقد غشيهم العذاب وأحاطت بهم أهواله ـ لم يعد بوسعهـم أن يحصوا ذلك أو يذكروا فقالوا إن أردت معرفة الحقيقة فاسأل العادين أما نحن ففي معزل عن ذلك . (قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون) قال فعل وفاعله مستتر يعود عـلى الله سبحانه وإن نافية ولبثتم فعـل وفاعل وإلا أداة حصر وقليلاً صفة لظرف محذوف أي زمناً قليـلاً ولو حرف امتناع لامتنـاع وان واسمها وجملة كنتـم خبرها وجملة تعلمون خبر كنتم ومفعول تعلمون محذوف أي مقدار لبثكم ويجوز اعراب قليلاً صفة لمصدر محذوف أي لبثاً قليـلاً . (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكـم الينا لا ترجعون) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وحسبتم فعل وفاعل والجملة مستأنفة مسوقة لتوبيخهم على تماديهم في الغفلة وصدوفهم عن النظر الصحيح ، وأنما كافة ومكفوفة وهي وما بعدها في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي حسبتم وخلقناكم فعل وفاعل ومفعول به وعبثاً يجوز اعرابه نصباً على أنه مصدر واقع موقع الحال أي عابثين ويجوز اعرابه نصباً أيضاً على المصدرية أو انه مفعول لأجله أي لأجل العبث وأنكم يجوز أن يكون معطوفاً على أنما

خلقناكم فيكون الحسبان منسحباً عليه وأن يكون معطوفاً عـلى عبثاً أي للعبث وأن واسمها ولا نافية وجملة ترجعون خبر ان وهو فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعـل • (فتعالى الله الملك الحق لا إلـه إلا هو رب العرش الكريم) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لاستعظام الله تعالى ، وتعالى فعل ماض والله فاعله والملك الحق صفتان له وجملة لا إله إلا هو حال وقد تقدم اعرابها كثيراً ورب العرش صفة ثالثة والكريم نعت للعرش • (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويدع فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة ومع الله ظرف متعلق بيدع وإلهاً مفعول به ليدع وآخر صفة ولا نافية للجنس وبرهان اسمها مبني على الفتح وله خبر لا والجملة صفة ثانية لإلهاً وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه وجيء بها للتوكيد ، ويجوز أن تكـون جملة معترضة بين فعل الشرط وجوابه فإن كانت صفة فالمقصود بها التهكم بمدعي إله مع الله كقوله « بل أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً » فنفى انزال السلطان به وإن لم يكن في نفس الأمر سلطان لا منزّل ولا غير منزّل ، ومن جنس مجيء الجملة بعد النكرة وصرفها عن أن تكون صفة لها ما تقـدم عند قوله تعالى « فاجعـل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت » فارجع اليه إن شئت •

فانما الفاء رابطـة لجزاء الشرط لأن الجملة اسمية وإنما كافـة ومكفوفة وحسابه مبتدأ وعند ربه الظرف متعلق بمحذوف خبر حسابه والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من • (إنه لا يفلح الكافرون) الجملة تعليلية لا محل لها وان واسمها وجملة

لا يفلح خبر انه والكافرون فاعل • (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) الواو استئنافية ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة واغفر فعل أمر والمقصود منه الـدعاء وارحم عظف عليه وأنت الواو استئنافية وأنت مبتدأ وخير الراحمين خبر •

البلاغـة :

في خاتمة سورة « المؤمنون » قوله : « إنه لا يفلح الكافرون » وفي فاتحتها « قد أفلح المؤمنون » فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة •

سُورَةُ النُّورِ

مدنية وآياتها أربع وستون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا
تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ
وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً
أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ
فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

اللغـــة :

(الزانية) : بنية الزّنا والزناء بالمد والقصر ، قال الفرزدق :

أبا خالـــد مَنْ يزْنِ يُعلم زِناؤه
ومن يشـرب الخرطوم يصبـح مسكَّرا

قال الفراء : المقصور من زنى والممدود من زانى ، يقـال زاناها مزاناةً وزناءً ، وخرجت فلانة تزاني وتباغي وقد زنى بها ، وجمع بين الزّنـاة والزواني وزنّاه تزنية : نسبه الى الزنا وهو ولـد زنية بفتح الزاي وكسرها .

(رأفة) : في المختار : « والرأفة أشد الرحمة وقد رؤف بالضم رآفة ورأف به يرأف مثل قطع يقطع ورئف به من باب طرب كله من كلام العرب فهو رءوف على فعول » .

الاعراب :

(سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيهـا آيات بينات لعلكـم تذكرون) سورة خبر لمبتدأ محذوف أي هذه سورة أو مبتدأ والخبر محذوف أي فيما أوحينا إليك سورة ، وساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت بجملة أنزلناها ، وفرضناها عطف عـلى أنزلناها وأنزلنا عطف أيضاً وفيها متعلقان بأنزلنا وآيات مفعول به وبينات صفة لآيات ، ولعل واسمها وجمـلة تذكرون خبرها وجملة لعلكـم تذكرون حـال . (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) جملة مستأنفة مسبوقة للشروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات . والزانية والزاني

في رفعهما وجهان : أحدهما مذهب سيبويه أنه مبتـدأ خبره محذوف أي فيما يتلى عليكم حكم الزانية ، وثانيهما مذهب الأخفش وغيره بأنه مبتدأ والخبر جملة الأمر ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط وقد تقدم الكلام على هذه المسألة مستوفى عند قوله « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » فجدد به عهداً وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا البحث . وانما قدم الزانية على الزاني لأنها الأصل في الفعل لكون الداعية اليها أوفر ولولا تمكينها منه لم يقع وقد عكس الأمر في آية حـد السرقة فقدم السارق على السارقة لأن الزنا يتولد بشهوة الوقاع وهي في المرأة أقوى وأكثر ، والسرقة انما تتولد من الجسارة والقوة والجرأة وهي في الرجل أقوى وأكثر .

فاجلدوا الفاء رابطة لأن الألف واللام بمعنى الذي والموصول فيه رائحة من الشرط أي التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه، واجلدوا فعل أمر وفاعل وكل واحـد مفعول به ومنهما صفة لواحد ومائة جلدة نائب مفعول مطلق لأن المفعول المطلق ينوب عنه عدده أي ضربة ، يقال جلده : ضرب جلده . (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) الواو عاطفة ولا ناهية وتأخذكم فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت وبهما متعلقان بتأخذكم ورأفة فاعل وفي دين الله متعلقان بتأخذكم أيضاً . (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وهو في محل جزم فعـل الشرط وجملة تؤمنون بالله واليوم الآخر خبر كنتـم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فلا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وحكمه ، والمراد بالشرط التهييج وإثارة الحفائظ على الزناة والغضب لله ولدينه . وسيأتي في باب البلاغـة المزيد من القول في هـذه الآية . (وليشهد

عذابهما طائفة من المؤمنين) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويشهد فعل مضارع مجزوم باللام وعذابهما مفعول به مقدم وطائفة فاعل مؤخر ومن المؤمنين صفة لطائفة . وسيأتي القول عن المراد فيها . (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) جملة مستأنفة مسوقه لبيان أن الفاسق الخبيث الذي جعل الزنا ديدنه وهجيراه لا يرغب في نكاح الصوالح ذوات الصون والعفاف وكذلك شأن الفاسقة الخبيثة تأبى إلا الارتطام في مستوبل الأقذار . والزاني مبتدأ وجملة لا ينكح خبر وإلا أداة حصر ، وسيأتي سر القصر في باب البلاغة . وزانية مفعول به وأو حرف عطف ومشركة عطف على زانية . (والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) جملة معطوفة على سابقتها ومثيلتها في الاعراب وزان فاعل حذفت ياؤه لأنه اسم منقوص تحذف ياؤه في حالة التنوين رفعاً وجراً وتثبت نصباً . (وحرم ذلك على المؤمنين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم المتشبهين بالفساق والمستهدفين لسوء القالة والطعن وسيأتي القول في سر التحريم في باب الفوائد . (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) الواو استئنافية مسوقة لبيان نوع آخر من حدود الزنا ، والذين مبتدأ سيأتي له ثلاثة أخبار وجملة يرمون صلة الموصول والمحصنات مفعول به ثم لم يأتوا عطف على يرمون وبأربعة متعلقان بيأتوا وشهداء مضاف اليه جر بالفتحة لمنعه من الصرف لمكان ألف التأنيث منه . (فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) الفاء رابطة لجواب الموصول المتضمن معنى الشرط واجلدوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به وجملة فاجلدوهم خبر أول للذين وثمانين مفعول مطلق وجلدة تمييز ، ولا تقبلوا عطف على فاجلدوهم وهي بمثابة الخبر الثاني للذين ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشهادة

وأبداً ظرف متعلق بتقبلوا وأولئك الواو عاطفة وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو خبر ثان والفاسقون خبر أولئك أو خبر هم والجمله بمثابة الخبر الثالث للذين • (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) إلا أداة استثناء والذين مستثنى من الفاسقين واختلف في هذا الاستثناء فقيل هو متصل لأن المستثنى منه في الحقيقة الذين يرمون والتائبون من جملتهم لكنهم مخرجون من الحكم وهذا شأن المتصل ، وقيل هو منقطع لأنه لم يقصد إخراجه من الحكم السابق بل قصد إثبات أمر آخر له وهو أن التائب لا يبقى فاسقاً ولأنه غير داخل في صدر الكلام لأنه غير فاسق وجملة تابوا صلة الموصول ، ومن بعد ذلك متعلقان بتابوا ، وأصلحوا عطف على تابوا ، فإن الفاء تعليلية لما سبق وإن واسمها وغفور خبرها الاول ورحيم خبرها الثاني •

البلاغة :

١ ــ الايجاز بالحذف :

في قوله تعالى « سورة أنزلناها » إيجاز بالحذف وهو كما يراه عبد القاهر الجرجاني باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن ، ولكن عبد القاهر لم يصب كبد الحقيقة عندما أردف يقول : « ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره » ووجه عدم إصابته أن الذي ذكره لا يأتي في كل مبتدأ وإنما يحسن في مبتدأ خبره وصف يقتضي المدح أو القدح وتقبل المبالغة فيه وتكون تلك المبالغة تفيد الموصوف معنى ، وفي

المبتدآت ما هو بخلاف ذلك فان قولنا « زيد قائم » لا نجد في وصف زيد بالقيام خصوصية يمتاز بها زيد عن غـيره فان القيام يوصف به كل أحد إذا أريـد به ضد القعود ولا يقبـل المبالغة ، وليس هو من صفات المدح ولا من صفات الذم ولا هو مما يبلغ به الموصوف الى انه استحق الوصف به دون غـيره ، فإن كان القاضي ، رحمه الله ، أراد مبتدأ مخصوصاً فيحتمل ، وإن كان أطلق فالأمر مشكل والسبب فيما ذكر من حذفه غير معلوم •

ثم يعرض عبد القاهر أمثلة من الشعر الجيد لأبيات حذف المبتدأ فيها كقول الشاعر :

سأشكـر عمـراً إن تراخت منيـتي
أيـادي لـم تمْـنَـنْ وإن هي جلَّت
فتىً غـير محجوب الغنى عن صديقه
ولا مظهـر الشكوى إذا النعـل زلت

والأصل : هو فتى •

٢ ــ النهي والشرط للتهييج :

المقصود من النهي في قولـه « ولا تأخذكم » والشرط في قوله « إن كنتم تؤمنون الخ » التهييج وإثارة الغضب وإلهاب الحفاظ على دين الله ، وإن على المؤمنين الحراص على الاتسام بهذه السمة المشرقة أن يتصلبوا في دينهم وأن لا تأخذهم هوادة أو لين في تنفيذ ما أمرهم الله

به لاستيفاء حدوده ، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بنفسه وابنته فقال : « لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

٣ ـ الحصر بإلا :

ظاهر النظم يوحي بأن الزاني لا ينكح المؤمنة العفيفة وأن الزانية لا ينكحها المؤمن التقي ، ولما كان ذلك غير ظاهر الصحة كان لا بد من حمل الاخبار على الأعم الأغلب كما لا يفعل الخير إلا الرجل التقي وقد يفعل الخير من ليس بتقي .

٤ ـ استعار الرمي للشتم بفاحشة الزنا لكونه جناية بالقول كما قال النابغة :

وجرح اللسان كجرح اليد

ويسمى الشتم بهذه الفاحشة قذفاً ، والمراد بالمحصنات النساء ، وخصصهن بالذكر لأن قذفهن أشنع والعار فيهن أعظم ، ويلحق الرجال بالنساء في هذا الحكم بلا خلاف بين علماء هذه الأمة .

الفوائـد :

١ ـ قوله تعالى « الزانية والزاني فاجلدوا » الآية : إنما عـدل الخليل وسيبويه الى هـذا الذي نقلناه من الاعراب لوجهـين : لفظي ومعنوي أما اللفظي فلأن الكلام أمر وهو يخيل اختيار النصب ومع ذلك فالرفع قراءة العامة فلو جعل الأمر خبراً وبنى المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجأ الى تقدير الخبر حتى لا يكون المبتدأ مبنياً على الأمر فخلص من مخالفـة الاختيار ، وقد مثلهما سيبويه في

كتابه بقوله تعالى « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار » الآية ووجه التمثيل أنه صدر الكلام بقوله « مثل الجنة » ولا يستقيم أن يكون قوله « فيها أنهار » خبره فتعين تقدير خبره محذوفاً وأصله فيما نقص عليكم مثل الجنة ، ثم لما كان هذا إجمالاً لذكر المثل فصل المجمل بقوله « فيها أنهار » الى آخرها فكذلك ها هنا كأنه قال : وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزاني ، ثم فصل هذا المجمل بما ذكره من أحكام الجلد ، هذا بيان المقتضي عند سيبويه لاختيار الحذف من حيث الصناعة اللفظية وأما من حيث المعنى فهو أن المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر لأنه يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني مجملاً حيث قال : الزانية والزاني ، وأراد : وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني، فلما تشوّف السامع الى تفصّيل هذا المجمل ذكر حكمهما مفصلاً فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة .

٢ ــ قوله تعالى « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفه غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء ، وعن ابن عباس في تفسيرها هي أربعة الى أربعين رجلاً من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعداً وعن عكرمة رجلان فصاعداً وعن مجاهد أقلها رجل فصاعداً ، وقيل رجلان وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها الحد والتفصيل في كتب الفقه .

٣ ــ أقسام الزناة الأربعة :

أ ــ الزاني لا يرغب إلا في زانية .

ب ــ الزانية لا ترغب إلا في زان .

جـ ـ العفيف لا يرغب إلا في عفيفة .

د ـ العفيفة لا ترغب إلا في عفيف .

وهذه الأقسام الأربعة مختلفة المعاني وحاصرة للقسمة ، فنقول اختصرت الآية من هذه الأربعة قسمين واقتصرت على قسمين أحرى من المسكوت عنهما فجاءت مختصرة جامعة ، فالقسم الأول صريح في القسم الاول ويفهم الثالث والقسم الثاني صريح في القسم الثاني ويفهم الرابع والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث أن المقتضي لانحصار رغبة العفيف في العفيفة هو اجتماعهما في الصفة وذلك بعينه مقتض لانحصار رغبتها فيه ، ثم يقصر التعبير عن وصف الزناة والاعفاء بما لا يقل عن ذكر الزناة وجوداً وسلباً فان معنى الأول : الزانية لا ينكحها عفيف ومعنى الثانية : العفيفة لا ينكحها زان ، والسر في ذلك أن الكلام في أحكامهم ، فذكر الاعفاء لسلب نقائصهم حتى لا يخرج الكلام عما هو المقصود منه ثم بينه في اسناد النكاح في هذين القسمين للذكور دون الإناث بخلاف قوله الزانية والزاني فانه جعل لكل واحد منهما ثم استقلالا وقدم الزانية على الزاني ـ كما تقدم ـ والسبب فيه أن الكلام الاول في حكم الزنا والاصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض والإطماع والكلام الثاني في نكاح الزناة إذا وقع ذلك على الصحة والاصل في النكاح الذكور وهم المبتدؤون بالخطبة فلم يسند إلا لهم لهذا وان كان الغرض من الآية تنفير الأعفاء من الذكور والإناث مناكحة الزناة ذكوراً وإناثاً زجراً لهم عن الفاحشة ولذلك قرن الزنا والشرك .

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ
أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ
أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ
غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

الاعراب :

(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام اللعان وهو مبسوط في كتب الفقه . والذين مبتدأ وجملة يرمون أزواجهم صلة وحذف التاء أفصح ولذلك جمع الزوج على أزواج ويتعين في الفرائض إثبات التاء ، ومتعلق يرمون محذوف أي بالزنا ، ولم الواو حالية أو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ولهم خبر مقدم وشهداء اسمها المؤخر وإلا أداة حصر وأنفسهم بدل من شهداء ويجوز أن تكون إلا بمعنى غير فتكون أنفسهم نعتاً لشهداء وقد ظهر عليها إعراب إلا على حد قوله تعالى «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» . (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) الفاء واقعة في جواب اسم الموصول لتضمنه معنى الشرط وشهادة مبتدأ وأحدهم مضاف اليه وأربع شهادات

خبر المبتـدأ ، وقرأ العامة بنصب أربع ، فيكون خبر شهادة مقدر التقديم أي فعليهم شهادة أو مؤخر أي فشهادة أحدهم كائنة أو واجبة أو هو خبر لمبتدأ محذوف أي فالواجب شهادة أحدهم ، وأما نصب أربع فهو نصب عـلى المصدر والعامـل فيه مصدر مثله وقد ناب عن المصدر عـدده ، وبالله جار ومجرور متعلقـان بشهادات أو بشهادة ، فالمسألة من باب التنازع ، وإن واسمها وكسرت همزة إن لوجود اللام ، واللام المزحلقة ومن الصادقين خبر إن وان وما بعدها مفعول شهادات أو شهادة أي يشهـد أنه صادق وجملة فشهادة أحـدهم خبر الذين • (والخامسة أن لعنة الله عليـه إن كان من الكاذبين) الواو اعتراضية والخامسة مبتدأ أي الشهادة الخامسة وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر ولعنة الله اسم أن وعليه خبر أن وإن شرطية وكان فعـل الشرط واسم كان مستتر ومن الكاذبين خبر كان وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة والخامسة عطف على شهادة وأن لعنة الله بدل من الخامسة أو نصب بنزع الخافض أي بأن لعنة الله والأول أسهل • (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) جملة ويدرأ عطف على ما سبق ويدرأ فعل مضارع معناه يدفع وعنهـا متعلقان به والعـذاب مفعول به وأن تشـهد في تأويل مصدر فاعل يدرأ وأربع شهادات نصب على المصدر فهو نائب مفعول مطلق وبالله متعلقان بشهادات أو بأن تشهد كما تقدم في الأولى وانه لمن الكاذبين تقدم اعرابها • (والخامسة أنّ غضب الله عليها إن كان من الصادقين) تقدم اعراب مثيلتها فجدد به عهداً • (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله تواب حكيم) لولا حرف امتناع لوجود وفضل الله مبتدأ وخبره محذوف وجوباً كما تقدم وعليكم متعلقان بفضل ورحمته عطف على فضل وان الله تواب أن واسمها وخبرها وهي معطوفة عـلى

فضل وجواب لولا محذوف للدليل على أمر محذوف لا يكتنه لعظمه وفداحته ، ورُب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به •

البلاغـة :

اشتملت هذه الآيات بالاضافة الى ما انطوت عليه من الأحكام والتشريع الصالح على العديد من فنون البلاغة وقد تقدم البحث فيها فنجتزىء بالالماع اليها :

١ ـ الالتفات : في قوله « ولولا فضل الله عليكم » فقد التفت من الغيبة الى الخطاب لتسجيل المنة ، على المخاطبين بحيث لا تبقى لديهم أعذار واهية يتشبثون بها إذا هم تجاوزوا حدود ما بيّنه لهم •

٢ ـ التغليب : فقد غلب صيغة الذكور على صيغة الاناث حيث لم يقل عليكم وعليكن لأنه بصدد مخاطبة الفريقين أي القاذفين والمقذوفات •

٣ ـ الحذف : وقد تكرر حذف المبتدأ والخبر كما رأيت في الاعراب وحذف جواب لولا أي كأن يقول الله في بيانه : فلان صادق بالزنا لكون المقذوفة قد زنت في نفس الواقع ، أو يقول فلان كاذب في قذفه لكون المقذوفة لم تزن في نفس الواقع ، وسدل الستار على ذلك كله لأن الغرض الأسمى هو الصون ، والصون يتطلب التحوّط ، والتحوط يستدعي السكوت عما لا يحسن التصريح به •

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

اللغــة :

(الإفك) : أبلغ ما يكون من الكذب وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه •

(كبره) : كبر الشيء بكسر الكاف وسكون الباء معظمه ، قال قيس بن الخطيم يذكر امرأة :

تنــام عن كبر شأنهــا فاذا ... قامت رويــداً تكاد تنغرف

الاعراب :

(إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) الجملة مستأنفة للشروع في سرد قصة الإفك وتقع في ثماني عشرة آية ستأتي باطراد وهي تتعلق بعائشة رضي الله عنها ، وهي صالحة تستحق المديح والثناء فمن رماها بالسوء فكأنه قلب الحقائق وطمسها • وان واسمها وجملة جاءوا صلة الموصول وبالافك متعلقان بجاءوا وعصبة خبر إن ومنكم صفة لعصبة أي من المؤمنين ولو ظاهراً ، فقد كان عبد الله بن أبي وهو أحد الذين خاضوا في حديث الافك من كبار المنافقين ، وجملة لا تحسبوه مستأنفة

والخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم ، وستأتي قصة الافك في باب الفوائد • (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) لا جازمـة وتحسبوه مضارع مجزوم والواو فاعل والهاء مفعول به أول وشراً مفعول به ثان ولكم متعلقان بشر وبل حرف عطف واضراب وهو مبتدأ وخير خبر ولكم متعقان بخير ووجه الخير فيه ما يناله صاحب الابتلاء من مثوبة ثم ظهور الكرامة ونصوع الحق بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم والتهويل بالوعيد لمن خاض فيه عن سوء نية وقصد •

(لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم) لكل امرىء خبر متقدم ومنهم صفة لامرىء وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة اكتسب صلة ومن الاثم متعلقان باكتسب • (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) الواو استئنافية والذي مبتدأ وجملة تولى كبره صلة أي بالغ فيه وضخّم الأمور وزوّقها لسوء دخيلته وشر طويته ، ومنهم متعلقان بمحذوف حال وهو عبد الله بن أبيّ المنافق ، وله خبر مقدم وعذاب عظيم مبتدأ مؤخر والجملة خبر الذي •

الفوائـد :

حديث الافك :

جاء في صحيحي البخاري ومسلم على لسان عائشة قالت : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوةٍ بعد ما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المـدينة وأذن بالرحيـل ليلة فمشيت وقضيت شأني وأقبلت الى الرحل فاذا عقدي انقطع فرجعت ألتمسه وحملوا هودجي

يحسبونني فيه وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن العلقة من الطعام ووجدت عقدي وجئت بعد ما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ فغلبتني عيناي فنمت وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فأدلج للاستراحة فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطىء على يدها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلول » •

تفسير غريب الحديث :

اً ــ قوله في غزوة :قيل هي غزوة المريسيع وتسمى غزوة بني المصطلق وكانت في السنة الرابعة وقيل في السادسة وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث ابن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم فأفاءها وردها عليهم •

٢ً ــ يأكلن العلقة : بضم العين وسكون اللام القليل من الطعام.

٣ً ــ صفوان: هو الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السلمي.

٤ً ــ عرس : بتشديد الراء المفتوحة أي نزل ليلاً للاستراحة وهو خاص بآخر الليل •

٥^ ـ أدلج : بتشديد الدال المفتوحة سار من أول الليل .

٦^ ـ باسترجاعه : أي بقوله : إنا لله وإنا إليه راجعون .

٧^ ـ خمرت وجهي بجلبابي : أي غطيته بالملاءة .

٨^ ـ ووطىء على يدها : أي وضع رجله على ركبتها .

٩^ ـ موغرين : في القاموس : الوغرة شدة الحر ووغرت الهاجرة كوعد وأوغروا دخلوا فيها ، والوغر ويحرك : الحقد والضغن والعداوة والتوقد من الغيظ وقد وغر صدره كوعد ووجل وغراً ووغراً بالتحريك وفي المصباح : « ووقع في أرض فلاة صار فيها » .

رواية المستشرقين : هـذا وقد شغـل حديث الافك المستشرقين فصاغـوه في روايات شتى نورد منهـا هنا للاطـلاع رواية بروكلمن المستشرق الألماني صاحب كتاب « تاريخ الشعوب الاسلامية » وفيما يلي نص تعريبه :

« وقام النبي خلال سنة ٦٢٧ أيضاً بحملات عدة على بعض القبائل البدوية ولقد أبعد في إحداها حتى لقارب مكة وكانت هذه الغزوات آمنة الى حد ساعده على أن يصطحب فيهـا اثنتين من أزواجه ، فاتفق مرة أن أضاعت زوجه المفضلة عائشة بنت أبي بكر ـ وكانت آنذاك في الرابعة عشرة من عمرها ـ قلادتها فخرجت تبحث عنهـا مساء ففاتتها قوافل الغزاة ولم تعد الى المعسكر إلا في اليوم التالي وبرفقتها شاب كانت قد عرفته من قبل وتطرق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبي فردها الى بيت أبويها ولكن الله لم يلبث أن برأها بعـد شهر واحد في إحدى الآيات الموحـاة الى النبي مضيفاً في الوقت نفسه أن أي اتهام

لامرأة بالخيانة الزوجية لا يؤيده أربعة شهود عيان يعتبر فرية أو قذفاً يستحق عليه صاحبه مائة جلدة ، وكان علي صهر النبي أحد خصوم عائشة الذين ألحوا عليه في طلاقها وليس من شك في أن جذور العداء الذي تكشفت عنه عائشة لعلي بعد أن استخلف على المسلمين ترجع الى هذه الحقبة ، ومهما يكن من شيء ، فلم يكن لحادثة العقد هذه أدنى تأثير على وضع المرأة الاجتماعي في الاسلام كما يظن : فالحجاب الذي تصطنعه النساء المتزوجات كان عادة عربية قديمة وكان النبي قد فرضه ، قبل هذه الحادثة ، لأسباب أخرى والواقع أن الحجاب لم يحل بين النساء في الجاهلية وفي الاسلام أيضاً حتى عهد الأمويين وبين الظهور في الناس في كثير من الحرية والتأثير في المجتمع العربي تأثيراً مذكوراً في بعض الاحيان ، إن مؤسسة الحريم التي وضع قواعدها العباسيون على غرار النموذج المسيحي ـ البيزنطي هي وحدها المسئولة عن انحطاط المرأة في الشرق » ولا تخلو رواية بروكلمن ، على دقتها من خلل وخطأ وتحامل خفي يحاول صاحبه إخفاءه ويأبى إلا أن يظهر ومن ذلك قوله « فردها الى بيت أبويها » .

العودة الى المدينة واللغط في الحديث :

ولنعد الى رواية عائشة نفسها في تتمة الحديث الآنف الذكر قالت:

« واشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك ، ويريبني في وجعي أني لا أعرفه من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، انما يدخل رسول الله فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع ثم عدنا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح .

قلت : بئس ما قلت !! أتسبين رجلاً قد شهد بدراً ؟

قالت : أي هنتاه أولم تسمعي ما قال ؟

قلت : وماذا قال ؟

فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضاً الى مرضي فلما رجعت الى بيتي استأذنت أن آتي أبوي : أريـد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي .

قالت أمي : هوّني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثّرن عليها .

قلت : سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا ؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم .

ودعا رسول الله عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود وقال لرسول الله : هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً .

وأما عليّ بن أبي طالب فقال : لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك .

فدعا رسول الله بَرِيرَةَ يسألها : هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟ قالت : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قد أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلهـا فتأتي الداجن فتأكله .

•••وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي •

فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله فسلم ثم جلس وتشهّد ثم قال : أما بعد يا عائشة فإني قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألمحت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه •

فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة فقلت لأبي : أجب عني رسول الله فقال : والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله ،

فقلت لأمي : أجيبي عني ، فقالت : كذلك والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله ،

قلت : ــ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ــ : إني والله لقد عرفت أنكم سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فان قلت لكم : إني بريئة لا تصدقوني ، وإن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني بريئة ، لتصدقوني واني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون •

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، فوالله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي •

فلما سرّي عن رسول الله وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال : أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك •

قالت لي أمي : قومي اليه •

قلت : والله لا أقوم اليه ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي •

وكان أبو بكر ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره فأقسم لا ينفق عليه شيئاً أبداً فأنزل الله عز وجل : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى ••• الى قوله : ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ؟

فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، ورجع الى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه •

هذا وسيأتي في بقية الآيات ما يتعلق بهذا الحديث •

لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟
هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟
بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم
بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

الاعراب :

(لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) كلام مستأنفة للشروع في زجر الخائضين في الإفك وتوبيخهم على ما أرجفوا به وستأتي تسعة زواجر مترادفة وهذا هو الزاجر الأول • ولولا حرف تحضيض متضمن معنى الزجر والتوبيخ وذلك كثير في اللغة إذا دخلت على الفعل كقوله تعالى « لولا أخرتني » وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بظن وجملة سمعتموه في محل جر باضافة الظرف اليها وظن المؤمنون فعل وفاعل والمؤمنات عطف وبأنفسهم متعلقان بخيراً وخيراً مفعول به ثان • (وقالوا هذا إفك مبين) وقالوا عطف على ظن وهذا مبتدأ وإفك خبر ومبين صفة والجملة الاسمية مقول القول وسيأتي القول في الالتفات الرائع بهذه الآية • (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء) لولا حرف تخصيص ثان وهذا هو الزاجر الثاني وجاءوا فعل وفاعل وعليه متعلقان بشهداء وبأربعة متعلقان بجاءوا وشهداء مضاف اليه ، فاذ الفاء عاطفة وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بالكاذبون ولم حرف نفي وقلب وجزم ويأتوا فعل مضارع مجزوم بلم والجملة في محل جر باضافة الظرف اليها وبالشهداء متعلقان بيأتوا • (فأولئك عند الله هم الكاذبون) الفاء رابطة وأولئك مبتدأ وعند الله متعلقان بمحذوف حال أي في حكمه وهم مبتدأ ثان أو ضمير فصل والكاذبون خبر أولئك أو خبر هم والجملة خبر أولئك • (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) الواو عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود وفضل الله مبتدأ حذف خبره وجوباً وهذا هو الزاجر الثالث ، وعليكم متعلقان بفضل ورحمته عطف على فضل وفي الدنيا متعلقان بمحذوف حال والآخرة عطف على الدنيا • (لمسكم فيما

أفضتم فيه عذاب عظيم) اللام واقعة في جواب لولا ومسكم فعل ومفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وفيما متعلقان بمسكم وجملة أفضتم فيه صلة و « ما » عبارة عن حديث الافك والافاضة الاندفاع والخوض ويصح أن تكون ما مصدرية أي لمسكم بسبب إفاضتكم وخوضكم في الإفك ، وفيه متعلقان بأفضتم وعذاب فاعل وعظيم صفة . (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) وهذا هو الزاجر الرابع ، وإذ ظرف متعلق بمسكم أو بأفضتم وتلقونه فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه وهو مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والهاء مفعول به ، والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة ، والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها والمراد يرويه بعضكم عن بعض وبألسنتكم متعلقان بتلقونه ، وتقولون عطف على تلقونه وبأفواهكم متعلقان بتقولون ومامفعول تقولون وجملة ليس صلة الموصول وليس فعل ماض ناقص ولكم خبر وبه متعلقان بعلم وعلم اسم ليس . (وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وتحسبونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به أول وهيناً مفعول به ثان والواو للحال وهو مبتدأ وعند الله حال وعظيم خبر هو والجملة حالية .

البلاغة :

١ ـ التعبير بالأنفس عن الآخرين :

التعبير بالأنفس عن الآخرين ينطوي على أبعد النكت مرمى وأكثرها حفولاً بالمعاني السامية ، فهو أولاً يهيب بالمؤمنين الى التعاطف واجراء التوبيخ على النفس بدلاً من أن يذكره بسوء وذلك أدعى الى اصطناعه وجعله محمولاً على الموالاة والاصطفاء وذلك بتصويره بصورة من

أخـذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيهـا من الفاحشة . وروي أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته ألا ترين مقالة الناس ؟ قالت له : لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءاً ؟ قال : لا ، قالت : ولو كنتُ أنا بدل عائشة ما خنته وصفوان خير منك وعائشة خير مني .

وهذا صحيح كل الصحة وبراءة عائشة واضحة ومفهومة بالبداهه لدى كل منصف يفهم أن امرأة كعائشة لا تعرض نفسها لهذه الريبة أمام جيش وفي وضح النهـار ولغير ضرورة مع رجـل من المسلمين يتقي ما يتقيه المسلم في هذا المقام من غضب النبي وغضب المسلمين وغضب الله ، فتلك خلة تترفع عنها من هي أقل من عائشة منبتاً ومنزلة وخلقاً وأنفة فكيف بها في مكانها المعلوم ، وهـذا هو المفهوم للتعبـير عن الآخرين من المؤمنين بالنفس ، حدا بامرأة أبي أيوب الانصاري إلى أن تنزل زوجها منزلة صفوان ونفسها منزلة عائشة ثم تثبت لنفسها ولزوجها البراءة والامانة حتى تثبت لصفوان وعائشة بطريق الأولى .

وهو ثانياً يحتمل أن يكون التعبير بالأنفس حقيقة والمقصود إلزام سيىء الظن بنفسه لأنه لم يعتد بنوازع الايمان ووزائعه في حق غيره وألفاه واعتبره في حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى .

٢ ـ الالتفات :

وفي الكلام عدول عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر وسياق الحديث أن يقول « لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خـيراً وقلتم » وانما اقتضت البلاغة هذا الالتفات والعدول عن الضمير الى

الظاهر للمبالغة في التوبيخ وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن ، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وكان جديراً بالآخرين الاحتذاء به : سمع حديثاً يلاك بين المنافقين ويسري الى المسلمين بل الى خاصة ذويه الأقربين ، حديثاً يسمعه رجل كعلي بن أبي طالب في بره نحيزته فلا يرى بعده حرجاً من الطلاق والنساء كثيرات ، سمع النبي ذلك الحديث المريب فلم يقبله بغير بينة ولم يرفضه بغير بينة وكان عليه أن يعود زوجه المريضة أو يجفوها الى حين فعادها وبه من الرفق والانصاف ما يأبى عليه أن يفاتحها في مرضها بما يخامر نفسه الكريمة ، وبه من الموجدة والترقب ما أبى عليه أن يقابلها بما كان يقابلها به والنفس صافية كل الصفاء وظل يسأل عنها سؤال متعتب ينتظر أن تشفى وأن تأتيه البينة فيشتد كل الشدة أو يرحم كل الرحمة ، ولا يعجله لغط الناس أن يأخذ في هذا الموقف الأليم بما توجبه الحمية وما توجبه المروءة في آن .

عبد الله بن أبي ومسطح :

وإذا قيل إن عبد الله بن أبي كان من أصحاب العصبية التي يحسب حسابها وتتقى بوادرها فماذا يقال في مسطح وهو مكفول أبي بكر وصنيعته الذي يأكل من ماله ؟ ما الذي أنجاه من السخط والعقاب وكفل له دوام البر والمعونة لولا سماحة النبي الكريم وسماحة أبي بكر وسماحة القرآن ؟

٣ ــ المبالغة :

تقدم البحث في مثل هذا التعبير « تقولون بأفواهكم » والقول

لا يكون إلا بالفم فما معنى ذكر الأفواه ، ونعيد القول انه هنا للمبالغة والتعريض بأنه ربما يتمشدق ويقضي تمشدق جازم عالم وهذا أشد وأقطع ومعناه أن الشيء المعلوم يكون وعلمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب .

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

الاعراب :

(ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) وهذا هو الزاجر الخامس ، ولولا حرف تحضيض وتوبيخ وإذ ظرف متعلق بقلتم أي كان ينبغي لكم بمجرد السماع الأول أن تقولوا : ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وأن تقولوا سبحانك ، وقال الزمخشري : « فإن قلت : كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف ؟ قلت للظروف شأن وهو

تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فدلك يتسع فيها مالا يتسع في غيرها » ورد عليه أبو حيان فقال « وهذا يوهم اختصاص ذلك بالظرف وهو جار في المفعول به تقول لولا زيداً ضربت ولولا عمراً قتلت ، وسيأتي سر تقديم الظرف في باب البلاغة . وجملة سمعتموه مضاف اليها الظرف وجملة قلتم لا محل لها لأنها ابتدائية وما نافية ويكون فعل مضارع ناقص ولنا خبرها المقدم وأن ومافي حيزها اسمها المؤخر وبهذا متعلقان بنتكلم وسبحانك مفعول مطلق وجملة سبحانك في محل نصب حال لأن معناه التعجب والمعنى هلا قلتم ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا حال كونكم متعجبين من هذا الأمر العجيب الغريب . (سبحانك هذا بهتان عظيم) وهذا مبتدأ وبهتان خبر وعظيم صفة . (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين) وهذا هو الزاجر السادس ويعظكم وقد ضمن معنى فعل يتعدى بعن ثم حذف الجار أي ينهاكم عن العودة وهي فعل مضارع ومفعول به والله فاعل وأن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض ولمثله متعلقان بتعودوا وأبداً ظرف زمان متعلق بتعودوا أيضاً ، وقيل لاتضمين في معنى يعظكم ، وأن وما بعدها مفعول لأجله على حذف مضاف أي كراهة أن تعودوا ، وإن شرطية وكنتم كان واسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف أي إن كنتم مؤمنين فلا تعودوا لمثله . (ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) الواو عاطفة ويبين الله فعل وفاعل ولكم متعلقان بيبين والآيات مفعول به والله مبتدأ وعليم حكيم خبران الله . (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) جملة مستأنفة مسوقة لايراد الزاجر السابع وإن واسمها وجملة يحبون صلة وأن ومافي حيزها مفعول يحبون والفاحشة فاعل وفي الذين آمنوا متعلقان بتشيع . (لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم

لا تعلمون) لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر إن وأليم صفة وفي الدنيا والآخرة صفة ثانية ، ففي الدنيا ثبت بالحد للقذف ، وسيأتي في باب الفوائد تفصيل ذلك • والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وأنتم مبتدأ وجملة لا تعلمون خبر • (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله رءوف رحيم) وهذا هو الزاجر الثامن ولولا امتناعية وفضل الله عليكم مبتدأ محذوف الخبر وجوباً ورحمته عطف على فضل وإن الله رءوف رحيم عطف على فضل الله وجواب لولا محذوف أي لعاجلكم بالعقوبة •

الفوائد :

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حد القاذفين الأربعة وهم عبد الله بن أبي ّ وحسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش ، وقعد صفوان لحسان بن ثابت وضربه بالسيف فكف بصره وفي ذلك يقول :

توّق ذباب السيف عني فإنني
غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر

ولكنني أحمي حماي وأتقي
من الباهت الرامي البريء الظواهر

وأنشد حسان بن ثابت أبياتاً يثني فيها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ــ ويبرئها مما نسب اليها ومنها :

حصان رزان ما تزنّ بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس ديناً ومنصباً ... نبيّ الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لؤي بن غـالب كرام المساعي مجدها غير زائل

مهـذّبة قد طيب الله جنيها وطهرها من كل شين وباطـل

فإن كـان ما بلغت عني قلته فـلا رفعت سوطي إليّ أناملي

وكيف وودي ماحييت ونصرتي بآل رسول الله زين المحافـل

له رتب عال على الناس فضلها تقاصر عنهـا سورة المتطاول

البلاغـة :

١ ــ التقديم والتأخير :

في قوله تعالى « ولولا إذ سمعتموه قلتم الخ » قدم الظرف لفائدة هامة وهي بيان انه كان من الواجب أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم ، وجب التقديم . ولعبد القاهر في دلائل الاعجاز بحث عن التقديم والتأخير يقول فيه : باب التقديم والتأخير من الأبواب التي تظهر بها مزية الكلام ويعلو بها أسلوب على أسلوب ويبدو بها إعجاز القرآن .

٢ ــ سر التعجب :

في كلمة التعجب « سبحانك » سر عجيب وهو أن الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه .

* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟
أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ
أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ
ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ
لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

اللغــــة :

(خطوات) : جمع خطوة بفتح الخاء وضمها وسكون الطاء ، وكل ما كان على وزن فعل بكسر الفاء أو فعل بفتح الفاء مع سكون

العين جاز لنا إذا أردنا أن نجمعه جمعاً مؤنثاً سالماً الاتباع والفتح والتسكين فنقول في خطوة خُطُوات وخُطَوات وخُطْوات .

(زكى) : طهر من دنس .

(يأتل) : في المختار « وآلى يؤلي إيلاء حلف وتألى وائتلى مثله قلت : ومنه قوله تعالى « ولا يأتل أولو الفضل منكم » والألية اليمين وجمعها ألايا » وقيل هو من قولهم ما ألوت جهداً إذا لم تدخر شيئاً .

(الغافلات) : السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات . قال :

ولقد لهوت بطفلة ميالة   بلهاء تطلعني على أسرارها

لهوت : تلاهيت ولعبت بطفلة بالفتح أي امرأة ناعمة لينة ، يقال امرأة طفلة الأنامل أي رخصتها لينتها ، وميالة : مختالة ، وبلهاء : غافلة لا مكر عندها ولا دهاء فلذلك تطلعني على ضمائرها .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) وهذا هو الزاجر التاسع والأخير ، ولا ناهية وتتبعوا فعل مضارع مجزوم بلا وخطوات الشيطان مفعول به . (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويتبع فعل الشرط وخطوات الشيطان مفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية وان واسمها وجملة يأمر بالفحشاء والمنكر خبرها

والضمير في انه يعود على الشيطان أو على المتبع والأول أظهر • (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً) لولا امتناعية وقد تقدم اعرابها وما نافية وزكى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله ومنكم حال لأنه كان في الأصل صفة لأحد ومن حرف جر زائد وأحد مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به وأبداً ظرف متعلق بزكى • (ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) الواو عاطفة ولكن واسمها وجملة يزكي خبرها ومن يشاء مفعول يزكي والله مبتدأ وسميع خبر أول وعليم خبر ثان أي أنه سبحانه سميع لمقالهم عليم بنياتهم • (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) تقدم القول مسهباً في سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في شأن مسطح بن أثاثة بضم الهمزة وفتحها • ولا ناهية ويأتل فعل مضارع مجزوم بلا وأولو فاعل ملحق بجمع المذكر السالم والفضل مضاف اليه ومنكم حال والسعة عطف على الفضل ، وأن يؤتوا : أن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض مع حذف لا النافية والتقدير على أن لا يؤتوا وأولي القربى مفعول وما بعدها عطف عليه • (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويعفوا مضارع مجزوم بلام الأمر وليصفحوا عطف والهمزة للاستفهام ولا نافية وتحبون فعل مضارع مرفوع وأن ومافي حيزها مفعول تحبون والله فاعل ولكم متعلقان بيغفر والله مبتدأ وغفور خبر أول ورحيم خبر ثان • (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) كلام مستأنف مسوق لتقريع الخائضين في الإفك ووعيدهم الشديد وعتابهم البليغ • وإن واسمها وجملة يرمون المحصنات صلة والمحصنات مفعول به والغافلات المؤمنات عطف على المحصنات وجملة لعنوا خبر إن وفي الدنيا

والآخرة متعلقان بلعنوا ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفة • (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) الظرف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به « ولهم » ويجوز تعليقه بالمصدر وهو عذاب لأن الظروف يتسع فيها مالا يتسع في غيرها ، وجملة تشهد في محل جر باضافة الظرف اليها وعليهم متعلقان بتشهد وألسنتهم فاعل وأيديهم وأرجلهم عطف على ألسنتهم وبما جار ومجرور متعلقان بتشهد وجملة كانوا لا محل لها لأنها صلة ولك أن تجعل ما مصدر وكان واسمها وجملة يعملون خبرها وقد مرت لها نظائر • (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) الظرف متعلق بيعملون أو بيوفيهم وقد تقدم البحث في إضافة إذ للظرف والتنوين اللاحق لإذ ، ويوفيهم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل ودينهم مفعول به ثان والحق نعت لدينهم والمراد بدينهم الحق جزاؤهم الواجب عليه وفي الحديث « كما تدين تدان » • (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) ويعلمون عطف على يوفيهم وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلمون وهو ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر أن أو خبر هو والجملة الاسمية خبر أن والمبين صفة • (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) كلام مستأنف مسوق لبيان سنة الله في خلقه في أن يسوق كل صنف إلى صنفه وأن يقع كل طير على شكله • والخبيثات مبتدأ وللخبيثين خبره وما بعده عطف عليه وسيرد معنى ذلك في باب البلاغة • (أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) أولئك مبتدأ والاشارة الى الطيبين وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة ، ومبرءون خبر أولئك ومما متعلقان بمبرءون لأنه اسم مفعول وجملة يقولون صلة ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر والجملة خبر ثان لأولئك ورزق كريم عطف عليه •

البلاغــة :

١ ـ المجاز العقلي في شهـادة الأيدي والأرجـل وقد تقدم بحثه مستوفى ٠

٢ ـ أراد بالمحصنات العمـوم وان كان الحـديث مسوقاً عن عائشة والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات فما الظن بوعيد من وقـع في قذف سيدتهن ! على أن تعميم الوعد أبلـغ وأقطع من تخصيصه ، ولهذا عممت زليخا حين قالت « ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذابٌ أليم » فعممت وأرادت يوسف تهويلاً عليه وارجافاً ٠

٣ ـ يحتمل أن يراد بالخبيثات النساء وبالخبيثين الرجال فيكون الكلام جارياً على حقيقته ويجوز أن يراد الكلمات التي صيغ منها الإفك فيكون الكلام مجازاً بالاستعارة التصريحية ٠

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) كلام مستأنف مسوق لبيان ما يترتب على مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في أوقات خلواتهن • ولا ناهية وتدخلوا فعل مضارع مجزوم بلا وبيوتاً مفعول به على السعة وقد تقدم بحث ذلك وغير بيوتكم صفة لبيوتاً وحتى حرف غاية وجر وتستأنسوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ومعنى الاستئناس الاستئذان على طريق الكناية ، وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة ، وتسلموا عطف على تستأنسوا وعلى أهلها متعلقان بتسلموا • (ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) ذلكم مبتدأ وخير خبر ولكم متعلقان بخير ولعل واسمها وجملة تذكرون خبر لعل وجملة ذلكم مستأنفة وجملة لعلكم تذكرون حال معللة لفعل محذوف أي أنزل عليكم هذا آملين أن تتذكروا • (فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتجدوا مضارع مجزوم بلم وفيها متعلقان بتجدوا وأحداً مفعول به ، فلا تدخلوها الفاء رابطة لجواب الشرط ولا ناهية وتدخلوها مضارع مجزوم بلا الناهية وحتى حرف غاية وجر ويؤذن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ويؤذن مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر ولكم متعلقان بيؤذن• (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم) الواو عاطفة وإن شرطية وقيل لكم فعل الشرط وجملة ارجعوا مقول القول ، فارجعوا الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه طلبي وهو مبتدأ وأزكى لكم خبر والجملة مستأنفة ، والله الواو استئنافية والله مبتدأ وبما تعملون متعلقان بعليم وعليم خبر الله •

(ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم) ليس فعل ماض ناقص وعليكم خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي في أن تدخلوا والجار والمجرور صفة لجناح وبيوتاً مفعول به على السعة وغير مسكونة نعت لبيوتاً وفيها خبر مقدم ومتاع لكم مبتدأ مؤخر والجملة صفة ثانية لبيوتاً . (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) والله الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وما مفعول به وجملة تبدون صلة وما تكتمون عطف على ما تبدون .

البلاغـة :

١ ـ الكناية في قوله تستأنسوا : فإن أصل معناها الاستئناس وهو ضد الاستيحاش لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو متردد مستطار القلب مستوحش ، أو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن له بالدخول استأنس وزايله تردّده واستطارة قلبه ، وقد أريد المعنى البعيد منه وهو الاستئذان .

٢ ـ الإرداف وقد تقدم أنه هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ الاشارة الدال على المعاني الكثيرة بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه قرب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف ، وواضح أن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن ، ويجوز أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً وعليه يكون المعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ، والوجه الأول هو البين ، وسر التجوز فيه والعدول اليه عن

الحقيقة ترغيب المخاطبين في الاتيان بالاستئذان بواسطة ، وسيأتي في باب الفوائد مزيد بحث عن الاستئذان .

الفوائـــد :

في القرطبي سبب نزول هذه الآية كما روى الطبراني وغيره عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل علي ، وانه لا يزال يدخـــل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال ، فنزلت هـــذه الآية ، فقـــال أبو بكر : يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن فأنزل الله ليس عليكم جناح ... الآية .

وعن أبي موسى الأشعري انه أتى باب عمر رضي الله عنهما فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثاً ثم رجع وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثاً . واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أألج ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فإنه لا يحسن أن يستأذن قولي له : يقول السلام عليكم أأدخـــل فسمعها الرجل فقالها ، فقال : ادخل . وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتاً غـــير بيته : حييتم صباحاً وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد ، فصدّ الله عن ذلك وعلم الأحسن والأجمل .

أما البيوت التي استثناها الله فهي غـــير المسكونة نحو الفنادق والربط المسبلة وحوانيت البياعين والمنازل المبنية للنزول وايواء المتاع

فيها واتقاء الحر والبرد وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الأسواق يدخلها للبيع والشراء •

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

اللغـــة :

(يغضضن) : الغض : اطبـاق الجفن بحيث تمتنع الرؤية وفي المصباح : «غض الرجل صوته وطرفه ومن صوته ومن طرفه غضاً من باب

قتل خفض ومنه يقال غض من فلان غضاً وغضاضة إذا انتقصه» وقد أدغم في الأول أحد المثلين في الثاني بخلاف الثاني لأن الثاني في يغضضن متحرك فادغم فيه الاول وفيما سيأتي ساكن فلم يتأت إدغام الاول فيه ، قال جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

(زينتهن) : الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب، فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة بالتحريك وهي حلقة من فضة لا فص فيها فإذا كان فيها فص فهو الخاتم ، والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل وهو ـ كما في الصحاح ـ يشبه عصابة تزين بالجوهر ويسمى التاج إكليلاً والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين.

(بخمرهن) الخمر بضم الخاء والميم جمع خمار بكسر الخاء وهو ما تغطي به المرأة رأسها والستر عموماً ويجمع على أخمرة وخمر بضم الخاء وسكون الميم وخمر بضمتين .

(جيوبهن) : جمع جيب والجيب من القميص طوقه والقلب والصدر وعند العامة الجيب هو كيس يخاط في جانب الثوب من الداخل ويجعل فمه من الخارج .

(أولي الإربة) : أصحاب الإربة ، والإربة الحاجة وفي المصباح : « الأرب : بفتحتين والإربة بالكسر والمأربة بفتح الراء وضمها الحاجة والجمع المآرب والأرب في الاصل مصدر من باب تعب يقال أرب الرجل الى الشيء إذا احتاج اليه فهو آرب على فاعل والإرْب بالكسر يستعمل في الحاجة وفي العضو والجمع آراب مثل حمل وأحمال » .

الاعراب :

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً كلياً . وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ومفعوله محذوف وهو أمر آخر مثله وقد حذف لدلالة جوابه عليه وهو يغضوا من أبصارهم ويغضوا فعل مضارع جزم لأنه جواب الأمر المحذوف وهو غضوا أو مقول القول ، ومن أبصارهم : قال الزمخشري : « من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار على ما يحل ، وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه » ويجوز أن تكون للبيان أو لابتداء الغاية وعلى كل حال فهي متعلقة بيغضوا وسيأتي السبب في دخول من على الأبصار دون الفروج في باب البلاغة ، ويحفظوا عطف على يغضوا وفروجهم مفعول به . (ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) ذلك مبتدأ وأزكى خبره ولهم متعلقان بأزكى وان واسمها وخبرها وبما متعلقان بخبير وجملة يصنعون لا محل لها . (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) تقدم اعراب نظيرتها ، أي فلا يحل للرجل أن ينظر الى المرأة ولا للمرأة أن تنظر الى الرجل فإن علاقتها به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها ومن طريف ما يلفت النظر أن هذه الآية اشتملت على عدد كبير من ضمائر الاناث وقد بلغت عدتها خمسة وعشرين ضميراً ما بين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الصدد . (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) الواو حرف عطف ويبدين عطف على يغضضن فهو مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل جزم والنون فاعل وزينتهن مفعول به وإلا أداة

حصر وما بدل من زينتهن وجملة ظهر منها صلة والمراد بالظاهر الوجه والكفان فيجوز أن ينظرها الأجنبي إن لم يخف فتنة كما هو مقرر في علم الفقه • (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويضربن فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم باللام والنون فاعل وبخمرهن الباء زائدة أو تبعيضية أي يلقين خمرهن على جيوبهن أي يسترن الرءوس والاعناق والصدور بالمقانع جمع مقنعة أو مقنع بكسر الميم فيهما وهي ما يغطى به الرأس • (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) الواو عاطفة ولا ناهية ويبدين مضارع مبني في محل جزم والنون فاعل وزينتهن مفعول به وإلا أداة حصر ولبعولتهن متعلقان بيبدين وهذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها الطفل • (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) كلهن معطوفات • (أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) غير صفة للتابعين والمراد بالتابعين غير أولي الإربة موضع خلاف ، قال ابن عباس : التابع هو العنين الاحمق ، وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث • أقول : والعنين والمخنث هو المشبه بالنساء والشيخ الهرم وأما المجبوب فهو الذي بقي أنثياه والخصي هو الذي بقي ذكره • ومن الرجال حال وأو حرف عطف والطفل معطوف على ما تقدم وهو بمعنى الأطفال فأل جنسية والطفل يطلق على الواحد والمجموع فلذلك وصف بالجمع وقيل لما قصد الجنس روعي فيه الجمع ، والذين صفة وجملة لم يظهروا صلة وعلى عورات النساء متعلقان بيظهروا • (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) الواو عطف على ما تقدم ولا ناهية ويضربن فعل

مضارع مبني في محل جزم بلا والنون فاعل وبأرجلهن متعلقان بيضربن، كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين فإن ذلك يورث الرجال ميلاً اليهن ويوهم أن لهن ميلاً الى الرجال ، وقال الزجاج « وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من ابدائها » • (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) الواو عاطفة وتوبوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والى الله متعلقان بتوبوا وجميعاً حال وأيها المؤمنون منادى نكرة مقصودة وقد تقدم اعرابه ولعل واسمها وجملة تفلحون خبرها وقد رسمت في المصحف دون ألف والرسم سنة متبعة •

البلاغة :

ـ من الاسرار التي تدق على الافهام دخول من الجارة على غض الابصار دون الفروج في قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » والسر في ذلك أن أمر النظر واسع لا يني يسرح في مراتع الجمال ومواطن الفتنة ، قال الزمخشري بهذا الصدد : « ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات للبيع وأما أمر الفروج فمضيق » •

ـ ومن هذه الأسرار تقديم غض الابصار على حفظ الفروج في الاية نفسها وفي الآية التي تليها ، والسر فيه أن النظر بريد الزنا ورائده الذي لا يخطىء • وقد أفاض الشعراء في القديم والحديث فيما تحدثه

النظرة من إلهاب نار الحب ، وتأريث الحرقة التي تدفع الى ارتكاب المحرم ومن أجمل ما قيل فيه قول ابن زيدون :

حسنٌ أفانين لم تستوف أعيننا
غاياته بأفانين من النظر

وقال ابن الرومي :

عيني لعينك حين تنظر مقتل ... لكن لحظك سهم حتف مرسل
ومن العجائب أن معنى واحداً ... هو منك لحظ وهو مني مقتل

وسيرد في كتابنا العجيب منه .

وفيما يلي طائفة من الأحاديث الواردة بهذا الصدد :

« عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عن ربه : النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه » أي جعلت بدله إيماناً يشعر بلذاته في قلبه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة : العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويُصدّق ذلك الفرج أو يكذبه » . والمعنى أن الله تعالى يعذب العين بالنار يوم القيامة لتطلعها الى محرم بقصد بلا فجاءة ، والخطا بفتح الخاء المشي الى المعصية .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ قال : الحم الموت » رواه البخاري ومسلم ثم قال : ومعنى كراهية الدخول على النساء على نحو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان » .

والحم بفتح الحاء وتخفيف الميم وباثبات الواو أيضاً وبالهمز أيضاً هو أبو الزوج ومن أدلى به كالأخ والعم وابن العم ونحوهم وهو المراد هنا كذا فسره الليث بن سعد وغيره وأبو المرأة أيضاً ومن أدلى به وقيل بل هو قريب الزوج فقط وقيل قريب الزوجة فقط . قال أبو عبيد في معناه يعني فليمت ولا يفعلن" ذلك فاذا كان هذا رواية في أب الزوج وهو محرم فكيف بالغريب ؟ ومعنى الحمو الموت : أي الخوف منه أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول الى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه .

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى

ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾

اللغـــة :

(الأيامى) : جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكراً كانت أو ثيباً ومن ليس له زوج وهذا في الاحرار والحرائر بقرينة قوله وإمائكم ، وتجمع الأيم أيضاً على أيائم وأيّمون وأيمات يقال آم يئيم الرجل من زوجه أو المرأة من زوجها فقدها أو فقدته ، وأصـــل الأيامى أيائم كما قال الزمخشري ومثله يتامى في يتائم وأجـاز سيبويه أن يكون غـير مقلوب وانه جمع على فعالى ، وقال الشاعر :

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي   وإن كنت أفتى منكـم أتأيم

يقول لمحبوبته : إن تتزوجي أتزوج وإن لم تتزوجي لم أتزوج ، وجملة وان كنت أفتى منكم اعتراضية ، والأفتى الأكثر فتية وشباباً ، ورفع المضارع في جواب الشرط كما هنا قليل ، وقد ورد في الشعر اذا كان الشرط فعلاً ماضياً كما هنا ، وفي الحديث : « اللهم إني أعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم » أما العيمة فهي شدة شهوة اللبن والغيمة شدة شهوة العطش والأيمـة طول العزبة والكزم شدة شهوة الأكل ، قـال في الصحاح : كزم الشيء بمقـدّم فيه أي كسره واستخرج ما فيه ، والقرم شد شهوة اللحم .

(الكتاب) : والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة : هو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت لك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ، وله أحكام مبسوطة في كتب الفقه . وفي الأساس واللسان : « كتب عليه كذا : قضي عليه ، وكتب الله الأجل والرزق وكتب على عباده الطاعة وعلى نفسه الرحمة وهذا كتاب الله : قدره ، قال الجعدي :

يا بنت عمي كتاب الله أخرني عنكم وهل أمنعن الله ما فعلا

(البغاء) : الزناء وبغت فلانة بغاء وهي بغي : طلوب للرجال وهن بغايا ومنه قيل للإماء البغايا لأنهن كن يباغين في الجاهلية يقال قامت البغايا على رؤوسهم ، قال الأعشى :

والبغايا يركضن أكسية الاضـريج والشّرعبيّ ذا الأذيال

وفي المصباح : « وبغت المرأة تبغي بغاء بالكسر والمد من باب رمى فجرت وهي بغي والجمع البغايا وهو وصف مختص بالمرأة فلا يقال للرجل بغي قاله الأزهري والبغي القينة وإن كانت عفيفة لثبوت الفجور لها في الأصل قاله الجوهري ولا يُراد به الشتم لأنه اسم جعل كاللقب والأمة تباغي أي تزاني .

الاعراب :

(وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حكم النكاح ، والأمر

للوجوب إن كانت المرأة محتاجة للنكاح خوف الزنا أو كان الرجل محتاجاً للنكاح خوف الزنا فإن لم تكن ثمة حاجة كان الأمر للاباحة كما رأى الشافعي ، أو للندب كما رأى أبو حنيفة ومالك ، والتفصيل في كتب الفقه والأيامى مفعول به ومنكم حال والصالحين عطف على الأيامى ومن عبادكم حال وإمائكم عطف على عبادكم • (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) إن شرطية ويكونوا فعل الشرط والواو اسمها وفقراء خبرها ويغنهم الله جواب الشرط ومن فضله متعلقان بيغنهم والله مبتدأ وواسع خبر أول وعليم خبر ثان • (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويستعفف مضارع مجزوم بلام الأمر والذين فاعل وجملة لايجدون صلة ونكاحاً مفعول به وحتى حرف غاية وجر ويغنيهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والله فاعل ومن فضله متعلقان بيغنيهم •(والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) والذين نصب على الاشتغال أي منصوب بفعل مقدر يفسره المذكور ويجوز اعرابه مبتدأ وخبره جملة فكاتبوهم والأول أرجح لمكان الأمر وجملة يبتغون الكتاب صلة ومما حال وجملة ملكت أيمانكم صلة والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وكاتبوهم فعل أمر والواو فاعل والجملة مفسرة على الوجه الاول وخبر على الوجه الثاني وإن شرطية وعلمتم فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط وفيهم متعلقان بعلمتم وخيراً مفعول به والجواب محذوف دل عليه قوله فكاتبوهم (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) وآتوهم عطف على فكاتبوهم ومن مال الله متعلقان بآتوهم والذي صفة لله وجملة آتاكم صلة للموصول • (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) الواو عاطفة ولا ناهية وتكرهوا فعل

مضارع مجزوم بلا الناهية وعلى البغـاء متعلقان بتكرهوا وإن شرطية وأردن فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط وتحصناً مفعول له والجواب محذوف كما تقـدم ولتبتغوا اللام للتعليل وتبتغوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعـل وعرض الحياة الدنيا مفعول به • (ومن يكرههن فإن الله من بعد اكراههن غفور رحيم) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكرههن فعل الشرط والفاء رابطة لأن الجواب جملة اسمية وان واسمها ومن بعد اكراههن حال وغفور خبر إن الاول ورحيم خبرها الثاني •

البلاغـة :

الاحتراس : في قوله تعالى « إن أردن تحصناً » فقد أقحم هذا الاعتراض ليبشع ذلك عند المخاطب ويحـذره من الوقوع فيه ولكي يتنبه أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة وإن لم يكن زاجر شرعي ، ووجـه التبشيع عليه أن مضمون الآية النـداء عليه بأن أمته خير منه لأنهـا آثرت التحصّن عن الفاحشة وهو يأبى إلا اكراهها ، ولأبي السعود قول جميل في هذا الصدد : « وقولـه تعالى إن أردن تحصناً ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصحّحة للاكراه في الجملة بل للمحافظة عـلى عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهوهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح » •

هذا ومن المفيد أن نذكر سبب نزول هـذه الآية فقد ذكروا أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ ، كان يكره جواريه على الكسب بالزنا وكنّ ستاً فشكا منهن اثنتان الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية ، وأسماء هذه الجواري هي : معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة ٠

الفوائد :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » رواه البخاري ومسلم ٠

وانما خص الشباب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم الى النكاح بخلاف الشيوخ ، والباءة الجماع واستعمل لعقد النكاح ، قال الجوهري : الباءة مثل الباعة ومنه سمي النكاح باءة ، والوجاء أصله رض الخصيتين ٠ قال النووي في شرح مسلم : « معناه من استطاع منكم الجماع لقدرته على مئونته وهي مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء » وهناك قول آخر وهو أن المراد بالباءة مؤن النكاح ، سميت باسم ما يلازمها وتقديره من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، قالوا : والعاجز لايحتاج الى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة بالمؤن

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ
كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ
يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ
وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ
ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا
تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا
عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

اللغـــة :

(كمشكاة) : المشكاه : الكوة غير النافذة ، وقيل هي الحديدة أو الرصاصة التي يوضع فيها الزيت ، وقيل هي العمود الذي يوضع على رأسه المصباح ، وقيل ما يعلق فيه القنديل من الحديدة ، وفي القاموس وشرحه : المشكاة كل كوة غير نافذة وكل ما يوضع فيه أو

عليه المصباح ، وقيل المشكاة حبشية معربة ، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغه •

(زجاجة) : الزجاج بفتح الزاي وضمها وكسرها : جسم شفاف يصنع من الرمل والقلى والإناء والقطعة منه زجاجة بتثليث الزاي أيضاً وأراد قنديلاً من زجاج شامي أزهر •

(دري) : مضيء ، بضم الدال من غير همز وبالتشديد منسوب الى الدر شبّه به لصفائه وإضاءته ، ويجوز أن يكون أصله الهمز ولكن خففت الهمزة وهو فعيل من الدر وهو دفع الظلمة بضوئه ويقرأ بالكسر على معنى الوجه الثاني ويكون على فعيل كسكيت وصديق وفي المختار : « الدرء الدفع وبابه قطع ودرأ طلع مفاجأة وبابه خضع ومنه كوكب دريء كسكيت لشدة توقده وتلألؤه ، ودريٌّ بالضم منسوب الى الدر ، وقرىء دريء بالضم والهمزة ودريء بالفتح والهمز ، وتدارأتم وتدافعتم واختلفتم » وفي الاساس : « وكوكب دُرّي وطلعت الدراري نسبت الى الدار وهو كبار اللؤلؤ » وفيه أيضاً : « ومن المجاز : درأ الكوكب : طلع كأنه يدرأ الظلام ودرأت النار أضاءت » •

(الآصال) : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب ويجمع أيضاً على أصائل وأصل وأصلان •

الاعراب :

(ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حقيقة الآيات المنزلة • واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق

وأنزلنا فعل وفاعل وإليكم متعلقان بأنزلنا وآيات مفعول به ومبينات صفة وهي بكسر الياء وفتحها ومثلاً عطف على آيات ومن الذين صفة لمثلاً وجملة خلوا صلة ومن قبلكم حال وموعظة عطف على مثلاً وللمتقين صفة لموعظة . (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الله مبتدأ ونور السموات والأرض خبره ومثل مبتدأ ونوره مضاف اليه والكاف اسم بمعنى مثل خبر ومشكاة مضاف اليه ، ويجوز اعراب الكاف حرف جر والجار والمجرور خبر مثل ،وفيها خبر مقدم ومصباح مبتدأ مؤخر والجملة صفة لمشكاة وسيأتي تحقيق هذا الكلام في باب البلاغة وجملة مثل نوره تفسير لما قبلها فلا محل لها . (المصباح في زجاجة) مبتدأ وخبر والجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها . (الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) الزجاجة مبتدأ وكأن واسمها وكوكب خبرها ودري صفة لكوكب والجملة خبر الزجاجة وجملة الزجاجة الخ تفسير لما قبلها فلا محل لها وجملة يوقد صفة ثانية لكوكب ونائب الفاعل مستتر ومن شجرة جار ومجرور متعلقان بيوقد وهي لابتداء الغاية على حذف مضاف أي من زيت شجرة ومباركة صفة لشجرة وزيتونة بدل من شجرة ولا شرقية صفة ثانية لشجرة ودخلت لا لتفيد النفي فلا تحول بين الصفة والموصوف ، ولا غربية عطف وسيأتي المزيد من بيان هذا المعنى في باب البلاغة . (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور) هذه الجملة صفة ثالثة لشجرة ويكاد فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة وزيتها اسمها وجملة يضيء خبرها ، ولو الواو حالية ولو شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتمسسه فعل مضارع مجزوم بلم وجواب لو محذوف أي لأضاء بدلالة ما تقدم عليه والجملة حال فلو هنا تفيد استقصاء الاحوال أي حتى في هذه الحال ونار فاعل تمسسه ونور خبر

لمبتدأ محذوف أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف وعلى نور متعلقان بمحـذوف صفة لنور مؤكدة له وسيأتي سر تنكـير النور في باب البلاغة • (يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير تنفيـذ مشيئته سبحانه ، ولنوره متعلقان بيهدي ومن يشاء مفعول يهدي وجملة يشاء صلة ويضرب الله فعـل مضارع وفاعل والأمثـال مفعول به وللناس متعلقان بيضرب ، والله الواو استئنافية أو عاطفة والله مبتدأ وبكل شيء متعلقان بعليم وعليم خبر الله • (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) في بيوت صفـة لمشكاة أي كمشكـاة في بيوت أو لمصباح أو لزجاجة أو متعلقان بيوقد ، وعلى هذا لايوقف على عليم ، ولك أن تقف على عليم فتعلقه بمحذوف تقديره سبحوه في بيوت أو بيسبح وقال ابن الأنباري : سمعت أبا العباس يقول : هو حـال للمصباح والزجاجـة والكوكب كأنه قيل : وهو في بيوت ، وقيل متعلقان بتوقد أي توقد في بيوت ، وجملة أذن الله صفة لبيوت وأن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض أي في أن ترفع ، ويذكر عطف على ترفع بالبناء للمجهول وفيها متعلقان بيذكر واسمه نائب فاعل • (يسبح له فيها بالغـدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) الجملة صفة ثانية لبيوت وله متعلقان بيسبح وبالغدو والآصال حـال ورجال فاعل يسبح وجملة لاتلهيهم صفة لرجال وتجارة فاعل تلهيهـم ولا بيع عطف على تجارة وعن ذكر الله متعلقان بتلهيهم وما بعده عطف على ذكر الله • (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) الجملةصفة ثانية لرجال أو حال من مفعول تلهيهم ويخافون فعل وفاعل ويوماً مفعول به لا ظرف وجملة تتقلب صفـة ليوماً وفيه متعلقان بتتقلب والقلوب فاعل تتقلب والابصار عطف عـلى القلوب • (ليجزيهـم الله أحسن

ما عملوا ويزيدهم من فضله) اللام للتعليل ويجزيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والهاء مفعول به أول والله فاعل وأحسن مفعول به ثان وما مضاف اليه وجملة عملوا صلة ويزيدهم عطف على ليجزيهم ومن فضله متعلقان بيزيدهم • (والله يرزق من يشاء بغير حساب) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يرزق خبر ومن مفعول به وجملة يشاء صلة وبغير حساب حال •

البلاغــة :

حفلت هذه الآيات بأفانين شتى من البلاغة والبيان وسنسهب فيها بعض الشيء جرياً على ما درجنا عليه في هذا الكتاب وسنوزع هــذه المباحث نجوماً متتالية •

١ً ــ التشبيه البليغ في قوله تعالى « الله نور السماء والأرض » والمراد به المضمر الأداة وقد سبق ذكره مع أقسام التشبيه وانما سمي بليغاً لحذف واسطة الأداة ولو جازته بسبب هذا الحذف، وقدتكلم علماء البيان مطولاً في هذا التشبيه وحاولوا تجسيد الكيفية التي ساغ فيها هــذا التشبيه لأن النور كما هو معلوم كيفية أو عرض يدرك بالبصر فلا يصح حمله على الذات المقدسة ، وأحسن ما يقال فيه أن التشبيه جار على التقريب للذهن ، أي : به تعالى وبقدرته أثارت أضواء السماء والأرض واستقامت أمورها لأن ظهور الموجودات حصل به كما حصل بالضوء جميع المبصرات ، أو انه على التجوز أي منور السماء والأرض ، أو بتقدير مضاف كقولك زيد عدل أي ذو عدل •

٢ً ــ التشبيه المرسل في قولــه « مثل نوره كمشكــاة فيهــا مصباح ••• الآية » فقد جاء التشبيه هنا بواسطة الأداة وهي الكاف ،

والمراد أن النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناحر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور، واختلفوا في هذا التشبيه هل هو تشبيه تمثيلي أي مركب قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر الى مقابلة جزء بجزء بل قصد تشبيه هداه واتقانه صنعته في كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور الذي تتخذونه وهو أبلغ صفات النور عندكم ، أو تشبيه غير تمثيلي أي غير مركب قصد فيه مقابلة جزء بجزء ، وأجاز القرطبي الوجهين وهذا نص عبارته :

« قوله مثل نوره أي صفة دلائله التي يقذفها في قلب المؤمن والدلائل تسمى نوراً وقد سمى الله تعالى كتابه نوراً فقال : « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » وسمى نبيه نوراً فقال : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وهذا لأن الكتاب يهدي ويبين وكذلك الرسول ، ووجه الاضافة الى الله تعالى أنه مثبت الدلالة ومبينها وواضعها ، وتحتمل الآية معنى آخر ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل به بل وقع التشبيه فيه لجملة بجملة وذلك أن يريد مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر » .

وأبدع الكرخي في تحديده هذا التشبيه التمثيلي فقال : « ... ومثل الله نوره أي معرفته في قلب المؤمن بنور المصباح دون نور الشمس مع أن نورها أتم لأن المقصود تمثيل النور في القلب والقلب في الصدر والصدر في البدن بالمصباح والمصباح في الزجاجة والزجاجة في القنديل وهذا التمثيل لا يستقيم إلا فيما ذكر أو لأن نور المعرفة له آلات يتوقف هو على اجتماعها كالذهن والفهم والعقل واليقظة وغيرها

ولأن نور الشمس يشرق متوجهاً الى العالم السفلي ونور المعرفة يشرق متوجهاً الى العالم العلوي كنور المصباح ، ولكثرة نفع الزيت وخلوصه عما يخالطه غالباً وقع التشبيه في نوره دون نور الشمع مع أنه أتم من نور المصباح » .

٣ ــ الطباق : في قوله تعالى « لا شرقية ولا غربية » وقد تكلم علماء البيان كثيراً عن هــذا الطباق والمقصود منه ، قال الزمخشري : « وقيل لا في مضحى ولا في مقنأة (وهو المكان الذي لا تطلــع عليه الشمس) ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليهــا وذلك أجود لحملهــا وأصفى لدهنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خــير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً فهي شرقية وغربية » .

ولابن الاثير كلام لطيف في هذا الصدد قال : « أما تمثيل نور الله تعالى بمشكاة فيها مصباح فإن هذا مثال ضربه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليــه انه قال : « توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية » واذا نظرت الى هــذا الموضع وجدته تشبيهاً لطيفاً عجيباً وذاك أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم وما ألقي فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفائها وإضاءتها ، وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية فانها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لأنه من أرض الحجاز التي لا تميل الى الشرق ولا الى الغرب وأما زيت هذه الزجاجة فإنه مضيء من غير أن تمسه نار والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الأكدار منــيرة من قبل مصافحة الأنوار » .

٤ً ـ التنكير : في تنكير قوله « نور على نور » ضرب من الفخامة والمبالغة لا أرشق ولا أجمل منه فليس هو نوراً واحداً معيناً أو غير معين فوق نور آخر مثله ، وليس هو مجموع نورين اثنين فقط بل هو عبارة عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين . وقد استهوى هذا التعبير شعراءنا العرب فرمقوا سماءه ، قال أبو تمام يصف غربته في مصر :

أخمسة أعوام مضت لمغيبه وشهران بل يومان ثكل على ثكل

وقال أبو الطيب المتنبي :

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وقال شوقي في العصر الحديث يرثي المرحوم فوزي الغزي أحد أعلام دمشق :

جرح على جرح حنانك جلق حملت مايوهي الجبال ويرهق

٥ً ـ تشابه الاطراف : وهو أن ينظر المتكلم الى لفظة وقعت في آخر جملة من الفقرة في النثر أو آخر لفظة وقعت في آخر المصراع الأول في النظم فيبتدىء بها ... تأمل في تشابه أطراف هذه الجمل المتلاحقة « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنه كوكب دري » ومن أمثلة الشعر في قول ليلى الأخيلية في الحجاج بن يوسف :

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة

تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها
غلام إذا هز القناة سقاها

سقاها فرواها بشرب سجاله
دماء رجال يحلبون حراها

وجميل قول أبي تمام :

هوى كان خلساً إن من أبرد الهوى
هوى جلت في افنائه وهو خامل

أبا جعفر إنّ الجهالة أمها
ولود وأم العلم جذاء حائل

فكن هضبة تأوى اليها وحرة
يعدد عنها الاعوجي المناقل

فإن الفتى في كل ضرب مناسب
مناسب روحانية من يشاكل

وينسب لأبي نواس قوله :

خزيمة خير بني حازم وحازم خير بني دارم
ودارم خير تميم وما مثل تميم في بني آدم
إلا البهاليل بني هاشم وهم سيوف لبني هاشم

وقد يكون تشابه الاطراف معنوياً وهو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى لا في اللفظ كقول محمد بن عبيد الله السلامي :

بدائع الحسن فيه مفترقه وأعين الناس فيه متفقة
سهام ألحاظه مفوقه فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق عارضه هذا مليح وحق من خلقه

فالرشق في قافية البيت الثاني يناسب السهام في أوله •

وجميل قول السري الرفاء :

ابريقنا عاكف على قدح كأنه الأم ترفع الولدا
أو عابد من بني المجوس إذا توهم الكأس شعلة سجدا

فالسجود مناسب للعابد في أول البيت •

وبلغ ابن الرومي الغاية في وصف مغنية :

جاءت بوجه كأنه قمر على قوام كأنه غصن
غنت فلم تبق فيّ جارحة إلا تمنيت أنها أذن

فالأذن تناسب ذكر الغناء في أول البيت •

استدراك على بعض النقاد :

هذا وقد خفيت على بعض علماء البيان أسرار التشابه في الاطراف

فجزم بأنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج الى تمام فينبغي أن تعاد بعينها في آخره ومتى عـدل عن ذلك كان معيباً ثم مثـل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب المتنبي فقال : إنأ با تمام أخطأ في قوله :

بسط الرجـاء لنا برغم نوائب   كثرت بهن مصارع الآمـال

فحيث ذكر الرجاء في صدر البيت كان ينبغي أن يعيد ذكره أيضاً في عجزه أو كان ذكر الآمـال في صدر البيت وعجزه وكـذلك أخطأ أبو الطيب في قوله :

اني لأعلـم واللبيب خبـير   أن الحياة وان حرصت غرور

فإنه قال « إني لأعلم واللبيب خبـير » وكان ينبغي أن يقول : اني لأعلم واللبيب عليم ليكون ذلك تقابلا صحيحاً ٠

هذا ما ذكره الناقد وليس بشيء لأن المعتمد عليه في هذا الصدد أنه إذاكانت اللفظة في معنى أختها جاز ٠

٦ ـ المجاز العقلي : في قوله « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » فقـد أسند الى القلوب والأبصار التقلب والاضطراب من الهول والفزع ٠

وفي قوله « يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » فن الغلو وهو الافراط في وصف الشيء المستحيل عقلاً وعادة وهو ينقسم الى قسمين مقبول وغير مقبول فالمقبول لابد أن يقربه الناظم الى القبول بأداةالتقريب، إلا أن يكون الغلو في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فلاغلو حينئذويجب على الناظم أن يسبكه في قالب التخيلات التي تدعو العقل الى قبولها في أول وهلة كالآية الكريمة فإن إضاءة الزيت من غير مس النار مستحيلة عقلاً ولكن لفظة يكاد قربته فصار مقبولاً ٠

والقسم الثاني وهو الغلو غير المقبول ، كقول ابي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

اللغــة :

(كسراب) : السراب : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه مـاء تنعكس فيه البيوت والأشجار وغيرها ويضرب به المثـل في الكذب والخـداع يقال : هو أخـدع من السراب ، وسمي سراباً لأنه يتسرب أي يجري كالماء ، يقال سرب الفحـل أي مضى وسار ويسمى الآل أيضاً ولا يكون إلا في البرية والحر فيغتر به الظمآن .

(بقيعة) : القيعة بمعنى القـاع أو جمـع قـاع وهو المنبسط المستوي من الأرض وفي الصحـاح : « والقاع المستوي من الأرض والجمع أقواع وقيعان فصارت الواو ياء لكسر ما قبلها والقيعة مثـل القاع وهو أيضاً من الواوي وبعضهم يقول هو جمع » وقال الهروي : « والقيعة جمع القاع مثل جيرة وجار » وفي الأساس : « هو كسراب

بقيعة وبقاع ونزلوا بسراب قيعان ولهم قاعة واسعة وهي عرضة الدار وأهل مكة يسمون سفل الدار القاعة ويقولون : فلان قعد في العِـلّية ووضع قماشه في القاعة ، وقال :

سائل مجاور جَرْمٍ هل جنيتُ لهم
حرباً تُفرّق بين الجيرة الخُلُط
وهل تركت نساء الحي ضاحية
في قاعة الدار يستوقدن بالغبط

وفي القاموس والتاج ما يفهم منه أن القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ويجمع على أقواع وأقوُع وقيع وقيعان وقيعة .

(لجي) : اللجي : العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم البحر هكذا قال الزمخشري ، وقال غيره منسوب الى اللجة بالتاء وهي أيضاً معظمه .

الاعراب :

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حال عمل من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق بعد أن بين حال المؤمنين بضرب مثل لهم وهو « مثل نوره كمشكاة » . والذين مبتدأ أول وجملة كفروا صلة الموصول وأعمالهم مبتدأ ثان وكسراب خبر الثاني والمبتدأ الثاني وخبره خبر الاول وجملة يحسبه الظمآن صفة لسراب وماء مفعول به

ثان ليحسبه وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاءه في محل جر باضافة الظرف اليها وجملة لم يجده لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وشيئاً في موضع المصدر أي لم يجده وجداناً وقيل شيئاً هنا بمعنى ما قدّره وظنّه فهي مفعول به ثان ليجده وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة . (ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) الواو حرف عطف ووجد فعل ماض وفاعل مستتر ولفظ الجلالة مفعول به وعنده متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لوجد أي كائناً عند السراب أو العمل ، فوفاه الفاء عاطفة ووفاه فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وحسابه مفعول به ثان أي جازاه عليه في الدنيا والله مبتدأ وسريع الحساب خبر . (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب) أو حرف عطف قيل هي للتقسيم أو للتخيير أي أن عمل الكافر قسمان : قسم كالسراب وهو العمل الصالح وقسم كالظلمات وهو العمل السيىء أو أن عمل الكافر لاغ لامنفعة له كالسراب ولكونه خالياً من نور الحق كالظلمات المتراكبة والحنادس المدلهمة . قال الزجاج : « أعلم الله سبحانه أن أعمال الكفار كما أنها تشبه السراب الموصوف بتلك الصفات فهي أيضاً تشبه الظلمات، وانها ان مثلت بما يوجد فمثلها كمثل السراب ، وان مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصف » وقال أيضاً « إن شئت مثل بالسراب وان شئت مثل بهذه الظلمات ، فأو للإباحة » والجار والمجرور نسق على كسراب على حذف مضاف تقديره أو كذي ظلمات ويدل على هذا المضاف قوله « إذا أخرج يده لم يكد يراها » أو على حذف مضافين تقديرهما كأعمال ذي ظلمات ، وفي بحر صفة لظلمات ولجي صفة لبحر وجملة يغشاه موج صفة ثانية لبحر وموج فاعل ومن فوقه خبر مقدم وموج مبتدأ مؤخر والجملة صفة لموج الأولى وجملة من فوقه سحاب

صفة لموج الثانية . (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) ظلمات خبر لمبتدأ محذوف أي هذه ظلمات والجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها وبعضها مبتدأ وفوق بعض الظرف متعلق بمحذوف خبر والجملة صفة لظلمات وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة أخرج في محل جر باضافة الظرف اليها وفاعل أخرج ضمير الواقع في البحر المرتطم فيه ويده مفعول به ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكد فعل مضارع ناقص مجزوم بلم واسمها ضمير مستتر تقديره هو وجملة يراها خبر يكد وجملة لم يكد يراها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم. (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ولم حرف نفي وقلب وجزم ويجعل فعل الشرط والله فاعل وله مفعول به ثان ونوراً مفعول به أول ليجعل والفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية وما نافية وله خبر مقدم ومن حرف جر زائد ونور مجرور لفظاً مرفوع بالابتداء محلاً والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ .

البلاغة :

وقد انطوت هذه الآية على أفانين من البلاغة ندرجها فيما يلي :

١ ــ التشبيه المرسل : فقد أخرج مالا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة ، ولو قيل يحسبه الرائي ماء لكان بليغاً ، وأبلغ منه لفظ القرآن لأن الظمآن أشد حرصاً عليه وأكثر تعلق قلب به وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه وأبلغه فكيف وقد تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة الألفاظ وصحة الدلالة وصدق التمثيل .

٢ ــ التشبيه التمثيلي : وقولــه « ووجد الله عنــده » تشبيه تمثيلي أي وجد عقابه وزبانية عذابه ، ووجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر ويعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى وليس كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذي اشتدت حاجته الى الماء فإذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه فإذا جاءه لم يجده شيئاً فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا احتاج الى عمله لم يجده أغنى عنه شيئاً .

٣ ــ العطف على محذوف : في قولــه تعالى « ووجد الله عنده » عطف على مقدر وليست الجملة معطوفة على « لم يجده شيئاً » بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عيناً ولا أثراً ، كأنه قيل حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئاً ووجدوا حكم الله وقضاءه لهم بالمرصاد .

٤ ــ المبالغة في التشبيه : وهذا في قولــه : « إذا أخرج يده لم يكد يراها » وقد اختلف الناس في تأويل هذا الكلام ويكاد الاجماع ينعقد على أن المعنى أنه لايرى يده فعلى هذا في التقدير ثلاثة أوجــه : أحدها أن التقدير لم يرها ولم يكد وهذا غير واضح لأنه نفي للرؤية ثم اثبات لها ، ووجه ثان وهو أن كاد زائدة ولا مساغ له في القرآن فالوجه إذن انه لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها ، ومثله قول ذي الرمة :

إذا غيّر النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

أي لم يقرب من البراح ، والنأي : البعـد ، ويقال رس وأرس إذا لزم والرسيس بقية المرض ، ويبرح يذهب ، وروي أن ذا الرمة لما قدم الكوفة اعترض عليه ابن شبرمة في ذلك بأنه يدل على زوال رسيس الهوى فغيره بقوله لم أجد وقال ابن عتبة حدثت أبي بذلك فقال : أخطأ ابن شبرمة وأخطأ ذو الرمة في تغييره وانما هو كقوله تعالى : « لم يكد يراها » وبعد البيت :

فـلا القرب يدنو مـن هواها ملالـة
ولا حبهـا إن تنزح الـدار ينـزح

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ
صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ
(٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ (٤٣) يُقَلِّبُ
ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ (٤٤)

اللغــــة :

(الطير) : قال أبو عبيدة وقطرب : الطير يقع على الواحد والجمع وقال ابن الانباري : الطــير : جماعة وتأنيثها أكثر من التــذكير وفي المصباح : « الطائر على صيغة اسم الفاعل من طار يطير طيرانا وهو له في الجو كمشي الحيوان في الأرض ويعدى بالهمزة والتضيعف فيقال : طـيّرته وأطرته وجمع الطائر طير مثل صاحب وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور وأطيار » •

(صافات) : باسطات أجنحتهن في الهواء •

(يزجي) : يسوق وفي المختار : « زجى الشيء تزجية دفعه برفق وتزجّى بكذا اكتفى به وأزجى الإبل ساقهــا والمزجى الشيء القليل وبضاعة مزجاة قليلة والريــح تزجي السحاب والبقرة تزجي ولــدها تسوقه » وفي القاموس وشرحه : « زجــا يزجو زجواً وزجّى تزجية وأزجى إزجاء وازدجاه ساقه ودفعه برفق يقال : كيف تزجي أيامك أي كيف تدفعها وزجّى فلان حاجتي أي سهّل تحصيلها وأزجى الأمر آخره وأزجى الدرهم روجه » ومنه قول النابغة :

إني أتيتــك من أهــلي ومن وطــني
أزجي حشاشــة نفس ما بهــا رمق

(ركاماً) : الركــام بضم الراء المتراكم بعضــه فوق بعض وفي المختار : « ركم الشيء إذا جمعه وألقى بعضه عــلى بعض وبابه نصر وارتكم الشيء وتراكم : اجتمــع والركام الرمــل المتراكم والسحاب ونحوه » •

(الودق) : المطر قيل هو خاص بالضعيف وقيل هو المطر ضعيفاً كان أو شديداً وهو في الاصل مصدر يقـال ودق السحاب يدق من باب وعد ٠

(سنا) : في المختار : « السنا مقصور ضوء البرق والسنا أيضاً هو نبت يتداوى به والسناء من الرفعة ممـدود والشيء الرفيع وأسناه رفعه وسناه تسنية فتحه وسهله » ٠

الاعراب :

(ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض) كلام مستأنف مسوق لتقرير هذه الحقيقة ، فالهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر تقديره أنت وأن وما في حيزها سـدت مسد مفعولي تر لأن الرؤية هنا قلبية لأن تسبيح المسبحين لا تتعلق به رؤية البصر أي قد علمت علماً يشبه المشاهدة في اليقين ، وجملة يسبح خبر وله متعلقان بيسبح ومن فاعل يسبح وفي السموات والأرض صلة من ٠ (والطير صافات كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون) الواو للعطف والطير عطف على من وصافات حال ومفعول صافات محذوف أي باسطات أجنحتها ، وكل مبتدأ وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم وجملة قد علم خبر كل وفاعل علم يعود على كل أو على الله ، ويقول أبو البقاء إن عودته على « كل » أرجح لأن القراءة برفع كل عـلى الابتداء ، فيرجـع ضمير الفاعل اليه ولو كان فيه ضمير اسم الله لكان الأولى نصب كـل لأن الفعل الذي بعدها قد نصب ما هو من سببها فيصير كقولك زيداً ضرب

عمر وغلامه فتنصب زيداً بفعل دل عليه ما بعده وهو أقوى من الرفع والآخر جائز » وصلاته مفعول به وتسبيحه عطف على صلاته والله مبتدأ وعليم خبر وبما متعلقان بعليم وجملة يفعلون صلة ما . (ولله ملك السموات والأرض والى الله المصير) الواو استئنافية ولله خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر والى الله خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر . (ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً) الهمزة للاستفهام التقريري وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي تر وقد تقدم اعراب نظيره ، ثم حرف عطف ويؤلف عطف على يزجي وبينه ظرف متعلق بيؤلف ودخلت بين على مفرد وهي إنما تدخل على المثنى فما فوقه لأنه إما أن يراد بالسحاب الجنس فعاد الضمير على حكمه وإما أن يراد أنه على حذف مضاف أي بين قطعه فإن كل قطعة سحابة ، ثم حرف عطف ويجعله فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول وركاماً مفعول به ثان . (فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد) الفاء عاطفة وترى الودق فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به وجملة يخرج حال لأن الرؤية هنا بصرية ومن خلاله متعلقان بيخرج أي من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبل وجبال ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد تقدم أعرابها ونعيده هنا للتقوية فمن الأولى ابتدائية متعلقة بينزل وكذلك الثانية فهي بدل بإعادة العامل وفيها صفة لجبال ومن برد للتبعيض وهي ومجرورها في موضع مفعول الانزال وقيل هي للبيان أي فتكون حالاً وتكون من جبال هي في موضع مفعول الانزال ، وأجمل بعضهم اعراب الآية فقال : والحاصل أن من في من السماء لابتداء الغاية بلا خلاف ومن في من جبال فيها ثلاثة أوجه :

الاول : لابتداء الغايــة فتكون هي ومجرورهــا بدلا من الاولى بإعادة الخافض بدل اشتمال •

الثاني : انها للتبعيض فتكون على هذا هي ومجرورها في محل نصب على أنها مفعول الانزال كأنه قال وينزل بعض جبال •

الثالث : انها زائدة أي ينزل من السماء جبالاً •

وأما من في من برد ففيها أربعة أوجه :

الثلاثة المتقدمة والرابع انها لبيان الجنس فيكون التقدير على هذا الوجه : وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد •

وقال الزجاج : « ومعنى الآية وينزل من السماء من جبال برد فيها كما تقول : هذا خاتم في يدي من حديد أي خاتم حديد في يدي لأنك إذا قلت هذا خاتم من حديد وخاتم حديد كان المعنى واحداً » وعلى هذا يكون من برد في موضع جر صفة لجبال كما كان من حديد صفة لخاتم ويكون مفعول ينزل من جبال ويلزم من كون الجبال برداً أن يكون المنزل برداً •

وذكر أبو البقــاء أن التقدير شيئاً من جبــال فحذف الموصوف واكتفى بالصفة •

(فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء) الفاء عاطفة ويصيب فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود عــلى الله وبه متعلقان بيصيب ومن مفعول به وجملة يشاء صلة الموصول ويصرفه عمن يشاء عطف على الجملة السابقة وهي مماثلة لها • (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب

الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الابصار) الجملة صفة لبرد ويكاد فعل مضارع من أفعال المقاربة وسنا برقه اسمها وجملة يذهب بالابصار خبرها وجملة يقلب تفسير لما قبلها فلا محل لها والله فاعل يقلب والليل مفعول به والنهار عطف على الليل وان حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وعبرة اسمها المؤخر ولأولي الابصار صفة لعبرة والأبصار بمعنى البصائر •

البلاغــة :

١ ــ فن العنوان :

في قوله « ألم تر أن الله يزجي سحاباً » الآية فن انفرد به القليل من علمــاء البيان وهو فن العنوان ، وعرفوه بأنه أن يأخــذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو عتاب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون ثم يأتي لقصد تكميله وتوكيده بأمثلة من ألفاظ تكون عنوانات لأخبار متقدمة وقصص سالفــة ، ومنه نوع عظيم جداً وهو ما يكون عنواناً للعلــوم وذلك أن تذكر في الكلام ألفاظ تكون مفاتيح لعلــوم ومداخل لها ؛ والآية التي نحن بصــددها فيها عنوان العلــم المعروف بالآثار العلوية والجغرافيا الرياضية وعلم الفلك ، ومن أمثلته في الشعر قصيدة أبي فراس الحمداني :

خليــــلي ما أعــددتما لمتيم ... أسير لدى الأعداء جافي المراقد

فريد عن الأحباب لكن دموعه ... مثان على الخدين غــير فرائد

جمعت سيوف الهند من كل وجهة ... وأعددت للأعــداء كل مجالد

إذا كان غــير الله للمرء عدة ... أتته الرزايا من وجوه الفوائد

فقد جرت الحنفاء حتف جذيمة وكان يراها عــــدة للشدائد
وجرت منايـــا مالك بن نويرة حليلته الحسناء يا أم خالـــــد
وأردى ذؤابا في بيوت عتيبة بنوه وأهلوه بشدو القصائــد

فهذه القصص التي استطرد إليها أبو فراس تكميلاً لقصده وتدعيماً لرأيه مشهورة ومعروفه ، ويمكن الرجوع اليها في مظانها بكل سهولة .

وقال الفرزدق لجرير :

فهــــــل أنت إن ماتت أتانك راكــب
إلى آل بسطـــــام بن قيس فخـــــاطب
وإني لأخشــــى إن خطبت إليهـــم
عليك الـــــذي لاقى يســــار الكواعب

ومن حديث يسار أنه كان عبداً أسود يرعى لأهله إبلاً وكان معه عبد يراعيه وكان لمولى يسار بنت فمرت يوماً بإبله وهي ترعى في روض معشب فجاء يسار بعلبة لبن وسقاها وكان أفحج الرجلــين فنظرت الى فحجه فتبسمت ثم شربت وأخذت مضجعها فانطلق فرحاً حتى أتى العبد الراعي وقصّ عليه القصة وذكر فرحه بتبسمها فقال صاحبه يا يسار ، كل من لحم الحوار ، واشرب لبن العشار ، وإياك وبنات الأحرار فقال له : دحكت لي دحكة لا أخيبها ، يريد ضحكت لي ضحكة ، ثم قام الى علبة فملأها وأتى الى ابنــة مولاه فنبهها فشربت ثم اضطجعت فجلس العبد حذاءهافقالت : ماجاء بك؟فقال : ماخفي عنك ماجاء بي فقالت :فأي شيء هو ؟ قال : دحكك الذي دحكت إلي فقالت حياك الله ثم قامت

الى سفط لها فأخرجت منـه بخوراً ودهناً وعمدت الى موسى ودعت بمجمرة وقالت له : إن ريحك ريـح الابل وهـذا دهن طيب فوضعت البخور تحته وطأطأت كأنها تصلح البخور وأخذت مذاكيره وقطعتها بالموسى ثم أشمته الدهن فسلتت أنفه وأذنيه وتركته فصار مثلاً لكل جان على نفسه ومتعد طوره .

وزعيم هذا الباب أبو تمام فقـد كان من أهـم مميزات شعره استخدامه الحوادث القديمة والحديثة في أماديحه خاصة كقوله يمدح أبا دلف :

إذا افتخـرت يوماً تميـم بقوسهـا
وزادت عـلى ما وطّدت من منـاقب

فأنتـم بذي قـار أمالت سيوفكـم
عروش الـذين استرهنوا قوس حاجب

فقد ارتقى بمديحه الى ذكر قصة قوس حاجب ، وخلاصتها أن حاجب بن زرارة سيد بني تميم أتى الى كسرى في سنة جدب يستميره فقال له كسرى : وما ترهنني ؟ قال قوسي ، فاستعظمه وقدم له ما طلب ، فضرب بقوس حاجب المثل عند العرب ثم كانت وقعة ذي قار وانتصر العرب عـلى العجم لأول مرة وحرروا أرضهـم من استعمارهم وكان الفضل يعود الى بني شيبان الذين يمت اليهم الممدوح بالنسبة ، فقال أبو تمام منوهاً بذكر هذه الحادثة .

ويطول بنا الحديث إن تقصينا ما ورد في هذا الباب فحسبنا من القلادة ما أحاط بالجيد .

٢ ــ المبالغة أو الافراط في الصنعة :

وفي قوله « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » فن سماه ابن المعتز الافراط في الصنعة ، وسماه قدامة المبالغة ، وسماه من بعدهما التبليغ ، والناس على تسمية قدامة ، وعرفه بقوله : « هو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزأت فلا يقف عندها حتى يزيد في معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده » وقد قدمنا في مكان آخر من هذا الكتاب ضروب المبالغات في الكتاب العزيز فلا حاجة الى الإعادة ، ونقف عند الضرب الخامس الذي منه هذه الآية وهو ما جرى مجرى الحقيقة وهو قسمان : قسم كان مجازاً فصار بالقرينة حقيقة كهذه الآية فإن اقتران هذه الجملة بيكاد يصرفها الى الحقيقة فانقلبت من الامتناع الى الامكان ، وقسم أتى بصيغة اسم التفضيل وهو محض الحقيقة من غير قرينة كقوله تعالى « أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً » وقد تقدم القول فيه.

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ

يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾

الاعراب :

(والله خلق كل دابة من ماء) كلام مستأنف مسوق لبيان أصناف الخلق ، والله مبتدأ وجملة خلق خبر وكل دابة مفعول به ومن ماء جار ومجرور متعلقان بخلق أي نطفة بحسب الأغلب . (فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين) الفاء تفريعية ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يمشي صلة الموصول وعلى بطنه متعلقان بيمشي ومنهم من يمشي على رجلين عطف على ما سبقه . (ومنهم من يمشي على أربع) عطف ، وسيأتي سر ذكر من لغير العاقل في باب البلاغة . (يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) يخلق الله ما يشاء فعل مضارع وفاعل ومفعول به وجملة يشاء صلة وإن الله ان واسمها وعلى كل شيء متعلقان بقدير وقدير خبر إن . (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) كلام مستأنف مسوق لذكر آياته سبحانه على طريق الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة ، واللام جواب

للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأنزلنا فعل وفاعل وآيات مفعول به ومبينات صفة والله مبتدأ وجملة يهدي خبره ومن مفعول به وجملة يشاء صلة والى صراط متعلقان بيهدي ومستقيم صفة . (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان حال المنافقين ، ويقولون فعل مضارع مرفوع وفاعل وجملة آمنا مقول القول وآمنا فعل وفاعل وبالله متعلقان بآمنا وبالرسول عطف على بالله وأطعنا عطف على آمنا . (ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) ثم حرف عطف ويتولى فعل مضارع مرفوع وفريق فاعل ومنهم صفة ومن بعد ذلك حال ، والاشارة الى القول المذكور ، والواو حالية وما نافية حجازية وأولئك اسم اشارة في محل رفع اسم ما والباء حرف جر زائد والمؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ما والجملة حالية . (وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ودعوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل والى الله متعلقان بدعوا ورسوله عطف على الله والمراد رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ، واللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بدعوا وبينهم ظرف متعلق بيحكم . (إذا فريق منهم معرضون) إذا فجائية وقامت مقام الفاء في ربط الجواب بشرطه وهو إذا الأولى ، وفريق مبتدأ ومنهم صفة وهي التي سوغت الابتداء به ومعرضون خبر فريق . (وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) الواو عاطفة وإن شرطية ويكن فعل الشرط ولهم خبر يكن المقدم والحق اسمها المؤخر ويأتوا جواب الشرط واليه متعلقان بيأتوا ويجوز أن يتعلق

بمذعنين ، قال الزمخشري : « وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت يزورّون عن المحاكمة اليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم » ومذعنين حال ، قال الزجاج : الاذعان الاسراع مع الطاعة وفي القاموس: « أذعن له خضع وذل وأقر وأسرع في الطاعة » •

البلاغـة :

١ ـ صحة التفسير :

في قولـه تعالى « والله خلق كل دابة » الآية : فيها فن بديع من فنون البلاغة سماه علماؤها « صحة التفسير » وسماه ابن الاثير في المثل السائر « التناسب بين المعاني » وحدّه أن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه ، إما أن يكون مجملاً يحتاج الى تفصيل أو موجهاً يفتقر الى توجيـه أو محتمـلاً يحتاج المراد منه الى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه ووقوع التفسير على أنحاء تارة يأتي بعد الشرط أو بعد ما فيه معنى الشرط وطوراً بعد الجار والمجرور وآونة بعد المبتدأ الذي التفسير خبره • والآية التي نحن بصددها مما وقع بعد الجار والمجرور فقد ذُكر سبحانه الجنس الأعلى مقدماً له حيث قال : « كل دابة » فاستغرق أجناس كل ما دبّ ودرج ثم فسر هـذا الجنس الأعلى بالأجناس المتوسطـة والأنواع حيث قال « فمنهـم » و « ومنهم » مراعياً الترتيب إذ قدم ما يمشي بغير آلة لكونه الآية سيقت

لبيان القدرة والتمدح بها وتعجب السامعين منها ، وما يمشي بغير آلة أعجب مما يمشي بآلة فلذلك اقتضت البلاغة تقديمه ، ثم ثنى بالأفضل فالأفضل فأتى بما يمشي على رجلين وهو الانسان والطائر لتمام خلق الانسان وكمال حسن صورته وهيئته وجمال تقويمه المقتضي تخصيصه بالعقل ولما في الطائر من عجب الطيران في الهواء الدال على غاية الخفة ونهاية اللطف مع ما فيه من كثافة ، وثلث بما يمشي على أربع لأنه أحسن الحيوان البهيم وأقواه تغليباً على ما يمشي على أكثر من أربع من الحشرات فاستوعبت جميع الاقسام ، وأحسن الترتيب بالاضافة الى الترتيب والاشارة والارداف وحسن النسق .

وعرفه صاحب العمدة بأنه أن يستوفي الشاعر شرح ما بدأ به مجملاً ، وقلما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد ومثل له ببيتين للفرزدق وهما :

لقد جئت قوماً لو لجأت اليهم
طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم

لألفيت منهم معطياً ومطاعناً
وراءك شزراً بالوشيح المقوم

واشترط صاحب العمدة سلامته من سوء التضمين قال : ومن جيد التفسير قول حاتم الطائي ويروى لعتيبة بن مرداس :

متى ما يجيء يوماً الى المـــال وارثي

يجـد جمع كف غــير ملأى ولا صفر

يجــد فرساً مثـــل العنان وصارمـاً

حسامـاً إذا ما هزّ لـــم يرض بالهبر

وأسمـــر خطيـــاً كـــأن كعوبـــه

نوى القسب قد أربى ذراعاً عـلى العشر

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من التضمين لأنه لم يعلق كلامه بـ « لو » كما فعل الفرزدق ومثله قول عروة بن الورد :

وإن امرأً يرجو تراثي وإن ما يصـير له منه غـــداً لقليل

ومالي مال غــير درع ومغفر وأبيض من ماء الحديد صقيل

وأسمر خطيّ القنـاة مثقّف وأجرد عريان السراة طويـل

هكذا أنشدوه بالاقواء ويجوز أن يرفع عـلى القطع والاضمار كأنه قال : هو صقيل ، أو قال : ولي أبيض من ماء الحديد يعني سيفه • وقال ذو الرمة في التفسير :

وليـــل كجلبـاب العروس ادّرعتـــه

بأربعـــة والشخص في العين واحـــد

أحـــمّ عــــلا فيّ وأبيض صـــارم

وأعيس مهـــــري وأروع ماجـــــد

ففسر الأربعة ما هي ؟ ورفع على شرط ما قدمت من الإضمار كأنه قيل له : ما الأربعة التي شخصها في العين واحد ؟ فقال كذا وكذا وكذا .

ومضى صاحب العمـدة يورد نماذج من التفسير إلى أن قال : « ومن التفسير ما يفسر فيه الأكثر بالأقل وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح نحو قول أبي الطيب :

من مبلـــغ الأعـــراب أني بعــــدها

جالست رسطـــاليس والاسكنـــدرا

ومللت نحـــر عشارهـــا فأضافـــني

من ينحـــر البـــدرَ النضـــار لمن قرى

وسمعـــت بطيلمــــوس دارس كتبــــه

متملكــــاً متبـــــدياً متحضـــراً

ولقيت كـــل الفاضلـــــين كأنمـــا

رد الإلـــــه نفوسهـــم والأعصـــــرا

نسقـوا لنا نسق الحسـاب مقـــدماً

وأتى فـــذلك إذ أتيـــت مؤخـــرا

فقوله : « نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً » البيت تفسير مليح قليل النظـير في أشعار الناس » هذا وقال الواحـدي في شرح البيت الاخير : « جمع لنا الفضلاء في الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود فلما أتيت بعدهم كان فيك مـن الفضـل ما كان فيهم مثل الحساب يذكر تفاصيله ثم تجمع تلك التفاصيل فيكتب في آخر الحساب فذلك كذا وكذا فيجمع في الجملة ما ذكر في التفاصيل ، كـذلك أنت جمع فيك ما تفرق فيهم من الفضائل والعلم والحكمة » .

وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن :

إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجـدوا

في الخط واللفظ والهيجـــاء فرسانـــا

ففسر وقابل كل نوع بما يليق به من غير تقديم ولا تأخير ، ومن التفسير الحلو قول كشاجم واسمه محمود بن الحسين :

في فمهـا مسك ومشمولـة   صرف ومنظـوم من الـدّر

فالمسك للنكهـة والخمر للر   يقـــة واللـؤلـؤ للثغـر

وجميل قول ابن هانىء الاندلسي :

المـدنفات من البريـة كلهـا   جسمي وطـرف بابليّ أحور

والمشـرقات النـيرات ثلاثة   الشمس والقمر المنـير وجعفر

٢ ـ التنكير :

ونكر الماء في قوله « من ماء » وعرفه في قوله « وجعلنا من الماء كل شيء حي » لأن المقصد في الآية هنا اظهار أن شيئاً واحداً تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة ذكر تفاصيلها في آية النور والرعد ، والمقصد في آية « اقترب » أنه خلق الاشياء المتفقة في جنس الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع فذكر معرفاً ليشمل أنواعه المختلفة .

٣ ـ الاستعارة :

الاستعارة في قوله « فمنهم من يمشي على بطنه » فقد سمى الزحف على البطن مشياً على سبيل الاستعارة المكنية كما قالوا في الأمر المستمر : قد مشى هذا الأمر ، ويقال فلان لا يتمشى له أمر .

٤ ـ التغليب :

وفي قوله « من يمشي على بطنه ومن يمشي على أربع » تغلبب للعاقل على غيره وقد مرت له نظائر كثيرة لأنه لما اختلط غير العاقل بالعاقل في الفصل بمن وكل دابة كان التعبير بمن أولى لتوافق اللفظ .

وقيل أوقع « من » على غير العاقل لما اختلط بالعاقل ويحتمل أن تكون من نكرة موصوفة بالجملة بعدها والتقدير فمنهم نوع يمشي على بطنه ونوع يمشي على رجلين ونوع يمشي على أربع على حد : ومن الناس من يعبد الله على حرف ، قال ابن هشام : ويجوز في من أن تكون نكرة موصوفة بالجملة بعدها والتقدير ومن الناس ناس يعبدون الله .

أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ * وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ
قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

الاعراب :

(أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا) كلام مستأنف مسوق لتقسيم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله . والهمزة للاستفهام التقريري ويبالغ به تارة في الذم وتارة في المدح وهو هنا من النوع الأول ، وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر وأم حرف عطف بمعنى بل فهي منقطعة وارتابوا فعل وفاعل . (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) أم يخافون عطف على ما تقدم وأن يحيف في تأويل مصدر مفعول به يخافون والحيف الميل والجور في القضاء وبل حرف اضراب وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو مبتدأ ثان والظالمون خبر هم والجملة خبر المبتدأ الأول أو خبر أولئك . (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا

الى الله ورسوله ليحكم بينهم) إنما كافة ومكفوفة وكان فعل ماض ناقص وقول خبر كان المقدم والمؤمنين مضاف إليه وانما ترجح نصبه لأنه متى اجتمع معرفتان فالأولى جعل أوغلهما في التعريف ولكن سيبويه لم يفرق بينهما وسيأتي مزيد بحث في باب الفوائد ، واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دعوا في محل جر باضافة الظرف اليها والواو نائب فاعل والى الله متعلقان بدعوا ورسوله عطف على الله واللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وبينهم ظرف متعلق بيحكم وجعل الزمخشري فاعل يحكم عائداً الى المصدر لأن معناه ليفعل الحكم بينهم . (أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) أن وما حيزها اسم كان وجملة سمعنا مقول القول وأطعنا عطف على سمعنا والواو حرف عطف وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو مبتدأ ثان والمفلحون خبر هم أو خبر أولئك وقد تقدم قريباً . (ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويطع فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ورسوله عطف على الله ويتقه عطف على يطع بسكون الهاء وكسرها ومع اشباع وبدونه ، والفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك هم الفائزون تقدم فيه القول كثيراً . (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم) كلام مستأنف لحكاية قول المنافقين لرسول الله أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا . وأقسموا فعل ماض والواو فاعل وبالله متعلقان بأقسموا وجهد أيمانهم مفعول مطلق ، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة ، أو حال تقديره مجتهدين ، وقد خلط الزمخشري الوجهين فجعلهما واحداً ، ولئن اللام موطئة للقسم وان شرطية أمرتهم فعل وفاعل ومفعول به . (ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير

بما تعملون) اللام واقعة في جواب القسم ويخرجن فعل مضارع مرفوع وحذفت النون لتوالي الأمثال والواو فاعل والنون للتوكيد ولم يبن الفعل لأن النون لم تباشره ، وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولا ناهية وتقسموا فعل مضارع مجزوم بلا وطاعة خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمركم أي أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ، ويجوز أن يعرب مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة معروفة أولى بكم وأمثل من هذه الأيمان الكاذبة ، ومعروفة صفة وجملة إن الله تعليلية لما تقدم وان واسمها وخبير خبر وبما متعلقان بخبير وجملة تعملون صلة .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة :

جهد أيمانكم : لفظ مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها ، وقد استعاره للايمان وأصله أقسم بالله جهد اليمين جهداً فحذف الفعل وقدم المصدر موضوعاً موضعه مضافاً الى المفعول كضرب الرقاب واذا جعلته حالاً جعلته مؤولاً باسم الفاعل أي جاهدين .

٢ ـ صحة التقسيم :

وفي قوله تعالى : « أفي قلوبهم مرض » الآية فن يقال له صحة التقسيم وقد تقدمت الاشارة اليه فإنها لم تبق قسماً يقع في القلوب من الصوارف عن القبول إلا جاءت به ، ألا ترى أنه تعالى بعد قوله « أفي قلوبهم مرض » ذكر الريبة لأنه لا بد أن يكون الصارف عن الإجابة

فحكم الله ورسوله إما إبطان الكفر وإظهار الاسلام وهو المرض ، أو التشكك والتردد والتذبذب في حكم الله هل هو جار على العدل أو على غيره وذلك هو الريبة ، أو يكون الصارف خوف الحيف الذي لا يشعر به رجاء الانصاف فلم يبق قسم من الصوارف حتى ذكر فيها ثم ختمها سبحانه بقوله « بل أولئك هم الظالمون » فيكون مرشحاً للايغال الذي جاء في فاصلة الآية فحقق الظلم وصفالهم في الرد عليهم ليبقي ثبوتـه فيهم وجوده في حكمـه سبحانه فحصل من ذلك الافتنان وهو جمـع الكـلام بين فنيّ الفخر والهجاء فإن في وصفهم بالظلـم وصف ذاته بالعدل ووصف نبيه بالعدل أيضاً فاذا أضفت الى ذلك أن الكلام قـد أفرغ في قالب من النزاهة والاحتشام واشتمل الهجاء المرير على مالا يوهم الهجاء وهو من أمضى الهجاء وأقذعه فقد أضفت الى ما تقدم فن النزاهة وهو فن مشهور من فنون البلاغة عبر عنه أبو عمرو بن العلاء بقوله : « خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلهـا » وابـن بسام في قوله في الذخيرة : « الهجاء ينقسم الى قسمين : قسم يسمونه هجـاء الاشراف وهو ما لم يبلـغ أن يكون سباباً أو هجواً مستبشعاً والثاني السباب الذي أحدثه جرير وطبقته » فقد اجتمع في الآية حسن التقسيم والايغال والافتنان والنزاهة .

ومما ورد من الهجاء الموجع وليس فيه لفظ فاحش قول أبي تمام :

بني لهيعـة ما بالي وبالكـم   وفي البلاد مناديح ومضطرب
لجاجة لي فيكم ليس يشبهها   إلا لجاجتكم في أنكـم عرب

الفوائـد :

توسط الخبر بين الافعال الناقصة وبين أسمائهن جائز ، قال ابن

مالك : « وفي جميعها توسط الخبر أجز » قال الله تعـالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » فحقاً خبر كان مقدم ونصر المؤمنين اسمها المؤخر ، ويؤخذ من كلام المغني أن رفع الخبر ضعيف كضعف الاخبار بالضمير عما دونه في التعريف إلا ان يمنع مانع من تقدم الخبر كحصر الخبر نحو « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أو كخفاء اعرابهما نحو كان موسى فتاك ، وقد يكون التوسط واجباً نحو كان في الدار ساكنها فتحصل ثلاثة أقسام : قسم يجوز وقسم يمتنع وقسم يجب ، وسكتوا عن تقديم أسمائهن لعـدم تصوره ، إذ متى تقـدم الاسم صار مبتدأ وتحمل الناسخ ضميره فلا يقال ان الاسم تقدم •

قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

الاعراب :

(قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كلام مستأنف مسوق لخطاب

المأمورين بالطاعة من جهته تعالى . وجملة أطيعوا مقول القول ولفظ الجلالة مفعول به وأطيعوا الرسول عطف على أطيعوا الله . (فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) الفاء عاطفة وإن شرطية وتولوا فعل الشرط وهو مضارع حذفت إحدى تاءيه ، فإنما الفاء رابطة للجواب والجواب محذوف أي إن تتولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها فاعلموا أنما عليه السلام ما حمل أي ما أمر به من التبليغ ، وإنما كافة ومكفوفة وعليه خبر مقدم وما حمل مبتدأ مؤخر وجملة حمل صلة وعليكم ما حملتم عطف على ما تقدم . (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) الواو عاطفة وان شرطية وتطيعوه فعل الشرط وهو فعل وفاعل ومفعول به وتهتدوا جواب الشرط والواو حالية أو استئنافية وما نافية وعلى الرسول خبر مقدم وإلا أداة حصر والبلاغ مبتدأ مؤخر والمبين صفة . (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) كلام مستأنف مسوق لتقرير المصير للمؤمنين الذين يعملون الصالحات والتمكين لهم في الارض . ووعد الله الذين فعل وفاعل ومفعول به وجملة آمنوا صلة ومنكم حال وعملوا الصالحات عطف على آمنوا ومفعول وعد الثاني محذوف تقديره الاستخلاف لدلالة قوله ليستخلفنهم عليه ، واللام جواب قسم مضمر أي أقسم ليستخلفنهم وفي الارض متعلقان بيستخلفنهم ولك أن تنزل وعد منزلة أقسم فتلقى بما يتلقى به القسم . (كما استخلف الذين من قبلهم) الكاف نعت لمصدر محذوف أي استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم ، والذين مفعول استخلف ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الذين . (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وليمكنن عطف على ليستخلفنهم فهو مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ولهم متعلقان بيمكنن ودينهم مفعول به والذي صفة وجملة ارتضى صلة

والعائد محذوف أي ارتضاه ولهم متعلقان بارتضى . (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) وليبدلنهم عطف على ما تقدم والهاء مفعول به أول ومن بعد خوفهم حال وأمناً مفعول به ثان . (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) جملة يعبدونني استئنافية على الارجح فلا محل لها وكأنها جواب لسؤال مقدر أي ما بالهم فقيل يعبدونني واختار بعض المعربين أن تكون حالاً من مفعول وعد أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحلها النصب أو حال من مفعول ليستخلفنهم . وجملة لا يشركون بي شيئاً بدل منها ولك أن تجعلها حالاً من فاعل يعبدونني أي يعبدونني موحدين وهو جيد ولك أن تجعلها استئنافية كسابقتها ، وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به وقد تقدم مثله كثيراً ، ومن كفر الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ وكفر فعل ماض فعل الشرط وبعد ذلك متعلق بكفر ، فأولئك هم الفاسقون الجملة جواب الشرط وقد تقدم اعراب نظيرتها .

الفوائد :

ذكر التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل : ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لاتغبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم الملأ العظيم محتبياً ليس معه حديدة ، فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ، ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه

وسلم « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكاً ثم تصير بزّيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها » ومعنى بزيزى قال في الصحاح بزه يبزه بزّاً : سلبه والاسم البزيزى مثل الخصّيصى .

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾
لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ
يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ
ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

الاعراب :

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) كلام معطوف على وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول قال الزمخشري : « وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه » ولك أن تعطفه على

محذوف يقتضيه السياق وتقـديره فآمنوا واعملوا صالحاً وآقيموا الصلاة واعراب الجملة واضح كـل الوضوح • (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصـير) لا ناهيـة وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والذين مفعول تحسبن الأول وجملة كفروا صلة ومعجزين مفعـول تحسبن الثاني وفي الارض متعلقان بمحـذوف حال ومتعلق معجزين محذوف أي لنا ، ومأواهم عطف على لا تحسبن الذين كفروا عطف خبر إنشاء على رأي بعضهم أو معطوف على مقدر تقديره بل هم مقهورون مدركون ومأواهم ولعله أولى لأنه يكون عطف خبر على خبر ، ومأواهم مبتدأ والنار خبره أو بالعكس ، ولبئس اللام موطئة للقسم وبئس فعل ماض جامد للذم والمصير فاعل والمخصوص بالذم محذوف أي مصيرهم ، يعني النار • (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) جملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم الاستئذان وسيأتي في باب الفوائد المزيد منها ، واللام لام الأمر ويستأذنكم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والكاف مفعول به والذين فاعـل وجملة ملكت أيمانكـم صلة • (والذين لم يلبغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر) والذين عطف على الذين وجملة لم يبلغوا الحلـم صلة ومنكم حـال وثلاث مرات نصب عـلى الظرفية أو المفعولية المطلقة فان قدرت بمعنى ثلاثة أوقات فهي ظرف وان قدرت بمعنى ثلاثة استئذانات فهي مفعول مطلق ومن قبـل صلاة الفجر بدل من ثلاث مرات ويجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هل من قبل ، وانما وجب الاستئذان في ذلك الوقت لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح الغلائل وما ينام فيه من الثياب • (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وحين عطف على محل من قبـل صلاة الفجر وجملة تضعون مجرورة باضافة الظرف اليها وثيابكم مفعول

به ومن الظهيرة حال أي حين ذلك الوقت الذي هو الظهيرة أو بتضعون فتكون من بمعنى في • (ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم) ومن بعد صلاة العشاء عطف على ما قبله وثلاث عورات خبر لمبتدأ محذوف مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه أي هي أوقات ثلاث عورات وسمي كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها • والعورة : الخلل ، وفي الصحاح : أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب ، والأعور : المختل العين • (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض) جملة ليس عليكم الخ صفة لثلاث عورات والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان وعليكم خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر وبعدهن ظرف متعلق بمحذوف صفة لجناح وطوافون خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم وعليكم متعلقان بطوافون لأنه صيغة مبالغة لاسم الفاعل وبعضكم مبتدأ وعلى بعض خبره أي طائف على بعض بدلالة طوافون ويجوز أن يعرب بدلاً من قوله طوافون ، ولأبي حيان كلام مطول فيه لا جدوى منه• (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) الكاف نعت لمصدر محذوف وقد تقدم كثيراً ، ويبين الله لكم الآيات فعل مضارع وفاعل ومفعول به والله مبتدأ وعليم خبر أول وحكيم خبر ثان •

الفوائد :

روي أن مدلج بن عمرو وكان غلاماً أنصارياً أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا

وآبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هـذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هـذه الآية وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر ، وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت: إنا ندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد، وقيل : دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً اطلع من بعض حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص أو مشاقص فكأني أنظر اليه يختل الرجل ليطعنه ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ولفظه : « ان أعرابياً أتى باب النبي صلى الله عليه وسلم فألقم عينه خصاصة الباب فبصر به النبي صـلى الله عليه وسلم فتوخاه بحديدة أو عودة ليفقأ عينه فلما أن أبصره انقمع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أما انك لو ثبت عليك لفقأت عينك » .

والمشقص : بكسر الميم بعد شين ساكنة وقاف مفتوحة هو سهم له نصل عريض وقيـل طويل ، وقيل هو النصل العريض نفسه وقيل الطويل .

ويختله : بكسر التاء أي يخدعه ويراوغه .

وخصاصة الباب : بفتح الخاء المعجمة وصادين مهملتين هي الثقب فيه والشقوق ومعناه أنه جعل الشق الذي في الباب محاذياً عينه .

توخاه : أي قصده بتشديد الخاء المعجمة .

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ
ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾
لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ
وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ
صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا
فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ
ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

اللغـــة :

(والقواعد) : جمع قاعد بغير تاء وفي المصباح : « وقعدت المرأة عن الحيض أسنت وانقطع حيضها فهي قاعد بغير تاء والجمع قواعـد

وقعدت عن الزوج فهي لا تشتهيه » ولولا تخصيصهن بذلك لوجبت التاء نحو ضاربة وقاعدة من القعود المعروف •

(متبرجات) : مظهرات للزينـة ، وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج محركة سعه العين يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا انه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها وإظهار محاسنها للرجال وفي المختار : « والتبرج اظهـار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال » فالبرج يعطي معنى الاتساع يقال برج يبرج برجاً من باب تعب اتسع أمره في الأكل والشـرب ونحوهما ، وبرجت عينه اتسعت بحيث يرى بياضها محدقاً بالسواد كله ، والبرج الركن والحصن والقصر وكل بناء مرتفع على شكل مستدير أو مربع ويكون منفرداً أو قسماً من بناية عظيمـة وجمعه برج بضستين وأبراج وأبرجة ، والبرج أيضاً أحد بروج السماء وهي اثنا عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ، والبارجة سفينة كبيرة للقتال وتجمع على بوارج ، ومن أقوالهم : ما فلان إلا بارجة قد جمع فيه كل الشر أي انه شرير •

(صديقكم) الصديق يكون واحـداً أو جمعاً وكذلك الخليط والقطين والعدو وهو الصادق في المودة والمخالّة ، قال الشاعر :

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا　　بأعـين أعـداء وهن صديق

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت　　له عن عـدو في ثياب صديق

(أشتاتاً) : جمع شت بمعنى التفرق وفي المختار : « أمرشت بالفتح أي متفرق ، تقول : شت الأمر يشت بالكسر من باب ضرب شتاً وشتاتاً بفتح الشين فيهما أي تفرق » •

الاعراب :

(وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) كلام مستأنف مسوق لتقرير حكم الأطفال الذين خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها بالبلوغ في وجوب الاستئذان واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة بلغ الأطفال مجرورة باضافة إذا اليها ومنكم حال والحلم مفعول به والفاء رابطة لجواب إذا واللام لام الأمر ويستأذنوا مضارع مجزوم باللام وكما نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أي استئذاناً كاستئذان الذين من قبلهم والذين فاعل ومن قبلهم متعلقان بالصلة • (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) الكاف نعت لمصدر محذوف ويبين الله فعل مضارع وفاعل ولكم متعلقان بيبين وآياته مفعول به والله مبتدأ وعليم خبر أول وحكيم خبر ثان • (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً) الواو استئنافية والقواعد مبتدأ ومن النساء حال واللاتي صفة للقواعد لا للنساء ، إذ لا يبقى مسوغ لدخول الفاء في خبر المبتدأ وجملة لا يرجون صلة ويرجون فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والنون فاعل ونكاحاً مفعول به •

(فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة) الفاء واقعة في جواب الموصول لأن الألف واللام في القواعد بمعنى اللاتي

فعدن وجملة ليس خبر القواعد وعليهن خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر وأن وما في حيزهـا في موضـع نصب بنزع الخافض أي في أن يضعن ثيابهن بمعنى ينزعن ثيابهن فيجوز النظر الى أيديهن ووجوههن وسيأتي مزيد بسط لهذه الآية في باب البلاغة ، وغـير متبرجات حال وبزينة متعلقـان بمتبرجات واعتبرها بعضهـم بمعنى اللام أي غـير مظهرات لزينة واعتبر آخرون الباء للتعـدية أي غير مظهرات زينة . وفي حاشية الشهاب على البيضاوي « قوله غير مظهرات زينة أشار به الى أن الباء للتعدية ولذا فسر بمتعد مع أن تفسير اللازم بالمتعدي كثير ويؤيده أن أهل اللغة لم يذكروه متعدياً بنفسه ولم نر من قال تبرجت المرأة حليها ، وليست الزينة مأخوذة في مفهومه حتى يقال : انه تجريد كما توهم فمن قال انه اشارة الى زيادة الباء في المفعول به فقد أخطأ » .

(وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم) الواو عاطفـة وأن وما في حيزها مبتدأ وخير خبر ولهن متعلقان بخير أي والاستعفاف من الوضع خير لهن ، لماذكر الجائز أعقبه بالمستحب بعثاً منه على اختيار أفضل الاعمال وأحسنها كقوله « وأن تعفوا أقرب للتقوى » « وأن تصدقوا خير لكم» والله مبتدأ وسميع خبر أول وعليم خبر ثان . (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا عـلى المريض حرج) كلام مستأنف مسوق لأمر اختلف العلماء في تأويله ، وأقرب ما ذكروه من تلك التأويلات : ان هؤلاء الطوائف الثلاث كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الاصحاء فإن الأعمى ربما سبقت يده الى أطيب الطعام فسبقت البصير اليه ، والاعرج يتفسح في مجالسه فيأخذ مكاناً واسعاً فيضيق على السليم ، والمريض لا يخلو من حالـة مؤذية لقرينه وجليسه ، فنزلت هـذه الآية وسيأتي في باب الفوائد بقية الاقوال .

وليس فعل ماض ناقص وعلى الاعمى خبرها المقدم وحرج اسمها المؤخر ولا على الاعرج حرج عطف على ما سبقه وكذلك ما بعده . (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) الواو استئنافية وما بعدها كلام مستأنف لتقرير إباحة ما حرموه على أنفسهم ففي القرطبي « انه لما أنزل الله « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» قال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وان الطعام من أفضل الأموال فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فنزلت » ولا نافية وعلى أنفسكم خبر مقدم وأن ومافي حيزها مبتدأ مؤخر ومن بيوتكم متعلقان بتأكلوا . (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو إخوانكم) عطف على ما تقدم وإخوانكم بمعنى إخوتكم . (أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم) عطف أيضاً على ما سبق. (أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) عطف أيضاً على ما سبق . (أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم) ما عطف على ما سبق وجملة ملكتم صلة ومفاتحه مفعول به والمراد بها أموال الرجل إذا كان له عليها قيم أو وكيل يحفظها له ، والمفاتح جمع مفتاح وتجمع على مفاتيح والمراد الخزائن ، وأو حرف عطف وصديقكم معطوف على ما سبق . (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) الجملة بدل من الجملة السابقة وأن تأكلوا أن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض أي في أن تأكلوا وجميعاً حال وأشتاتاً عطف على جميعاً والمعنى أنهم لما تحرجوا في الاجتماع على الطعام والمشاركة فيه لاختلاف الآكلين بيّن أنه لا حرج عليهم أن يأكلوا مجتمعين ومتفرقين وسيأتي مزيد بسط لهذا كله في بابي البلاغة والفوائد . (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) الفاء عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دخلتم في محل جر باضافة الظرف اليها وبيوتاً نصب على المفعولية

على السعة ، وقد اختلف في المراد بهذه البيوت والصحيح أنها عامة لأنه لا دليل على التخصيص ، فسلموا الفاء رابطة وسلموا فعل أمر وفاعل وعلى أنفسكم متعلقان بسلموا وتحية منصوب على المصدر من معنى فسلموا فهو مرادفه كقعدت جلوساً وفرحت جزلاً ومن عند الله صفة لتحية أو بنفس التحية ومباركة صفة وطيبة صفة أيضاً أي يرجى بها زيادة الخير وتطيب بها نفس المستمع . (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) الكاف نعت لمصدر محذوف ويبين الله فعل مضارع وفاعل ولكم متعلقان بيبين والآيات مفعول به ولعل واسمها وجملة تعقلون خبر لعل .

البلاغة :

١ ــ عكس الظاهر :

في قوله تعالى : « غير متبرجات بزينة » فن يطلق عليه بعض علماء البيان اسم عكس الظاهر وبعضهم يسميه نفي الشيء بايجابه وقد سبقت الاشارة اليه في كتابنا وهو من محاسن الكلام فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً وظاهره إيجاباً ، أو أن تذكر كلاماً يدل ظاهره على أنه نفي لصفة موصوف وهو نفي للموصوف أصلاً ومن أهم أبياته قول امرىء القيس :

على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا

فاللاحب هو الطريق الواضح والمنار هو العلامة توضع على الطريق للهداية وفي الحديث « إن للدين صوى ومناراً كمنار الطريق »

وسافه شمه والعود المسن من الابل والنباطي : الضخم وجرجر رغا وضج وأخرج جرته فقوله « لا يهتـدى بمناره » لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار .

وكذلك المراد هنا والقواعد من النساء اللاتي لا زينة لهن فيتبرجن بها لأن الكلام فيمن هي بهذه المثابة ، وكأن الغرض من ذلك أن هؤلاء استعفافهن عن وضع الثياب خير لهن فما ظنك بذوات الزينة من الثياب ، وأبلـغ مافي ذلك أنه جعـل عدم وضع الثياب في حق القواعـد من الاستعفاف إيذاناً بأن وضع الثياب لا مدخـل له في العفة ، هـذا في القواعد فكيف بالكواعب ؟! .

٢ ـ الايضاح :

وفي قوله « ولا على أنفسكم الآية » فن الايضاح وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس ثم يوضحـه في بقية كلامه ، والإشكال الذي يحله الايضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ وفي اعرابهـا ومعاني النفس دون الفنون ، وقد سبق ذكره في هذا الكتاب ، وهنا في هـذه الآية ترد عـلى ظاهرها أسئلة أولها : ما الفائدة في الاخبار برفع الجناح عمن أكل من بيته ؟ وكيف يظن أن على من أكل من بيته جناحاً ؟

وثانيها : لِمَ يذكر بيوت الأولاد كمـا ذكر بيوت غـيرهم من الاقارب القريبة ؟

وثالثها : ما فائدة قوله « أو ما ملكتم مفاتحه » وظاهر الحال أن هذا داخل في قوله « من بيوتكم » ؟

ورابعها : كيف وقعت التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الأقارب ؟
والأجوبة التي تتضح بها هذه الاشكالات الأربعة هي :

الجواب الأول :

أما فائدة الإخبار برفع الجناح عمن أكل من بيته فإنما ذكر ذلك نوطئة ليبني عليه ما يعطفه على جملته من البيوت التي قصد إباحة الأكل منها ، فإنه إذا علم أن الانسان لا جناح عليه أن يأكل من بيته فكذلك لا جناح عليه أن يأكل من هذه البيوت ليشير الى أن أموال هذه القرابة كمال الانسان ، وإذا تساوت هذه الأموال سرى ذلك التساوي الى الازواج ، فيكون سبحانه قد أدمج في ذلك الحض على صلة الارحام ومعاملتهم معاملة الانسان نفسه .

الجواب الثاني :

وأما عدم ذكر بيوت الأولاد فإنما ذكر من الأموال ما يظن بأن الأكل منه محظور فاحتاج الى بيان الاباحة ، وأما أموال الأولاد فتصرف الوالدين فيها كتصرفهم في أموالهم أنفسهم ، لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ، ألا ترى أن الشرع يوجب على الولد نفقة الوالدين إذا كانا محتاجين ؟ وفي الحديث : « إن طيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه » .

الجواب الثالث :

وأما زعم القائل بأن الكلام فيه تداخل لأن قوله « أو ما ملكتم مفاتحه » هو ما في بيوتهم فإنه يحتمل أن يراد بما في البيوت المال التليد

العتيد وما ملك الانسان مفاتحه : المال الطريف، المكتسب الذي يتسبّب الانسان في تحصيله ويتعب في اكتسابه •

الجواب الرابع :

وأما سر التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الاقارب فهو تعريف حق الصديق الذي ساوى باطنه ظاهره في اخلاص المودة ، ولا يسمى صديقاً حتى يكون كذلك ، فإن اشتقاق اسمه من صدق المحبة وصفاء المودة وهو الذي أشار اليه سبحانه بقوله « ولا صديق حميم » فإذا كان الصديق بهذه المثابة وعلى هذه الصفة ساوى هذه القرابة القريبة فليس على الانسان جناح إذا تصرف في ماله تصرفه في مال نفسه •

فنون أخرى في الآية الكريمة :

هذا وقد اشتملت هذه الآية الكريمة بعض إيضاح هذه الإشكالات على تسعة أضرب من فنون البديع ندرجها فيما يلي مع التلخيص والاختصار:

آ ــ صحة التقسيم : وذلك لاستيعاب الكلام جميع أقسام الأقارب القريبة بحيث لم يغادر منها شيئاً •

ب ــ التهذيب : وذلك في انتقال الكلام على مقتضى البلاغة في هذا المكان ، فإن مقتضى البلاغة تقديم الأقرب فالأقرب كما جاء فيها •

جـ ــ حسن النسق : وذلك في اختياره « أو » لعطف الجمل وهي تدل على الاباحة •

د ــ الكناية : فقد كنى سبحانه عن الأموال بالبيوت التي هي حرز الأموال ومقرها من باب تسمية الشيء بما جاوره ، كقولهم : سال الميزاب وجرى النهر •

هـ ـ المناسبة : وذلك بمناسبة الألفاظ بعضها ببعض في الزنة وهي واضحة في لفظة آبائكم وأخوانكم وأعمامكم وأخوالكم .

و ـ المثل : وذلك في قوله : « ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً وأشتاتاً » خرج مخرج المثل السائر الذي يصح أن يتمثل به في كل واقعة تشبه واقعته .

ز ـ التذييل : فإن الكلام الذي خرج مخرج المثل جاء تذييلاً لمعنى الكلام المتقدم لقصد توكيده وتقريره .

ح ـ المطابقة : وذلك في قوله « جميعاً أو أشتاتاً » فإن هاتين اللفظتين تضادتا تضاداً أوجب لهما وصفهما بالمطابقة لأن المعنى جميعاً أو متفرقاً .

ط ـ المقارنة : وذلك في موضعين : أحدهما اقتران التمثيل بالتذييل كما تقدم بيانه ، والثاني اقتران المطابقة بالتمكين فإن فاصلة هذا الكلام في غاية التمكين .

الفوائد :

ذكرنا في باب الاعراب أقرب الوجوه في تأويل قوله تعالى « ليس على الأعمى حرج » الآية ووعدناك بأن نورد بقية الوجوه التي ذكرها المفسرون : فقد كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها : فخالج قلوب المطعِمين والمطعَمين ريبة في ذلك وخافوا أن يلحقهم

فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلاً بغير حق لقوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك •

وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون ، حكي عن الحارث بن عمرو أنه خرج غازياً وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهوداً فقال : ما أصابك ؟ قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل لي ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا منه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت •

وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام قوله « ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج » •

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

اللغـــة :

(يتسللون) : ينسلون واحداً بعد واحد أو قليلاً قليلاً .

(لواذاً) : في القاموس : « اللوذ بالشيء الاستتار والاحتصان به كاللـواذ مثلثة واللياذ والملاوذة والاحاطة كالإلاذة وجانب الجبل وما يطيف به ومنعطف الوادي والجمع ألواذ » وكان المنافقون يخرجون متسترين بالناس من غير استئذان حتى لا يُروا ، والمفاعلة لأن كلاً منهما يلوذ بصاحبه فالمشاركة موجودة وانما صحت الواو في لواذاً مع انكسار ما قبلها لأنها تصح في الفعل الذي هو لاوذ ولو كان مصدر لاذلكان لياذ مثل صام صياماً وقام قياماً .

(يخالفون) : يقال خالفه الى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه .

الاعراب :

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال المنافقين الذين كان يعرض بهم النبي في مجالسه وخطبه .

وانما كافة ومكفوفة والمؤمنون مبتدأ والذين خبره وجملة آمنوا بالله ورسوله صلة الموصول أي هؤلاء هم المؤمنون الكاملو الايمان ، أما

المنافقون فكانوا إذا جلسوا في مجلسه يرامقون أصحابه فإن بدرت لهم منهم غفلة عنهم تسللوا لواذاً وذهبوا خفية من غير استئذان .
(وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة كانوا في محل جر باضافة الظرف اليها والواو اسم كان ومعه ظرف متعلق بمحذوف خبر وعلى أمر متعلقان بمحذوف حال ولك أن تعكس الأمر وجامع صفة لأمر كالحروب وصلاة الجمعة والعيدين وسيأتي معنى اسناد الجمع للأمر في باب البلاغة ، وجملة لم يذهبوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وحتى حرف غاية وجر ويستأذنوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ويستأذنوه فعل وفاعل ومفعول به . (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) ان واسمها وجملة يستأذنونك صلة ، وأولئك مبتدأ والذين خبره وجملة يؤمنون بالله ورسوله صلة الموصول ، والجملة الاسمية خبر إن . (فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فائذن لمن شئت منهم) الفاء عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة استأذنوك مجرورة باضافة الظرف اليها ولبعض شأنهم متعلقان باستأذنوك بمثابة التعليل للاستئذان ، فائذن الفاء رابطة لجواب إذا وائذن فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولمن متعلقان به وجملة شئت صلة ومنهم حال وفيه تفويض الأمر لرأي رسول الله . (واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم) واستغفر عطف على فائذن ولهم جار ومجرور متعلقان باستغفر وجملة ان الله غفور رحيم تعليل للاستغفار فلا محل لها . (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) اضطربت عبارات المفسرين في تفسير هذا التعبير وأقرب ما قيل فيه : لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم لبعض فتتلكئون وتحجمون كما يتلكأ ويحجم بعضكم عن بعض إذا دعاه لأمر فالمصدر

وهو دعاء مضاف الى الفاعــل ويجوز أن يكون مضافاً الى المفعول أي دعاءكم الرسول ونداءكم له كدعاء ونداء بعضكم لبعض • ولا ناهية وتجعلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل ودعاء الرسول مفعول به وبينكم ظرف متعلق بمحذوف حال والكاف بمعنى مثل مفعول به ثان وبعضكم مضاف لدعاء وبعضاً مفعول به لدعاء ونصبه بعضهم بنزع الخافض أي لبعض وذلك متحتم عندما يقدر دعاء مضافاً لمفعوله • (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) قد هنا بمعنى ربمــا وذلك مطرد في دخولها على المضارع وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب الفوائد، ويعلم الله فعل مضارع وفاعــل وجملة يتسللون صلة ومنكم متعلقان بيتسللون ولواذاً يجوز أن ينصب على المصدر من معنى الفعل إذا كان التقدير يتسللون منكم تسللاً أو يلاوذون لواذاً ، ويجوز أن يكون مصدر في موضع نصب عــلى الحال أي ملاوذين • (فليحــذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الفاء الفصيحة أو عاطفة على « قد يعلم » لأنها مترتبة عليه واللام لام الأمر ويحذر فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والذين فاعل وجملة يخالفون صلة ومفعول يخالفون محذوف وهو الله تعالى لأنه الآمر وجيء بـ « عن » لتضمنه معنى الصد والاعراض وأن يصيبهم مفعول يحذر وفتنة فاعل أو يصيبهم عذاب أليم عطف على أن تصيبهــم فتنة • (ألا إن لله مافي السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه) قد للتكثير كما تقدم وكما سيأتي ويعلم فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله تعالى وما مفعول به وأنتم مبتدأ وعليه خبر والجملة صلة • (ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم) ويوم عطف على مفعول يعلم أي ويعلم ما يرجعون وجملة يرجعون صلة ويرجعون بالبناء للمجهول ، فينبئهم عطف على

يعلم والهاء مفعول وبما عملوا في موضع المفعول الثاني والله مبتدأ وبكل شيء متعلقان بعليم وعليم خبر •

الفوائد :

تقدم القول في « قد » ونضيف هنا أنها إذا دخلت على المضارع أفادت التكثير وكانت بمعنى « ربما » ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ... ولكنه قد يهلك المال نائله

فـ « قد » هنا للتكثير وإلا لم يكن مدحاً ، والثقة من وثق كالعدة من وعد ، وإسناد الإهلاك الى الخمر مجاز عقلي وكذلك إسناده الى النائل أي العطاء ، والمراد وصفه بالكرم ، ومن أمثلة « ربما » قول ابن عطاء السندي يرثي ابن هبيرة :

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط ... عليك بجاري دمعها لجمود

عشية قام النائحات وشققت ... جيوب بأيدي مأتم وخدود

فإن تمس مهجور الفناء فربما ... أقام به بعد الوفود وفود

وواسط موضع الواقعة التي قتل المنصور فيها ابن هبيرة ، والمأتم مكان الإقامة استعمل في جماعة النساء الحزينات مجازاً وجمعه مآتم ، يقول : إن كل عين لم تبك عليك ذلك اليوم شديدة الجمود • وعشية بدل من يوم ، وجيب القميص مخرج الرأس منه أي مزقت الجيوب والخدود بأيدي النساء ، ثم التفت الى الخطاب ، وقوله فإن تمس مهجور الفناء كناية عن الموت ، فربما أي كثيراً أقام بفناء بيتك جموع من الناس بعد جموع يستمنحونك ، فإن يهجر فناؤك الآن فلا حزن لأنه كثيراً ما اجتمع فيه الناس ومنحوا خيراً ••

سُورَةُ الفُرْقَان
مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سَبْعٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً
لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا
يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا
إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

اللغــــة :

(تبارك) : البركة زيادة الخـير وكثرته ، والزيادة تكون حسية ومعنوية أي تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في

صفاته وأفعاله ، ثم ان تبارك فعل ماض جامد لايتصرف فلا يأتي منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل وليس له مصدر ولا يستعمل في غير الله تعالى وسيأتي بحث الجامد في باب الفوائد .

(الفرقان) : القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل وقيل لأنه نزل مفرقاً في أوقات كثيرة وفي المصباح : « فرقت بين الشيئين فرقاً من باب قتل فصلت أبعاضه وفرقت بين الحق والباطل ، فصلت أيضاً ، هذه هي اللغة العالية وبها قرأ السبعة في قوله تعالى : « فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » وفي لغة من باب ضرب وقرأ بها بعض التابعين ، وقال ابن الأعرابي : فرقت بين الكلامين فافترقا مخفف ، وفرقت بين العبدين فتفرقا مثقل فجعل المخفف في المعاني والمثقل في الأعيان . والذي حكاه غيره أنهما بمعنىً والتثقيل مبالغة » ولهذه المادة في اللغة شعاب كثيرة ، وسنورد لك منها ما يروق الخاطر : فالفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بين الشيئين وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقاً مفصولاً بين بعضه وبعض في الإنزال ، ألا ترى إلى قوله : « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » والأظهر هو المعنى الثاني لأن في السورة بعد آيات : « وقال الذين كفروا لولا نزلوا عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك». قال الله تعالى كذلك أي أنزلناه مفرقاً كذلك لنثبت به فؤادك ،فيكون وصفه بالفرقان في أول السورة كالمقدمة والتوطئة لما يأتي بعد ، وقد رأت دائرة المعارف الاسلامية كلمة فرقان مجهولة الأصل ، وهذا خطأ بيّن ، ووهم ظاهر كما رأيت من اشتقاق الكلمة ، يقال فرق لي الطريق فروقاً وانفرق انفراقاً إذ ا اتجه لك طريقان فاستبان ما يجب سلوكه منهما ، وطريق أفرق : بيّن ، وضم تفاريق متاعه أي ما تفرق منه ، وضرب

الله بالحق على لسان الفاروق ، وسطع الفرقان أي الصبح ، وهذا أبين من فلق الصبح وفرق الصبح ، وتقول سبيل أفرق كأنه الفرق ، وهو أسرع من فريق الخيل ، وهو سابقها فعيل بمعنى مفاعل لأنه إذا سبقها فارقها ، وبانت في قذاله فروق من الشيب أي أوضاح منه ، وماله إلا فرق من الغنم وفريقة أي يسير ، ورأى أعرابي صبياناً فقال : هؤلاء فِرْق سوء ، وما أنت إلا فروقة ، وفَرَقٌ خير من حبٍّ أي أن تُهاب خير من أن تُحب ، وأفرق المحموم والمجنون ، وهو في أفراقٍ من حُمّاه ، ومن المجاز : وقفته على مفارق الحديث أي على وجوهه الواضحة ، وفي اللسان والاساس : « بدا المشيب في مفرقه وفرقه ، ورأيت وبيص الطيب في مفارقهم ، وفرقت الماشطة رأسها كذا فرقاً ، ورأس مفروق، وديك أفرق : انفرقت رعثته ، وجمل أفرق : ذو سنامين، ورجل أفرق الأسنان : أفلجها ، وناقة فارق : ماخض فارقت الابل نادّة من وجع المخاض ، ونوقٌ فُرْق وفوارق ومفاريق ، وقد فرقتْ فُروقة وتشبّه بها السحاب ، قال ذو الرمة :

أو مزنة فارق يجلو غواربها تبوّج البرق والظلماء علْجوم

الاعراب :

(تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) تبارك فعل ماض جامد كما تقدم في باب اللغة ، والذي فاعله وجملة نزل الفرقان صلة وعلى عبده متعلقان بنزل واللام للتعليل ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل واسم يكون مستتر تقديره هو ونذيراً خبر يكون ، (الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً) هذا الموصول يجوز أن يكون بدلاً من الموصول الأول أو خبر لمبتدأ

محذوف فيكون محله الرفع ويجوز نصبه على المدح وما بعده تمام الصلة للموصول الأول ، وله خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول ولم يتخذ ولداً عطف على ما تقدم . (ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً) عطف على ما سبق وله خبر يكن المقدم وشريك اسمها المؤخر وفي الملك متعلقان بشريك وخلق عطف على ما سبق أيضاً فهو من تمام العلة لما قبله وكل شيء مفعول خلق ، فقدره الفاء عاطفة وقدره فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به وتقديراً مفعول مطلق . (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) واتخذوا الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال وعبادة الكفار ، ومن دونه في محل المفعول الثاني لاتخذوا وآلهة مفعول اتخذوا الاول وجملة لا يخلقون شيئاً صفة لآلهة من سبع صفات ستأتي مسرودة متعاقبة ، وهم يخلقون الواو عاطفة وهم مبتدأ ويخلقون بالبناء للمجهول خبر وهذه هي الصفة الثانية ، ومعنى كونهم مخلوقين أن العابدين ينحتونهم ويصورونهم . (ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) الواو عاطفة ولا يملكون جملة معطوفة على ما تقدم وضراً مفعول به وهذه هي الصفة الثالثة ، ولا نفعاً هي الصفة الرابعة ، ولا يملكون موتاً هي الصفة الخامسة ولا حياة هي الصفة السادسة ولا نشوراً هي الصفة السابعه ، والنشور هو بعث الاموات . (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه) كلام مستأنف مسوق للشروع في حكاية أباطيلهم وإبطالها ودحضها . والذين فاعل قال وجملة كفروا صلة وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وإفك خبر هذا وجملة افتراه صفة لإفك . (وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً) وأعانه عطف على افتراه وعليه متعلقان بأعانه ، والضمير للإفك المفترى ، وقوم فاعل وآخرون صفة

قوم ، ويريدون بهم أهل الكتاب الذين أمدوه ، على زعمهم ، بأخبار الأمم الماضية والقرون البائدة ، والفاء الفصيحة وقد حرف تحقيق وجاءوا فعل وفاعل وقد تضمن معنى فعل فعدي تعديته ، وظلماً مفعوله ويجوز أن يكون على بابه فيعرب ظلماً منصوباً بنزع الخافض أو نصباً على الحال المؤولة أي ظالمين وزوراً عطف على ظلماً • (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل وأساطير الأولين خبر لمبتدأ محذوف وجملة اكتتبها حالية ويجوز اعراب أساطير الاولين مبتدأ وجملة اكتتبها خبر ، فهي الفاء عاطفة وهي مبتدأ وجملة تملى خبر ونائب الفاعل مستتر وعليه متعلقان بتملى وبكرة ظرف متعلق بتملى وأصيلاً عطف على بكرة ، ومعنى تملى عليه تقرأ عليه لينتسخها بواسطة من يكتب له ، لأنه عليه السلام ، كان أمياً • (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض إنه كان غفوراً رحيماً) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وجملة أنزله مقول القول والذي مفعول به وجملة يعلم السر صلة الموصول وفي السموات والارض حال وجملة إنه كان الآية تعليل لما تقدم فلا محل لها وقد تقدم إعرابها كثيراً .

البلاغة :

في قوله تعالى : « فقد جاءوا إفكاً وزوراً » لف ونشر مرتب وقد تقدم في هذا الكتاب أن اللف والنشر فن يتضمن ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يميز ما لكل واحد منها ويرده الى ما هو له ، وقد مثلنا لكل من قسميه بما هو كاف ، أما في هذه الآية فإن قوله تعالى : « فقد جاءوا ظلماً وزوراً » فيه جعل الكلام المعجز إفكاً مختلقاً متلقفاً من اليهود أو غيرهم من أهل الكتاب ، وزوراً بنسبة ما هو بريء منه اليه •

الفوائـد :

الفعـــل الجامـــد :

الفعل الجامد هو ما أشبه الحرف من حيث أداؤه معنى مجرداً عن الزمان والحدث المعتبرين في الأفعال ، فلزم مثله طريقة واحدة في التعبير فهو لا يقبـل التحول من صورة الى صورة بل يلزم صورة واحـدة لا يزايلها ، وذلك مثل : عسى وليس وهب بمعنى احسب وافرض ، ولم يرد من مادته بهذا المعنى إلا الأمر فهو فعل أمر جامد ، وأما « هب » المشتق من الهبة فماضيه وهب ومضارعه يهب وكذلك هب المشتق من الهيبة فإنه فعل أمر متصرف فماضيه هاب ومضارعه يهاب ، ونعم وبئس وهو إما أن يلازم صيغة الماضي مثل عسى وليس ونعم وبئس وتبارك الله ، أو صيغة المضارع مثل يهيط ومعناه يصيح ويفح ، يقال ما زال منذ اليوم يهيط هيطاً وهو مضارع لا ماضي له كما في لسان العرب وتاج العروس ويقال : ما زال في هيط وميط بفتح أولهما وفي هياط ومياط بكسر أولهما أي ضجاج وشر وجلبة ، وقيل في هياط ومياط : في دنو وتباعد ، والهياط الإقبال والمياط الإدبار ، والهائط : الجائي ، والمائط : الذاهب ، والمهايطة والهياط : الصياح والجلبة ، ويقال بينهما مهايطة وممايطة ومسايطة ومشايطة أي كلام مختلف ، ومثل هب وهات وتعال وهلم في لغة تميم لأنه عندهم فعل يتقبل علامته فتلحقه الضمائر ، أما في لغة الحجاز فهي اسم فعل أمر لأنها ستكون عندهم بلفظ واحد للجميع وسيأتي بحثها في حينه • ومن الأفعال الجامدة « قلّ » بصيغة الماضي للنفي المحض وإذا لحقته ما الزائدة كفته عن العمل فلا يليه حينئذ إلا فعل ولا فاعل له لجريانه مجرى حرف النفي نحو : قلما فعلت هذا وقلما أفعله أي ما فعلت ولا أفعل ومنه قول الشاعر :

قلما يبرح اللبيب إلى ما يورث المجد داعياً أو مجيباً

أي لا يزال اللبيب داعياً . وقد يليه الاسم في ضرورة الشعر كقوله :

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

وقد يراد بقولك قلما أفعل اثبات الفعل القليل كما في الكليات لأبي البقاء ، غير أن الكثير استعمالها للنفي الصرف ، ومثل قلما في عدم التصرف طالما وكثرما وقصرما وشدما فإن ما فيهن زائدة للتوكيد كافة لهن عن العمل فلا فاعل لهن ولا يليهن إلا فعل ، فهن كقلما . ومن الأفعال الجامدة قولهم « سقط في يده » بمعنى ندم وتحير وزل وأخطأ وهو ملازم صورة الماضي المجهول قال تعالى « ولما سقط في أيديهم » وقد تقدم بحثه .

وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ
لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ
لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ
ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ
وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

الاعراب :

(وقالوا : ما لهـذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان قبائحهم التي أرجفوا بها في شأن الرسول وهي ستة كما سيأتي . وقالوا فعل وفاعل وما اسم استفهام مبتدأ ولهذا خبره والرسول بدل من اسم الاشارة وجملة يأكل الطعام حالية وهي الفرية الاولى ، ويأكل الطعام فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة يمشي في الاسواق عطف عليها وهي الفرية الثانية وسيأتي معنى أكل الطعام والمشي في الأسواق في باب البلاغة . (لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً) لولا حرف تحضيض وأنزل فعل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان بأنزل وملك نائب فاعل والفاء فاء السببية ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية لأنها جواب التحضيض واسمها مستتر تقديره هو أي الملك ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف حال ونذيراً خبر يكون أي فهما يتساندان في الإنذار والتخويف وهـذه هي الفرية الثالثة . (أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أو حرف عطف ويلقى فعل مضارع مبني للمجهول وكنز نائب فاعل واليه متعلقان بيلقى ، أو تكون له جنة عطف على ما تقدم وجملة يأكل منها صفة لجنة وهذان الفعلان معطوفان على أنزل لأنه بمعنى ينزل ولا يجوز أن يعطفا على « فيكون » المنصوب في الجواب لأنهما مندرجان في التحضيض فيعطفان على جوابه ، وهاتان هما الفريتان الرابعة والخامسة . (وقال الظالمون : ان تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) الواو عاطفة وقال الظالمون فعل وفاعل وإن نافية وتتبعون فعل مضارع وفاعل وإلا أداة حصر ورجلاً مفعول به ومسحوراً صفة وهذه هي الفرية السادسة والأخيرة . (انظر كيف ضربوا لك الأمثال

فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) انظر فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ولك متعلقان بضربوا والأمثال مفعول به ، فضلوا الفاء عاطفة وضلوا فعل ماض وفاعل ، فلا الفاء عاطفة ويستطيعون سبيلاً فعل مضارع وفاعل ومفعول به • (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك) كلام مستأنف مسوق لتقرير تساميه سبحانه وتعاليه عما يقولون • وتبارك الذي فعل وفاعل وقدر الزمخشري والجلال وغيرهما مضافاً محذوفاً أي خير الذي ، وان شرطية وشاء فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وجعل جواب الشرط والجملة الشرطية صلة الموصول ولك مفعول جعل الثاني وخيراً مفعول جعل الأول ومن ذلك متعلقان بخيراً والاشارة الى الذي اقترحوه من الكنز والبستان • (جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً) جنات بدل من خيراً وجملة تجري صفة لجنات ومن تحتها متعلقان بتجري والأنهار فاعل تجري ويجعل فعل مضارع معطوف على محل جعل الواقع جواباً للشرط وسيأتي بحث هام عن فعل الشرط وجوابه في باب الفوائد ولك مفعول ثان وقصوراً مفعول أول • (بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) بل حرف للاضراب فقد أضرب عن توبيخهم بحكاية أراجيفهم السابقة الى حكاية تكذيبهم بالساعة ، وكذبوا فعل وفاعل وبالساعة متعلقان بكذبوا وأعتدنا فعل وفاعل ولمن متعلقان بأعتدنا وجملة كذب بالساعة صلة من وسعيراً مفعول به ، والمعنى : هيأنا لهؤلاء المكذبين ناراً عظيمة ، ووضع الموصول موضع الضمير ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التوبيخ وقد مرت نظائره في أبواب البلاغة ونون سعيراً للتكثير أي ناراً عظيمة كما ذكرنا • (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً) هذه الجملة الشرطية في محل نصب صفة لسعيراً لأنه مؤنث بمعنى النار • وإذا ظرف مستقبل

متضمن معنى الشرط وجملة رأتهم في محل جر باضافة إذا اليها ومن مكان متعلقان بمحذوف حال وجملة سمعوا جواب الشرط ولها حال لأنه كان في الأصل صفة وتغيظاً مفعول به وزفيراً عطف عليه وسيأتي في باب البلاغة فصل مسهب عن هذا التعبير .

البلاغــة :

١ ـ كنايتان بديعتان :

في قوله تعالى « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » كناية عن الحدث لأنه ملازم أكل الطعام ، وقد مر تقريره مفصلاً في سورة المائدة فجدد به عهداً ، وفي يمشي في الأسواق كناية عن طلب المعاش ، وانظر بعــد هاتين الكنايتين البديعتــين إلى حكاية خطراتهم الملتاثة وهواجسهم المحمومة كيف اقترحوا أولاً بأن يكون ملكاً الى اقتراح أن يكون انساناً معــه ملك حتى يتساندا في الإنــذار والتخويف ، ثم نزلوا أيضاً فقالوا : وان لم يكن مرفوداً بملك فليكن مرفوداً بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ، ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه ويرتزق كما يرتزق المياسير ، فانظر كيف صور خطرات النفس الملتاثة وحالات ترددها .

٢ ـ وضع الظاهر موضع المضمر :

في قولــه « وقال الظالمون » وضع الظاهر موضع الضمــير وقد تقدمت الاشارة اليه مع أمثلته ، فقد أراد بالظالمين إياهم بأعيانهم فهم القائلون الأولون ، وإنما وضع المظهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بوصف الظلم وتجاوز الحد .

٣ ـ الاستعارة : اثبات الرؤية لجهنم والتغيظ المسموع والزفير المتصاعد ، أمر شغل العلماء كثيراً ، فأما أهل السنة فيجعلون ذلك كله حقيقة ولا يحملونه على المجاز ، فإن رؤية جهنم جائزة وقدرة الله تعالى صالحة ، وقد تظاهرت الظواهر على وقوع هذا الجائز وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدراكاً حسياً وعقلياً ، ألا ترى الى قوله تعالى « سمعوا لها تغيظاً » والى محاجتها مع الجنة والى قولها « هل من مزيد » والى اشتكائها الى ربها فأذن لها في نفسين ، الى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل الى تأويلها إذ لا محوج اليه ، قالوا : « ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد لتطوح الذي يسلك ذلك الى وادي الضلالة » أما بصدد سمع التغيظ وهو لا يسمع فقد أجاب عنه أهل السنة بثلاثة أجوبة ندرجها فيما يلي :

آ ـ انه على حذف مضاف أي صوت تغيظها .

ب ـ انه على حذف فعل تقديره سمعوا ورأوا تغيظاً وزفيراً فيرجع كل واحد الى ما يليق به أي رأوا تغيظاً وسمعوا زفيراً .

جـ ـ أن يضمن سمعوا معنى يشمل الشيئين أي أدركوا لها تغيظاً وزفيراً .

أما بصدد قوله رأتهم فقال بعضهم انه من باب القلب أي رأوها ، أو على حذف تقديره رأتهم زبانيتها .

أما المعتزلة فهم يحملون ذلك كله على المجاز ويجعلون رؤية جهنم من باب قولهم دور بني فلان تتراءى وتتناظر فتدخل عندئذ في باب الاستعارة المكنية وقد تقدم القول فيها كثيراً .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله « إذا رأتهم من مكان بعيد » من مسيرة مائة عام ، وذلك إذا آتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت لأتت على كل بر وفاجر « سمعوا لها تغيظاً وزفيراً » تزفر زفرة لا تبقى قطرة من دمع إلا ندرت ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها ، تقطع اللهوات والحناجر .

٤ ـ حسن الاتباع :

هذا وقد رمق الشعراء سماء هذه التعابير البليغة مما يدخل في باب حسن الاتباع ، وهو أن يأتي المتكلم الى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه ويحكم له به دون الاول ، وهذا الباب مما يخص كلام المخلوقين ومما أخذ بعضهم من بعض ولا مدخل لشيء من القرآن العزيز فيه فإن القرآن متبع لا مبتع إلا أن الشعراء حين يرمقون سماءه ويحسنون اتباعه صار كأنه داخل في سلك هذا الفن فقال الفرزدق :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

فأسند أفعال من يعقل الى مالا يعقل وجرى على منواله أبو تمام فقال :

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لخرّ يلثم منه موطىء القدم

وحذا البحتري حذو أبي تمام فقال :

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى اليك المنبر

واتبع المتنبي البحتري في ذلك فقال :

لو تعقــل الشجر التي قابلتها   مــدّت محيية إليك الأغصنا

وهذا باب واسع سيأتي الكثير من أمثاله .

الفوائــد :

فعل الشرط والجواب :

لا يشترط في الشرط والجواب أن يكونا من نوع واحد بل تارة :

١ ـ يكونان مضارعين نحو « وإن تعودوا نعد »

٢ ـ يكونان ماضيين نحو « وإن عدتم عدنا » .

٣ ـ يكونان مختلفين ماضياً فمضارعاً نحو « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه » وانما حسن ذلك لأن الاعتماد في المعنى على خبر كان وهو مضارع فكأنه قال : من يرد نزد له .

٤ ـ يكونان عكسه مضارعاً فماضياً وهو قليل ، وخصه بعضهم بالشعر وورد منه في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم « من يقم ليلة القدر احتساباً غفر له » رواه البخاري .

هذا واذا وقع فعل الشرط ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفــع كقول زهير :

وإن أتاه خليـــل يوم مسغبة   يقــول لا غائب مالي ولا حرم

برفع يقول ، قال ابن مالك « وبعد ماض رفعك الخبر أحسن » والذي حسن ذلك أن الأداة لما لم تعمل في لفظ الشرط لكونه ماضياً مع قربه فلا تعمل في الجزاء مع بعده ولذلك قرىء «ويجعل لك قصوراً» برفع يجعل عطفاً على جعل وقد أراد بعضهم تخطئة شوقي في قوله :

إن رأتني تميل عني كأن لم   يك بيني وبينها أشياء

وغاتتهم القاعدة المتقدمة .

وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾

اللغة :

(مقرنين) : من قرنه بتشديد الراء جمّعه وشدده يقال قرّنت الأسارى في الحبال وفعله الثلاثي قرن يقرن من باب ضرب يضرب قرناً الشيء بالشيء شده به ووصل اليه، وقرن الثورين جعلهما في نير واحد ، وقرن البعيرين جمعهما في حبل ، وهي في قوله تعالى : « مقرنين » تفيد شيئين : التصفيد أي تقييد الأرجل وجمع الأيدي والاعناق بالسلاسل .

(ثبوراً) : هلاكاً يقال : ثبره الله : أهلكه هلاكاً دائماً لا ينتعش بعده ومن ثم يدعو أهل النار : واثبوراه ، وما ثبرك عن حاجتك : ما ثبطك ؟ وهذا مثبر فلانة : لمكان ولادتها حيث يثبرها النفاس •

الاعراب :

(وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ألقوا مجرورة باضافة الظرف اليها وهو متعلق بالجواب وهو دعوا ، وألقوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل ومنها حال من مكاناً لأنه في الأصل صفة له ومكاناً ظرف متعلق بألقوا وضيقاً صفة لمكاناً ومقرنين حال من الواو في ألقوا وجملة دعوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والواو فاعل دعوا وهنالك اسم اشارة في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بدعوا في ذلك المكان ومعنى دعوا نادوا ، وثبوراً مفعول به لدعوا ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً أي مصدراً من معنى دعوا ، وقال الزجاج : وانتصاب ثبوراً على المصدرية أي ثبرنا ثبوراً ، وقيل منتصب على أنه مفعول له ، وقيل منادى أي يقولون يا ثبوراه احضر فهذا أوانك فإن الهلاك أخف عليهم مما هم فيه • (لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً) الجملة مقول قول محذوف تقديره فيقال لهم وهذا المحذوف معطوف على ما قبله • ولا ناهية وتدعوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل تدعوا وثبوراً تقدم أنها مفعول به أو مفعول مطلق وادعوا فعل أمر وثبوراً تقدم إعرابها وكثيراً صفة لثبوراً ، وعبر عنه بالكثرة ونفى عنه الوحدة لأنه ألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت

جلودهم بدلوا جلوداً غيرها فلا غايــة ولا نهاية لهلاكهم • (قل : أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاءاً ومصيراً) قل فعل أمر وفاعله مستتر وجوباً تقــديره أنت والهمزة للاستفهــام للتقريع والتهكم وسيأتي مزيد من بحث بلاغة هذه الآية ، وذلك مبتدأ وخير خبر وأم حرف عطف وجنة الخلد عطف على ذلك واسم الموصول صفة لجنة الخلد وجملة وعد المتقون جملة فعلية من فعل ونائب فاعل صله وجملة كانت لهم حالية من جنة الخلد ولهم حال لأنه كان في الأصــل صفة واسم كانت مستتر تقديره هي وجزاءاً خبر كانت ومصيراً عطف على جزاء • (لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعداً مسئولاً) الجملة حال ثانية من جنة الخلد ولهم خبر مقدم وفيها حال وما مبتدأ مؤخر وجملة يشاءون صلة وخالدين حال لازمــة من الهاء في لهم أو الواو في يشاءون وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على الوعد المفهوم من قوله وعد المتقون أو على ما يشاءون وعــلى ربك حال لأنه كان صفة لوعداً ومسئولاً صفة لوعداً •

الفوائــد :

معنى التفضيل :

المفهوم من اسم التفضيل أنه تفاوت بين صفتين مشتركتين ، فكيف قال : أذلك خير أم جنة الخلد ، ومعلوم أن النار لا خــير فيها ألبتة ، وقد سبق مثل هذا السؤال ، والجواب ما حكاه سيبويه عن العرب : الشقاء أحب اليك أم السعادة ، وقد علم أن السعادة أحب اليه ، وقيل ليس هو من باب اسم التفضيل وإنما هو كقولك عنده خير •

ومما لا مندوحة عن التنبيه اليه هو أن قوله تعــالى « لهم فيها

ما يشاءون » ظاهره يقتضي عموم الموصول أنه اذا شاء أحد رتبة من فوقه كالأنبياء نالها فلم يبق بين الناقص والكامل تفاوت ، ويقتضي أيضاً أنه إذا شاء أحدهم الشفاعـة لأحد من أهـل النار كابنه أو أبيه فإن شفاعته سوف تقبل وذلك يتنافى مع العلم بأن عذاب الكافر مخلد ، وقد أجاب القاضي البيضاوي على هذا الإيهام بقوله « ولعله يقصر هِمم كل طائفة على ما يليق برتبتها وأنه تعالى لا يلقي في خواطرهم أن ينالوا أكثر مما نالوه أو يطلبوا المزيد عـلى ما يسبحون فيه من أمواه النعيم المترقرقة عليهم . والاحاديث مستفيضة في درجات الجنة وتفاوتها ، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

اللغـــة :

(بوراً) : البور بضم الباء : الفاسد الذي لا خير فيه ، يقال امرأة بور وقوم بور يوصف به الواحد والجمع ، والبور من الارض ما لم

يزرع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ ، وفي الاساس واللسان والتاج : « فلان له نوره ، وعليك بوره أي هلاكه ، وقوم بور ، وأحلوا دار البوار ، ونزلت بوار على الكفار • قال أبو مكعت الأسدي :

قتلت فكان تظالماً وتباغياً إن التظالم في الصديق بوار
لو كان أول ما أتيت تهارشت أولاد عرج عليك عند وجار

جعلها علماً للضباع فاجتمع التعريف والتأنيث ، ومن المجاز : بارت البياعات أي كسدت ، وسوق بائرة ، وبارت الأيم إذا لم يرغب فيها » •

الاعراب :

(ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله) كلام مستأنف مسوق لوصل ما ذكره في أول السورة وهو قوله « واتخذوا من دونه آلهة » • والظرف متعلق باذكر مقدراً معطوفاً على قل وجملة يحشرهم بالياء والنون في محل جر بإضافة الظرف اليها والهاء مفعول به وما موصول معطوف على الهاء أو منصوب على المعية وغلب غير العاقل على العاقل فأتى بما دون « من » لأن بين المعبودين عقلاء ، وقيل إن كلمة ما موضوعة للكل أو يريد الأصنام لأنها تتكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الأيدي والأرجل •

وقال الزمخشري : « فإن قلت : كيف يصح استعمال ما في العقلاء ؟ قلت : هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شبحاً من بعيد : ما هو فإذا قيل لك : إنسان قلت حينئذ : من هو » •

وجملة يعبدون صلة ما ومن دون الله حال • (فيقول : أأنتم

أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) فيقول عطف على يحشرهم وأنتم الهمزة للاستفهام التقريعي وأنتم مبتدأ وجملة أضللتم خبر وعبادي مفعول به وهؤلاء اسم اشارة صفة لعبادي أي المشار اليهم أو بدل من عبادي وأم حرف عطف وهم مبتدأ وجملة ضلوا خبره والسبيل نصب بنزع الخافض لأن ضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق . (قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) سبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف أي تنزيهاً لك عما لايليق بك وما نافية وكان فعل ماض ناقص وجملة ينبغي خبر كان ولنا متعلقان بينبغي وأن ومافي حيزها فاعل ينبغي فيكون اسم كان مستتراً وفاعل ينبغي مستتر ومن دونك مفعول نتخذ الثاني ومن حرف جر زائد وأولياء مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول نتخذ الاول أو بالعكس ، والصحيح أن قوله من أولياء هو المفعول الأول لأنه الذي يجوز أن تكون من فيه زائدة بخلاف الثاني ، تقول : ما اتخذت من أحد ولياً ولا يجوز في الأفصح ما اتخذت أحداً من ولي . (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسُوا الذكر وكانوا قوماً بوراً) الواو عاطفة ولكن مخففة مهملة للاستدراك ومتعتهم فعل وفاعل ومفعول به وآباءهم الواو عاطفة أو للمعية وآباءهم عطف على الهاء أو مفعول معه وحتى حرف غاية وجر ونسوا الذكر فعل وفاعل ومفعول به وكانوا كان واسمها وقوماً خبرها وبوراً صفة . (فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً) الفاء الفصيحة لأنها مرتبة على محذوف ولأنها مفاجأة بالاحتجاج والالزام وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول وهذا التعبير بليغ جداً وله نظائر في الكتاب الكريم كقوله تعالى « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من

الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ».

وقول الشاعر :

قالــوا خراسان أقصـــى ما يراد بنـــا
ثم القفـــول فقـــد جئنا خراسانـــا

أي أن هـــذه البلدة أبعـــد ما يراد بنا ، وغاية سفرنا ، ثم يكون القفول والرجوع ، وقوله فقد جئنا مرتب على محذوف أي إن صدقوا فقد جئنا خراسان فلمَ لم تتخلص من السفر ، ويجوز أنه عـــدل الى الخطاب أي فقولوا لهم اقطعوا السفر بنا وارجعوا فقد جئنا الموعد .

وقد حرف تحقيق وكذبوكم فعل وفاعل ومفعول به وبما متعلقان بكذبوكم وجملة تقولون صلة والواو واقعة على المعبودين والكاف على العابدين ، فما الفاء عاطفة وما نافية وتستطيعون فعل مضارع وفاعل وصرفاً أي دفعاً للعذاب عنكم مفعول به ولا نصراً عطف عـــلى صرفاً . (ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويظلم فعل الشرط ومنكم حال أي كائناً منكم أيها المكلفون ونذقه جواب الشرط والفعل وجوابه خبر من والهاء مفعول نذقه الأول وعذاباً مفعول نذقه الثاني وكبيراً صفة .

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

* وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ

لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا
بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ
عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾

اللغــــة :

(حجراً محجوراً) : ذكرهما سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة ، قال سيبويه : « ويقول الرجل للرجل: أتفعل كذا فيقول حجراً وهي من حجره إذا منعه لأن المستعيذ بالله طالب منه أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكأن المعنى اسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً » .

وقد ساءل الزمخشري فقال : « فإذا قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور ؟ قلت : جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل زائل ، والذيل الهوان وموت مائت والحجر العقل لأنه يمنع صاحبه وفي الأساس : « وفي ذلك عبرة لذي حجر وهو اللبّ ، وهــذا حجر عليك : حرام ، وحجر عليه القاضي حجراً ، واستقينا من الحاجر وهو منهبط يمسك الماء وفــلان من أهــل الحاجر وهو مكان بطريق مكة ، وقعد حجرة أي ناحية ، وأحاطوا بحجرتي العسكر وهما جاباه ، وحجّر حول العين بكيّة ، وعوذ بالله وحجر ، وامرأة بيضاء المحاجر ، وبدا محجرها من النقاب ، واستحجر الطين وتحجّر : صلب

كالحجر ، وتحجر ما وسعه الله : ضيقه على نفسه ، وقراءة العامة على كسر الحاء وقرىء بالضم وهو لغة فيه وحكى أبو البقاء فيه لغة ثالثة وهي الفتح ، قال وقد قرىء بها •

(هباء) : الهباء قال في القاموس والتاج : الغبار ودقائق التراب ساطعة ومنثورة على وجه الأرض والقليلو العقول من الناس وفعله هبا يهبو هبْواً » وقال الزمخشري : « والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه الغبار وفي أمثالهم أقل من الهباء » قال : « ولام الهباء واو بدليل الهبوة » قلت وقال المتنبي :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة
فما المجد الا السيف والفتكة البكر

وتضريب أعناق الملوك وأن ترى
لك الهبوات السود والعسكر المجر

وقال الخليل والزجاج : « هو مثل الغبار الداخل في الكوة يتراءى مع ضوء الشمس •

الاعراب :

(وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) جملة مستأنفة مسوقة لتسليته صلى الله عليه وسلم ، وما نافية وأرسلنا فعل وفاعل وقبلك ظرف متعلق بمحذوف حال ومن المرسلين متعلقان بأرسلنا أو بمحذوف صفة لمفعول أرسلنا ، والمعنى :

وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين ، ونحوه قوله تعالى « وما منا إلا له مقام معلوم » على معنى وما منا أحد ، ولعل هذا أولى ، وإلا أداة حصر وجملة انهم حالية ولذلك كسرت همزة إن كما انها كسرت لأجل اللام في الخبر والمعنى إلا وهم يأكلون ، فالاستثناء من أعم الاحوال ، وان واسمها واللام المزحلقة وهي لام الابتداء زحلقت الى الخبر وجملة يأكلون الطعام خبر انهم وجملة يمشون في الاسواق عطف على ليأكلون الطعام . (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً) وجعلنا عطف على ما تقدم أو تجعلها مستأنفة مسوقة لتسليته صلى الله عليه وسلم أيضاً ، وجعلنا فعل وفاعل وبعضكم مفعول به أول ولبعض حال لأنه كان في الأصل صفة لفتنة وفتنة مفعول به ثان لجعلنا ، ومعنى جعل بعضهم فتنة لبعض : أن الغني فتنة للفقير والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع والمراد أن الدنيا دار امتحان وبلاء فلا يفلل ذلك في عزمك ولا يضيقن به صدرك ولا تأبه الأراجيفهم . والهمزة للاستفهام ومعنى الاستفهام الأمر أي اصبروا ومثله « أأسلمتم » معناه أسلموا ، وكان الواو عاطفة أو استئنافية وكان فعل ماض ناقص وربك اسمها وبصيراً خبرها . (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) الواو عاطفة وقال الذين فعل وفاعل وجملة لا يرجون صلة ولقاءنا مفعول به ولولا أداة تحضيض وأنزل فعل ماض مبني للمجهول وعلينا متعلقان به والملائكة نائب فاعل والجملة مقول قولهم وهم الذين ينكرون البعث وأو حرف عطف وجملة نرى ربنا عطف على جملة أنزل علينا الملائكة فهي من مقول قولهم اقترحوا أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بصدق محمد حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه . (لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً) الجملة مقول قوله تعالى في درء الشبهتين اللتين أوردوهما

تعنتاً ومكابرة بعد قيام الحجة وسطوع الدليل . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق واستكبروا فعل وفاعل ، وفي أنفسهم فيه وجهان : أحدهما انه متعلق باستكبروا يعني أنهم لتكبرهم استكبروا أنفسهم أي عدوها كبيرة الشأن وأصله من استكبره إذا عداه كبيراً ونزّله منزلة اللازم ، والثاني أنه متعلق بمحذوف حال أي أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق في قلوبهم أي كائناً في قلوبهم ، وعتوا فعل ماض وفاعل وعتواً مفعول مطلق وكبيراً صفة له . (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً) يوم متعلق باذكر مقدرة أو بيعذبون أو بلا يبشرون المفهومة ضمناً من لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها ولا تعمل فيه البشرى لأن المصدر لا يعمل فيما قبله ، ولأن المنفي لا يعمل فيما قبل لا . وجملة يرون مجرورة باضافة الظرف اليها والملائكة مفعول به ولا بشرى لا نافية للجنس وبشرى اسمها وللمجرمين خبرها والجملة مقول قول محذوف أي يقولون لا بشرى وجملة القول حال من الملائكة ويقولون فعل وفاعل وحجراً محجوراً تقدم القول في اعرابها مفصلاً في باب اللغة (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) الواو استئنافية وقدمنا فعل وفاعل والى ما متعلقان بقدمنا وجملة عملوا صلة ومن عمل حال أي عمل خير كصدقة وصلة رحم أو إغاثة ملهوف ، والفاء عاطفة وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به أول وهباء مفعول به ثان ومنثوراً صفة .

البلاغة :

شبه أعمال الكفار الحسنة بالهباء ، ووجه الشبه قلّته وحقارته وعنده وانه لا ينتفع به ، ثم أي هباء ؟ انه قد يكون منتظماً مع ضوء

الشمس فإذا حركته الريح تطاير وذهب كل مذهب ، ولذلك قال منثوراً أي جامعاً لحقارة الهبـاء والتناثر ومثله « كونوا قردة خاسئين » أي جامعين للمسخ والخسء ، وأتى بالعامل منكراً ليتناول هذا الوعيد كل من سولت له نفسه البقاء على الكفر وعمل مثل عملهم .

وللرماني في كتابه « النكت في إعجاز القرآن » بحث طريف في هذا التشبيه بعد أن يلحقه بباب الاستعارة يقول فيه : « حقيقة قدمنا هنا عمدنا ، وقدمنا أبلغ منه لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر لأنه من إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ثم قدم فرآهم على خلاف من أمرهم،وفي هذا تحذير من الاغترار بالافهام والمعنى الذي يجمعهما العدل لأن العمد لإبطال الفاسد عدل والقدوم الى ابطال الفاسد عدل والقدوم أبلغ لما بينّا ، وأما هباء منثوراً فبيان ما قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه » .

فانظر اليه كيف استجمع الصور القرآنية في ذهنه وكيف أوحى اليه لفظ قدمنا المستعار من معـان ثم كيف كشف عن خبايا التعبـير القرآني في استعارة القدوم للعمد وفضل الاول في بعث الخيال وإثارته ليربط بين المعنى الأول في الآية والمعنى المستعار ، وصورة أخرى ربطية تثور في الخيال وهي صورة المسافر الغائب الذي يأتي فيرى القوم على خلاف فيضرب ليعدل ويصلح الفاسد .

وقال الواحدي : « معنى قدمنا عمدنا وقصدنا يقال : قدم فلان إلى أمر كذا إذا قصده أو عمده ومنه قول الشاعر :

وقـدم الخوارج الضـلال إلى عباد ربهـم فقالـوا

إن دماءكـم لنـا حـلال

المحتوى

انتهى المجلد السادس

ويليه المجلد السابع بدءاً من الآية « ٢٤ » من سورة الفرقان